

الحياةُ الدَّوْبِيَّةُ

بَعْدَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ

تَأْلِيفُ

د. مُحَمَّدٌ عَبْدُ الْمَنَعِمِ خَفَاجِي

الْأستاذ والعَميد بِجامعة الزَّهْر

يَطْلُبُ مِنْ نَاشِرِهِ

مَكْتَبَةُ الْحُسَيْنِ التَّجَارِيَّةِ

لصَّاحِبِهَا، بِمَكْتُمُوْدَةٍ تَوْفِيْقٍ

الحياة الأدبية

بَعْدَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ

للاستاذ

محمد عبد المنعم صفاجي

المدرس في كلية اللغة العربية

طبع و نشر

مكتبة الحسين التجارية

لصاحبها : محمود توفيق

الطبعة الاولى

١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكلمة الاولى

اللهم إنا نحمدك ونستعينك ونستهديك ونشكرك ونسألك
التوفيق والرعاية والتوجيه وبعد .

فهذا سفر جديد في تاريخ الأدب العربي بعد ظهور الإسلام يشتمل
على تصوير واسع للحياة الأدبية . في عصر صدر الإسلام وعصر
بنى أمية وصدر العصر العباسي .

وقد توخيت فيه الدقة والتحليل والدراسة لشتى ألوان الأدب
ومظاهر نهضته في هذه العصور البعيدة ؛ مع الإشارة إلى شتى المصادر
والمراجع ؛ ومع تنظيم البحوث والاستقصاء فيها .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد عبد المنعم خفاجي

الاستاذ بكلية اللغة العربية

١٩٤٩ / ٩ / ١٥

منهج الدراسة بكلية اللغة العربية

تاريخ الأدب

تاريخ الأدب في صدر الإسلام : آثار الإسلام في لغة العرب وحياتها الاجتماعية . القرآن الكريم : نزوله وأسلوبه وإعجازه وجمعه وروايته وأثره في اللغة والأدب . النثر ومميزاته في أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه . أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثرها في اللغة والأدب . الخطابة وأشهر الخطباء . الكتابة وأشهر الكتاب . الشعر وما طرأ عليه في أغراضه وألفاظه وأساليبه وأشهر الشعراء المخضرمين .

تاريخ الأدب في عهد بني أمية : انتشار اللغة وقيامها بمقتضيات الملك والسياسة طرود اللحن ووضع النحو والنقط والشكل . بدء تدوين العلوم ، عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب ، أشهر مجامع العلم والأدب .

النثر : الخطابة والخطباء ، الكتابة وأشهر الكتاب ، الأجوبة والمجاورات الشعر : مميزاته وما طرأ عليه من أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه وأخيلته ، صيرورته حرفة للتكسب ، طبقات الشعراء وطوائفهم كالعشاق والسياسيين والهجائيين ، قول الشعراء . النقد الكلامي وأمثلة منه ، الموازنة الأدبية وأمثلة منها . الرواية والرواة . الأغاني وأثرها في الشعر وأشهر المغنيين .

دراسة تاريخ واحد من كل من طائفة من الطوائف الأربع الآتية : دراسة استيعاب يعمد فيها إلى الوقوف على ما استطاع من تفاصيل حياتهم الأدبية وكل ما له أثر فيها مع استنباط خصائص كل في أقواله : معانيه ومبانيه وأسلوبه وأخيلته وتشبيهاته ومبتكراته ونقد ما هو خليق بالنقد من ذلك مع الموازنة بينه وبين نظيره إن أمكن ومع الإبانة عن أثر كل في فنون الأدب ومنزله من رجاله ، وهذه الطوائف :

أ - عمر بن الخطاب ، علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

ب - حسان ، الخطيئة ، الحسناء .

ج - الحجاج ، زياد ، عبد الحميد الكاتب ، أبو حمزة ، قطرة بن الفجاءة ،

عبد الله بن الزبير ، قتيبة بن مسلم .

د - جرير ، الفرزدق ، الأخطل ، عمر بن أبي ربيعة ، جميل ،

ذو الرمة ، الكمي .

على ألا يتكرر واحد في سنتين متتابعتين .

النصوص

١ - دراسة نصوص من القرآن الكريم

٢ - دراسة طائفة من جيد المنثور يختارها المدرس من الأحاديث النبوية ومن الخطب والرسائل والمحاورات في صدر الإسلام وعهد بني أمية دراسة فهم ونقد وموازنة لما يستحق الموازنة بغيره منها وذلك بما دون في مثل صحيح البخاري ونهج البلاغة والعقد الفريد وأمالى القالى وكامل المبرد والبيان والتبيين على ألا يقل المقروء عن نحو ٦٠ صفحة وعلى أن يحفظ الطلبة من ذلك نحو ٢٠٠ سطر مع التعريف بكتاب من هذه الكتب وبيان منزلته في موضوعه ومنهج مؤلفه .

٣ - دراسة قصائد ومقطعات يختارها المدرس من شعر صدر الإسلام وعهد بني أمية قراءة وفهما ونقدا وموازنة لما يستحق الموازنة بغيره منها وذلك بما دون في مجموعات الشعر ودواوين مثل: حسان، الخنساء، الحطيئة، جرير، الفرزدق الأخطل، عمر بن أبي ربيعة، وفي مثل أمالى القالى على ألا يقل المقروء عن نحو ٤٠٠ بيت وعلى أن يحفظ الطلبة منه نحو ٢٠٠ بيت .

الحياة الأدبية

في عصر صدر الإسلام

من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيام دولة بني أمية

١٢ ق هـ - ٤١ هـ

عصر صدر الاسلام

يفتح العصر الثاني من عصور الأدب العربي وهو عصر صدر الاسلام ،
ببعثة محمد ﷺ صلوات الله عليه ، ودعوته وهو بمكة قريشاً والعرب والناس كافة
إلى الاسلام عام ٦١٠ م ؛ وينتظم ما بعد ذلك بما امتد من عهد الرسول بمكة
والمدينة ^(١) وعهد أبي بكر ^(٢) وعمر ^(٣) وعثمان ^(٤) وعلي ^(٥) والحسن بن علي ^(٦)
وينتهي بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين وقيام دولة بني أمية على يد معاوية بن أبي
سفيان عام ٤١ هـ ، ومدته ثلاثة وخمسون عاماً هجرية .

وهو من أعظم العصور في التاريخ الاسلامي أثراً ، وأكثرها في حياة العرب
والمسلمين والعالم والانسانية خطراً ؛ ففيه بدأت ونمت وازدهرت وانتشرت
دعوة الاسلام دين البشرية الخالد ، ومنقذها الكريم من ضلال الجهل والسفه
والاستعباد والطغيان والرق الفكري والبشرى والاجتماعى ، وهاديا الامين إلى
شاطى الامن والاسلام والنور والحرية والمساواة ، وقائدها البر إلى حياة
المدنية والعلم والثقافة وحرية الانسان من العبودية والخوف والفقر والجور .

وناهيك به بعد ذلك عصرأ ازدهرت فيه اللغة ، ونبه فيه شأن الادب ،
وصار فيه للسان العربى والشعب العربى السيادة والفوز والغلبة فى شتى
الارحاء والامصار .

(١) أى من عام ١٢ ق هـ إلى عام ١١ هـ [٦١٠ - ٦٣٢ م] .

(٢) أى من ١١ - ١٣ هـ [٦٣٢ - ٦٣٤] .

(٣) ١٣ - ٢٣ هـ [٦٣٤ - ٦٤٤ م] .

(٤) ٢٤ - ٣٥ هـ [٦٤٤ - ٦٥٥ م] .

(٥) ٣٥ - ٤٠ هـ [٦٥٥ - ٦٦٠ م] .

(٦) ٤٠ - ٤١ هـ [٦٦٠ - ٦٦١ م] .

وكيف لا وقد افتتح بأروع جهاد عرفته الإنسانية ، وبأعظم دعوة وصلت إلى الأرض من السماء ، وبثورة لم يعرف التاريخ قط لها نظيراً ، ثورة على الجحود البشرى واضطهاد الإنسان لأخيه الإنسان وعبودية الطوائف والشعوب للأكثرين عدداً وعدداً ؛ ثورة فتحت صفحة جديدة في حياة الإنسانية ، وأحالت ظلام الحياة ضياء ونوراً وظلمها عدلاً وأمناً وسلاماً وحرية ، مما شهد به أفذاذ المفكرين والمؤرخين ودعاة الإصلاح .

ومن أولى من محمد بن عبدالله صلوات الله عليه بأن يرفع في العالم منارة السلام ، وراية المدنية ، وأن يصل الأرض بالسماء ، ويسعى بالإنسان ليلبغ ماينتظره من حضارة باهرة ، وحرية نادرة ، وحياة زاهرة ، فيها الأمن والأمل والرجاء ؛

صلى الله عليه ، ورفعته إلى أعلى عليين ، وأكرمته في أمته كما أكرم أمته به ، إنه على مايشاء قدير .

هذا وعصر صدر الاسلام مستقل عن العصر الأموي ، لاختلاف المؤثرات التي أثرت في الأدب العربي في هذا العصر عنها في عصر بني أمية . وعلى ذلك سار كثير من الباحثين ومؤرخي الأدب ؛ وهو ما سرنا نحن عليه في هذا الكتاب . ولكن بعض الباحثين يجعل العصرين عصراً واحداً يبتدىء بانبثاق فجر الدعوة النبوية وينتهي بانتهاء عهد الدولة الأموية عام ١٣٢هـ ، ومدته على ذلك ١٤٤ عاماً وعلى ذلك سار أصحاب الوسيط^(١) والزيات في كتابه^(٢) ، تاريخ الأدب العربي . وسواهما من الباحثين .

(١) ٩٤ الوسيط ط ١٩٢٥

(٢) ٧٨ المرجع ط ١٩٣٥

الجاهليون والمخضرمون والاسلاميون

والذين شهدوا هذا العصر العظيم من الشعراء^(١) يسمون المخضرمين ، يقول ابن رشيقي :

« طبقات^(٢) الشعراء أربعة : جاهلي ، ومخضرم وهو الذي أدرك الجاهلية والاسلام ، وإسلامي ، ومحدث . ثم صار المحدثون طبقات : أولى وثانية على التدرج وهكذا في الهبوط إلى وقتنا الحاضر ،

أما الجاهليون فأمرهم مشهور ذائع ، وهم الذين نشأوا في جزيرة العرب قبل الاسلام من الشعراء والخطباء والبلغاء وأرباب الفصاحة واللسن والبيان ، وهذه الكلمة جمع لكلمة جاهلي من الجاهلية المأخوذة من الجهل ضد العلم ، لما كان عليه العرب قبل الاسلام من أمية ظاهرة ، أو من الجهل ضد الحلم بمعنى السفه والطيش وسرعة الغضب لما كانوا عليه من الاسراع إلى الانتقام والاخذ بالثأر وشن الحرب لانتفه الأسباب

وأما المخضرمون^(٣) فاذا تركنا حديث الاشتقاق اللغوي فإن الغالب على من

(١) وقل أن يطلق ذلك الاسم على البلغاء والادباء والخطباء مع أن مثل هذه الفنون الأدبية أخت الشعر وشبيهة به في كثير من خصائص الفن

(٢) ١/٧٢ العمدة لابن رشيقي طبع عام ١٩٢٥

(٣) من المخضرمة يقال أذن مخضرم أي مقطوعة فكأن الشاعر انقطع عن

الجاهلية إلى الاسلام ، وقيل : أسلم قوم في الجاهلية على إبل قطعوا آذانها فسمى كل من أدرك الجاهلية والاسلام مخضرمًا ؛ وزعم هذا القائل أنه لا يكون مخضرمًا حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبي وقد أدركه كبيرًا ولم يسلم ، قال ابن رشيقي : وهذا عندي خطأ لأن النابتة الجعدي ولييدا قد وقع عليهما هذا الاسم [١/٧٢ العمدة في ١٩٢٥ ، ٣٠٤ و ٢/٣٠٥ المزهري طبع صبيح] . وقال أبو الحسن الأخفش هو من قولهم ماء خضرم إذا تناهى في الكثرة والسعة فنه سمي الرجل الذي شهد الجاهلية والاسلام مخضرمًا كأنه استوفى الأمرين [٢/٣٠٤ المزهري ،

عاش في هذا العصر أن يكون مخضرمًا إذ يغلب أن يكون قد أدرك الجاهلية والاسلام ، أما الذين نشأوا في الاسلام وتأدبوا بأدابه وقالوا الشعر متأثرين بالعوامل الجديدة التي نشأت مع الحياة الاسلامية فهؤلاء اسلاميون يغلب عليهم أن يكونوا قد عاشوا في دولة بني أمية واستظلوا بظلمها ، إذ من الثابت أن كثيرا من الشعراء الذين تأثروا بالاسلام ومبادئه قد بهرتهم بلاغة القرآن وفصاحته فائقوا عن قول الشعر وعصمت ألسنتهم وبلاغاتهم عن إنشاده ولم يستمر على صلة بينايبه الثرة إلا هؤلاء الذين بعدوا عن روح الاسلام ولم يتأثروا به وعاشوا في عزلتهم في البادية ، فلما سكنت عنهم هذه الروعة قليلا بالفهم لهذه البلاغة المعجزة وبخضوعهم لآثار بيتهم وحياتهم الجديدة بدأوا في نظم الشعر ، ولم يعودوا إليه إلا وقد انتهى هذا العصر وبدأ عصر جديد هو العصر الأموي الحافل فكلمة الاسلاميون ، إذا تطلق على الشعراء الأمويين لأنهم عاشوا في ظلال الاسلام وتأثروا بمبادئه وصاغوا حياتهم وفق مبادئه الخالدة إلى حد كبير .

وهي جمع لكلمة إسلامي من الاسلام ، الذي اختير علما لهذه العقيدة الجديدة بما تنطوي عليه من أمن وعدل وحق وخضوع مطلق له وتعاون ومسألة للناس ، وهي كلمة تشير إلى جميع خصائص الدعوة النبوية الجليلة التي عم أثرها الناس والحياة والبشرية

= ١/١٧٢ العمدة] . وحكى كراعة على بن الحسن : شاعر محضرم بالحاء مأخوذ من الحضرمة وهي الخلطة لأنه خلط الجاهلية والاسلام [٢/٢٠٥ المزهر ،
[١/٧٣ العمدة]

الاسلام

وأثره في حياة العرب الاجتماعية

جاء الاسلام والعرب قبائل موزعة ، وأحياء متخاصمة ، لا يجمعهم دين ، ولا يقرب بينهم نظام حكم واحد ، ولا يخضعون لرياسة موحدة ، ولا يركنون إلى شريعة اجتماعية منظمة .

فأبدلهم من ذلك كله نظاماً موحداً ، وحياة كريمة مهيبة في الاجتماع والسياسة والدين والدنيا ؛ ويظهر أثر الاسلام في حياتهم الاجتماعية فيما يلي :

١ - اعترف الاسلام للانسان بحريته واستقلاله الفكري والاجتماعي والمالي ، وجعله حراً طليقاً من كل قيد إلا من الخضوع لدين الله وللحاكم الأعلى الذي يحكم بما أمر الله ويسهر على حفظ الأمن والنظام بين الناس ، ورفع من كرامة الانسان وجعله خليفة له في الأرض يعمرها ويمحو الظلام والجهل والفوضى والجمود منها بما وهبه الله من عقل وماحث عليه من العلم والتفكير والعمران التي هي أسباب وثيقة للمدنية والحضارة .

٢ - نظم الأسرة على أسس اجتماعية سليمة ، فشرع الزواج ، وجعله رباطاً مقدساً بين المرأة والرجل ، وأباح للرجل في حالات خاصة حرية الجمع بين عدة أزواج لا يتجاوز في ذلك أربع زوجات مهما كان ، وأبطل كثيراً من العلاقات الآثيمة وحرم البغاء والزنا ، فحفظ الانساب ورفع من شأن المرأة وجعلها شريكة الرجل في الحياة تقوم بشئون البيت وتربية الأولاد ، ويقوم هو بالسعى في الأرض في سبيل الرزق وكسب العيش له ولزوجته وأولاده ، وأباح للأرامل المتوفى عنهن أزواجهن الزواج بعد أن كان ولي المتوفى يعصلهن عن الزواج ، وجعل للمرأة استقلالها المالي وجعل لها حظاً كبيراً من الميراث ، وفرض نفقتها هي وأولادها على الزوج ، وحتم عليهما حسن التعهد للابناء والقيام بتربيتهم

وتهذيبهم والسهر على تعليمهم حتى يبلغوا مبلغ الشباب إلى سوى ذلك من مظاهر تشريع الاسلام للاسرة .

٣ — ودعا الاسلام إلى أن يكون الناس والمجتمع إخوة متعا بين متعاونين في الحياة ، وساوى بين الناس في الحقوق والواجبات ؛ وهدم ما كانوا عليه من نظام الجماعة الفاسد ، وحرم دعوة العصبية الجاحقة واستبدل بها دعوة الدين ؛ والطاعة لحاكم واحد يلزم شريعة الله ، وشرع كثيراً من الشرائع الاجتماعية التي تزيد في وحدة المجتمع كالزكاة والاحسان وصلاة الجماعة ، والحج ، وألقى عبه حفظ النظام والسهر على الأمن على كاهل الحاكم الاكبر .

وحرم الاعتداء على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم وحریاتهم ، وأباح الطيبات من الرزق ومن سبل المعيشة الشريفة ؛ التي تنفق وروح الاسلام .

وحارب الرذائل الاجتماعية والعادات الفاسدة والخرافات الكاذبة ، وأزال الفوارق الاجتماعية بين الناس والشعوب ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .

أثره في الحياة العقلية للامة العربية

١ — أول شيء للاسلام الكريم في هذا الميدان ، أنه حارب الأديان الفاسدة والعقائد الضارة ، ووجه الناس كافة إلى الله وحده لا شريك له ، فرفع من كرامة الانسان وشخصيته في الحياة ، وحارب التقليد ، ودعا إلى استقلال الانسان بالتفكير ، ونبه من شأن العقل وحكمه في كل شيء ، وبذلك حارب الاسلام الجمود والخنول والهوان وبعث العقل البشري قزياً يفتيا يبحث في أسرار الوجود والحياة .

٢ — وحارب الاسلام الأوهام الفاسدة التي تضعف من شأن العقل وتدعوه إلى الكسل والخوف وتبعث فيه روح الايمان الاعشى والتسليم المطابق ، وسلب الناس ما كانوا يزعمون من القدرة على تسخير مافى الوجود من غيب ، وجعل كل ذلك مرده إلى الله يعلم الغيب وما هو أخفى ، فزال عن العقل ظلمات كشيقة كانت تحول بينه وبين الفهم والادراك .

٣ - ودعا إلى العلم الصحيح والتفكير المستقل ؛ وبعث في الناس حب المعرفة والثقافة ، وفرض على العالم إرشاد الجاهل وتهذيبه إلى غير ذلك من مقومات الحياة الصحيحة .

٤ - وبتشجيع الاسلام للمعرفة نشأت العلوم الاسلامية والفكرية وعكف العلماء على البحث والتنقيب مما كان أساس المدنية الاسلامية الباهرة الى غير ذلك من مظاهر الرقي العقلي والفكري البعيد

أثره في حياة العرب السياسية

وأثر الاسلام في حياة العرب السياسية واضح لا يحتاج الى بيان أو برهان

١ - فقد صار العرب يخضعون لحاكم واحد هو رسول الله وخلفاؤه من بعده فتجمعت الالهواء المنفرقة ، وتآلفت القلوب المتنافرة ، وتوحدت الظلم المتباينة في جزيرة العرب ، وأصبحت لهم وحدة سياسية واجتماعية كاملة فوق وحدتهم في الدم والعنصر واللسان والدين

٢ - وفتح المسلمون كثيرا من البلاد والشعوب وحكموها فقدرن المسلمون على فنون الحكم وصار منهم الولاة والأمراء والقضاة والقواد ورجال الشرطة ، وقد سجل الكثير منهم مجدا يفخر به الدهر وترويه الأيام ، وأحسنوا معاملة أهل الأديان الأخرى والشعوب المحكومة ؛ شعارهم الحق والعدل ولاخاء والمساواة بين بنى الانسان كافة

٣ - وكسب الاسلام للعرب وحدتهم السياسية الكاملة فاستقلت بلاد العرب استقلالاً كاملاً ، بعد أن كانت البحرين والخيصة تخضع لنفوذ الفرس ، واليمن لنفوذ الحبشة والفرس ، وعرب غسان لنفوذ الروم

الاسلام

وأثره في الحياة الأدبية

وقد أثر الاسلام في الحياة الادبية تأثيرا كبيرا سواء في ألفاظ اللغة أم في أسلوبها أم في فنون الأدب المختلفة من شعر ونثر وخطابة وكتابة أم في أغراض كل فن منها ؛ مما سنبجته باستقصاء في الفصول الآتية :

ولقد جاء الاسلام والبلاغة العربية كثيرة متعددة النواحي رائعة التأثير دقيقة الأداء والتصوير ؛ يجرى الشعر على ألسنة العرب شعورا وطبعا وملسكة ، وتحفل نواديبهم الادبية بالبليغ المأثور من جيد النثر خطابة ومحاوره ووصايا ونصائح وسواها ؛ والعرب يهزم البيان ، ويملكهم بلاغة القول ، ولا يرون العبقرية إلا في شعر يروى أو كلام بليغ يؤثر .

ومع ذلك فقد غير الاسلام من مجرى الحياة الادبية تغييرا كبيرا واسعا .

وليس يرجع ذلك إلى ما اقتبس منه المسلمون من البلاد المفتوحة من ثقافة وعلم وأدب وفن ؛ ولا إلى آثار مدنية وحضارة ، لأن العرب كانوا ما يزالون يؤثرون البداوة والخشونة ، ولم يكونوا قد فرغوا بعد من قراع أعداء الدعوة ونضال خصوم الاسلام ؛ وإنما يرجع ذلك كله إلى المصدر الأول لثقافة المسلمين الدينية والعقلية والاجتماعية والأدبية ، وهو القرآن الكريم والكتاب المعجز ؛ الذي أحال خشونة الطباع عنذوبة وسلاسة وقوة ، وبدل حوشية الألسنة سهولة ووضوحا وبلاغة ، وأورث العرب وضوحا في التفكير ودقة في التعبير والتصوير وروعة في الحججة ورقة في الأسلوب .

بما سيأتي تفصيله ، وإنما نكتفي الآن بشرح أثر الاسلام في اللغة العربية .

الاسم - لام

وأثره في اللغة العربية

وحدة اللغة وذيوها :

أثر الاسلام في اللغة جد خطير ؛ لا يمكن تفصيل القول فيه تفصيلا ، وإنما نكتفي بهذا الأجمال :

١ - جاء الاسلام والعرب لهجات مختلفة ، ولهجة قريش لها المنزلة الاولى بين هذه اللهجات بتأثير الاوضاع ومواسم الحج ولنفوذ قريش الروحي والاقتصادي بين العرب وما كانوا عليه من ثقافة وخبرة وتجربة ، ونزل القرآن الكريم بلغة قريش فأيد هذه اللغة وأصبح لها السيادة والغلبة ، وكان من قريش ومن السلالات المضربة أبناء عمومتهم رجالات الدعوة وزعماء الدولة وأمرؤها وقوادها وقضاتها وحكامها وعمالها ، فكان لذلك أثر كبير في انتحال العرب لغة قريش بعد قليل ، أما ماتو ورث من لغة حمير ، فلم يكن متميزا عن اللغة القرشية كثيرا سواء في التصريف أم الاعراب أم الاسلوب ، بل كان أكثره ظاهرا في اختلاف بعض الالفاظ عن بعض في الدلالة على المعاني المتحدة فالتكثف في اللغة الحميرية هو الذنب في لغة قريش وأنطى في لهجة حمير بمعنى أعطى عند قريش والشناتر في كلام الحميريين هي الأصابع في لسان قريش وسامدون لغة حميرية وهي في لهجة قريش الغناء ؛ وهكذا (١) الى غير ذلك مما له نظير في لهجات المضربين أنفسهم كالسدة فهي الظلمة عند تميم والضوء عند قيس :

وافلة الخلاف بين الحميرية والقرشية فقد اندججت لغة حمير كأخواتها في لغة قريش التي أصبحت لها السيادة والغلبة على جميع اللغات واللهجات

(١) فالأرائك لغة حمير ، وكذلك : المعاذير ، والوزر ، والخور ، واللهو

(وهو عندهم المرأة) ، الى غير ذلك مما نجد بعضه في الاتقان [ص ٢٢٨ وما بعدها

ج ١ ط ١٩٤١]

٢ — وهذه الفتوحات الإسلامية الباهرة أدت إلى انتشار العرب في شتى البلاد المفتوحة وإلى ذبوع اللغة العربية في أكثر هذه الأقطار ، وصارت هي اللغة الرسمية فيها ، وأصبح يلهج بها بعد قليل سكان سوريا ومصر وفلسطين وإفريقيا الشمالية وصارت لغة الدين والسياسة والثقافة في هذه البلاد وسواها

أغراض اللغة

وزادت أغراض اللغة بتأثير الدين الجديد وما نشأ عنه من نظام ومدنية وعمران وثقافة :

فقد استعملت في شرح العقيدة الإسلامية والدعوة إليها وحجاج خصومها وتبيين مراميها واستنباط أحكامها كما استعملت في حفظ نظام الملك ونشر الأمن والعدل بين الناس وفيما استدعته حياة الحضرة الجديدة وشئون الثقافة والمعرفة

وفي إرشاد الناس إلى أحكام دينهم ، وتذكيرهم بأوامره ونواهيه إلى ما سوى ذلك من شتى الأغراض الجديدة التي تناولاتها اللغة في هذا العصر زيادة عما كانت عليه في عصر ما قبل الإسلام . وبعد أن كانت اللغة في الجاهلية تعبر عن عقول محدودة صارت تنطق عن عقول استضاءت بهدى القرآن وتأدبت بأدب الإسلام

معانيها وأسلوبها

وظهر في معاني اللغة الدقة والتفكير والفهم والعمق بما أفاده المسلمون من ثقافة القرآن والدين ومن خبرة وتجربة وإدراك صحيح للحياة ؛ كما اتسعت مادة المعاني باتساع المشاهدات والمناسبات والمعقولات والمعنويات ؛ وتعددت صور الخيال في روعة وجمال تعبير بتجدد وتعدد صور المشاهدات التي انتزع منها ، والتي كانت مادة له

أما أسلوب اللغة فقد شاعت فيه العذوبة والسلاسة في جزالة ، وأخذت بأطرافه القوة والجمال والوضوح وروعة التأثير وقوة الحجة وتأجج العاطفة والتهاب الشعور

ودقة الاحساس الادبي ، وذلك لتأثرهم بالقرآن وبلاغته ، مما رقق من نفوسهم القاسية فسلست طباعهم وألستهم وملكتهم فلم تقبل إلا السمع المذهب من الأساليب .

وبتأثير الاسلام بطل سجع الكهان وأضرابهم ممن يستنبثون الحصى ويزجرون الطير ، وبطل الفجر في الأسلوب فصار عفا كريمة سمحا ينطق عن عاطفة دينية قوية ويصور حياة روحية واسعة ، وينم عن تأدب بأدب الاسلام وتأثير بلاغة القرآن ولقد غلب عليهم الاتيجاز بأدى ذى بدء لعدم فراغهم من أعباء الدعوة والملك والفتوحات

ألفاظ اللغة

وبتأثير الاسلام وبلاغة كتابه الحكيم جانب المتكلمون حوشية الالفاظ والغريب من المفردات ولم يستعملوا منها إلا ما واهم الذوق وقبله الطبع فلم نعد نرى مثل مستشزر وسجنجل ومسرهد وماشابهها ، إنما تجدا لألفاظ العذبة الرشيقة اللطيفة التي تتم عن استحكام الطبع وقوة الذوق وغلبته وكذلك دخلت بعض الالفاظ الأعجمية في اللغة العربية وفي القرآن الكريم الكثير منها (١)

وهناك ألفاظ أخرى حور الاسلام في معانيها ، فأخرجها من معناها إلى معنى جديد بينه وبين الأصل مناسبة كالصلاة والاسلام والصيام والزكاة والمؤمن

(١) وقد عقد السيوط في كتاب الاتقان فصلا عما وقع في القرآن الكريم من ألفاظ أعجمية [٢٢١ وما بعدها ج ١ الاتقان] ومن ذلك . الابريق ، والديجاج والدينار عن الفارسية ، والريون والاسفار عن السريانية وأواه ، عن الحبشية وكذلك الطاغوت ودرى ، وه والحواريون ، عن النبطية ، والرقيم وفردوس والقسط عن الرومية إلى ما سوي ذلك من هذه الالفاظ .

والكافر والفاسق والمنافق وسوى ذلك ، مما لا يبعد عنك معانيها في اللغة ونقلها
الإسلام إلى معان جديدة .

وبعض الألفاظ منع الإسلام استعمال مدلولاتها أو أعاض عنها غيرها فماتت
فمن الأول مثلا :

المرباع والنشيطه والفضول ^(١) ؛ ومن الثانى : ثم صباحا وعم مساء
و « أبيت اللعن ، الخ .

وقد أحدث الإسلام بعض الألفاظ الجديدة التى سميت « ألفاظا اسلامية »
ومنها : المصحف وقد أطلق على القرآن الكريم وأول من استعمل هذه اللفظة كما
يقولون هو أبو بكر الصديق بعد أن جمعت آيات الذكر الكريم وسوره فى
الأوراق على عهده ؛ ومنها لفظ الجاهلية ، وقد ورد فى القرآن الكريم وأحدثه
الإسلام للفترة التى كانت قبل بعثه محمد صلوات الله عليه .

(١) قال عبد الله بن عنة يخاطب بسطام بن قيس :

لك المرباع منا والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول
المرباع : ما كان يأخذ الرئيس من ربع الغنيمة ، والفضول ما كان يأخذه
بما فضل من القسمة ولا يمكن قسمته على الغزاة . والصفايا : ما كان يصطفيه
لنفسه من الغنيمة . والنشيطه : ما كانوا يغمونه عفرا فى طريقهم إلى الغارة

القرآن الكريم

تمهيد

القرآن كتاب الله المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد .

آيات وسور اشتملت على أمور الدين والدنيا ، وانتظمت سعادة الاولى
والآخرة ، ونزلت هدى ونورا للبشر كافة ، وقضت على هذه الاوهام الباطلة
والاساطير الكاذبة والعبادات الضالة والاديان المنحرفة ؛ وأحالت الظلام ضياء
والشقاء سعادة واليأس أملا والضلال هدى والهمجية مدنية والجهل علما ومعرفة
وفسا وأدبا وثقافة ينبع من معينها الزاخر كل من رغب فى الخير وطمح إلى
السلام والنور ؛ ونقلت الانسانية من عصر تسوده الفوضى وتذيع فيه مبادئ
الطغيان والعبودية وسفك الدماء ونهب الاموال والأعراض إلى حياة فيها رضى
وأمن ، وطمأنينة وسلام ، وحرية وعدل وإخاء ، ومعرفة وعمران وحضارة ،
وحدود محدودة وضعت لسعادة الناس والجماعات والشعوب والانسانية قاطبة

قبس من الهدى والنور نزل به جبريل من السماء إلى الأرض على سيد الخلق
وأكرم الرسل وأشرف من فى الوجود محمد صلوات الله عليه ، فبلغه الناس ،
وبشر بدعوته العرب والبشر كافة ، وأذاع مبادئه فى كل مكان ، فحملت إلى العالم
السلام والعدل والحرية ، وفتحت صفحة جديدة فى تاريخ الانسانية ، وأنقذت
الناس من ضلال الجاهلية الاولى فتيبارك الله رب العالمين .

د ألقاظ إذا اشتدت فامواج البحار الزاخرة ، وإذا هى لانت فأنفاس الحياة
الآخرة . ومعان بينهاى عذوبة ترويك من ماء البيان ، ورقة تستروح منها نسيم
الجنان ، إذا هى بعد ذلك إطباق السحاب . توهموا السحر ماتوهموه فلما أنزل الله
كتابه قالوا هو السحر المبين (١) . وتصوروا الشعر ماصوروه فلما سمعوا آياته

البيئة ، وبلاغته المتدفقة ورأوا هدايته النادرة وفصاحته الباهرة ، وما فيه من روعة التصوير ودقة التعبير وشدة التأثير ؛ قالوا : إى والله إنه لشعر شاعر وسحر ساحر إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ، كلا والقمر ، والليل إذا أدبر ، والصبح إذا أسفر ، إنها لاحدى الكبر ، وما هو بقول بشر ، إن هو إلا وحي يوحى ؛ ومعجزة تتحدى ، وبلاغة تتلى وتروى ، أشرقت بنوره السماء والارض واهتدت بهديه الملائكة والبشر أجمعون

نزول القرآن

وبينما كان الرسول الاعظم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه يتبهد في غار حراء من يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده الكريم وسنه أربعون سنة وستة أشهر وثمانية أيام ، أى فى السادس من شهر أغسطس عام ٦١٠ م^(١) . إذ نزل عليه جبريل بالرسالة الالهية العظمى التى اصطفاه الله من بين الخلق لادائها للبشر كافة هدى ونورا وشفاء لما فى الصدور قال جبريل : يا محمد اقرأ

قال : ما أنا بقارىء

قال : اقرأ

قال : ما أنا بقارىء

قال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم .
فكانت أول سورة نزلت من القرآن الكريم^(٢)

(١) سار على ذلك كثير من الباحثين ومنهم المرحوم الخضرى بك فى الجزء الاول من تاريخ الامم الاسلامية وإن كان الرافعى يقول أن ابتداء الوحي كان بمكة عام ٦١١ م [٣٤ إعجاز القرآن]

(٢) يروى السيوطى آراء أخرى لبعض العلماء ، فبعض يزعم أن « ن » كانت أيضا أول ما نزل من القرآن ، وآخرون يقولون « المدثر » ، وآخرون يقولون إنها الفاتحة الخ [راجع ٢٩ وما بعدها ج ١ من الاتقان ط ١٩٤١]

وأول سورة أعلنها الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة هي « والنجم إذا هوى ،
وأول سورة نزلت بالمدينة بعد الهجرة هي « ويل للطففين ،

استمر نزول القرآن بعد البعثة في مكة قبل هجرة الرسول صلوات الله عليه ،
ثم بعد الهجرة والرسول الأكرم بالمدينة حتى توفي إلى رحمة الله عام ١١ هـ - ٦٣٢ م
كان القرآن الكريم ينزل منجما مفرقا وفق الوقائع ومسايرة للحوادث
وتدرجا في التكليف وتنقلا بالتشريع حسب الطباع ومدى استعداد النفوس ؛
وكانت آخر آية نزلت من القرآن الحكيم قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ،^(١) حيث نزلت في حجة الوداع
ونزل قبلها بقليل سورة براءة .

وتم نزول القرآن الكريم قبل وفاة الرسول صلوات الله عليه في ثلاثة وعشرين
عاما ما بين بعثته إلى وفاته ، كان في ثلاث عشرة سنة منها يقيم بمكة ، وطنه لذي
ولد وربى ونشأ فيه ، وفي عشر السنين الأخرى يقيم بالمدينة بعد هجرته صلى الله
عليه وسلم من مكة حيث نشر الدعوة وحماها وأيدها

وبمجموع سور القرآن الكريم أربع عشرة ومائة سورة، منها الطويل والقصير،
ومنها، ما نزل في الموعدة والهداية وما نزل في التوحيد ومحاربة الشرك والآهواء،
وما نزل في التشريع ونظم العبادات والمعاملات وقوانين الأسرة والجماعة
والحكومة الإسلامية ، وما نزل في أمور الآخرة والغيب وشرح تطور الإنسانية
وقصص الأمم الماضية وبعثها ومصيرها المحتوم ، أو نزل في شرح أمرار الوجود

(١) وفي الاتفاق خلاف كثير حول آخر ما نزل من القرآن ، فقيل آخر
آية نزلت « يستفتونك قل الله يفتيكم في البكالة ، وآخر سورة نزلت « سورة
براءة » ، وقيل آخر آية نزلت آية الربا ؛ وقيل « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ،
وكان بين نزولها وبين موت الرسول أحد وثمانون يوما وقيل تسع ليال ، وقيل
آخر براءة الخ [١/٤٤] الاتفاق وما بعدها]

ومظاهر الغيب وأمور الآخرة ؛ وقد تشتمل السور على كثير من هذه الأغراض الموحدة

والسور قسمان : مكي ومدني

فالْمَكِّي منها على أرجح الآراء هو ما نزل قبل الهجرة ؛ والمدني ما نزل بعدها^(١) والسور المدنية اثنتان وعشرون سورة تبلغ نحو ثلث القرآن الكريم وهي : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والنور والأحزاب والقتال والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والعنكب والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق والتحريم والعصر

وما عدا هذه السور وهي اثنتان وتسعون سورة فهو مكي

موضوعات السور المكية والمدنية

أما السور المكية فأظهر موضوعاتها هي :

١ — الدعوة إلى توحيد الله ومحاربة الشرك والأوثان

٢ — تأييد رسالة محمد صلوات الله عليه وتحدى العرب بهذه المعجزة الخارقة

الآ وهي القرآن الكريم

٣ — إثبات البعث والحساب والنشور واليوم الآخر والرد على من ينكر

ذلك في إفاضة وقوة حجة وتأثير

٤ — قص قصص الأمم القديمة وعنادها وحجاجها مع الرسل والأنبياء

وإصرارها على الضلال وما حل بها من المثلثات تبصرة وذكرى لقوم يؤمنون

٥ — محاربة التقليد ودعوة العقل البشري إلى الاستقلال بالتفكير واتباع

الحق من العقائد والطاعات ونبد الأوهام والأساطير والخرافات والتفكير في

نواميس الله في الكون

(١) راجع ١/١٣ الاتقان للسيوطي ، وقيل المكي ما نزل بمكة ولو بعد

الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة ، وقيل المكي ما كان خطابا لأهل مكة والمدني

ما كان خطابا لأهل المدينة [١٣ و ١/١٤ الاتقان] . هذا وتسمى السورة مكية

إذا كان أغلبها مكيًا وتسمى مدنية إذا كان أكثرها مدنيًا

وأما أهم موضوعات السور المدنية فهي مايلي :

١ — تشريع النظم والقوانين للفرد والأسرة والجماعة والأمة لتسير الانسانية الى حياة كريمة مهذبة تليق بكرامة الانسان خليفة الله في الارض ، الى الفضيلة والخير والعدل والحق والامن والسلم وال عمران والحضارة

٢ — الدعوة إلى الفضائل ومحاربة الرذائل بكل سلاح وكل وسيلة

٣ — تقرير وحدة الانسانية والاخوة البشرية العامة وتعزيز الصلات الاجتماعية بين الانسان والانسان ، وإلغاء الفروق بين الطبقات والجماعات والشعوب ، ورفع كرامة الانسان الادبية في الحياة ، وتعزيز شخصية الانسان وإيضاح رسالته ورسم الإهداف الكريمة التي يجب أن يسير إليها ويعمل لها في الحياة

٤ — وضع شرائع الحرب والسلام التي تسير مع الانسانية العالية وتوافق مصالح البشر في الحياة الدنيا على اختلاف الزمان والمكان

وعلى العموم فالسور المدنية احتوت على أكثر التشريع الاسلامي وأودعت أعظم الآداب الاجتماعية والسياسية التي تؤلف القلوب وتحوط الملك وتصور الشعوب (١).

وقصارى الكلام أن القرآن كتاب هداية ونور ودين ودنيا وخير عام وهو دستور الانسانية المهذبة ووثيقة الحرية والمساواة والأخاء التي نالها الانسان على طول الأيام والاحقاب

أسلوب القرآن

وأسلوب القرآن نمط فريد من البلاغة والروعة وجلالة الروح وإشراق البيان وجمال الدياجة وقوة المنطق وعبقرية التصوير والتعبير

أسلوب جمع بين الجزالة والسلاسة والقوة والعذوبة وحرارة الايمان وتدفق البلاغة ؛ فهو السحر الساحر ، والنور الباهر ، والحق الساطع ، والصدق المبين

نزل الذكر الحكيم في أسلوب لا يضارعه أسلوب فلا هو شعر ولا هو سجع
ولا هو مزاجية ولا هو نثر مرسل ولا خطابة ، إنما هو نظم رائع وألفاظ عذبة
ومعان سامية حسيقة ، وجلال وروعة ؛ جمع بلاغة جميع أساليب البيان ،
وفصاحة شتى خصائص النظم ، واستوفى كل عناصر الإعجاز

تحدى الله به العرب فجزوا فتحدهم بسورة منه فبهروا ، فتحدهم بأقصر
سورة ثم بعدة آيات فخرسوا ؛ ولما سمعه فصحاؤهم وبلغاؤهم وأرباب البيان فيهم
سجدوا له خاشعين ؛ وما إيمان عمر حين سمع « طه » ، وما فزع عتبة بن ربيعة
وقوله : « والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر » (١) ، حين سمع « فصلت » وما
تردد بلغاء العرب على الأماكن التي يعبد فيها محمد ليلا ليسمعوا هذه البلاغة
الباهرة خفية ، وما عجزهم بعد التحدى ، ما كل ذلك إلا دليل الإعجاز وعظمة
البيان وجلال الأسلوب

ويقول أبو بكر الباقلاني المتوفى عام ٤٠٥ هـ في كتابه « إعجاز القرآن ، في
فصاحة الذكر الحكيم :

إن نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود
من نظام كلام العرب ومباين للألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص
به ، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد . وليس للعرب كلام مشتمل
على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة ،
والحكم الكثيرة ، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة ، على هذا الطول وعلى
هذا القدر . وإنما تنسب إلى حكمهم كلمات معدودة ، وألفاظ قليلة ، وإلى شاعرهم
قصائد محصورة يقع فيها أحيانا الاختلال والاختلاف والتعمل والتكلف ،
والتجوز والتعسف . وقد جاء القرآن ، على كثرته وطوله ، متناسبا في الفصاحة
على ما وصفه الله تعالى به فقال : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » .
« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

ذلك إلى أن عجيب نظمه ، وبديع تأليفه ، لا يتفاوت ولا يتباين ، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف إليها من ذكر قصص ومواضع ، واحتجاج وحكم وأحكام ؛ وإعذار وإنذار ، ووعد ووعيد ، وتبشير وتخويف ، وأوصاف وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة وسير مأثورة ، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها ؛ ونجد كلام البليغ الكامل والشاعر المفلق والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور ؛ فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ، ومنهم من يسبق في التقريظ ؛ دون التأبين ومنهم من يجود في التأبين دون التقريظ ومنهم من يغرب في وصف الإبل أو الخيل أو سير الليل ؛ أو وصف الحرب ؛ أو وصف الروض ؛ أو وصف الخمر ، أو الغزل ؛ أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام . ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب ، والنايفة إذا رهب ؛ وزهير إذا رغب ؛ وهم لا خلاف في تقدمهم في صناعة الشعر ؛ ولا شك في تبرزهم في مذهب النظم .

ومنى تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها ، فيأتى بالغاية في البراعة في معنى ، فإذا جاء إلى غيره قصر عنه ووقف دونه ، وبان الاختلاف في شعره ، ثم نجد في الناس من يجود في الكلام المرسل ، فإذا أتى بالموزون قصر ونقص نقصانا عجيبا ؛ ومنهم من يوجد بضد ذلك . وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي ذكرناها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف ، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا . وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة فرأينا الإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف

وهناك شيء آخر وهو ورود تلك المعاني التي يتضمنها في أصل الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين ، والرد على الملحدين ، بهذه الأساليب البديعة ، وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة ؛ مما يتعذر على البشر ، وقد علم أن تخير الالفاظ للمعاني المتداولة المألوفة ، والأسباب الدائرة بين الناس ، أسهل

وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة ، وأسباب مؤسسة مستحدثة ، وبراعة اللفظ في المعنى البارع أعجب من براعته في المعنى المتداول المتكرر .

وللقرآن مزية أخرى غير ما تقدم ، وهي أنه من المقرر المعروف أن الكلام يبين فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام ، أو تقذف ما بين شعر ، فتأخذ هذه الاسماع ، وتتشوف إليه النفوس ، ويرى وجه رونقه باديا غامرا سائر ما يقرب به ، كالدرة التي ترى في سلك من خرز ، وكاليساقوثة وسط العقد ، وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير فإذا هي غرة جميعه ، وواسطة عقده ، والمنادى على نفسه بتميزه ، وتخصه برونقه وجماله وبعد فانك تجد في كتاب الله الحكمة وفصل الخطاب بجلوة عليك في منظر بهيج ومعرض رشيق ، ونظم أنيق غير متعاص على الاسماع ، ولا ملنو على الأفهام ، ولا مستكره في اللفظ ؛ يمر كما يمر السهم ، ويضئ كما يضئ الفجر ؛ ويزخر كما يزخر البحر ؛ طموح العباب ؛ جموح على الطارق المنتاب ؛ كالروح في البدن ؛ والنور المسبطر في الأفق ؛ والغيث الشامل ؛ والضياء الباهر . ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

جمع القرآن

١ - كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن - ابتداء أو بأمر الرسول صلوات الله عليه - على ما يتفق لهم من العصب والألواح والرقاع واللخاف^(١) وقطع الأديم وعظام الأكتاف والأضلاع وكل ما صلح للكتابة كان كل يكتب ما ييسر له كتابته ، وكان منهم بعض قليل كتبوا القرآن كله والأجماع على : على بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وزيد ابن

(١) العصب : جمع عسيب وهو جريد النخل وكانوا يكشظون الخوص عنه ويكتبون في الطرف العريض . واللخاف جمع لخرة بفتح فسكون وهي صفائح الحجارة .

ثابت (١) ؛ وقبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم عرض زيد القرآن عرضة على رسول الله صلوات الله عليه ، ففي عهده صلوات الله عليه كان القرآن مرتب السور والآيات ولكنه غير مجموع في كتاب واحد

وكان يحفظ القرآن كله أو بعضه كثير من الصحابة في عهده عليه الصلاة والسلام وتوفي الرسول صلى الله عليه والقرآن محفوظ في صدور الصحابة وفي الرقاع التي كانوا يكتبون آياته وسوره فيها .

٢ - وتقلد أبو بكر خلافة المسلمين ونهض بعبء الدعوة النبوية وأخذ يحارب أهل الردة في معارك كثيرة كان منها غزوة أهل اليمامة التي مات فيها كثير من الصحابة والقراء رضوان الله عليهم ويقال إن عدد من قتل فيها سبعون قارئاً من الصحابة ، وخيف أن يكثر موتهم في الغزوات والحروب .

ففزع أبو بكر وعمر عليهما رحمة الله من ذلك ، ورأى عمر جمع القرآن من صدور الصحابة ومن الألواح والعصب والأكثاف ، ويروى أنه دخل على أبي بكر فقال له : يا خليفة رسول الله إن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم باليمامة يتهافون تهافت الفراش في النار وإني أخشى أن لا يشهدوا موطننا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا وهم حملة القرآن فيضيع القرآن وينسى ، فلو جمعته وكتبته (٢)

فكر أبو بكر في الأمر واستشار فيه الصحابة وكان يفزع من أن يضع شيئاً لم يأمر به الرسول الأعظم صلوات الله عليه ؛ ولذلك قال أبو بكر لعمر : أفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

وأرسل أبو بكر إلى زيد بن يزيد يستشيريه في الأمر فكره ذلك فقال عمر

(١) يروى أن زيد بن ثابت تعلم الفارسية من رسول كسرى والرومية من حاجب النبي والحبشية من خادم النبي والقبطية من خادمه أيضاً [ص ٦ ح ٣٣ العقد] وكان كتاب الوحي حول رسول الله نحو الأربعين منهم جلة الصحابة رضوان الله عليهم .

(٢) راجع في ذلك الأتقان ١/٩٨ وما بعدها .

لهما : وما عليكما لو فعلتما ذلك حتى ألهمهما الله به فأمر أبو بكر زيد بن ثابت بجمع القرآن كله من الرقاع وصدور الرجال ونسخه في قطع الأديم والاكتاف والعسب وسمى أبو بكر هذه الألواح المسكتوبة التي جمع فيها جميع القرآن الكريم مصحفًا وحفظت هذه الصحف عند أبي بكر حتى توفي ثم عند عمر طول حياته ثم حفصة بنت عمر صدرا من ولاية عثمان .

وهذا الجمع الأول ؛ وقد حدث في عهد أبي بكر على يد زيد بن ثابت (١) وبإشراف الخليفة وعمر وكبار الصحابة وكان الغرض منه جمع نص القرآن الكريم في مجموعة واحدة حتى لا يضيع شيء منه بموت الصحابة والقراء في الغزوات والحروب .

وفي عهد عثمان تفرق الصحابة والقراء في الأمصار فكان ابن مسعود في الكوفة وأبو موسى الأشعري في البصرة والمقداد بن الأسود في دمشق وأخذ عنهم أهل تلك البلاد وجوه القراءة والترتيل ؛ مما أدى إلى تعدد القراءات واختلاف المسلمين في قراءة القرآن اختلافا كثيرا حتى كان الواحد منهم يقول للآخر ؛ قراءتي خير من قراءتك والآخر يقول : بل قراءتي ؛ واستمر الأمر على ذلك إلى أن شهد حذيفة بن اليمان وهو صحابي جليل غزوة أذريجان وغزوة إرمينية وشاهد هذا الاختلاف الكثير فلما عاد أئذ عثمان بعاقبة هذا الاختلاف الويل وحذره من سوء المصير إذا استمر هذا الاختلاف .

فأرسل عثمان إلى حفصة يستأذنها في أخذ الصحف التي جمع فيها أبو بكر القرآن فأذنت له ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام وسعيد بن العاص بأن ينسخوها في المصاحف ، وأمرهم بأن يرجعوا فيما اختلفوا فيه إلى زيد بن ثابت ، وما اختلفوا فيه جميعا أن يكتبوه بلسان قريش فان القرآن نزل بلسانهم : فكتبوا مصحفا عرضه على صحف حفصة فلم يختلف في شيء فرد عثمان صحف حفصة إليها ، وفرح بما عمل قرحا شديدا ، وأمر الناس

(١) وكان يعاونه بعض كتاب الوحي وفيهم سالم مولي أبي حذيفة كما يروي

أن يكتبوا مصاحف ثم لما مانت حفصة أرسل إلى عبد الله بن عمرو فأخذ منه المصحف فغسلت غسلًا

وكانت عدد المصاحف التي كتبها عثمان خمسة وقيل ستة وقيل سبعة ، وبعث عثمان إلى كل قطر مصحفًا ، فأرسل منها إلى الكوفة والبصرة ومكة والشام واليمن والبحرين وأبقى واحدا بالمدينة وهو مصحفه الذي سمي «الأمام» ،

ويسمى عمل عثمان ذلك «جمعًا ثانيًا» ، للقرآن ، وقد قام به أربعة من جملة حفظة الذكر الحكيم وكتابه ، وكان الغرض من هذا الجمع القضاء على اختلاف المسلمين في قراءات القرآن ولهجاته حتى لا يتطرق إلى المصحف تصحيف أو تغيير وصدق الله العظيم حيث يقول : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» ، فجمع أبي بكر إنما كان كما يقول السيوطي في الاتفاق : «خشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد فجاءه في صحائف مرتباً آيات سورة على ما وقفهم عليه رسول الله وجمع عثمان لما كثرت الاختلاف في وجوه القراءات حين قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك إلى تخطئه بعض فخشى من تقاوم الأمر في ذلك فنسخ تلك المصحف في مصحف واحد مرتباً سورة واقترع من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم (١) ، والله أعلم .

(١) والخلاصة أن القرآن :

١ — كان سورة مرتبة الآيات في عهد رسول الله صلى الله عليه

٢ — أما ترتيب سورة فلم يكن في عهد رسول الله بدليل أن مصحف

عثمان يخالف الترتيب المعروف اليوم لسور القرآن ، وما الخلاف بين مصحف ابن مسعود ومصحف أبي بن كعب ومصحف عثمان إلا خلاف في ترتيب سور القرآن

٣ — كان الجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر عام ١١ هـ ، وكان الجمع الثاني

في عهد عثمان عام ٢٥ هـ .

٤ — كان تقسيم المصحف ثلاثين جزءاً زمن الحجاج

رواية القرآن أو قراءاته .

١ — عن النجاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (ص) قال : « أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » (١) .

المراد من الأحرف السبعة المذكورة غير القراءات السبع .

٢ — والمراد من الأحرف السبعة ورود بعض آياته على وجوه كثيرة :

ففي القاموس : « نزل القرآن على سبعة أحرف : سبعة لغات من لغات العرب وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه وإن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر ، وفي اللسان « أراد بالحرف اللغة ، وهذه اللغات متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة أهل اليمن وبعضه بلغة هوازن أو هذيل ، والأرجح أن الأحرف في اللغات والقراءات هي اللهجات وقد محى من اللغات ست وبقيت لغة قريش وهو الحرف الذي اختلفت القراءة فيه .

ومثال ذلك الاختلاف مارواه الفناري في حواشيه على « المواقف ، عن

الامام ابن قتيبة الهمداني :

١ — ما يتغير فيه المعنى بسبب الزيادة : « وأنذر عشيرتك الأقربين ، ورهطك منهم المخلصين ، فهذه الجملة الأخيرة لم توجد في القراءات المذكورة ، ولكنها نقلت في حديث ابن عباس . ولا يخفى أن لها معنى زائدا على قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين » .

ومثال ما لا يتغير فيه المعنى قوله تعالى : « وما عملته أيديهم ، وفي قراءة « وما عملت أيديهم ، والمعنى واحد فيهما ، لأن حذف الضمير العائد إلى الموصوف جائز ، فهو كأنه مذكور . فهذان وجهان من الأوجه السبعة : ما لا يتغير فيه المعنى وما يتغير بسبب زيادة أو نقص .

(١) وورد أيضا « نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ،

٢ — وقد يكون تغير المعنى بسبب تغير نفس الكلمة بدون زيادة عليها أو نقص ، وتحت هذا ثلاث صور :

١. — إحداها : أن تتغير الكلمتان بتغير الشكل مع بقاء مادة الكلمة على حالها مثل « الذين يبخلون ويأثرون الناس بالبخل » و « البخل » بفتح الباء والخاء في الكلمة الثانية « فان احرف البخل والبخل واحد » ومعناها واحد « ولم يتغير سوى الشكل .

ب — ثانيها : أن تتغير الكلمتان بتغير مادتهما مع اتحاد معناهما كما « لصوف المنفوش » في موضع « العين المنفوش فان لفظهما مختلف ومعناها واحد . وقد قرأ كالصوف المنفوش ابن مسعود وسعيد بن جبير . ومن ذلك ما إذا تغيرت الكلمتان بتغير حرف واحد منهما « كقوله تعالى : « ثم ننشرها لحما » في قراءة . وفي أخرى « ثم ننشرها » بالزاي . وكذلك قوله : « حتى حين » وفي قراءة « عتي حين » في لغة هذيل .

ج — ثالثها : أن تتغير الكلمتان في الشكل والمعنى مع اتحاد مادتهما ، كقوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » بضم الهمزة ، بمعنى أكتنمها ، وأخفيها بفتح الهزة بمعنى أظهرها . ومن ذلك تغير الفعل من أمر إلى ماض مع اختلاف المعنى ، كقوله تعالى : « فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا » و « بعد بين أسفارنا » في قراءة ، فالاول فعل أمر ، والثاني فعل ماضى ، ومعناه على الاول ظاهر ، فقد كان بينهم وبين الشام قرى ظاهرة منفاربة فطلبوا بعدها لتكون تجارتهم عزيزة غالية الثمن . أما قراءة بعد ففيها إخبار منهم بغير الواقع جحوداً لنعمة الله . فهذه ثلاثة أوجه تضم إلى الوجهتين السابقتين ، فيكون المجموع خمسة ، وبقي وجهان آخران :

٣ — وذلك بأن يكون التغير راجعاً إلى أمر عارض للفظ ، وتحت هذا صورتان :

١ — الصورة الاولى . أن يكون بسبب التقديم والتأخير ، كقوله تعالى . « وجاءت سكرة الحق بالموت ، بدل « وجاءت سكرة الموت بالحق » .

ثانيتها . أن يكون بسبب الاعراب ، كقوله تعالى : « إن ترن أنا أقل منك ،
وفي رواية « أنا أقل ، بالضم ، وقوله تعالى : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، وفي
قراءة « ولا يضار كاتب ولا شهيد ، بفتح الراء وضمها .

فبان أن التغيير إما أن يكون راجعا الى زيادة كلمة أو نقص كلمة ، وإما
أن يكون راجعا الى نفس الكلمة في الشكل ، أو في إبدالها بمرادفها ، أو إبدال
فعل ماض بمضارع ؛ وإما أن يكون راجعا الى وصف الكلمة من تقديم
وتأخير وإعراب .

وسبب نزول القرآن على هذه الأوجه السبعة : أن العربي مجبول على لغته ،
فلو كلف بالقراءة على وجه واحد فانه يعسر عليه التحول ، وقد جاء النبي صلى الله
عليه وسلم للناس بشريعة سمجة ليس فيها على الناس من حرج ، قال تعالى : « وما جعل
عليكم في الدين من حرج » ، فلو نزل القرآن على حرف واحد لعسر على باقي
القبائل التحول عن لغتهم الى القراءة به . وليس المراد أن كل كلمة من القرآن تقرأ
على هذه الأوجه ، بل المراد أن بعض القرآن نزل بلغة قريش وهو معظمه ، وبعضه
بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوزان ، وبعضه بلغة اليمن الخ . فمن سماحة الدين أن
يسر الله حفظ القرآن وتلاوته على العرب في أول أمرهم ، فأنزله على الأوجه التي
ينطقون بها ، ولم يكلفهم التحول عن لغتهم لما يعلبه في طباعهم من الحمية والتعصب
للغاتهم . فلو كلفهم من أول الأمر النطق بلغة غير لغتهم لفروا من تلاوة القرآن
وشق عليهم حفظه ، وذلك كان شأن التشريع الاسلامي في جميع أطواره ، فانه مبني
على مصالح الناس الصالحة التي يترتب عليها سعادتهم في الدنيا والآخرة ، ودفع
المضار التي تؤذيهم أدبيا وماديا .

ومما ينبغي الالتفات اليه في هذا المقام أن القرآن الكريم قد أنزله الله تعالى
على هذه الأوجه التي ينطق بها العرب يومئذ بدون أن يتغير شيء من معناه
الحكيمة ، أو ينقص شيء من بلاغته وفصاحته التي تحدى بها جميع معارضيها من
فحول البلاغة وأساطين البيان ، بل كان اختلافه في التعبير آية أخرى من آيات
إعجازه ، إذ لو نزل على وجه واحد ولغة واحدة لسهل على الآخرين أن يحتجوا

على عجزهم عن معارضته بنزوله على غير لغتهم ، فقطع الله على جميع العرب هذه الحجة المحتملة من أول الأمر . وأما ما روى عن عمر من أنه أنكر على ابن مسعود قراءته « حتى » : « عتي » ، بلغة هذيل وقال له : إن القرآن نزل بلغة قريش ، فقد اجابوا عنه بأن عمر قد راعى في ذلك نزوله في أول الأمر قبل أن يطلب النبي صلى الله عليه وسلم من ربه التخفيف عن الناس

وقد يكون عمر طلب من ابن مسعود أن يقرأ بلغة قريش ، لأن معظم القرآن قد نزل بلغة قريش ، وقد طال عهد الناس يومئذ بالاسلام ، فمن الحسن أن يهد عمر لحلمهم على قراءة القرآن بلغة واحدة ، ويمرنهم على ذلك ، دفعا لما عساه أن يحدث من الاختلاف في كتاب الله تعالى . وأما قوله : فانه نزل بلغة قريش ؛ فانه يريد أن معظمه نزل بلغتهم . والحديث الذي معنا يدل على ذلك دلالة واضحة ، فان القرآن نزل أولا على وجه واحد ، فطلب النبي صلى الله عليه وسلم من ربه أن يزداد على ذلك الوجه ، ولم يزل يزداد له حتى انتهى الى هذه السبعة . وفي رواية مسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال : إن أمتي لا تطيق ذلك . ومعنى هذا أنه لو نزل بلغة قريش خاصة لانصراف الآخرون عن تلاوته والنظر فيه . وهم حديثون عهد بالاسلام ، لم تذهب من صدورهم نزعة الجاهلية الأولى ، ولم يفارقهم التعصب الشديد للغتهم ؛ ففعل الله عنهم واستجاب لنبيه دعاه في شأنهم ، وأنزل عليه القرآن على حسب لغاتهم ولغات قبائلهم المشهورة .

وليس الغرض أن كل كلمة قد اجتمعت فيها اللغات السبع ، بل اللغات السبع مفرقة فيه كما ستعرفه . على أن معظمه نزل بلغة قريش كما ذكرنا آنفا . ولا يرد أن لغات العرب أكثر من سبعة . لأن المراد أشهرها وأفصحها ،

أما علاقة هذه الأحرف السبعة بالقراءات السبع المعروفة . فهي أن القراءات السبع وغيرها بعض هذه الأحرف المذكورة في الحديث . بمعنى أن ما نقله أئمة القراء متواترا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بعض الأحرف التي نزل بها القرآن . لما بيناه من أن الأحرف السبعة المذكورة في الحديث تشمل لغة معظم القبائل العربية . فالقراءات السبع المتواترة وغيرها لا تخرج عن لغات

العرب الفصحية حسنها ، ولذا كان من المتعذر نقل مفردات الأحرف السبعة المذكورة في الحديث كلها بطريق التواتر .

على أن عناية المسلمين الشديدة بكتاب الله تعالى . وحرصهم على تدوين كل ما يتعلق به ، حمل بعض جهابذة العلماء على جمع الروايات المختلفة ، سواء كانت متواترة أو غير متواترة ، في كتاب ضخم .

وعما لا يخفى فيه أن التواتر لم يتوقف عند القراءات السبع المعروفة ، بل قد تواتر غيرها أيضا . وقد وضع بعض المحققين ضابطا للقراءات المقبولة ، سواء كانت من السبع أو من غيرها وهو : كل ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط المصحف الإمام ، فهو من القراءات المقبولة ، سواء كانت سبعة أو أكثر من ذلك .

والحاصل : أن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب ، وهي مختلفة في كثير من نواحي التكلم ، فاقتضت الحكمة أن ينزل القرآن على نبيه مشتملا على كل لغات العرب المشهورة ، كي لا تقوم لهم حجة على عجزهم عن محاكاته والإتيان بمثله ، وكان المسلمون يومئذ قد غلبت عليهم الأمية ، فكانوا يحرصون على حفظ كل ما ينقلونه عن رسول الله صلى الله عليه ، فنقلوا إلينا ما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترا على الضبط المتواتر من القراءات .

وقد يقال : هل الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم كتبت في زمن النبي ؟ فنقول إن القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب الوقائع والأحوال فلم يكن نزوله مرتبا على الحالة التي هو عليها الآن . ومن البدهي أن ترتيبه على هذه الحالة بأمر الله عز وجل كما ستعرفه ، فكانت تنزل الآية أو الآيات فيأمر النبي كتبة الوحي الذين كانوا يعرفون الكتابة يومئذ فيكتبون ما يوحى إليه بنصه وشكله ، ويبلغه للناس فيحفظه القراء المشهورون بالحفظ كما أنزل بحسب لغاتهم المختلفة ، وهكذا ، حتى تم نزوله وترتيبه ، فعرض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كما هو على جبريل ، وبلغه للحفاظ مرتبا لحفظه على حاله التي تواتر بها إلينا .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يباشر تحفيظ كبار الصحابة بنفسه زيادة على تعليم كتبة الوحى الذين كانوا على جانب عظيم من الذكاء والفطنة والأمانة. ومن الذين علمهم الرسول مباشرة عبد الله بن مسعود ، فقد روى عنه البخارى أنه قال : « والله لقد أخذت من فى رسول الله بضعا وسبعين سورة ، وفى رواية لابن أبى داود أن ابن مسعود قال : « أخذت من فى رسول الله سبعين سورة ، وإن زيد ابن ثابت لصي من الصبيان ، فهذا صريح فى أن ابن مسعود تلقى هذه السور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عبد الله بن عمر : كانت تنزل السورة فنحفظها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم حلالها وحرامها الخ . فهذا صريح فى أنهم كانوا يحفظونه سورا كاملة مرتبة على هذه الحالة التى تواترت إلينا . وما هو واضح أن العرب يومئذ كانت لهم مقدرة شديدة على الحفظ ، حتى كان بعضهم يحفظ كل ما يسمعه من أول مرة . وقد سمع ابن عباس قصيدة عمر بن أبى ربيعة وهى تبلغ سبعين بيتا تقريبا مرة واحدة فحفظها حفظا جيدا وقرأها . فلم يعقهم الحفظ متفرقا عن الحفظ جملة واحدة كما قد يتوهم

وبالجملة : إن الحفاظ الذين كانوا يتلقون القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا على جانب عظيم من الضبط والذكاء والفطنة ، ومنهم أبو بكر وعمر وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبى بن كعب وغيرهم من فحول الأذكياء وأساطين الحفاظ ، فهؤلاء هم الذين حفظوا القرآن مرتبا على ما هو عليه بعد أن تم نزوله ، ونقله عنهم غيرهم من القبائل ، بحيث نقلت كل قبيلة ما يوافق لغتها التى نزل بها .

ومن هنا تعلم أنه لم تكن هناك حاجة إلى كتابة القرآن مرتبا ، لأن الحفظ كان كافيا ، ولكنه كتب متفرقا ، وكانت الكتابة يومئذ على الجلد والأحجار الملساء ونحو ذلك ، فلما توفى الرسول صلوات الله عليه قتل كثير من القراء ، فتنبه عمر لذلك وقال لأبى بكر : أخشى أن يذهب القرآن بموت القراء فمن الصواب أن نجمع الآيات المتفرقة التى كتبت فى عهد الرسول مرتبة طبقا للمحفوظ لنا ، فوافق أبو بكر بعد تردد لأنه كان يحب الوقوف عند الحد الذى

تركهم عليه الرسول ، فجمعت آيات القرآن المتفرقة ورتبت وفقها للمحفوظ بدون تغيير في الرسم الذي كانت عليه ، لأنها كانت مشتملة على كثير من لغات العرب التي نزل بها القرآن ، فكل ما فعله أبو بكر رضي الله عنه أنه جعل كل آية بجوار صاحبها حتى كملت كل سورة على حدة ، ولكنه لم يرتب السور ، ولم يحذف شيئاً من اللغات المدونة فيه .

فلما شاع القرآن بين العرب وانتشر الاسلام في الامصار والاصقاع ، وقرأت كل قبيلة بلغتها ، دب الخلاف بين الناس ، وأخذ بعضهم يكفر صاحبه ويقول له : أنت تقرأ القرآن على غير ما أنزل ، لأن كل واحد كان يحفل ما نزل به القرآن من لغة الآخر فاستشار عثمان كبار الصحابة في أن يجمع الناس على قراءة واحدة كي لا تحدث بين المسلمين فرقة ، فوافقوه على رأيه . فجمع القراء المشهورين ، ومنهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الله بن عباس وغيرهم ، فكتبوا له المصحف بلغة قريش ، لأن معظم القرآن نزل بها ، وأقرهم على فعلهم سائر الصحابة يومئذ ، فبعث به الى الجهات المتفرقة ، وأمر بحرق ما عداه .

فعمل عثمان رضي الله عنه كان مشتملاً على أمرين لم يعملهما أبو بكر .

أحدهما : أنه جعل الكتابة مقصورة على لغة واحدة بعد أن كانت بلغات متفرقة .

ثانيهما : أنه رتب سورة القرآن فجعل كل سورة عقب الأخرى على حسب الترتيب الذي تلقاه الحفاظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العالمين ، وقد أحسن عثمان رضي الله عنه ومن وافقه من أئمة الدين بذلك العمل الجليل كل الاحسان ؛ فقد سد على الذين في قلوبهم مرض باب الاختلاف على كتاب الله المبين ، وحسم مادة التفرقة في أصل الدين ومنبعه المعين . وذلك بتوفيق الله الذي قال : **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** . فقد صدق وعده الذي وعد به ، فألمهم عثمان وباقي أصحاب رسول الله الاعلام وسيلة حفظه ، ولولا ذلك لكان اختلاف لهجات

العرب الكثيرة المتشعبة من أكبر العوامل التي أتاحت لأعداء الدين الفرص لتجريف ذلك الكتاب الكريم وتبديل عباراته كما بدل غيره من الكتب .

وقصارى القول أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن كانت مفرقة فيه ، فبعضه نزل بلغة قريش ، وهو معظمه ، وما نزل بهذه اللغة كتب بها أيضا ، وبعضه نزل بلغة هذيل ، وبعضه نزل بلغة اليمن فكتب بلغتهما ، وهكذا . ولا يخفى أن القبائل التي نزل بعضه بلغتها يجوز لها أن تقرأ جميعه بهذه اللغة لأن في نزول بعضه بلغتها ترخيصا لها في قراءته جميعه بهذه اللغة . فالذي حصل في زمن أبي بكر رضى الله عنه هو أنه جمع الآيات المتفرقة سورا فجعل كل آية بجوار صاحبها طبقا للمحفوظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون زيادة ولا نقص ، فجعل كل سورة على حدة ولم يرتبه اكتفاء بترتيبه في صدور الحفاظ ، على أنه لم يغير شيئا من المكتوب بل أبقاه على حاله ، وأما عثمان رضى الله عنه فقد كتب مصحفا بلغة قريش خاصة ورتبه طبق المحفوظ

ومن هذا تعلم أن الأحرف السبعة كان بعض القرآن مكتوبا بها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أنها كانت محفوظة يتداولها الحفاظ في القبائل ، وأنها لم يوجد منها شيء في مصحف عثمان ، لأنه كان مقصورا على لغة قريش .

أما السبب في اختلاف القراءات السبع بعد أن جمع عثمان الناس على قراءة واحدة ؟ فقد أجاب عنه بعضهم بأن القرآن قد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بلغات العرب على الوجه الذي تقدم ونقله القراء من الصحابة إلى الجهات المختلفة على هذه الحالة ، فتواتر نقله بلغات متعددة ، فلما كتب المصحف العثماني وبعث به إلى تلك الجهات التي كان بها بعض القراء من الصحابة ، عملوا بما يمكنهم العمل به من ذلك المصحف ، فكل ما تلقوه متواترا عن الصحابة مما لا تدل عليه كتابة المصحف ثبتوا عليه وتركوا ما يخالف المصحف . وإليك نص عبارة الحافظ ابن حجر في ذلك : إن السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها أن الجهات التي وجهت إليها

المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة . وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل ، قال : ثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا من الصحابة بشرط موافقة الخط . وتركوا ما يخالف الخط امثالا لأمر عثمان الذى وافقه عليه الصحابة لما رأوا فى ذلك من الاحتياط للقرآن ، فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار

وقد يكون عثمان رضى الله عنه لم يحرم قراءة القرآن باللغات التى تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا لما عساه أن يترتب على ذلك من فرقة بين المسلمين ، فكسب مصحفه ليكون مرجعا يرجع إليه الناس عند الاختلاف ، فإذا قرأت قبيلة بلغتها المتواترة وأنكرت عابها الأخرى أمكنهم الرجوع إلى الأصل . وظاهر أن غرض عثمان ومن وافقه حفظ أصل القرآن وصون عباراته من التبديل والتحريف ، وذلك يحصل حتما بالاجماع على التمسك بنص ما كتب فى مصحفه ، أما غيره من المد والتسهيل والادغام والاضمار ونحو ذلك مما لا يترتب عليه تغيير فى نص القرآن فذلك مالا ضرر فيه ألبتة ، وإلى ذلك يشير قوله صلى الله عليه وسلم لعمر : ، يا عمر : القرآن كله صواب مالم تجعل رحمة عذابا أو عذابا رحمة .

وأخيرا نسوق إليك هذا الحديث الشريف ، وهو : روى أن عمر سمع هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان فاذا هو على حروف لم يلقنها عمر من رسول الله قال . فسكدت أساوره فى الصلاة وتصبرت حتى سلم فلبسته بردائه ، وانطلقت به أقوده إلى رسول الله ، فسمع منى وسمع منه وقال لكل منا . كذلك أنزلت ؛ إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه .

٢ - وبعد فقبائل العرب التى نزل القرآن بلهجاتها هى .

قريش — سعد — ثقيف — خزاعة — هذيل — كنانة — أسد — ضبة

— قيس واحلافها . ثم ارتفعت هذه اللغات وبقيت لغة قريش وأصبح القرآن يقرأ بلغة قريش .

والقراء السبعة الذين روى القراءات السبع هم .

نافع بن أبي نعيم م ١٦٩ هـ

عبد الله بن كثير م ١٢٠ هـ

أبو عمرو بن العلاء م ١٥٤ هـ .

عبد الله بن عامر اليحصبي م ١١٨ هـ

عاصم بن بهدلة الأسدي م ١٢٨ هـ

حمزة بن حبيب الزيات م ١٥٦ هـ

علي بن حمزة الكسائي م ١٨٩ هـ

وهناك سبع روايات تم عليها الإجماع ، وثلاث قوية السند ولم تصل إلى

الإجماع وأربع أخرى بين القوة والضعف فجملة ذلك كله أربع عشرة قراءة .

القرآن وأثره في اللغة والأدب

القرآن كتاب العربية وناموس شريعة محمد صلوات الله .

تعبّد به المسلمون منذ بدأ الإسلام حتى اليوم وحفظوه ورددوه وقرأوه بلغات قريش التي نزل بها .

وكان له أثر عظيم في اللغة العربية وآدابها مما يمكن تصويره فيما يلي :

١ - أثره في اللغة :

١ - وحدة اللغة واللهجات العربية في لغة قريش وهي أفصح لهجات العرب لفظاً وأبلغها أسلوباً وأعذبها نظاماً ، وكان ذلك من أسباب وحدة المسلمين كافة إذ اتخذوا هذه اللغة القرشية لغتهم فزادتهم وحدة في اللغة فوق وحدتهم في الدين .

٢ - حفظ القرآن الكريم العربية من العفاء والانقراض كما انقرضت من قبل لغات كثيرة أصبحت في عداد اللغات الأثرية .

فأصبحت العربية لغة القرآن الذي كفل الله بقاءه إلى يوم الدين .

٣ - القرآن أول عامل في ذيوع اللغة العربية وانتشارها في شتى البلاد

والأصقاع ، وأصبحت هى لغة الدين والسياسة والأدب والثقافة والقراءة والكتابة فى شتى بلاد العالم الإسلامى الواسعة ، وكثير من البلاد التى فتحتها المسلمون هجر أهلها لغتهم الأصلية وتعلموا العربية واتخذوها لهم لسانا ليفهموا بها القرآن قانون الدين الخالد ، ولتفاهموا بها مع الحاكمين ومن يعاشرونهم ويخالطونهم من العرب .

٤ - رفع القرآن من شأن النثر بعد أن كان المقام الأول للشعر وحده من بين سائر فنون الأدب

٥ - وقد ساعد القرآن على تهذيب ألفاظ اللغة وأساليها فهجر المسلمون الكثير من الحوشى والغريب والمتناثر واختاروا العذوبة والسلاسة والسهولة والركة فى اللفظ والنظم

٦ - وسع القرآن الكريم نطاق اللغة باستحداث الألفاظ الإسلامية التى نقلت من معانيها إلى معان جديدة أتى بها القرآن الكريم كلفظ المؤمن والمنافق والإسلام والصلاة والصوم الخ

٧ - والقرآن هو الذى دفع المسلمين إلى العناية بشتى العلوم الدينية والعربية ووضعها بما كانت هى أساس صرح المدنية الإسلامية الباهرة

أثره فى الأدب العربى

والقرآن أثر كبير فى الأدب العربى :

١ - فقد تأثر به المسلمون فى بلاغته وفصاحته وعذوبته ، فلانت أساليبهم وعذبت ألفاظهم وورقت طباعهم ، واقتبسوا منه فى شعرهم ونثرهم ، والحق أنه هو الذى خرج أعلام البلاغة وغول البيان والأدب من قديم

٢ - أحيا القرآن الكريم فنونا أدبية جديدة ، كالقصص وأدب الزهد وأدب التاريخ وأبطل سجع الكهان والهجاء الكاذب والفخر بغير العمل الصالح والخلق الكريم إلى غير ذلك من شتى الفنون الأدبية المرذولة .

٣ - بتأثير القرآن عكف الأدباء والرواة على جمع اللغة وآدابها وأشعارها وحوكمها وبلاغاتها وأمثالها ووصاياها وخطبها بما كان مادة الثقافة الأدبية العربية على مر الأيام

٤ - وبسببه وضعت علوم النقد والبلاغة لمعرفة وجه إعجاز الذكر الحكيم وكيف تحدى الله به العرب والناس كافة فملكهم الأعياء والعجز والقصور ولا غرو فالقرآن الكريم أول كتاب كتب باللغة العربية وهو مصدر آداب العرب جميعها

ولقد عنى به الأوربيون عناية كبيرة ، فطبع أول طبعة في أوروبا في فينيسيا عام ١٥٣٠ والثانية في غمبرغ عام ١٦٢٤ ثم في بادده عام ١٦٩٨ وفي بطرسبرج ١٨٨٧ وفي قازان عام ١٨٠٣ . كما ترجم إلى اللغات الأوربية الحية وظهرت أول ترجمة له لبيلياندر باللغة اللاتينية عام ١٥٤٣م

خصائص القرآن

١ - وخصائص القرآن البيانية وما اشتمل عليه من رائع الحكم والأمثال وبلغ المجاز ودقيق التشبيه وجيد الاستعارة والكناية وساحر الطباق والجناس . ومحكم الإيجاز والاطناب المفيد ، كل ذلك كثير جدا . إلى حد يصعب بيان مداه إلا في مؤلفات ضخمة . وقد تناول بعض هذه الخصائص السيوطي في الاتقان والرافعي في إعجاز القرآن . وعلى ضوء السيوطي كتب ملخصا صغيرا لها الأستاذ محمود مصطفى في كتابه في الأدب الاسلامي

وستترك نحن الحديث عن ذلك في هذا المجال

٢ أما خصائص القرآن في :

١ - أغراضه ومقاصده . فان القرآن قد جال في كل غرض . وهو في كل موضوع يطرقه في الاجتماع والسياسة والدين والتشريع والحكمة والقصص والزهد والتوجيه والأدب والتعليم والارشاد والوعد والوعيد ، كتاب الله الحكيم المعجز الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ب - وأما أسلوب القرآن : فقد سبق أن فصلنا الكلام فيه وراجع ما كتبه الرافعي عن أسلوب القرآن في ص ٢٤٧ وما بعدها من كتابه « إعجاز القرآن » ،

ج - وأما معانيه فحسبك ما تشتمل عليه من صدق وحق ووضوح وجلال ، وهي من غير معين العرب الذي ينهلون منه . لقرب تناولها ووضوح صدقها واطمئنان النفوس إليها ولما تنتظمه من الحجّة الباهرة والأدلة الساطعة والأحكام الصائبة والتشبيهات الرائعة ؛ وبحق إنه معجزة البيان وآية النبوة المحمدية

د - وأما ألفاظه فحسبك جزالتها وقوتها مع السلاسة والعذوبة ومع البعد عن الوحش والغريب النافر والسوقي المبتذل والبعيد المعقد . وما فيها من سحر وجمال ورشاقة وخفة وما تنطوي عليه من أسرار الفصاحة وخصائص البيان والاعجاز

٣ - وأما بلاغة القرآن فهي حديث الدنيا ، والأمر الذي سلمته به فحول البلغاء وأساطين البيان على مرّ الأحقاب

أرأيت العرب وهم أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء كيف تحداهم القرآن الكريم على أن يأتوا بمثله ثم بعشر سور منه ثم بسور ولو من أقصر سورهم ثم بآيتين أو آيات في مثل بلاغته فمعجزوا وقالوا شعر أو سحر أو كهانة أو أساطير الأولين .

كلا وربى إن هو إلا الضوء السافر ، والهدى الباهر ، والوحي الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ثم أرأيت ما يقول الوليد بن المغيرة في القرآن وقد تردد على محمد خفية وخيفة وسمع منه : والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي تقول شيئاً من هذا والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وأنه ليعلو ولا يعلى عليه

ثم اسمعت حديث اسلام عمر بعد أن سمع أخته وزوجها وهما يقرآن طه ، وحديث هذا الاعرابي الذي سمع قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر فسجد ، وقال : سجدت لفصاحته

لا وربك إنه السحر المين ، والاعجاز البالغ والبلاغة النادرة ، وما هو بقول
البشر إن هو إلا وحى يوحى ، وكتاب نزل من السماء إلى الارض نورا وهدى
وخيرا وطمأنينة للقلوب والنفوس

إِعْجَازُ الْقُرْآنِ^(١)

وتحن لن نتناول الاعجاز من شتى جوانبه ونواحيه ؛ وإنما نوجز لك القول
إيجازاً ، ونتركك لذوقك ونفسك ، حتى تعرف أسرار الاعجاز ، وتقف
على خصائصه .

(١) جعل عبد الله عفيفي وجوه الاعجاز فى :

١ — اشتمال القرآن على الأسلوب المنطقى والأسلوب العلمى

٢ — وما يشتمل عليه من قوة روحية خارقة .

٣ — وما أفاض فيه مما يجهلون من أحداث التاريخ .

[راجع كتابه تاريخ الأدب العربى فى أصدر الاسلام وبنى أميه]

وجعل المرحوم الأستاذ محمود مصطفى وجوه الاعجاز فى :

١ — ما انطوى عليه القرآن من الاخبار بالمغيبات .

٢ — وما نبأ به من أخبار الأمم الماضية .

٣ — وما اشتمل عليه من حسن تأليف ، والثناء كلم وتخير ألفاظ وحسن

مقاطع ومطابقة هذا النظام لمقتضيات الاحوال مضموماً إلى ذلك جلال الغرض

وسمو المعانى وصفاء الحسكم وانطباق المثل .

ونفى أن يكون مرجع الاعجاز إلى ما ذهب إليه البعض من الصرفه وأن الرب

كانوا قادرين على معارضة القرآن لولا أن صرفهم الله عن ذلك كما نفى أن يكون

الاعجاز لما أخبر به القرآن من قصص التاريخ الماضية أو لما اشتمل على من

معان سامية ، كعلو حكمته ودقة تشريعه وظهور الفكرة فيه .

وذهب الأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد فى مقال له بمجلة الأزهر إلى خطأ

ولعلك قد قرأت تحليل عبد القاهر وعلماء البلاغة الآية الكريمة : رب إني
وهن العظم منى واشتعل الرأس شعثا ، أو شرحهم الآية الحكيمه : وقال اركبوا
فيها باسم الله مجريها ومرسها — اها ان ربي لغفور رحيم ، وهى تجرى بهم فى موج
كالجبال ونادى نوح ابنه كان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين
قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم
وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ، وقيل يا أرض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى
وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين ،
ولعلك على ذكر من هذه الوجوه البلاغية التى يذكرونها فى الموازنة بين قوله

== من يذهب إلى أن أعجاز القرآن فى أسلوبه وبلاغته فحسب لافى مادته الفكرية
وما ينطوى عليه من مبادئ وقوانين ، لأن هناك جوانب للأعجاز تناول سائر
النشاط الانسانى . الاجتماعى منه والاقتصادى والسياسى والنفسى والعلمى إلى غير
ذلك من وجوه الرقى البشرى .

وكتب زميلنا الاستاذ أحمد الشرباصى بحثاً فى أسرار القرآن الكريم نشره
بمجلة الأزهر ، عدد منها : أنه كتاب عربى مبين — واستعماله الكلمة الحاوية
لكثير من المعانى ، والايجاز ، وأن الله تعالى لم يجعله أبواباً مستقلة وأنه يعرض
قصص الانبياء والمرسلين فى صور مختلفة .

وكتب الأستاذ الجليل د السيد القاياتى ، فى مجلة الأزهر ينفى أن يكون لامية
الرسول شأن فى صدق النبوة وقيام الإعجاز وأن يكون العرب قد وقعت منهم
معارضة للقرآن .

وراجع الآراء القديمة فى إعجاز القرآن فى الاتقان ١٩٧ - ١١٢ ج ٢ ط ١٩٤١
وقد ألف كثير منهم فى الإعجاز ومن أشهرهم عبد القاهر والباقلانى ولكنهم
حاموا حول الإعجاز ولم يكتبوا فيه .

وراجع الكلام على الإعجاز فى إعجاز القرآن للرافعى ص ١٨٢ وما بعدها

تعالى : « والكم في القصاص حياة ، وقول اكنم بن صيفي : القتل أنفى للقتل .
وابلك قرأت ما كتبه الزمخشري في بلاغة كثير من الآيات القرآنية الحكيمة أو
ما كتبه في قوله تعالى : « وما قدر الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » الى قوله تعالى : « واشرقت
الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق
وهم لا يظلمون » . أو ما دونه علماء البلاغة في بلاغة الآية الكريمة « خذ العفو
وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »

فكل ذلك لا يضيرك على أى حال في فهم أسرار بلاغة القرآن وإعجازه وهو
من جهة أخرى وسيلة لثربية ذوقك وملكتك في النقد والبيان .

ولكننا نعود بك إلى فطرتك الأدبية وحدها فطالبا بالفهم والنقد والحكم
في قضية الإعجاز ، وأنت تعلم أن الأمة العربية أمة تحب البلاغة وتعشقها وتجيدها
ويهزها البيان الجيد والفصاحة الرائعة ، وفيها مقالول البلاغة ومصاقع الخطباء
وأعلام الشعراء ، لا ترى لأحد عليها نفرا ، ولا تحسب روعة البيان وسحر الكلام
إلا لها ؛ وكانت كما يقول الجاحظ . أكثر ما كانت شاعرا وخطيبا وأحكم ما كانت
لغة فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته وهو في ذلك يحتج
عليهم بالقرآن ويدعوهم صباح مساء إلى أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة
واحدة أو بآيات يسيرة ، فكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريبا لعجزهم عنها تكشف
عن نقصهم ما كانوا مستورا وظهر منه ما كان خفيا ، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة
قالوا له أنت تعرف من أخبار الأمم مالا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا ،
قال . فها توها مفتريات ، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طمع فيه
أحد يتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه
ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض ؛ فدل ذلك على عجز القوم مع كثرة كلامهم
وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراءه
وأصحابه وخطباء أمته ؛ والعرب لهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب
الطوال البليغة والفصاح الموجزه ، ولهم الاسجاع والمزدوج واللفظ المشهور ، ثم

يندى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم ، وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم
مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا إليه والى حاجة تبعث على الحيلة فى
الامر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة :

وبعد فأى أثر أدبى أعجبك : كقفانك من ذكرى حبيب ومنزل ، لامرىء
القيس ، وكرثية ابن الرومى لولده :

بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدى فجودا فقد أودى نظيركما عندى
وكوصف البحترى لأيوان كسرى :
صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن جدا كل جبس^(١)
وكرثية المعرى للفقير الحنفى :

غير مجدد فى ملئ واعتقادى نوح باك ولا ترنم شاد
وكقصيدة ابن زيدون :

أضحى التثنائى بدىلا من تدانينا وناب عن طيب أقيانا تجافينا
وكقصيدة المتنبى فى سيف الدولة :

أتوك يحرون الحديد كأننا سروا بجياد ما لهم قوائم
وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلهم هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم
أو قصيدته فى كافور :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لامر فىك تجديد
أو قصيدة أبى تمام فى المعتصم وفتح عمورية :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب
أليس سر هذا الاعجاب هو خصائص هذا الأثر البيانى والأدبية ، وأليس
مرجه إلى صدق الشعور وحرارة العاطفة وروعة التصوير وجمال النظم
وإحكام البيان ؟

(١) الجدا : العظام . الجبس : الجبان اللئيم

فإذ إما وقفت أمام نهج البلاغة للأمام بن أبي طالب ، أو كليلة ودمنة لابن المقفع ، أو أمام البؤساء ترجمة حافظ بك إبراهيم أو حيال دماجدولين ، المنفلوطي أو مجنون ليلى لشوقي بك أو الأيام لطفه حسين أو « على هامش السيرة » له أو « عبقرية عمر » للعقاد . فأعجبك وراعتك ، وسحرك ماتجد في هذه الآثار الأدبية الكاملة من حذق وبراعة ولطف حيلة وبلاغة تصوير ، أفليس مرجع ذلك كله إلى خصائص هذا الأثر الأدبية وشخصية مؤلفه الأديب أو الشاعر أو الخطيب أو الكاتب واكتمال فنه الأدبي ، في أثره المعجب ؛ وألست تجد من ذلك الكثير من الآثار والنصوص

فإذا ماترقى بك ذوقك في الحكم الأدبي ، فقلت : أن لا أستجيد من الآثار الأدبية إلا الآثار الخالدة على مر الأيام ؛ والتي تقرؤها وتعيد قراءتها فتجد نفسك كما بدأت متلهفة معجبة مأخوذة بجلال هذا البيان وعظمته وعبقرية صاحبه ، وتجد هذا الأثر الأدبي أمام ذوقك وطبعك عضاً ناضراً باهراً كما بما كتبه صاحبه لساعتك التي أنت فيها ، ومجد ما فيه من حديث عن النفس الإنسانية ، وعن الحياة وعبرها وعظمتها واحداثها ، وعن البشر وأخلاقهم ومطامحهم وألوان تفكيرهم في الحياة ، وعن الأهداف المثلى للإنسانية كافة والمبادئ الشريفة التي يجب أن تكون دستور الأمم والجماعات والأفراد . تجد ما فيه من ذلك كله جديداً كأنه كتب لهذا العصر ووصف الحياة التي يحياها الناس وتحياها أنت معهم فتعلم بربك هل تجد أثراً ترفعه في نفسك إلى هذه المنزلة وتراه مستوفياً لهذا الخصائص وتطمئن نفسك حين تقول هذا هو ضالتي المنشودة وطلبتى المأمولة وبغيتى المرجاه ؛ وهل تجد أثراً سلم له ذلك كله وسلم من القصور والعيب والمؤاخذة وسقطات الطبع والأسلوب والنظم والفكرة ، وهل تجده له ذلك كله مع طوله وإحكامه وروعته وجدهته ونبل دعوته وأهدافه وجلال غايته ورسالته ، وبعد مرماه وعمق منزعه وأنه يتناول الإنسانية كافة والعصور قاطبة ويصلح لكل مكان وزمان ، ولا يبلى مهما توالى الأيام والعصور .

إلى وربى إن هذا هو الغاية البعيدة ، والأمل الحمال ، والسر الدفين في ضمير

الأيام ، والسكنز المخبوء في جوف صحراء عرضها السماء والأرض .

ولن تجده مهما حاولت أن تجده إلا في كتاب واحد وأثر أدبي خالد ، وفي هذا البيان ذى المجد الطريف والتالد ؛ إى وربى إنك لن تجده إلا في القرآن الكريم والذكر الحكيم والكتاب المعجز والأثر الخالد ، وفي هذا البيان المكامل والبلاغة الساحرة والفصاحة النادرة والآيات البينات الباهرة .

إى وربى ، وهل تجد أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، أو هل ترى نظما أحسن تأليفاً وأشد تشاكلاً وروعة من نظمه المجيب وأسلوبه الغريب المخالف لأساليب كلام العرب في نظمها ونثرها ، أو هل تجد هذه الروعة التى تجدها له في قلوب السامعين وأسماعهم سواء المصدق منهم والجاحد ، وتلك الجودة التى تراها له على مر الأيام وتوالى العصور ؟ .

وإذا لم تصعد إلى هذه المرتبة البعيدة إلا بكتاب واحد هو القرآن الكريم ، ثم حاولت الموازنة بينه كله أو بعضه أو القليل الأقل منه وبين ما سواه من الآثار الأدبية فلم تجد مجالاً للموازنة ولا موضعاً للشبهة لبعده ما بين الأثرين كبعد ما بين السماء والأرض ؛ فهل ذلك إلا لأنه كتاب معجز وأنه آية الآيات والناطق بصدق إعجازه وعظمه بلاغته .

وقد يقول معاند أو مكابر : أين أنت وآداب اللغات وأين أنت وما فيها من آثار أدبية خالدة ، فلشكسبير وجوته وهوجو ولغيرهم من أفذاذ الغرب الكثير من الآثار الخالدات ، بل أين أنت من الكتب السماوية المقدسة ، وأين أنت من دمرمار داود ، وحده ؛ أفلا يشبه أثر من هذه الآثار كلها القرآن الكريم في مكانته وبلاغته وإعجازه . وأنا أقول لك أيها القارئ الكريم ، لعلك قد قرأت بعض الآثار الأدبية لهؤلاء الأعلام الخالدين في الأدب ، ألسنت تجد شكسبير مثلاً في أية قصة من قصصه وفي جميع آثاره مترجماً عن عواطف النفس الإنسانية معبراً عن آمالها وآلامها مجيداً الحديث عنها ولكن هل تجد له هذا السمو

والرفعة ونبل الدعوة وجلال الغاية ، وعظمة الهدف والرسالة ودقة التحليل عن
العواطف والمشاعر والنفوس الانسانية كافة ، وهل تجد له هذا التوجيه الجديد
للإنسانية جميعا ، وهذا الدعم القوى لمبادئ العدالة والحق والحرية والآخاء
والمساواة في الحياة ؛ كلا وربك وإن تجد لأعظم من شكسبير شيئا من ذلك
قليلا أو كثيرا ، فضلا عن خصائص الفن الأدبي الرائع الكامل التي لن
تجد ما يشبهها في غير القرآن الكريم .

وهاك أروع ما في الكتب السماوية المقدسة وهو مزامير داود خذ أى قطعة
منها وليكن « المزمور الأول » وهو بنصه كما في الكتاب المقدس :

« طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف
وفى مجلس المستهزئين لم يجلس ؛ ولكن فى ناموس الرب مشورته ، وفى ناموسه
يلهج نهارا وليلا ، فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه ، التى تعطى ثمرها
فى أوانه ، وورقها لا يذبل : وكل ما يصنعه ينجح

ليس كذلك الأشرار ، لكنهم كالعصافاة التى تذرهبها الريح ، لذلك لا تقوم
الأشرار فى الدين ، ولا الخطاة فى جماعة الأبرار ، لأن الرب يعلم طريق الأبرار ،
أما طريق الأشرار فتهلك .

ونحن مع تقديرنا لهذا النص الدينى ومع علمنا بأنه مترجم نعود بك إلى
ناحية أخرى فى الموازنة وهى أنه شتان ما بين هذه الروح وروح القرآن الكريم
ومن المحال الموازنة بين ذلك وبين مثل قوله تعالى : « قل ان صلاتى ونسكى
ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » ،
أو مثل قوله تعالى : « ولا تمش فى الأرض مراحا إنك لن تحرق الأرض ولن
تبلغ الجبال طولا » ، أو مثل قوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم
خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلمون والذين هم
لقروجهم حافظون » ، إلى غير ذلك من روائع بلاغات القرآن الكريم

وبعد فان القرآن كله معجز ، وهو نمط فريد رائع ومستوى رفيع شريف

من البلاغة والفصاحة والبيان والروعة والسحر والاختزال بجامع القلوب ومشاعر النفوس فكله منهج واحد في النظم ودرجة واحدة في الفصاحة وقل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيرا (١) ،

وأخيرا نقول لك إنك أيها الناقد الحصيف حين تحلل أثرا أدبيا ما ، تكشف عن كل ما يتصل به — هذا الأثر من عوامل البيئة والعصر ومن شخصية صاحبه ، وتوازن بينه وبين ما يشبهه من الآثار ، وتبين خصائصه الفنية الأدبية وما يوجه إليه من أهداف وما يدعو إليه من آراء وأفكار ثم تضعه بعد ذلك في منزلته الصحيحة من البيان والأدب والتفكير الإنساني .

وهذا هو ما نكلفك به حين تبحث عن قضية الإعجاز :

١ - فإليك أن تبحث عن البيئة الأدبية التي نزل فيها القرآن الكريم ، وأن توضح أنه كلام الله لا كلام بشر وأن تثبت ذلك بالحجج الدامغة
٢ - ثم عليك أن تحلل خصائصه الأدبية والفنية تحليلا كاملا وتوازن بينه وبين شتى الآثار الأدبية الخالدة

٣ - ثم عليك أن تحلل معانيه وأفكاره وأهدافه ودعواته .

٤ - وبعد ذلك تنقد وتحكم وتناقش .

ولضيق مجال النقد والبحث نقول لك أيها القارئ الكريم إن أظهر أسرار إعجاز القرآن الكريم تتجلى فيما يلي :

١ - بلاغة القرآن النادرة التي لا يحيط بها وصف ولا يستطيع أن يكشف خصائصها باحث ، ويكفيك أن علوم البلاغة والنقد والإعجاز قد وضعت

(١) وذهب بعض علماء البلاغة الى أن بلاغة القرآن تتفاوت مع الإعجاز

[راجع تفصيل ذلك في كتب البلاغة وفي الاتقان للسيوطي ص ٢١٠ > ٢]

للكشف عن مظاهر هذه البلاغة وأسرارها ثم هي للآن وبعد مضي أكثر من عشرة قرون من الزمان لاتزال في أول الغاية (١)

٢ — روعة القرآن وجدته وأخذه بالافتدة والاسماع والمشاعر والعواطف والنفوس

٣ — عظمة تصويره للحياة الانسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها وللنفس البشرية في سلمها وحرها ولهوها وجدها وأملها وألمها وكفرها وإيمانها وللثقل العليا في الحياة المهدبة الكريمة التي يعمل لها الانسان وتسير لشاغلها الامين الانسانية

٤ — سمو الروح في القرآن الكريم ، فهو ليس كتاب قصص أو تسلية أو أدب أو حكمة أو فلسفة أو تاريخ أو اجتماع وإنما هو خلاصة لكل ما في الحياة من ثقافة وحقائق ويزيد على ذلك بأنه منهج كامل للحياة الروحية والاجتماعية والبشرية الكاملة الصحيحة السليمة ، وما أجدرنا بأن نقول إنه هو كتاب الانسانية كافة

٥ — جلال أثره الأدبي في لغة العرب وأدبهم وفي حياتهم بل وفي حياة المسلمين والعالم

٦ — خلوده على مر الأيام والامكنة والعصور مع أنه تحدى ولا يزال يتحدى الناس كافة ، ومع ما يشتمل عليه تاريخ العالم من أفذاذ المفكرين والادباء والبلغاء

٧ — بساطة أسلوب القرآن الكريم ووضوحه وجماله وقوته وجزالته وعذوبته .

(١) وبلاغة القرآن أوسع مدى من البحث عن استعاراته وكنائياته وتشبيهاته وأمثاله وحكمته وإيجازه ومجازه فهي تشمل كل خصائص الفن الأدبي والبياني في القرآن الكريم

٨ — شرف معانيه ، وسمو حكمه ، وجلال دعوته ، وصدق حجته ، وعمق منزعه ، وعلو تصويره .

٩ — والدليل الآخر على الأعجاز هو عظمة أغراضه ومقاصده ورفعته مراميه ومناحيه ، وعبقريه غاياته ورسائله ، وتوجيه البشرية كافه إلى حياة جديدة فيها الأمل والنعيم والسعادة ، وفيها الخير المطلق والأمن والسلام ، وفيها الرضاء والبشر والأخاء والحق والعدالة والحرية والمساواة بين الناس .

وصدق الله العظيم « تبارك الذى أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ،

أحاديث رسول الله

وأثرها في اللغة والأدب

البلاغة النبوية:

كان صلى الله عليه وسلم أبلغ العرب لسانا وأفصحهم بيانا وأعذبهم أسلوبا وأروعهم حكمة وأصدقهم قولاً وأوضحهم عبارة وأطبعهم على البلاغة والفصاحة والبيان

وبلاغته النبوية تلي في منزلتها الأدبية الذكر الحكيم وهي هذه « البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها وحسرت العقول دون غايتها لم تصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة ولم يتكلف لها وهي على السهولة بعيدة عنوعه . إن خرجت في الموعظة قلت أنين من فؤاد مقروح وإن راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح ، في منزع يلين فينفر بالدموع ويشتد فينزو بالدماء وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء (١)

ولقد أخذ البلغاء والأدباء والمصنفون بهذه البلاغة الباهرة حتى لقد قال له أبو بكر: لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت الذي هو أفصح منك فمن أدبك ؟ . وحتى قال له علي رضي الله عنه وسمعه يخاطب وفد بني نهد : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال عليه الصلاة والسلام « أدبني ربي فأحسن تأديبي ، ويقول الجاحظ في بلاغته صلى الله عليه وسلم :

« كلامه صلى الله عليه وسلم هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل

يا محمد : « وما أنا من المتكلفين ، ، فكيف وقد عاب التشديد ، وجانب أصحاب
التعمير ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصود في موضع القصر ، وهجر
الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ،
ولم يتكلم إلا بكلام قد حفف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، وألقى
الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحنالوة ، وبين حسن
الإفهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى
معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت به قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له
خضم ، ولا أخمه خطيب : بل يبد الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتبس
إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ؛ ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفلج إلا
بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يهمز ولا يلبز ، ولا يبطن .
ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر ؛ وما سمع كلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ،
ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ،
ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين في فحواه ، من كلامه صلى الله
عليه وسلم .

وهل تجد أبلغ أو أروع أو أعظم من بلاغته صلى الله عليه وسلم . فأنت حين
تسمع خطبته النبوية الأولى في أهله وعشيرته لما أنزل الله تعالى قوله الكريم
« وأنذر عشيرتك الأقربين ، :

« إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ، ولو غررت
الناس ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم حقا وإلى الناس
كافة والله ليموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ولتجزون بالاحسان إحسانا ،
وبالشر شرا ، وإنها للجنة أبدا ، أو النار أبدا ، وإنكم لأول من أنذر بين يدي
عذاب شديد ،

لا نجد إلا بلاغة وسجرا وجلالا وصدقا وحقا وروعة وكيف لا وقد أيد الله
نبيه الكريم بمعجزة البيان فاختره من قریش أبلغ العرب لسانا واصطفاه من
أعلى بيوتها حيث البلاغة والفصاحة والبيان واللسن والحجة والمنطق ومقارعة

البلغاء ومحاررة الفصحاء . ثم أنشأه في بني سعد الذين خصوا من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم . « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر » . ثم عليه لغات جميع قبائل العرب وأقدره على مخاطبة كل قبيلة بلهجتها

فلا جرم أن يكون المأثور عنه من الحديث صفوة اللغة وحلابة البيان بعد القرآن يقتبس الأديب من لفظه ، وينتفع البليغ بصوغه ، ويستمد مفسر القرآن من أثره ، ويستكمل الفقيه الأحكام الشرعية من نصه ، ويشيد اللغوى صرحا للغة من كلمه ، ويستظهر الحكيم بحكمته ؛ إذ كان صلوات الله عليه لا ينطق بلغوا ، ولا يقصد إلى غير توضيح قرآن ، أو تقرير شرع ، أو هداية إلى حق ، أو تفسير من شر ، أو حكمة ينتفع بها الناس في أمور دينهم ودنياهم .

وإن شئت فانظر إلى هذا الكلام البليغ الشريف الذى ينبع من منبع الحق والنبوة فستجد وربك بلاغة ليس فوقها بلاغة .

لما أعطى رسول الله ما أعطى من مغنم حنين في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الانصار منها شيء وجد هذا الحى من الانصار فى أنفسهم حتى كثرت منهم المقالة ، وحتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله قومه ! فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله . إن هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا النعم الذى أصبت : قسمت فى قومك ، وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب . ولم يكن فى هذا الحى من الانصار شيء قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي . قال : فأجمع لى قومك فى الحظيرة ^(١) فخرج سعد بجمع الانصار فى تلك الحظيرة . فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا إليه أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الانصار . فأتاهم رسول الله صلى الله عليه

(١) الحظيرة : أرض يضرب عليها سياج . وكانت حظيرة الانصار إلى

جانب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو له أهل ، ثم قال : يامعشر الأنصار ما قاله (١) قد بلغتني عنكم ، وموجدة وجدتموها في أنفسكم ! ألم آتكم ضلالا فهذا كم الله ؟ وعالة (٢) فأغناكم الله ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا بلى لله ورسوله المن والفضل . فقال ألا تجيبوني يامعشر الأنصار ! قالوا وبماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المن والفضل . قال : أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم ولصدقتم (٣) أتيتنا مكذبا فصدقناك ، وخذولا فنصرناك وطريدا فأويناك . وعائلا فأسيناك وجدتم في أنفسكم يامعشر الأنصار في لعاعة (٤) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلوا وولتكم إلى إسلامكم أفلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت أمراً من الأنصار . ولو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكك شعب الأنصار (٥) اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار . قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم (٦) وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا .

ذلك مثل صغير من أمثلة بلاغته اننى تجمع بين السمو الروحى الأعظم والجمال الفنى النادر وإن شئت فقف عند قوله صلى الله عليه وسلم : « إن قوما ركبوا فى سفينة فاقسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكانى أصنع فيه ماشئت فان أخذوا على يده نجوا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا ، .

-
- (١) القالة : أحدثه الشر ونقيضها القول (٢) عالة جمع عائل الكثير العيال مع قلة المال (٣) أدخلت اللام على صدقتم الثانية دون الأولى ، لأن الصدق أيسر (٤) اللعاعة : البقية اليسيرة ، يقال لم يبق إلا لعاعة أى بقية يسيرة (٥) الشعب بالكسر - ما انفرج بين جبلين ، أو الطريق فى الجبل وجمعة شعاب .
- (٦) أخضل لحيته . بلها .

فستأخذك الرونة والاعجاب . وحسبك أن كلامه صلى الله عليه وسلم كله دين وتقوى وهداية ونور وروحية وحياة وقوة وجمال ، وكأنه هو ما يعنيه الرسول بقوله : إن من البيان لسحرا ،

جوامع كله صلى الله عليه :

١ - قال صلى الله عليه وسلم في دعائه ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ، وعين لا تدمع ؛ ونفس لا تشبع

ومن دعائه : اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمتي وتتم بها ثقتي ، وتصالح بها رغائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي ، وتلممني بها رشدي ، وترد بها ألفتي ، وتعصمني من كل سوء .

وكان رسول الله في جنازة ، فبكى النساء فاتهمهن عمر ، فقال عليه الصلاة والسلام : دعهن يا عمر ، فإن النفس مصابة والعين دامة والعهد قريب

ومن جوامع كله قوله . لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . وقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . وقوله . اليد العليا خير من اليد السفلى . وقوله . الصبر عند الصدمة الأولى . وقوله : ترك الشر صدقة

وقال صلى الله عليه وسلم . إذا أعطاك الله خيراً فليبن عليك (١) وأبدأ بمن تعول وارترض من الفضل (٢) ولا تدم على الكفاف . ولا تعجز عن نفسك (٣)

(١) فليبن عليك أى فليظهر عليك بالصدقة والمعروف وحسن الحال .

فأبدأ بمن يلزمك أمرهم ، ومفهوم قوله . فأبدأ بمن تعول لاتجعلهم في العطاء

(٢) وارترض من الفضل أى اعط ما فضل من مالك شيئاً فشيئاً كما تفعل

مرضخه . النوى حين ترضخه . أى تكسره شيئاً فشيئاً .

(٣) لاتعجز عن نفسك . أى لاتجمع لغيرك وتبخل على نفسك .

وأتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شحب وجهه ، وهزل جسمه ، وغارت عيناه لفرط صيامه وقيامه ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا الدين متين ^(١) فأوغل فيه برفق فأتى المنبت ^(٢) لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن ^(٣) قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء .

وقال صلى الله عليه وسلم . إن روح القدس نفث في روعي ^(٤) أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها ، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنما والزكاة مغرما ومن رائع بلاغته صلوات الله عليه قوله : لا خير في صحة من لا يرى لك ما يرى لنفسه . وقوله : الناس كلهم سواء كاسنان المشط . وقوله : المرء كثير باخوانه . وقوله للأنصار : إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع . وقوله : ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه . وقوله : الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم . وقوله : لا تجن يمينك على شمالك . وقوله : علق سوطك حيث يراه أهلك ومن بليغ حكمه صلى الله عليه وسلم قوله : لا يلدغ المؤمن جحرا من مرتين ^(٥)

(١) إن هذا الدين متين : أى قوى رصين : ، ومن قوة الدين أن يروض النفس ولا يعتنها .

(٢) المنبت المنقطع في طريقه ؛ سمي بذلك لانهبات ظهر ما يحله . أى انقطاعه

(٣) الدمن جمع دمنة ، وهى الفضلات المتلبدة ، وقد ينبت عليها النبات أخضر زاهيا ، وهو مر وخيم ،

(٤) الروع بضم الراء : القلب

(٥) قاله صلى الله عليه وسلم لآبى عزة الشاعر وكان كثيرا ما يستنفر المشركين ويحرض قريشا على قتال النبي فأسر يوم بدر وجيء به إلى النبي فشكا =

وقوله : هدنة على دخن . والدخن دخان النار يريد أن الصالح لم يذهب بالاحقاد كما أن النار يبقى شيء منها تحت الرماد فيستدل عليه بما يتصاعد عنه من دخان . وقوله : إن من البيان لسحرا . وقوله لأبي تميمه الجهمي : إياك والمخيلة . فقال يارسول الله نحن قوم عرب فما المخيلة ؟ فقال عليه السلام سبل الأزار . وقوله : إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس إتقاء شره . وقوله : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . وقوله : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه .

ومن حكمه قوله صلى الله عليه وسلم لا نجشة حادى لبلة وفي هوادجها النساء : « رفقا بالقواوير ، وهى كناية عن النساء . وقال صلى الله عليه وسلم . بعثت فى نفس الساعة . ومنها قوله : يا خيل الله اركبى ، وقوله : الآن حمى الوطيس ^(١) وقوله من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، وقوله : الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، وقوله : اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، وقوله : الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله . وقوله : من لا يرحم لا يرحم ، وقوله . من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان

إليه الفقر والعيال فرق له وخلق سبيله بعد أن عاهد ألا يعين عليه بشعره فأمسك عنه مدة ثم عاد إلى حاله الأولى فأمر يوم أحد فخطب النبي بثمل خطابته الأول فقال النبي : لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين ثم قتله صبرا وقال لا يلسع المؤمن من حجر مرتين [٣٤ ج ١ العمدة لابن رشيقي ط ١٩٢٥]

(١) الوطيس . التنور ومجتمع النيران استعاره الرسول صلى الله عليه وسلم لاهوال الحرب .

خصائص البلاغة النبوية :

أما أسلوب الرسول صلوات الله وسلم عليه فهو السهل الممتنع والبلاغة القريبة البعيدة ، والفصاحة المعجزة الرائعة . والنمط الغريب والطريقة المحكمة والنظم العجيب

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجز غالبا ولذلك كانت كلماته حكم وجوامع وقال : « إنا معشر الأنبياء بكاء » ؛ وكان يكره الفضول والتشديق وخلافة القول والإلباس الباطل ثوب الحق ؛ وربما أطال صلوات الله عليه في كلامه للإرشاد والوعظ وتبليغ الرسالة ، وإن كان الغالب أن يقل كلامه ويخرج قصدا في ألفاظه محيطا بمعانيه

هذا إلى إحكام الأسلوب في غير تعقيد ولا تكلف مع الوضوح والسلاسة ومع التخيير والروني ومع العذوبة والجلالة ومع الأفرار الجيد والسبك المحكم ومع الجزالة والقوة والأشراق وجودة التصوير والتأثير ، وحسن الأفهام والمهابة والحلاوة والروعة والقبول ، ومع تجنب سجع الكهان ومن شابههم

أما ألفاظه صلى الله عليه فقد نقي منها الوحشى والغريب والمبتذل والساقط والمستكره ونزهت عن الخطأ واللحن والقصور ، واختيرت اختيار الطبع المتمكن والقطرة السليمة فهي رشيقة جليلة قوية بليغة مشرقة عذبة تنطق عن سلامة الملكة وقوتها

وأما معانيه صلوات الله عليه فهي الحكمة الصادقة والآداب الرفيع والحق المنزه عن الريب والهدى والنور والرأى الناضج والبصيرة النافذة والألهام الذى وهبه الله أياه

وأما موضوع حديثه وكلام صلوات الله عليه فهو :

١ — تبليغ الدعوة وتأيد الرسالة والدعوة إلى الدين الحق الخالد الذى لا ريب فيه

٢ — شرح القرآن والإرشاد إلى أحكامه وعبره وعظائمه

٣ — تشريع النظم الاجتماعية والسياسية والعبادات الدينية لخير الفرد والمجتمع والامة والانسانية

٤ — النعمى على المشركين وتقبيح ما هم فيه من عناد وضلال وبهتان وتوجيه عقولهم وأربابهم بأبلغ بيان وأقوم حجة إلى الدين الحق والمحجة الواضحة

٥ — تقرير الايمان بالانبياء والمرسلين والملائكة واليوم الآخر إلى غير ذلك من شتى الموضوعات النبيلة والأغراض السامية التى دعا إليها الرسول الكريم ، والتى هى من خصائص بلاغته صلى الله عليه وسلم ولا بدع فى كل ذلك ، فيلاده صلى الله عليه في بلاد العرب ونشأته فى مكة ؛ وانحداره من قريش أبلغ العرب وأفصحهم ؛ وتربيته فى بنى سعد ، ومخالطته للعرب فى مواسم الحج ورحلات التجارة ؛

وتمكن البلاغة والطبع والملسكة من نفسه ؛ والماوقف الفذة الخالدة التى شهدها الرسول صلى الله عليه وسلم من الحرب ومشاهد الدعوة والغزوات والخطابة فى الوفود وفى أنصار الرسالة والمسامه باغات العرب ولهجاتهم إلى غير ذلك ، كله من بواعث البلاغة واسباب الفصاحة فى نفسه وحياته صلوات الله عليه منزلة الحديث النبوى فى البلاغة

وحديث رسول الله أفصح كلام العرب وأبلغ بيانهم وهو يلى فى المنزلة الادبية كتاب الله الحكيم

وسمو الروح وجلال الغاية وعظمة النفس واكتمال الشخصية وحرارة العقيدة وقوة العاطفة وتأجج الشعور وكهولة الرأى والتفكير والتجربة والفهم والادراك الصحيح كل ذلك بعض أسباب هذه المنزلة الرفيعة السامية التى وضع فيها الحديث النبوى الشريف ، والذى اصبح ميراثا خالدا فى البيان العربى بصنعتة المحكمة وطبعه القوى وصقله البديع ولفظه المونق وحكمته الناصعة ، بما بهر العرب ، فعبجزوا عن الاتيان بمثل بلاغته صلوات الله عليه .

أثر الحديث فى اللغة والادب :

أما أثر الحديث النبوى فى اللغة فنبتلخص فيما يأتى

١ — أدخل الرسول صلى الله عليه كـثـيـرا من التراكيب البيانية الجديدة في اللغة العربية بما سبق ذكره

٢ — وزاد فيها ألفاظا جديدة ، كتسميته « صفرا الاول ، محرما ، وكلفظ الزمارة للزانية ، التي وردت في حديث أبي هريرة « إن النبي نهى عن كسب الزمارة ، وكلمة الصير بمعنى الشق في قوله صلى الله عليه وسلم ، « من اطلع من صير باب فقد دمر ،

وللحديث الشريف أثر في توسيع معاني بعض الألفاظ واشتقاق أخرى ، مما لا داعي للأفاضة فيه

٣ — وساعد على توحيد لهجات العربية وعلى ذبوعها وخلودها فهو متمم للقرآن الكريم في هذا السبيل .

٤ — وكان محورا لعلوم دينية وعربية كثيرة وضعت لدراسة الحديث النبوي الشريف .

أما أثر الحديث في الأدب فيمكننا إيجازه فيما يلي :

١ — ساعد الحديث الشريف على تهذيب الالسنه ، وثقيف الطباع ، والقضاء على عهد الحوشية والغرابه والمعازلة والتعقيد في البيان ؛ وأحل محل ذلك السلاسه والسهولة والرونق والوضوح وسلامة الأسلوب والبيان

٢ — قضى على سجع الكهان ، ورفع منزلة النثر ، وهذب أغراض الأدب وفنونه

٣ — وقد خلد الحديث على مر الأيام والأجيال وأصبح موردا عذبا من الثقافة الأدبية على توالى العصور (١)

(١) راجع : أو ابد رسول الله وبلاغته في البيان والتبيين ص ٢٧ > ٢ وفي مصادر كتب الأدب والحديث ، وراجع أمثال رسول الله في العقد ص ٥٧ ج ٢

وراجع مقاله الزبير بن عبد المطلب في وصف ابن أخيه محمد صلوات الله في الإنمالي ١١٥ / ٢

الرسول والشعر

١ - كان صلى الله عليه وسلم يعرف منزلة الشعر ومكانته عند العرب ويقدره فقرب إليه الشعراء وكافأهم وسمع لهم وامتنشدهم ، بل اتخذ له شعراء يؤيدون الدعوة ويهجون خصومها وأمرهم بقول الشعر ودعاهم بتأييد الله . وذلك واضح مشهور

٢ - وكان صلى الله عليه وسلم عليماً بالشعر وروايته ونقده ، ومن أولى منه بذلك وهو أفصح العرب وأصحهم ملكة وفطرة ؟

٣ - ولا نغنى به - إذا أنه كان يقول الشعر فإن الله عز وجل نزّهه عن قوله ونفى عنه أن يكون قد علمه إياه

٤ - والروايات كثيرة في إعجاب الرسول بالشعر وفهمه له واستنشاده إياه

وسمّاه من الشعراء ومكافأته لهم ، وكان عصر الرسول صلى الله حافلاً بالشعراء والبلغاء والخطباء والفصحاء

يقول أنس بن مالك : قدم علينا الرسول المدينة وما في الانصار بيت إلا وهو يقول الشعر (١) . وكان شعراؤه (ص) : حسانا وكعبا وابن أبي رواحة (١) وقال المفضل . ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا وقد قال الشعر وتمثل به (٢)

ويقول الجاحظ : وكان لرسول الله شعراء يناخون عنه وعن أصحابه بأمره وكان ثابت بن قيس خطيب رسول الله (٣)

(١) ٣٨٨ / ٣ العقد

(٢) ١٩ جمهرة أشعار العرب

(٣) ١٤٧ / ١ البيان

وقال صلى الله عليه وسلم . إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا (١).
وقال . الشعر كلام جزل تنكلم به العرب في نواديها وتسئل به الضغائن
بينها (٢)

وموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعر والاعجاب به ومكافأة الشعراء
وخدمهم وتوجيههم كثير (٣)

وموقف الرسول صلوات الله عليه من حسان ودعاؤه له . معروف (٤)
وأنشد كعب بن زهير أمامه مدحته وغزله (٥) وكافأه الرسول حيث كساه
بردا (٦)

ومدحه عباس بن مرداس فكساه الرسول حلة (٧)
واقراً قصة وفود النابغة الجعدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨)
ففيها تصوير لمدى إعجاب الرسول بالشعر وتقديره للشعراء
وأذن الرسول لحسان بهجاء قريش (٩) وسمع شعر عمرو بن سالم الخزاعي يمدح
فيه رسول الله ويستنصره على قريش الذين اعتدوا على خزاعة - حلفاء الرسول
بعد الهدنة بين قريش ورسول الله (١٠)

-
- (١) ١٤ الجهرة في أشعار العرب ط ١٩٢٦
(٢) ١٤ الجهرة ، ١٠ > ١ المدة ط ١٩٢٥
(٣) راجع ٣٨٢ - ٣٨٧ / ٣ النقد الفريد ، والجزء الأول من العمدة
لابن رشيق ، ١٢ وما بعدها من دلائل الإعجاز
(٤) راجع ٩٠ / ٤ العقد ، ٣٨٤ / ٢ أيضاً ١٤ الجهرة
(٥) ٣٩١ / ٣ العقد (٦) ٢٩٣ / ٣ العقد ، ٢٥ و ١٦ الجهرة
(٧) ٣٩٣ و ٤٠١ / ٣ العقد
(٨) ١٨٦ > ١ العقد ، ١٦ الجهرة
(٩) ٣٩٥ / ٧ العقد ، ٩٠ / ٤ أيضاً ، و ١٤ جهرة أشعار العرب
(١٠) ١٦ الجهرة

ووفد قرّة العامري على رسول الله وأسلم خبّاه وكساه بردين وحمله على فرس واستعمله على قومه فذكر ذلك قرّة في قصيدة طويلة (١)

ووفد عليه صلى الله عليه قيس بن عاصم التميمي (٢)
واستشهد رسول الله (ص) الشريد من شعر أمية مائه قافية وهو يقول :
هيه ، استحسنانا لها (٣)

وأنشد الرسول بيت طرفه . « ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ، ، فقال .
هذا من كلام النبوة (٤)

وأنشدت عائشة أمام الرسول شعرا لزدير بن جناب فيه حكمة ، فقال لها (ص)
صدق (٥)

وأنشدت عائشة أمامه شعرا فيه حكمة (٦)
ولما سمع صلى الله عليه وسلم شعر قتيلة أخت النصر بن الحارث بن كدة لما قتله
في غزوة بدر قال . لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلت (٧)
ويذكر عبد القاهر في دلائل الإعجاز كثيرا من الرويات التي تدل على رعاية
الرسول صلى الله عليه للشعر وإعجابه به ومكافأته عليه
ولعبد القاهر في هذا المجال كلام كثير خلاصته :

- ١ — أن الرسول إذا كان قد روى عنه بعض الآثار في التنفير من الشعر فانما
كان يعنى بذلك الشعر الذي يخاصم الدعوة وينهج نهجا هو خلاف مبادئها العالیه
- ٢ — أن الرسول له مواقف كثيرة في استحسان الشعر والارتياح لسماعه
واستشاده والأمر به

(١) ١٧ الجمهرة (٢) ١٧ و ١٨ الجمهرة

(٣) ٩٠ > ٤ العقد الفريد لابن عبد ربه

(٤) ٣٨٠ / ٣ المرجع

(٥) ٣٨٢ و ٣٨٣ / ٣ المرجع

(٦) ١٤١ ج ١ العقد

(٧) ٩ و ١٠ / ١ الأغاني طبع

٣ — وكان عليه السلام ذا علم بالشعر وروايته، الى آخر ما كتبه عبد القاهر في هذا الباب

ولا يفيض من الشعر أن الله عز وجل يقول في نبيه ﷺ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، لأن حكمة ذلك واضحة وهي .

١ — دفع الشبه عن القرآن وتنزيهه عن الشعر

٢ — أن الرسول كان في شغل بعظائم الأمور وهداية الإنسانية وبث كلمة الإسلام والسلام في الأرض

٣ — أنه لم يخلق شاعرا وإنما خلق مفكرا ومصلحا وزعيما روحيا للبشرية كافة

٤ — أن الشعر على ما كان عليه في عصر النبوة ووفق منهج الجاهلين فيه من الفجور والكذب والمبالغة والنفاق لا يليق بالنبى ولا ينبغي له

وهذا كله على أى حال لا يضيع من منزلة الشعر وليس معناه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ينهى عن قوله

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهجون نهجه ويقفون موقفه حيال الشعر والأدلة على ذلك كثيرة

ويقول ابن رشيقي : وليس من بنى المطلب رجالا ونساء من لم يقل الشعر حاشا النبي ^(١) : ويقول في العباس بن عبد المطلب : وكان شاعرا مفلحا حسن التهدي ^(٢)

وتقول عائشة : علموا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم ^(٣) . ويقول المقداد بن الأسود : ما كنت أعلم أحدا من أصحاب رسول الله أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة ^(٣) وكانت تروى ألف بيت للبيد وهل أقل ماتروى لغيره ^(٣)

(١) ١ / ١٥ العمدة ط ١٩٢٥

(٢) ٩٠ / العقد

(٣) ٣ / ٢٨٢ المرجع

وكان أبو بكر ذاحق بالشعر ونقده روى عنه أنه قدم النابغة وقال : هو
أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبعدهم قعرا (١)
وكان علي ناقدًا ، روى عنه أنه فضل أمراً القيس وقال فيه :
رأيت أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة وأنه لم يقل لرغبة ولا لرغبة (٢)
وعمر بن الخطاب وعلمه بالشعر ونقده له وبصره به وحكمته بين الشعراء ؛
كل ذلك مشهور وسيأتي

(١) ٢٩٧ / ٢ المزهر

(٢) ٢٩٧ / ٢ المزهر

النثر الفنى فى عصر صدر الاسلام

نماذج له .

١ روى عن عبدالله بن عباس رضوان الله عليهما قال : وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان ^(١) بن بدر بن عمرو بن (١) الالهتم فقال الزرقان : يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجانب منهم آخذ لهم بحقهم وأمنعهم من الظلم وهذا بعلم ذلك ؛ (يعنى عمرا) فقال عمرو : أجل يا رسول الله . لأنه مانع لحوزته (٣) مطاع فى عشيرته شديد العارضة ^(٤) فيهم . فقال الزبرقان : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدى شرفى . فقال عمرو : أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضيق العطن ^(٥) زمن ^(٦) المروءة أحق الأب لئيم الخال حديث الفنى ، فرأى الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال : يا رسول رضىت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أفجع ما علمت وما كذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الثانية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة .

- (١) الزبرقان هو حصين بن بدر التميمى ولاء رسول الله صدقات قومه وأقره أبو بكر وعمر على ذلك وقد وهم صاحب لسان العرب فنسبه الى فزارة .
- (٢) عمرو بن الالهتم : سيد من سادات تميم وهو القائل :
- ذرينى فان اليخل يأثم مالك لصالح أخلاق الرجال سروق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق
- (٣) الحوزة : الناحية . وفلان مانع لحوزته . أى يحمى حماه .
- (٤) رجل شديد العارضة . ذو جلد وصرامة .
- (٥) العطن . مبرك الإبل حول الحوض . ورجل رحب العطن . كثير المال واسع القدرة وضيق العطن عكسه
- (٦) الزمن : المضارب بعاهة لا يرجى زوالها ، ورواية الميدانى زمن المروءة والزمر القليل المروءة

ورواه أبو القاسم الزجاجي : وإن من الشعر لحكماً . قال : ووجهه عندي أن من الشعر ما يلزم القول فيه كزوم الحكم للمحكوم عليه إصابة للمعنى وقصدا للصواب .

٢ — قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أَدب به أمته وحضها عليه من مكارم الأخلاق وجميل المعاشرة وإصلاح ذات البين وصلة الأرحام : أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها : أوصاني بالإخلاص ^(١) في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد ^(٢) في الغنى والفقر وأن أعفو عمن ظلمني وأعطى من حرمني وأصل من قطعني وأن يكون صمتي فكراً ^(٣) ونطقي ذكراً ^(٤) ونظري عبداً ^(٥)

٣ — ومن حكمه صلى الله عليه وسلم نهيتكم عن قيل وقال ^(٦) وإضاعة المال وكثرة السؤال . وقال : اليد العليا خير من اليد السفلى ^(٧) . المرء كثير بأخيه ^(٨) استعينوا على حوائجكم بالكتمان ^(٩) أفضل الأصحاب من إذا ذكرت أعانك وإذا نسيت ذكرك ^(١٠) . لو تكاشفتهم ما تدافنتم وما هلك امرؤ عرف قدره ^(١١) . رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم . حصنوا أموالكم بالزكاة ^(١٢) . العلماء ورثة الأنبياء ^(١٣) . الخمر مفتاح كل شر . اتقوا دعوة المظلوم فانهما لينة الحجاب ^(١٤) .

-
- (١) أن يكون باطنك كظاهرك (٢) الاقتصاد
(٣) لا أَدَاع التفكير عند السكوت (٤) أتكلّم بالحكمة والاعتبار
(٥) أعتبر بما أراه (٦) مالا طائل تحته من الكلام
(٧) المعطى خير من الآخذ (٨) الصحبة قوة
(٩) لا تفش أمرك فيقضى (١٠) يعني يعينك على كل حال
(١١) لو علم بعضكم سريرة بعض لما كان هناك داع إلى التكتام ومن عرف قدره جانبه الهلاك

(١٢) الزكاة صون للاموال

(١٣) لانهم يرشدون الناس ويهدونهم الصراط المستقيم

(١٤) تبلغ إلى الله تعالى

جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها . احذروا من لا يرجي خيره ولا يؤمن شره ^(١) . زرغبا تزدد حبا . ما عال من اقتصد ^(٢) . خير الأمور أوسطها . إياك وما يعتذر منه . كل ميسر لما خلق له . الوحدة خير . من جليس السوء . المستشير معان والمستشار مؤتمن ^(٣) . أنزلوا الناس منازلهم . إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه

٤ — تأييد أبي بكر الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى ^(٤) بثوب فكشف عنه الثوب وقال : بأبي أنت وأمي ! طبت حيا وطبت ميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فمظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت معلقة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لموتك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفذنا عليك ماء الشئون ^(٥) فأما ما لا نستطيع نفيه عنا ^(٦) فكمد وإدناف يتحالفان ولا يبرحان . اللهم فأبلغه عنا السلام اذكرنا يا محمد عند ربك ولذكن من بالاك ، فلولاما خلفت من السكينة لم نغم لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا

٥ — تأييد السيدة عائشة لأبيها

لما توفي أبو بكر رضى الله عنه وقفت السيدة عائشة على قبره وقالت . نضر

(١) فان ضرره متوقع على كل حال ولا خير فيه

(٢) من استعمل الاقتصاد لا يفتقر

(٣) الشورى يتقوى بها المستشير والمستشار لا ينبغي أن يغش

(٤) مسجى الميت : غطاء .

(٥) الشئون . جمع شأن وهو مجرى الدمع الى العين :

(٦) الكمد . الحزن الشديد ، والإدناف : ثقل المرض

الله وجهك يا أبت وشكر لك صالح سعيك؛ فلقد كنت للدينا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا بأقبالك عليها، واثن كان أجل الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك وأعظم المصائب بعدما فقدك، ان كتاب الله ليغد بحسن الصبر عنك حسن العوض عنك. وأنا أستنجز موعود الله تعالى بالصبر فيك واستقصيه بالاستغفار لك.

٦ - الأحنف بين يدي عمر :

وقدم الأحنف بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أهل البصرة وأهل الكوفة. فتكلموا عنده في أنفسهم وما ينوب كل واحد منهم وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية والملوك الجبارة ومنازل كسرى وقيصر وبني الأصفر ^(١) ؛ فهم من المياه العذبة والجنان المختلفة في مثل حواء السلي ^(٢) وحادقة ^(٣) البعير تأتيم ثمارهم غضة لم تخصر ^(٤) . وإنا نزلنا أرضا طرف في فلاة وطرف في ملح أجاج ، جانب منها منابت القصب وجانب سبخة نشاشة ^(٥) لا يحف ثراها ولا ينبت مرعاها. يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنق ^(٦) لولدها ترنيق العنز تخاف عليه العدو والسبع فألا ترفع خسيستنا وتنعش ^(٧) ركبنا

(١) بنو الأصفر عند العرب : هم الروم .

(٢) السلي : غلاف رقيق يكون فيه المولود . والحولاء . جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد ، وهذا يكون به عن الخصب وكثرة الماء والخضرة

(٣) قال في اللسان . وفي حديث الأحنف نزلوا في مثل حادقة البعير أى نزلوا

في خصب وشبهه بحدقة البعير لانهاريا من الماء .

(٤) خصر : برد

(٥) أرض سبخة نشاشة . لا يحف ثراها ولا ينبت مرعاها

(٦) رنق الماء : صفاه

(٧) نعشه ، رفعه كانهشه ، والركيسة . الضعيفة

ونجبر فاقتنا وتزد في عيالنا عيالاً وفي رجالنا رجالاً تصغر درهمنا وتأمر لنا بحفر
بئر نستعذب به الماء هلكنا ، فقال عمر : هذا والله السيد

٧ — اسلام أبي ذر *

قال أبو ذر ^(١) : كنت رجلاً من غفار ، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة
يزعم أنه نبي ، فقلت لأخي : انطلق إلى هذا الرجل وكله . وأتني بخيره ، فانطلق
فلقيه ، ثم رجع ، فقلت : ما عندك ؟ فقال : والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير ،
وينهى عن الشر ، فقلت له : لم تشفني من الخبر !
فأخذت جراباً وعصاً ، ثم أقبلت إلى مكة ، فجعلت لا أعرفه ، وأكره أن
أسأل عنه ، وأشرب من ماء زمزم ، وأكون في المسجد ، فمر بي علي ، فقال :
كان الرجل غريب ؟ قلت : نعم ! فانطلق إلى المنزل وانطقت معه لا يسألني عن
شيء . ولا أخبره .

فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه ، وليس أحد يخبرني عنه بشيء ،
فمر بي علي ، فقال . أما آن للرجل أن يعرف منزله بعد ؟ قلت . لا ، قال . انطلق
معي ، ثم قال . ما أمرك ؟ وما أقدمك هذه البلدة ؟ فقلت له إن كنت علي
أخبرتك أقال . فاني أفعل ، قلت له : بلغنا أنه قد خرج هاهنا رجل يزعم أنه
نبي ، فأرسلت أخى ليكلمه ، فرجع ولم يشفني من الخبر ، فأردت أن ألقاه ،
فقال ، أما إنك قد رشدت ، هذا وجهي إليه فاتبعني ، ادخل حيث أدخل ، فاني
إن رأيت أحداً أخافه عليك قتت إلى الحائط كيأني أصلح نعلي ، وامض أنت
ففضي ومضيت معه حتى دخل ، ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم ،
فقلت له : اعرض علي الإسلام ، فعرضه ، فأسلمت مكاني ، فقال لي . يا أبا ذر ،

* الزبيدي ص ٥٤ ج ٢ ، وقصص العرب

(١) هو من غفار ، وهي قبيلة من كنانة ، وأسلم أبو ذر بمكة ولم يشهد بدرأ
ولا أحداً ولا الخندق ، لأنه حين أسلم رجع إلى بلاد قومه ، حتى مضت هذه
المشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بالربذة سنة ٣٢ هـ

اكتبتم هذا الامر ، وارجع إلى بلدك ، فاذا بلغك ظهورنا فأقبل ، فقلت : والذي بعثك بالحق لأصرخن به بين أظهرهم .

فجاء إلى المسجد ، وقريش فيه ، فقال ، يامعشر قريش ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابي^(١) فقاموا فضربت لأموت ، فأدركني العباس ، فأكب على ، ثم أقبل عليهم ، فقال ، ويلكم تقتلون رجلاً من غفار ومتجر كم ومركم على غفار ! فأقلعوا عني فلما أن أصبحت في الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس ، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابي ، فصنع بي مثل ما صنع بالأمس ! وأدركني العباس ، فأكب على ، وقال مثل مقالته بالأمس !

٨ - وفاة النبي (٢) .

قال أبو ذؤيب (٣) الهذلي . بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ، فأرجس أهل الحى خيفة عليه ، فبت بلبلة ثابتة النجوم ، طويلة الأناة ، لا ينجاب ديجورها^(٤) ، ولا يطلع نورها ! حتى إذا قرب السحر ، غفوت ، فنهفت لى هاتف يقول .

خطب أجل أناخ بالإسلام بين النخيل ومعقد الآطام^(٥)
قبض النبي محمد فعيوننا تدرى الدموع عليه بالتسجام^(٦)
فوثبت من نومي فزعا ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سعد الذابح ، فتفاءلت

(١) صبا ، خرج من دين إلى دين ،

(٢) بلوغ الأرب ص ٣١٥ ج ٣ ، نهاية الأدب ص ١٤٢ ج ٣ ، معاهد

التنصيص ص ١٩٣ ج ١

(٣) أبو ذؤيب الهذلي شاعر مقدم من شعراء هذيل ، كان في جنود عبد الله

بن سعد حينما فتح إفريقيا وعاد إلى مصر ومات بها .

(٤) الديجور : الظلام .

(٥) الآطام : القصور وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع السطح جمعه آطام

(٦) سجم الدمع : قطر وسال قليلا أو كثيرا

به ذبحاً يرفع في العرب ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات ، أو هوميت عن علته .

فركبت ناقتي وسرت حتى أصبت فطلبت شيئاً أزجره ، فعن لي شيهم ^(١) قد أرم ^(٢) على صل ^(٣) ، وهو يتلوى ، والشيهم يقضمه حتى أكله ، فزجرت ذلك شيئاً مهماً ، فقلت : تلوى الصل : انفتال ^(٤) الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت أكل الشيهم لإياه : غلبة القائم على الأمر

فجئت ناقتي حتى إذا كنت بالعلية ^(٥) زجرت الطير فأخبرني بوفاته ونعب ^(٦) غراب سانحاً بمثل ذلك : فتعوذت من شر ما عن لي في طريقي ، ثم قدمت المدينة ، ولا ملها ضجيج كضجيج الحجيج ، أهلوا جمعاً بالإحرام ، فقلت : مه ! قالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت المسجد . فأصبت خالياً ، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبت بابه مرتجاً ^(٧) ، وقد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس ؟ فقيل : في سقيفة بني ساعدة . صاروا إلى الانصار .

فجئت السقيفة فوجدت أبا بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، وأبا عبيدة وسالمًا وجماعة من قريش ، ورأيت الانصار فيهم سعد بن عباد ومعه شعراؤهم ، وأمامهم حسان بن ثابت ، وكعب : في ملائمتهم ، فأويت إلى الانصار ، فتكلموا فأكثروا ، وتكلم أبو بكر ، فله من رجل لا يطيل الكلام ، ويعلم مواضع الفصل .

(١) الشيهم : ذكر القنافذ (٢) أرم عليه : عض

(٣) الصل ، الحية (٤) انفتل عن الشيء ، انصرف

(٥) عليه القوم : حلتهم

(٦) نعب الغراب : صاح . والسانح : ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر

أو غير ذلك . والعرب تختلف في العياقة ، فمنهم من يتبع بالسانح ويتشام بالبارح ومنهم من يخالف ذلك

(٧) أرتج الباب : أغلقه .

والله لقد تكلم بكلام لم يسمعه سامع إلا انقاد له ، وما ل إليه . وتكلم بعده عمر رضى الله عنه بكلام دون كلامه ، ومد يده فبايعه ، ورجع أبو بكر رضى الله عنه ، ورجعت معه ، فشهدت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت دفنه !

٩ — وصف عمر :

قال معاوية بن أبي سفيان لصنعة بن صوحان : صف لى عمر بن الخطاب فقال كان عالما برعيته ، عادلا فى قضيته ، عاريا من الكبر ، قولا للعدر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحريرا للصواب ، رفيقا بالضعيف ، غير محاب للقريب ، رلا جاف للغريب

١٠ — وصف على :

قال معاوية لضرار الصدائى : يا ضرار صف لى عليا ، قال : أعفى يا أمير المؤمنين قال : لتصفه قال : اما اذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى ^(١) شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه ، يهجه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحد دنا يحببنا اذا سألناه وينبئنا اذا استبأناه ونحن مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ولا نبتدئه لعظمته ، يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا يهش الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيت فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ^(٢) وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ يتململ السليم ^(٣) ويكى بسكاء الحزين ويقول : يا دنيا اليك عنى ، غرى غرى . ألى تعرضت أم الى تشوقت ؟

(١) المدى ، الغاية (٢) السدول جمع سدول وهو السر

(٣) السليم : الملسوع وانما سمي كذلك تفاؤلا له بالسلامة كما سميت البيداء

مفازة مع أنها مهلكة

هيات هيات ا قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير ، وخطرك ^(١) حقير ؛
وخطبك ^(٢) يسير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق
فبكى معاوية حتى أخضلت ^(٣) دموعه لحيته وقال : رحم الله أبا الحسن فلقد كان
كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحدا في حجرها

١١ — وللحسن بن علي رضي الله عنهما المتوفى سنة ٤٩ هـ

أيها الناس نافسوا في المسكارم وسارعوا في المغانم ولا تحتسبوا بمعروف لم
تعجلوه ^(٤) ولا تكسبو بالمطل ذما ^(٥) واعلموا أن إخوانج الناس من نعم الله
عليكم فلا تملوا النعم فتحول نقما ، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه ، وإن
أعقى ^(٦) الناس من عفا عن قدرة ومن أحسن أحسن الله إليه والله يحب المحسنين

١٢ — وقال :

لا تتكلف ما لا تطيق ولا تعرض لما لا تدرك ولا تعد بما لا تقدر عليه
ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت ولا تفرح
إلا بما نلت من طاعة الله تعالى ولا تناول إلا ما رأيت نفسك أهلا له

١٣ — والامام علي كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ

أيها الناس احفظوا عني خمسا فلو شددتم إليها المطايا حتى تنضوها ^(٧) لم تظفروا
بمثلها ألا لا يرجون أحدكم إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحي أحدكم إذا
لم يعلم أن يتعلم وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، ألا وإن الخامسة الصبر فإن
الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، من لا صبر له لا إيمان له ، ومن
لا رأس له لا جسد له ولا خير في قراءة إلا بتدبر ولا في عبادة إلا بتفكر ولا

(١) الخطر ، القدر والمنزلة (٢) الخطب ، الشأن

(٣) أخضله ، بله

(٤) أي لا تعدوا بمعروف صنعتموه متأخرا

(٥) أي لا تماطلوا فزدموا

(٦) أعظمهم عفوا ^(٧) تنهكوها

فى حلم إلاً بعلم، ألا أنبشكم بالعالم كل العالم من لم يزىن لعباد الله معاصى الله ولم يؤمنهم مكره ولم يزيسهم من روحه (١)

١٤ — وله :

البشاشة حبلى الوداد (٢) والاحتمال قبر العيوب (٣) احذروا صولة (٤) الكريم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبع ، من نصب نفسه إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وإيكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بأسانه

١٥ — وله كرم الله وجهه إلى الحسن

يابنى اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك ولا تقبل مالا تعلم وكل ما تعلم ولا تقبل مالا تحب أن يقال لك ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً واعلم أن حفظ ما فى يدك أحب إلى من طلب ما فى يد غيرك ولا تأكل من طعام ليس لك فيه حق فبئس الطعام الحرام وجد فى تحصيل معاشك وإياك والاتكال على المني فانها بضائع النوكى (٥)

١٦ — وله كرم الله وجهه فى الحكم :

البخل عار والجبن منقصة والفقر يخرس الفطن عن حجته (٦) والمقل (٧) غريب فى بلدته والعجزة آفة والصبر شجاعة والزهد ثروة والورع جنة (٨) نعم القرين الرضا والعلم ورائة كريمة والأدب حلل مجددة (٩) والفكر مرآة صافية (١٠)

(١) يقطع أمهم من رحمته

(٢) طلاقة الوجه تجذب المحبة

(٣) من احتمل المسكاره من غيره فقد دفن معاييه (٤) بطشه

(٥) الحق (٦) أى يعجزه عن أقامتها

(٧) الماء دم (٨) وقاية (٩) حلل لاتبلى

(١٠) يرى به الانسان عواقب الامور والقصد التفسكر فى الاشياء قبل مباشرتها

إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ^(١) ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه إن ملاك العقل ومكارم الأخلاق صون العرض وأداء الفرض والوفاء بالعهد والانجياز للوعد

١٧ — وله كرم الله وجهه ينصح عامله بالبصرة

دع الاسراف مقتصدا واذكر في اليوم غدا وامسك من المال بقدر ضرورتك (٢) وقدم الفضل ليوم حاجتك أترجوا أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين وتطمع وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة (٣) أن يوجب الله لك ثواب المتصدقين وإنما المرء مجزى بما أسلف وقادم على ما قدم والسلام

١٨ — ومن حكم الرسول :

رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم . التمسوا الرزق في خبايا الأرض . ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفقيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت . الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله . جمال الرجل فصاحة لسانه . الجبان محروم . العالم والمتعلم شريكان في الخير .

ومن حكم سيد أبي بكر الصديق

صنائع المعروف تقي مصارع السوء . ليست مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة . ثلاث من كن فيه كن عليه : البغي والنكث والمكر .

(١) المقصود أن الانسان بعمله لا ينسبه

(٢) بمعنى احفظ لنفسك من مالك ما تصرفه في حاجات معيشتك وتصدق بالباقي

ينفعك في المسأب يوم تحتاج فيه إلى ما يزيد في حسناتك لتمحى سيئاتك

(٣) المحتاجة المسكينة (٤) وذلك انما يكون بحرثها وتقليبها للزراعة

كثير القول ينسى بعضه وإمّا لك ما وعى عنك .

ومن حكم سيدنا عمر بن الخطاب

من كنتم سره كان الخيبار في يده . أشقى الولاة من شقيت به رعيته .
لا يمكن حبك كلفاً ^(١) ولا بغضك تلفاً من يعرف الشركان أجدر أن يقع
فيه . أعقل الناس أذهرهم للناس ؛ لا تؤخر عمل يومك الى غـدك أبت
الدرهم إلا أن تخرج أعناقها من يثس من شيء استغنى عنه
ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن ^(٢) أنتم الى إمام فعال
أحوج منكم الى إمام قوال يكفيك من الحاسد أنه يغم وقت سرورك |

ومن حكم سيدنا علي

رأى الشيخ خير من مشهد الغلام ، الناس أعداء ما جهلوا ، الناس من خوف
الذل في الذل ، الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو ، اذا قدرت على عدوك فاجعل
العفو عنه شكراً للقدرة عليه ، قيمة كل أمر ما يحسن ، المرء مخبوء تحت لسانه ،
استغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره ، وأحسن الى من
شئت تكن أميره ، خير أموالك ما كفاك وخير أخوانك من واساك ، الناس بزمانهم
أشبه منهم بآبائهم ، ما هلك أمرؤ عرف قدره ، من عذب لسانه كثر أخوانه ، بشر
مال البخيل بحادث أو وارث . بالبر يستعبد الحر . إعادة الاعتذار تذكير الذنب .
إذا تم العقل نقص الكلام . كثرة الوفاق نفاق ، وكثرة الخلاف شقاق . من
أكثر فكره في العواقب لم يشجع . الشرف بالعقل والآداب ، لا بالأصل والنسب .

(١) الكلف : فرط المحبة ،

(٢) يقول : ان الذين يرددون عن الشرور بواسطة القهر والحكم أكثر من
يرددون بواسطة الدين لأن الناس كما قيل عبيد العصا ، وإن الذين يؤثر فيهم
الوزاع الديني قليل جداً

أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع . قلب الأحق وراء لسانه ولسان العاقل وراء قلبه . يعيش البخيل في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء . الولايات مضامير ^(١) الرجال . الناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حسب أمه . من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه . الحرمان خير من الامتنان .

١٩ — استمناح أعرابي لسيدنا علي :

يروى أن أعرابيا وقف على علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال . إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك فان أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك وإن أنت لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك . فقال له علي : خط ^(٢) حاجتك في الأرض فاني أرى الضر عليك . فكتب الأعرابي على الأرض : . إني فقير . فقال علي : يا قنبر ^(٣) ادفع إليه حلتي الفلانية . فلما أخذها مثل بين يديه فقال . كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداء السهل والجبل لا تزهده الدهر في عرف بدأت به فكل عبد سيجزى بالذي فعلا فقال علي . يا قنبر أعطه خمسين دينارا ، أما الحلة فلمسألتك وأما الدنانير فلا أدبك .

(١) المضامير . جمع مضمار وهو الوقت أو الموضع الذي تضمّر فيه الخيل لأجل السباق .

(١) إنما دعاه إلى كتابة حاجته رفقا به وصيانة لما وجهه وتلك كانت عادته ، فقد ذكر صاحب العقد أنه رضى الله عنه . كما يقول لأصحابه من كانت له إلى منكم حاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة .

(٢) قنبر كجعفر : مولى علي وخادمه .

٢٠ — وهذه كلمة أديبة معزوة الى أبي بكر وعمر بعثا بها الى علي :

روى عن أبي عبيدة انه قال :

لما استقامت الخلافة لأبي بكر بين المهاجرين والأنصار ولحظ بعين الهيبة والوقار وان كان لم يزل كذلك بعد هنة كاده الشيطان بها فدفع الله عز وجل شرها ورحض عرها ويسر خيرها وازاح ضيرها ورد كيدها وقسم ظهر النفاق والفسوق من اهلها بلغ ابا بكر الصديق رضى الله عنه عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه تلكؤ وشماس وتهمهم ونفاس وكره ان يتأدى الحال وتبدو الداوة وتفرج ذات البين ويصير ذلك دربة لجاهل مغرور او عاقل ذى دهاء او صاحب سلامة ضعيف القلب خوار العنان دعانى فحضرتة وعنده عمر بن الخطاب وحده وكان يدمل ارضه بالسرجين وكان عمر قبساً له ظهيراً معه يستضىء برأيه ويستملى على لسانه ، فقال لى يا أبا عبيدة : ما ايمن ناصيتك وايمين الخير بين عينيك وعارضيك ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحووط والمحل المغبوط ، ولقد قال فيك فى يوم مشهود : ابو عبيده امين هذه الامة وطل ما اعز الله بك الاسلام واصلح فسادة على يديك ولم تنزل للدين ملجأ وللمؤمنين دوحاً ولا هلك ركناً ولاخوانك ردأ قد اردتك لامر له ما بعده خطره مخوف وصلاحه معروف ولئن لم يندمل جرحه بمسبك ولم تستجب حيثه لرقيتك فقد وقع اليأس وأعضل البأس واحتيج بعد ذلك الى ما هو امر من ذلك واعلق واعسر منه واغلق والله اسأل تمامه بك ونظامه على يديك فتأن له يا أبا عبيدة وتلطف فيه وانصح لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ولهذه العصاة غير آل جهداً ولا قال جداً والله كالك وكناصرك وهاديك ومبصرك وبه الحول والتوفيق ، امض الى على واخفض جناحك له واغضض من صوتك عنده واعلم انه سلاله ابي طالب ومكانه بمن قد فقدناه بالامس صلى الله عليه وسلم مكانه ، وقل له :

والبحر مغرقة والبر مفرقة والجو اكلف والليل اغلف والسماء جلواء والارض صلعاء والصعود متعذر والهبوط متعسر والحق رؤف عطوف والباطل شنوف عنوف والعجب قادح الشراب والضغن رائد البوار والتعريض شجار الفتنة والقعقة

ثموب العداوة وهذا الشيطان متكى على شماله متجبل بيمينه نافج حضنيه لاهله
 ينتظر الشتات والفرقة ويدب بين الامة بالشحناء والعداوة عناداً لله ولرسوله
 صلى الله عليه وسلم ولدينه ثالبا يرسوس بالفجور ويدلى بالغرور ويمنى اهل
 الشرور ويوحى الى اوليائه بالباطل والزور دأباله مذ كان على عهد ابينا آدم صلى
 الله عليه وسلم وعاده منه منذ اهاه الله عز وجل فى سالف الدهر لا ينجى منه
 الا بعض النواجد على الحق وغض الطرف عن الباطل ووطء هامة عدو الله وعدو
 الدين بالاشد فالاشد والاحد فالاحد واسلام النفس لله عز وجل فيما حاز رضاه
 وجنب سخطه ولا بد الآن من قول ينفع اذا ضر السكوت وخيف غبه ، ولقد
 اودك من أفاء ضالتك وصافاك من احيا مودته لك بعتابك وأراد الخير بك من
 أثر البقاء معك ما هذا الذى تسول لك نفسك ويدوى به قلبك ويلوى به عايك
 رأيك ويتخاوص دونه طرفك ويسرى فيه ظعنك وبتراد معه نفسك وتكثر معه
 صعداؤك ولا يفيض به لسانك أعجمة بعد إفصاح أتلبيس بعد ايضاح أدين غير
 دين الله عز وجل أخلق غير خلق القرآن أهدى غير النبى صلى الله عليه وسلم أمثلى
 يدب له الضراء او يمشى اليه الخمر أم مثلك ينقبض عليه الفضاء او يكسف فى عينه
 القمر ماهذه القعقعة بالشنان وماهذه الوعوعة باللسان انك جد عارف باستجابتنا
 لله عز وجل ولرسوله عليه السلام وخروجنا عن أوطاننا واموالنا واولادنا
 واحبتنا هجرة الى الله تعالى عز ذكره ولنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم فى زمان انت
 فيه فى كن الصبي وخدر الغرارة غافل عما يشيب ويريب لاتعى ما يراد ويشاد
 ولا تحصل ما يساق ويقاد سوى ما انت جار عايه الى غايتك التى اليها عدى بك
 وعندها حرج رحلك غير مجهول القدر ولا مجهود الفضل ونحن فى اثناء ذلك نعانى
 احوالا تزيل الرواسى ونقاسى احوالا تشيب النواصى خائضين غمارها راكبين
 تيارها تتجرع صابها ونشرح عيائها ونسوغ عباها ونحكم اساسها ونبرم امراسها
 والعيون تتحدج بالحسد والانوف تنطس بالكبر والصدور تستغرق بالغىظ
 والاعناق تتطاول بالفجر والشفار تشحن بالمكرو الارض تميد بالخوف ولا تنتظر
 عند المساء صباحا ولا عند الصباح مساء ولا تدفع فى نحر امرنا الا بعد ان

نحسو الموت دونه ولا نبليغ الى شئ الا بعد جرع الغصص معه ولا نقوم منآداً
 الا بعد الياس من الحياة عنده فادين في كل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالاب والام والخال والعلم والنشب والسبد واللبد والهلة والبله بطيب نفس
 وقرورعين ورحب اعطان وثبات عزائم وصحة عقول وطلاقة أوجه وذلاقة السن
 هذا الى خفيات اسرار ومكنونات اخبار كنت عنها غافلا ولولا حداثة سنك لم
 تكن عنها ناكلا كيف وفؤادك مشهوم وعودك معجوم وغيبك مخبور والقول
 فيك كثير والآن قد بلغ الله بك وارحص الخبير لك وجعل مرادك بين يديك
 وعن علم أقول ما تسمع فارتقب زمانك وفلص اليه أردانك ودع التجسس
 والتعسس لمن لا يضلع اليك اذا خطا ولا يترحزح عنك اذا عطا فالامر غرض والنفوس
 فيها مض وانك اديم هذه الامة فلا تحلم لجاجا وسيفها العضب فلا تنب اعوجاجا
 وماؤها العذب فلا تحل اجاجا والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 هذا الامر فقال لي يا ابا بكر هو لمن يرغب عنه لا لمن يرغب
 فيه ويجا حش عليه ولمن تضامل له لا لمن ينتفخ اليه ولمن
 يقول هو لك لا لمن يقول هو لي والله لقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في الصهر فذكر فتيانا من قريش فقلت أين أنت من على فقال إني لأكره
 لفاطمة مبيعة شبابه وحداثة سنه فقلت له متى كنفته يدك ورعته عينك حفت بهما
 البركة وسبغت عليهما النعمة مع كلام كثير خطبت به عاك ورغبته فيك وما كنت
 عرفت منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء فقلت ما قلت وأنا أرى مكان غيرك واجد
 رائحة سواك وكنت لك إذا ذاك خيراً منك الآن لي ولئن كان عرض بك
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنى عن غيرك وان كان قال فيك فما سكت
 عن سواك وان يختلج في نفسك شئ فـلم فالحكم مرضى والصواب مسموع
 والحق مطاع ولقد نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما عند الله عز وجل
 وهو عن هذه العصابة راض وعليها حذب يسره ما يسرها ويكيده ما كادها
 ويرضيه ما أرضاها ويسخطه ما أسخطها ألم تعلم أنه لم يدع احداً من أصحابه
 وخطائهم واقاربهم وشجرائه الا أبانه بفضيلة وخصه بمكرمة وافرده بخلافة لو

اصفقت الامة عليه لكان عنده أبايتها وكفالتها وكرامتها وغزارتها أظن أنه صلى الله عليه وسلم ترك الامة نشر اسدى بددا عدى عباها مباحلاً طلاً مفتحاً بالباطل مغبوة عن الحق لا ذائد ولا حائط ولا ساقى ولا واقى ولا هادى ولا حادى كلا والله ما اشتاق إلى ربه تعالى ولا سأله المصير إلى رضوانه حتى ضرب الصوى واوضح الهدى وامن المهالك والمطامح وسهل المبارك والمهايع وشدخ يافوخ الشرك باذن الله عز وجل وشرم وجه النفاق لوجه الله تعالى جده وجدع انف الفتنة فى ذات الله تبارك اسمه وتفل فى وجه الشيطان بعون الله جل ذكره وصدع بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل وبعد فهؤلاء المهاجرون والانصار عندك ومعك فى دار واحدة وبقعة جامعة إن استقالونى لك وأشاروا عندى بك فانا واضع يدى فى يدك وصائر إلى رأيهم فيك وإن تكن الأخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون وكن العون على مصالحهم والفتاح لمغالقهم والمرشد لضالهم والرادع لغاويهم فقد أمر الله عز وجل بالتعاون على البر وأهاب إلى التناصر على الحق ودعنا نقضى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل ونلقى الله عز وجل بقلوب سليمة من الضغن (وبعد) فالناس ثمانية فارق بهم واجن عليهم ولن لهم ولا تشق نفسك بنا خاصة فيهم واترك ناجم الحقد حصيداً وطائر الشر واقعاً وباب الفتنة غلقاً فلا قال ولا قيل ولا لوم ولا تبيع والله عز وجل على ما نقول وكيل وبما نحن عليه بصير .

قال أبو عبيدة : فلما تهيأت للنهوض قال لى عمر كن لدى الباب هنية فلى معك نصيب من القول فوقفت ولا أدرى ما كان بعدى إلا أنه لحقنى ووجهه يندى تهلاً وقال قل لعل :

• الرقاد محله واللجاج ملحمه والهوى مفحمه ومامنا أحد إلا وله مقام معلوم وحق مشاع أو مقسوم ونبا ظاهر أو مكتوم وان اكيس الكيسى من منح الشارد تألفاً وقارب البعيد تلفظاً ووزن كل أمرى بميزانه ولم يخلط خبره بعيانه ولم يجعل فتره مكان شبره ولا خيره مكان شره ولا خير فى معرفة مشوبة بنكرة ولا فى علم معتمل فى جهل ولسنا كجلدة رفع البعير بين العجان وبين الذنب

وكل صال فبناره وكل سبيل فالى قراره وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه
 الغاية لعى وشى وكلامها اليوم لفتق اوراق قد جدع الله بمحمد صلى
 الله عليه وسلم انف كل ذى كبر وقصف ظهر كل جبار وقطع لسان كل كذوب
 فإذا بعد الحق الا الضلال ما هذه الخنزوانة التى فى فراش رأسك وما هذا الشجا
 المعترض فى مدارج انفاسك وما هذه الوحرة التى اكلت شر اسيفك والقذاة التى
 اعثت ناظرك وما هذا الدخس والدس اللذان يدلان على ضيق الباع وخور
 الطباع وما هذا الذى لبست بسببه جلدة النر واشحات عليه بالشحناء والنكر
 لشد ما استسعيت اليها وسريت سرى ابن انقد اليها ان العوان لا تعلم الخزرة وان
 الحصان لا تكلم خبرة وما اخرج الفرعاء الى قال وما افقر الصلعاء الى حال لقد
 خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر محبس ليس لاحد فيه ملبس ... ولم
 يسير فيك قولاً ولم يستنزل فيك قرآناً ولم يجزم فى شأنك حكماً ولسنا فى كسروية
 كسرى ولا فى قيصرية قيصر انما ذلك لاخذان فارس وابناء الاصفر قوم جعلهم جزراً
 لسيوفنا وخزراً لرماحنا ومرمى لطعائنا وتبعاً لسلطاننا بل نحن فى نور نبوة وضياء
 رسالة وثمره حكمة وأثرة رحمة وعنوان نعمة وظل عصمة بين امة مهديّة بالحق
 والصدق مأوته على الفتق والرتق لها من الله عز وجل قلب ابى وساعد قوى
 ويد ناصرة وعين باصرة أظن ان أبا بكر الصديق وثب على هذا الامر مفتاتاً
 على هذه الامة خادعاً لها متسلطاً عليها أترأه امتلخ احلامها وأزاغ ابصارها وحل
 عقدتها واحال عقولها واستل من صدورنا حميتها وانتزع من اكبادها عصبيتها
 ونكث رشاءها وأنضب ماءها واضلها عن هداها وساقها الى رداها وجعل نهارها
 ليلاً ووزنها كيلاً ويقظها رقاداً وصلاحها فساداً إن كان هكذا ان سحره لمبين
 وان كيده لمبين كلا والله باى خيل ورجل وبأى سنن ونصل وبأى قوة ومنة
 وبأى ايد وشدة وبأى عشيرة واسرة وبأى تدرع وبسطة لقد اصبح عندك بما
 وسمته منيع العقبة رفيع العتبة لا والله ولكن سلا عنها فوهت اليه وتطامن لها
 فلصقت به ومال عنها فمالت اليه واشتمل دونها فاشتملت عليه حبة حباه الله بها
 وعاقبة بلغه الله اياها ونعمة سربله الله جمالها ويد أوجب عليه شكرها وامة نظر الله

به لها وإطال ما حلقت فوقه في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت
لقتها ولا يرتصد وقتها والله اعلم بخلفه وأرأف بعباده يختار ما كان لهم الخيرة
وانك بحيث لا يحجل موضعك من بيت النبوة ومعدن الرسالة وكهف الحكمة
ولا يجد حقلك فيما آتاك ربك ولكن لك من يراحك بمنكب اضخم من منكبك
وقرب امس من قربك وسن اعلى من سنك وشيبة اروع من شيبتك وسيادة لها
رق من الجاهلية وفرع في الاسلام والشرعية وهواقف ليس لك فيها من جمل ولا
ناقة ولا تذكر منها في مقدمة ولا ساقاة ولا تضرب فيها بذراع ولا اصبع ولا
تخرج بيازل ولا هبع فان عذرت نفسك فيما تهدر به شقشقتك من صاغيتك فاعذرنا
فيما تسمع منا في لين وسكون مما لا تبعده منه ولا تاضله عليه ولئن حدثت بهذا
نفسك ليتنخشن عليك ما ينسيك الاولى ويليليك عن الاخرى ولو علم من
عرضنا به بما في انفسنا له وعليه ولما سكنت ولا اتخذت انت وليجة الى بعض الارب.
فاما ابو بكر الصديق فلم يزل حبة سويداء قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلاقة
همه وعيبة سره ومنوى حزنه ومفزع رأيه ومشورته وراحة كفه ومرمق طرفه وذلك
كله بمحض الصادر والوارد من المهاجرين والانصار شهرته مغنية عن الدلالة عليه
ولعمري انك اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة لكنه اقرب قرابة
والقرابة لحم ودم والقرابة روح ونفس وهذا فرق قد عرفه المؤمنون وكذلك
صاروا اجمعين ومهما شككت فيه فلا تشك ان يد الله مع الجماعة ورضوانه لاهل
الطاعة فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع لك غدا والفظ من فيك ما تعلق
بلمهاتك وانفك سخيمة صدرك عن نفائك فان يكن في الامد طول وفي الاجل
فسحة فستأكله مريا او غير مري وستشربه هنيا ار غير هنى حين لا راد لقولك
الا من كان منك ولا تابع لك الا من كان طامعا فيك يمس إهابك ويفرى قادمك
ويزرى على هديك هناك تفرع السن من ندم وتجرع الماء بمزوجا بدم وحينئذ
تأسى على ماضى من عمرك ودرج من قومك فتود ان لو سقيت بالكساس التى
ايتها ورددت للحال التى استبريتها والله تعالى فينا وفيك امر هو بالغه وغيب هو
شاهده وعاقبة هو المجو لضرائها وسرائها وهو الولي الحميد الغفور الودود

قال ابو عبيدة رضى الله عنه : فشيت متزماً أتوجى كأما اخطو على أم رأسى
فرقاً من الفرقة وشفقاً على الامة حتى وصات الى على فى خلاء فأبثته بئى كله
وبرئت اليه منه ورفقت به فلما سمعها ووعاها وسرت فى اوصاله حمياها قال حلت
معلوطة وولت مخروطة حل لاحتلت التمس أدنى لها من ان اقول لعنا

احدى لياليك فهيسى هيسى لاتنعمى الليلة بالنعريس

نعم يا ابا عبيدة أكل هذا فى انفس القوم يحبون عليه ويضطبعون به قال ابو عبيدة
فقلت لا جواب لك عندي اما أنا قاض حق الدين ورائق فتق الاسلام للمسلمين
وساد ثلثة الامة يعلم الله ذلك من جلبلان قلبي وقرارة نفسى قال على رضى الله
عنه والله ما كان قعودى فى كسر هذا البنت قصداً للخلاف ولا انكاراً للمعروف
ولا زراية على مسلم بل لما وقذنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لم بفراقه
واودعنى من الحزن بفقدته وذلك انى لم اشهد بعده مشهداً الا جددلى حزناً وذكرنى
شجواً وان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره فقد عكفت على عهد
الله أنظر فيه وأجمع ما تفرق منه رجاء ثواب معد لمن اخلص عمله وسلم لعلمه
ومشيئة ربه على انى ما علمت ان التظاهر على واقع ولا عن الحق الذى سبق الى
دافع واذا قد أفهم الوادى بن وحشد النادى من اجلى فلا مرحباً بما ساء احداً من
المسلمين وفى النفس كلام لولا سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظى بخنصرى
وبنصرى وخضت لجنته بأخصى ومفرقى لكنى ما جم الى ان ألقى الله عز وجل
وعنده احتسب ما نزل بنى وانا اغاد الى جماعتكم ومبايع لصاحبكم وصابر على ما ساءنى
وسركم ليقضى الله امراً كان مفعولاً وكان الله على كل شىء شهيداً . قال ابو عبيدة :
فعدت الى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فنصصت القول على غرة ولم اختزل
شتاً من حلوه ومره وذكرت غدوه الى المسجد فلما كان صباح يومئذ وافى فخرق
الى أبى بكر فبايعه وقال خيراً ووصف جميلاً وجلس زميتاً وأستاذن للقيام ونهض
فشيعه عمر تكرمه له واستأثارة لما عنده فقال له على ما قعدت عن صاحبكم كارهاً له
ولا اتيتته فرقاً منه وما اقول ما اقول لعلة وانى لأعرف مسمى طرفى ومخطى قدمى
ومنزع قوسى وموقع سهمى ولكى قد ازمت على فأسى ثقة بالله فى الالبالة فى الدنيا

والآخرة ، فقال له عمر كفكف غربك واستوقف سربك ودع العصا بلحائها والدلاء
برشائها فانا من خلفها وورائها ان قدحنا اورينا وان متحنا اروينا وان جرحنا
ادمينا وان نصحننا اربينا ولقد سمعت اما ثيلك التي لغوت بها عن صدر أكل
بالجوى ولو شئت لقلت على مقاتلك ما اذا سمعته ندمت على ما قلته ، زعمت انك
قعدت في كسر بيتك لما وقذك به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقه افراق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقذك وحدك ولم يقذ سواك بل مصابه اعظم واعز
من ذلك فان من حق مصابه ان لا يصدع شمل الجماعة بكلمة لا عصام لها ولا
يزرى على اخبارها بما لا يؤمن كيد الشيطان في عقباها هذه العرب حولنا والله لو
تداعت علينا في مصبح يوم لم نلتق في ممسائه وزعمت ان الشوق الى اللحاق به كاف
عن الطمع في غيره فمن الشوق اليه نصره دينه وموازرة اولياء الله تعالى جده
ومعاوتتهم فيه وزعمت انك عكفت على عهد الله عز وجل تجمع ما تبدد منه فمن
العكوف على عهده النصيحة لعباده والرقبة على خلقه وبذل ما يصلحون به
ويرشدون اليه وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر عليك واقع ولك عن الحق الذي
سبق إليك دافع فأي تظاهر وقع عليك وأي حق لك ليط دونك وقد علمت
ما قالت الانصار لك بالامس سرأ وجهراً وما تقلبت عليه بطناً وظهراً فهل
ذكرتك أو أشارت بك أو وجدنا رضاها عنك هؤلاء المهاجرون من الذي قال
بلسانه تصلح لهذا الأمر أو اوما بعينه أو همهم في نفسه اتظن أن الناس قد ضلوا
من أجلك وعادوا كفاراً زهداً فيك وباعوا الله عز وجل ورسول الله صلى الله
عليه وسلم تحاملاً عليك لا والله ولكنك اعتزلت تنتظر الوحي وتكف مناجاة
المملك لك ، ذلك أمر طواه الله عز وجل بعد محمد صلى الله عليه وسلم اكان الأمر
معقوداً بانشوطة أو مشدوداً باطراف ليطه كلا والله أن الغيابة لمحقة وان الشجرة
لمورقة ولا عجماء بعد حمد الله إلا وقد فصحت ولا عجماء إلا وقد سمنت ولا
بلهاء إلا وقد فطنت ولا شوكاء إلا وقد نقحت ومن أعجب شأنك قولك لو لا
سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظي وهل ترك الدين لاحد من أهله أن يشفي
غيظه بيده ولسانه تلك جاهلية قد استأصل الله شأفتها ودفع عن الناس آفتها واقلع

جرثومتها وهو وليها وغور سيلها وأبدل منها الروح والريحان والهدى والبرهان وزعمت أنك ما جم فلعمري ان من اتقى الله عز وجل وآثر رضا وطاب ما عنده أمسك لسانه وأطبق فاه وجعل سعيه لما وراه. قال على رضى الله عنه: والله ما بذلت ما بذلت وأنا أريد نكته ولا اقررت وأنا أريد حولا عنه وأن أخسر الناس صفقة عند الله عز وجل من آثر النفاق واحتضن الشقاق وبالله سلوة من كل كارث وعليه التوكل في كل الحوادث ارجع يا ابا حفص نافع القلب فسيح البال مبرود الغايل فصيح اللسان فليس وراه ما سمعته وقلته إلا ما يشد الازر ويحط الوزر ويضع الاصر ويجمع الالفة ويرفع الكلفة ويوقع الزلفة بمعونة الله عز وجل وحسن توفيقه

٢١ — كتاب على إلى الاشر النخعي :

وكتب للاشر النخعي لما ولاه على مصر واعمالها عهداً يجمع كثيراً من المحاسن وهو: « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشر في عهده اليه حين ولاه مصر جباية خرجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها . أمره بقوة الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد احداً الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من عزه . وأمره ان يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا ما رحم الله . ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عبادته فليكن أحب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما احبت او كرهت واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللاطف بهم ولا تكون عليهم سبباً ضارياً تغتقم اكلمهم فانهم صنفان اما أخ لك في الدين او نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العال ويؤتى على ايديهم في العمد

والخطأ فأعظمهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه
 وصفحه فانك فوقهم ووالى الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفأك
 أمرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدى لك بنقمة ولا غنى بك
 عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفوك ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة
 وجدت منها مندوحة ولا تقوان انى مؤمر آمر فأطاع فان ذلك ادغال فى القلب
 ومنهك للدين وتقرب من الغير . واذا أحدث لك ما انت فيه من سلطانك أهية
 أو خيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على مالا تقدر عليه من
 نفسك فان ذلك يطامن اليك من طمأحك ويكفيك عنك من غربك ويقي
 اليك بما عزب عنك من عقلك . واياك ومساماة الله فى عظمتة والتشبه
 به فى جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال . انصف
 الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من
 رعيتك فانك الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن
 خصمه الله ادحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب وليس شئ أدعى الى
 تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقاة على ظلم فان الله سميع دعوة المضطهدين
 وهو للظالمين بالمرصاد . وليكن أحب الأمور إليك أوسطها فى الحق واعمها فى
 العدل واجمعها لرضا الرعية فان سخط العامة يحجب برضا الخاصة وإن سخط الخاصة
 يغتفر مع رضا العامة ، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالى مؤنة فى الرخاء واقل
 معونة له فى البلاء واكره للانصاف واسأل بالالحاف واقل شكراً عند الاعطاء
 وابطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملات الدهر من أهل الخاصة وإنما
 عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الأمة فليكن صفوك لهم
 وميلك معهم . وليكن أبعد رعيتك منك وأشناهم عندك أطلبهم لمعائب الناس
 فان فى الناس عيوباً والى أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما
 عليك تطهير مآظير لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر
 الله منك ما تحب ستره من رعيتك . اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك
 سبب كل وتر وتغاب عن كل مالا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فان

الساعى غاش وان تشبه بالناصحين . ولا تدخان فى مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

إلى أن قال : ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته فى نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتبادى فى الزلة ولا يحصر من الفء إلى الحق إذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاء أوقفهم فى الشبهات وآخذهم بالحجج وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور وأصرهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله إغراء وأولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح له فى البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر فى ذلك نظراً بليغاً فان هذا الدين قد كان أسيراً فى أيدي الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا .

ثم ختمه بقوله :

والواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة او أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله او فريضة فى كتاب الله فتقتدى بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك فى اتباع ما عهدت اليك فى عهدى هذا واستوثقت به من الحجة لنفسى عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها وأنا أسأل الله بسنة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقنى وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح اليه وإلى خلقه مع حسن الثناء فى العباد وجميل الأثر فى البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لى ولك بالسعادة والشهادة انا اليه راغبون ، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً والسلام

النثر

ومميزات في أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه

تمهيد :

١ - الادب قسمان : شعر ونثر ؛ فالشعر هو الكلام الموزون المقفى المعتمد على الخيال. والنثر هو ما خلا من الوزن والتقفية. والشعر يعتمد على الخيال والعاطفة، ويشير الشعور والوجدان. والنثر غالبا ما يعتمد على الحقائق ويركن إلى صدق التعبير، وقد يعتمد على الخيال ويعتمد إثارة العواطف، ويصاغ في أساليب شبيهة بأساليب الشعر فيسمى شعرا منشورا.

٢ - والنثر نوعان : أحدهما ما يدور في كلامنا المألوف إذا تحدث الناس بعضهم إلى بعض في حاجاتهم ومصالحهم فيرسلونه إرسالا على سجيتهم وعلى ما تدعو إليه الحاجة والمصلحة، وهذا ما نسميه لغة التخاطب، وهذا لا يعنى به الادب وليس قسما منه، فليس شعرا، وهو في الوقت نفسه ليس هو النثر الذى يحفظ ويروى ويتأدب به الذى هو أحد قسمي الادب، وإنما هو كلام عادى لم ينصد أصحابه فيه غالبا إلى الاجادة ولا إلى جمال فنى وإنما أرادوا تأدية ما في نفوسهم من المعانى وتحقيق ما تقتضيه منافعهم من الاغراض.

والثانى هو ما يسمى نثرا فنيا وهو ما حوى أفكارا منظمة، فى عرض جميل جذاب وصياغة جيدة السبك فصيحة الاسلوب، وهذا هو الذى يعد قسما للشعر فى باب الادب، وأهم أنواعه : الخطابة، والكتابة الفنية. والكتابة عند الاوربيين : وصف أو قصص، وعند العرب : رسائل وقصص ومناظرة وجدل وتاريخ.

٣ - ولكن هل الشعر هو السابق فى النشأة الادبية أو النثر الفنى ؟

يرى الدكتور طه حسين ومن اتبعه مقلدين فى ذلك بعض المستشرقين

كالمسيو مرسيه الفرنسى أن الشعر أسبق في الوجود من النثر الفنى (١) . ويستدلون على ذلك بما يأتى (٢) :

أ - الشعر في آداب الأمم الأوربية سابق على النثر فعند اليونان كانت قصائد هو ميروس تنشد ويتغنى بها قبل أن يؤلف كتاب أو يظهر نثر فنى ، وفي الأدب الانكليزى ترى أن قدم الآثار الأدبية عند الانكليز القدماء القصائد التى تصف أعمال « بيولف » ، وهى ترجع إلى القرن السادس أو السابع الميلادى . فقد ظلت الأمم تتمتع بأدب الشعر قبل أن ينشأ فيها أدب النثر .
ب - كثرة الشعراء في العهود الأولى لأدب أى أمة من الأمم وزيادتهم زيادة بينة على كتاب النثر .

ج - ومن أقوى الأسباب التى قدمت نشأة الشعر على نشأة النثر فى رأيهم أن الأدب المنشور يتطلب معرفة بالكتابة والكتابة متأخرة فى تاريخ كل أمة قصائد هو ميروس انتشرت وذاعت وتناقلها الناس قبل أن تذيع الكتابة وكذلك روى الرواة الشعر العربى القديم قبل أن تذيع الكتابة ، ومنشئ الأدب المنشور لا بد له من تدوين ما يخطر له

د - الشعر يعتمد على الخيال فى حين يعتمد النثر الفنى على المنطق والتفكير والخيال يسبق التفكير فى حياة الأفراد والجماعات

هـ - الجماعات الساذجة نجد عندها كلاما موزونا دون أن نجد عندها نثرا فنيا صحيحا .

و - الشعر متصل بالغناء فالناس يغنون شعرا قبل أن يغنوا نثرا لأنهم يجدون فى الشعر أوزانا تلائم تقطيع الغناء وانغامه

(١) راجع ص ٣٣ / ١ النثر الفنى لزكى مبارك

(٢) ص ١٠ ، ١٢ ، ١٧٣ وما بعدها التوجيه الادبى ط ١٩٤٠ . الباب السابع من كتاب أصول النقد الادبى للشايب ، ٣٦٤ - ٣٦٨ من كتاب الادب الجاهلى لطلح حسين . وراجع فى ذلك البحث : الطبع والصنعة للهيأوى و ١/٣٧ الحيوان للجاحظ

أما الدلائل الأولى فلا يدل على شيء ، بل هو إن دل فانما يدل على ضياع النثر لعدم تدوينه وبقاء الشعر لأنه يعلق بالحفاظة ويخلد بالرواية .

ومن أجل ذلك بقي الشعر وأخبار الشعراء معروفة لم يخف عليها النسيان وهو السبب في كثرة الشعراء في العصور الأولى من عصور آداب الأمم كثرة كبيرة وفي زيادتهم على الكتاب ورجال النثر وبذلك نجد الدليل الثاني منهارا .

ولعدم وجود الكتابة في العصور القديمة التي هي وسيلة لتخليد النثر الفني ضاع أغلب ما لدى الأمم من نثر فني ، فكيف إذا استدلون على سبق الشعر للنثر باحتياج الأدب المنشور للكتابة في تدوينه ، وبذلك تجد الدليل الثالث لا يكاد يسير نحو الهدف خطوة واحدة .

وزعمهم أن الشعر يعتمد على الخيال والنثر على المنطق والتفكير صحيح في الأول مبالغ فيه في الثاني فلم لا يكون النثر الفني في بدء نشأته قد اعتمد على الخيال أيضا كالشعر ، ولم لا يكون هذا النثر قد اعتمد على المنطق والتفكير على حسب عقاية الأمة وثقافتها ومقدار تفكيرها في هذه العصور القديمة . وبذلك نجد الدليل الرابع لا يؤدي إلى غاية .

وأما أن الأمم التي لم تصعد درجة في الحضارة لها شعر وليس لها نثر فني خطأ في الرأي ، فإن هذه الجماعات الساذجة يوجد بجانب ما لديها من شعر نثر فني ملائم لعقائياتهم ومظهره الأمثال والحكم والتجارب والنصائح ، وذلك يشاهد كثيرا في بيئتنا المصرية العامية التي يمثل بها هؤلاء تأييدا لرأيهم من سبق الشعر للنثر وبذلك لا يمكننا التعويل على الدليل الخامس .

وأما أن الشعر غني من قديم قبل أن يغنوا نثرا فنشأ ذلك أن الشعر أصلح للغناء من النثر لموسيقاه وقافيته ، فكيف يتركونه ويغنون بنثر فني لا يلائم الغناء . والحق أن النثر وجد أولا ثم تحول إلى النثر الفني ، ثم نشأ بعد ذلك الشعر ، ويؤيد هذا الرأي إجماع كثير من المستشرقين على أن السجع كان المرحلة الأولى التي عبرها النثر إلى الشعر في الأدب العربي القديم .

ويؤيده أيضا وجود الكتب الدينية السماوية من قديم الأجيال في الأمم التي أنزلت لها ، وذلك قبل أن نسمع بالشعر والشعراء . ولعل هذه الكتب هي التي أدت إلى نشأة النثر الفني في العصور القديمة البعيدة قبل أن يوجد الشعر بزمان طويل .

ويؤيده أيضا إجماع الباحثين أو شبه إجماعهم على أن النثر أسبق من الشعر ^(١) ٤ — وبعد فالنثر مرسل ومزدوج ومسجوع .

فالمسجوع كما في سورة الكوثر ، والسجع هو ما أتحدت فاصلته أو فواصله في الحرف الأخير مثل : من عاش مات ، ومن مات فات .

والمزدوج هو ما أتحدت فواصله في وزنها لافي الحرف الأخير منها مما نسميه تقفيه . مثل قوله تعالى : ونمارق مصفوفة ، وزرابى مبثوثة .

والمرسل هو ما خلعت فواصله من الاتحاد في الوزن والقافية معا مثل : ولا يلاف قريش ، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف ،

شبهة للمستشرقين :

فالنثر الأدبى أو الفنى إذا هو الكلام الذى يصور العقل والشعور ولا يتقيد بوزن ولا قافية .

ويرى بعض الباحثين من الأدباء المحدثين ومن بينهم الدكتور طه حسين أن القرن الأول الهجرى لم يكن فيه نثر فنى يعتد به ، إنما كان الشأن للشعر ، والقرآن لا يصح عده نثرا ولا شعرا ^(٢) ، وقد احتذى الدكتور فى ذلك حذو الأستاذ مرسية الفرنسى وهو أول من ذهب إلى ذلك وإلى أن النثر الفنى فى الأدب العربى يتبدى بأبن المقفع ^(٣) ، وابن المقفع فى نظر هؤلاء أول مثل للتطورات

(١) راجع ١٧ تاريخ الأدب العربى لازيات وسواه

(٢) ٣٣ / ١ النثر الفنى (٣) ٣٨ / ١ المرجع

الجديدة في الانشاء للعربي^(١) ، و د هو أول مؤلف الانشاء الادبي في اللغة العربية ،^(٢) وقد آمن الدكتور طه بهذا الرأي وبأن الشعر أسبق من النثر الفني في آداب اللغة العربية ، وأذاع ذلك في كثير من مؤلفاته^(٣) ، وقد ثار بعض الباحثين في وجه هذه النظرية وهاجموها^(٤)

وهذه النظرية — وهي أن الشعر سبق النثر الفني في الوجود — نجد أصولها عند أرسطو في كتابه « الشعر » فهو يقول فيه : « والاقدم من الاشعار الاقصر ، والاولون كانوا يقرون الاعتقاد في النفوس بالتخييل الشعري ثم نبغت الخطابة بعد ذلك فحاولوا تقرير الاعتقادات بالاقناع »^(٥) ، فأرسطو يرى أن الشعر وجد قبل الخطابة وهي نوع من أنواع النثر ، وقد عمم بعض المحدثين من المستشرقين ذلك الحكم فذهبوا إلى أن الشعر أسبق من النثر الفني وجودا ، « على أن بعض كبار المستشرقين من علماء الالمان كجلد زهر وبر وكلمان على الرأي القائل بأن السجع كان المرحلة التي عبرها النثر إلى الشعر عند العرب »^(٦) ، وهذا يهدم المذهب الجديد السابق .

ونحن لانميل إلى هذا المذهب الجديد ولا نؤيده ، فالقرآن أثر من آثار النثر

(١) ٧ مجلة الأدب والفن عدد نوفمبر ١٩٤٥ من مقال للأستاذ جب بعنوان خواطر في الأدب العربي .

(٢) ص ٩ المرجع السابق

(٣) ١٢ التوجيه الأدبي ، ٣٦٤ - ٣٦٨ الأدب الجاهلي ، ١٥ و ١٦ المجلد في تاريخ الأدب العربي ، و د من حديث الشعر وللنثر ،

(٤) راجع ٥٨ - ٦٦ تاريخ الأدب في العصر الجاهلي للأستاذ محمد هاشم ، ٣٣ / ١ النثر الفني .

(٥) راجع الفن التاسع من الشفاء ، وهو « الشعر » ،

(٦) ٦٢ الأدب الجاهلي لمحمد هاشم

الفنى ، وكذلك الكتب الدينية والأدبية القديمة التى يشير إليها القرآن الكريم ، وكثير من الأمم القديمة كان لها نثر فنى الميلاد بكثير ، فاليونانيين آثار كبيرة فى الخطابة من قبل الميلاد بقرون عديدة ، وللرومانين آثار فيها قبل الميلاد وبعده (١) فلم لا يكون للعرب نثر فنى بعد الميلاد بخمسة قرون ، على أن لعبد الحميد الكاتب آثارا كبيرة فى النثر الفنى وهو قبل ابن المقفع على أى حال ، والقديما من النقاد يؤيدون سبق النثر للشعر ، فابن رشيق يقول : « وكان الكلام كله منشورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها فتوهموا أعاريض جعلوها موازين للكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعرا (٢) » ، وكذلك كثير من الباحثين كالزهاوى (٣) وسواه

وإذا فالنثر الفنى فى الأدب العربى وجد قبل القرآن بقليل وصاحب نزول القرآن وتأثر به تأثرا عظيما ، ثم نما وازدهر بعد عصر النبوة على يد كثير من أعلام النثر إلى أن نبغ فيه عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وسواهما

وصف للنثر الفنى فى صدر الاسلام :

وبعد فقد كان للعرب فى جاهليتهم نثر فنى (٤) ، بقى فى ماروى لنا من أمثالهم

(١) راجع ٦٥ — ٧٣ التوجيه الأدبى

(٢) ١ / ٨ العمدة

(٣) راجع الجزء الأول من « سحر الشعر » ،

(١) هذا وينسب طه حسين وجود نثر فنى فى الجاهلية لأن كل ما يضاف إلى عرب الجنوب متحل بدليل عدم ظهور لهجاتهم فيه إذا جاء كله بلغة قريش التى لم يكن لهم بها علم ولأنهم كان لهم لغة معروفة كتبوا بها وتركوا لنافيها نصوصا منشورة كشفها المستشرقون وهى لاتوافق لغة قريش فى شيء . فكل ما يضاف إلى اليمانيين عنده من نثر مرسل أو مسجوع أو خطابة فى الجاهلية متحل . أما عرب الشمال فيرى رفض ما يضاف إلى ربيعة وغيرها من عرب العراق والبحرين والجزيرة ويتردد فيما ينسب إلى مصر . وهذا هو موقفه بالنسبة للشعر الجاهلى أيضا . [راجع الادب الجاهلى]

وحكمهم ووصاياهم وخطبهم ومنافراتهم ومفاخراتهم ومحاوراتهم وونثر كتبهم .
ثم نزل القرآن الكريم وجاءت الدعوة النبوية الكريمة واختلف العرب حيالها
بين مكذب ومصدق ، فكثرت دواعي الحجاج والكلام والخطابة ، واخذ النثر
ينمو ويزدهر ويسمو ويقوى ،

وتتلذذ على القرآن والحديث اعلام من البلغاء والخطباء والفصحاء فنهجوا
نهجهم في تأييد الدعوة ونشر الرسالة والإرشاد إلى الحق والخير والاسلام ،
وتحميس الجنود والتبشير بالنصر . فكان لذلك كله أثر في نهضة النثر الفنى بعد
عصر النبوة .

ولقد كان فى كلام الله وحديث رسول ألوان رائعة كثيرة من المعانى الشريفة
والأساليب الرفيعة والألفاظ الساحرة فاقتدى العرب بهما ، ونهلوا من مواردهما
وأخذوا يصوغون أدبهم على مثالهما .

فاتسعت أغراض النثر واستحكمت أساليبه وعذبت ألفاظه ، وعمقت معانيه .

ومن الجدير بالذكر هنا أن القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف جعللا
للنثر دولة ووضعاه فى منزلة أسمى من منزلة الشعر ، فأصبح هو أهم ألوان الأدب
فى ذلك العصر الكريم .

موضوعات النثر الفنى :

شملت موضوعات النثر الفنى فى هذا العصر ما يأتى :

١ - الدعوة إلى العقيدة الإسلامية وبيان مبادئها وغاياتها وأهدافها
الإنسانية الكريمة .

٢ - بيان السياسة الشرعية والاجتماعية فى عهد الخلفاء الى ولايتهم وقضاتهم
وقوادهم : كعهد على رضى الله عنه الى الأشتر النخعى وعهد عمر الى أبى
موسى الأشعرى .

٣ - الخطابة فى الأمور الجامعة والحوادث المفاجئة وفى المناسبات الكثيرة .

٤ - وكتبت به الرسائل الدينية والسياسية التى تصدر عن الخليفة أو عن ولاته

٥ - واصبح أداة الدعوة والدولة ولسان المدنية الإسلامية كافة .
وهذه اغراض لم يكن للعرب من قبل إلف بها إنما هي أغراض جديدة
وجه الدين الجديد العرب إليها .

معاني النثر الاسلامى :

ومعاني النثر الاسلامى فى هذا العصر كانت :

- ١ - تنبع من معين النبوة وأدب القرآن الكريم ، من الدعوة الى التوحيد
والخلق والفضيلة والحق والخير والأخاء الانسانى وتقرير الايمان بالله وانبيائه
وكتبه وملائكته واليوم الآخر
- ٢ - وكانت تصدر عن عقل خصب وذهن متوقد وتفكير منظم ، وملكات
حسيفة تثقفت بثقافة الاسلام وكتابه الحكيم
- ٣ - وصارت المعانى منظمة والأفكار مرتبة بعد الخلط الذى كانت عليه
فى الجاهلية .

٤ - وتمتاز بظهور حرارة الايمان وقوة العقيدة فيها وبغلبة الروح
الدينى عليها .

٥ - وهى فوق ذلك كله صورة للحياة الإسلامية فى هذا العصر الكريم بما
اشتمل عليه من فتوح وانتصارات وأحداث سياسية وثورات فكرية واجتماعية

أسلوب النثر الإسلامى :

١ - ويمتاز أسلوب النثر الإسلامى بحسن سبكه وجمال رصفه وقوة نظمه
وأحكام فصوله والتشام أجزاءه وذلك من تأثرهم بالقرآن الكريم والحديث
النبوى الجليل .

٢ - كما يمتاز ببعده عن الغرابة والاستكراه والسجع المتكلف والخطأ فى
مقامات الكلام ومقتضيات الأحوال

٣ - وبكثرة ما فيه من اقتباس من القرآن وكلام الرسول صلوات الله عليه

٤ - وبهونه ووضوحه وجلاله وسلاسته ، مما تجده واضحا في الآثار الفنية الأدبية التي حفل بها هذا العصر
ألفاظه :

وقد بعدت ألفاظ النثر الاسلامي عن الغرابة والوحشية والابتذال ، واخترت اختيارا جيدا ، ووضعت في مواضعها الملائمة ووشيت بالبلاغة والعذوبة والسحر وبعدت عن الخطأ وسلمت من العيب والحن والقصور
وهذا كله من أثر بلاغة القرآن والحديث في ألسنة المسلمين في هذا العهد

موازنة بين النثر الجاهلي ونثر صدر الاسلام

كان الجاهليون لا يحفلون بانتقاء الالفاظ والتعمق في المعاني وترتيبها ، ولا يولعون بالتأنق في صوغ العبارات وسجع الكلام ، ولا يبعدون الشقة بين طرفي الجملة وبخاصة الحكمة والمثل ، على قصد منهم إلى الإيجاز في الالفاظ ، وتعتمد إلى استيفاء المعنى من غير إخلال ، اعتماداً على سليقة المتفهم لكلامهم ودقيق كنياتهم . أما النثر الاسلامي فيمتاز بما يأتي :

١ - اتساع وجوه الكلام ومقاصده لاتساع الملك ودواعي السياسة وشؤون الدين .

٢ - عناية أهل هذا العصر بعض العناية بهذيب ألفاظهم ، فهجروا بعضاً وحرصوا على آخر ، وسعد من بين هذه الالفاظ بالاستعمال والرواج مادار في عبارات القرآن والسنة ، مع حفلهم بتوليد الحديث من القديم

٣ - تأنيهم في صوغ عباراتهم ومحاكانهم فيها لأساليب الكتاب والسنة ، واقتباسهم منها واستشهادهم بهما ، وبقائهم على اتباع خطة الإيجاز أول هذا العصر ، وميلهم إلى الاطناب أواخره ،

٤ - ترتيبهم للمعاني والأفكار بدون تغفل فيها ؛ ويظهر ذلك جلياً في الخطب التي كانوا يمدونها قبل القول ، وفي الرسائل التي كانت تدور بين الخلفاء والأمراء أخريات هذا العصر

أهم ألوان النثر الفني في صدر الاسلام

أولا — الخطابة

نماذج للخطابة في العصر :

١ — خطب رسول الله ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ، ثم أقبل على الناس فقال :

أيها الناس إن لكم معالم ^(١) فانتموا الى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتموا الى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين : أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه ، وأجل باق لا يدري ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ^(٢) ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار

٢ — وخطب صلى الله عليه وسلم فقال :

أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذى نشيع من الأموات سفر ^(٣) ، عما قايل إلينا راجعون ، نبوئهم أجداثهم ^(٤) ، ونأكل من تراثهم ، كأننا مخلدون بعدهم ، ونسينا كل واعظة ، وأما كل جائحة ^(٥) .

(١) جمع معلم وهو ما يستدل به على الشيء .

(٢) أى من استرضاء

(٣) سفر : مسافرون .

(٤) الأجداث جمع جدت (كسبب) : وهو القبر ، ونبوئهم : نزلهم .

(٥) الجائحة : ، المهلكة من الجوح : وهو الاهلاك والاسـتـتـصال

كلاجتياح .

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالط أهل الذل والمسكنة ، طوبى لمن زكت وحسنت خليفته ، وطابت سريرته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعت السنة ، ولم تستهوه البدعة (١) .

٣ — الخطبة المدنية الأولى :

لما كانت أول جمعة للنبي الكريم بالمدينة خطب المسلمين ، فقال : الحمد لله ، أحمدده واستعينه ، وأستغفره ، وأستهديه ، وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . أرسله بالهدى والنور والموعظة : على فترة من الرسل وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، وذنو من الساعة ، وقرب من الأجل ؛ من يطع الله ورسوله فقد رشده ، ومن يعصه فقد غوى وفرط (٢) . وضل ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله فانه خير ما أوصى به المسلم المسلم : أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا . احذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكراً ، وإن تقوى الله يوقى هلكته ، ويوقى عقوبته ، وإن تقوى الله يبيض الوجوه ، ويرضى الرب ، ويرفع الدرجة ، خذوا بحظكم ، ولا تفرطوا في جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيله ، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، جاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة ، فأكثرُوا من ذكر الله ، واعلموا لما بعد اليوم ؛ فانه من يصلح . ما بينه وبين الله يكفيه الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ، ولا قوة إلا بالله .

(١) طوبى : مؤنث أطيب .

(٢) فرط : ظلم واعتدى

٤ — خطبة الوداع :

إن الحمد لله ، نحمده ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله : أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعة الله ، وأستفتح بالذي هو خير أما بعد أيها الناس : إسمعوا مني أبين لكم ، فاني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا . أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ! اللهم اشهد ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ^(١) . وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ^(٢) والعمد قود ^(٣) وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، ففيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من الجاهلية .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ، أيها الناس :

- (١) وضع الدين أسقطه . وقد أسقط الرسول ربا الجاهلية فلا يؤدى فضله
- (٢) يريد بمآثر الجاهلية ما كان يستأثر به بعضهم على بعض كالحقوق التي كان يتوارثها سادات العرب . قال الشاعر :
- لك المربع منها والصفايا وحكمك والنشيط والفضول
فالمر باع ما يأخذه الرئيس من الغنيمة وهو ربيعها ، والفضول ما امتنع على القسمة لقلته وخص به .
- وسدانة الكعبة خدمتها وتولى أمرها وفتح بابها وإغلاقه ، وفعلها سدن يسدن — كنصر — وقد كانت السدانة لبني عبد الدار ، فأقرهم الرسول صلى الله عليه وسلم عليها والسقاية إرواء الحاج ، وقد كانت في أسر من قريش .
- (٣) القود : قتل النفس بالنفس أو القصاص عامة .

إنما النسيء (١) زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا (٢) عدة ما حرم الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض — إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات ، وواحد فرد . ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان (٣) ألا هل بلغت ، اللهم ، أشهد . إن لنسائكم عليكم حقاً ، وإن لكم عليهن حقاً . لكم ألا يوطئن فرشكم غيركم . ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بأذنكم ، ولا يأتين بفاحشة (٤) فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن (٥) وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم ، فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان (٦) لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً . أيها الناس . إنما المؤمنون إخوة فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه ، ألا هل بلغت ، اللهم أشهد فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم بعضاً فاني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا . كتاب الله وأهل بيتي ، ألا هل بلغت ، اللهم أشهد أيها الناس إن ربكم

(١) النسيء : شهر كانت العرب تؤخره في الجاهلية ، وذلك أنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها . فكانوا ينسئون المحرم ويؤجلونه إلى صفر .

(٢) ليواطئوا عدة ما حرم الله : أي ليوافقوا ويطابقوا عدة الشهور .

(٣) إنما حدد رجب ، لأن العرب كانت تؤخره من شهر إلى شهر كما تشاء أهواؤهم إذا أرادوا الحرب أو السلام .

(٤) كل قبيح من القول والفعل فهو فاحشه ، ومن الفاحشة خروج المرأة من دار زوجها بغير إذنه ، وتطاولها عليه بالهجر من القول .

(٥) عضل الزوج زوجته أساء عشرتها حتى تنزل له عن حقها عنده .

(٦) العوانى جمع عانية : أي أسيرة .

واحد وإن أباكم واحد، كلكم لادم وآدم من تراب اكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم قال: فليبلغ الشاهد منكم الغائب، أيها الناس إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية في أكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من دعي إلى غير أبيه أو تولى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٥ — ولأمر المؤمنين أبي بكر رضى الله عنه المتوفى سنة ١٣ هـ

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فسدّدونى أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

٦ — خطبة أبى بكر يوم السقيفة .

وخطب أبو بكر رضى الله عنه يوم السقيفة (١) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
 « إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه ، وشهيدا على أمته ، ليعبدوا الله ويوحّدوه
 وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة ، وإنما
 هى من حجر منحوت ، وخشب منجور (٢) ، ثم قرأ : « ويعبدون من دون الله
 ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ؛ وقالوا : « ما نعبدهم
 إلا ليقربونا إلى الله زلفى (٣) » ، فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم . فخص

(١) هى سقيفة بنى ساعدة ، وقد اجتمع الأنصار فيها يوم قبض النبي صلى الله
 الله عليه وسلم وقالوا نولى هذا . الأمر بعد محمد عليه الصلاة والسلام سعد بن عبادة
 (٢) النجر : نحت الخشب .
 (٣) الزلفى . القربة .

الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه ، والإيمان به ، والمواساة له ، والصبر معه على (١) شدة أذى قومهم لهم ، وتكذيبهم إياهم ؛ وكل الناس لهم مخالف زار (٢) عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم ، وشنف (٣) الناس لهم وإجماع قومهم عليهم ، فهم أول من عبد الله في الأرض ، وأمن بالله وبالرسول ؛ وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ؛ ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم .

واتم بامعشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام ؛ رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته ، وفيكم جلة (٤) أزواجه وأصحابه ، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلكم ، فحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، لاتفتاتون بمشورة ، ولا تقضى دونكم الأمور ؛

٧ - وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان

ووصى أبو بكر رضى الله عنه يزيد بن أبي سفيان حين وجهه لفتح الشام فقال .
« إني قد وليتك لأبلوك (٥) وأجربك وأخرجك (٦) ، فان أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك ، وإن أسأت غزلتك ؛ فعليك بتقوى الله فانه يرى من باطنك مثل الذى يرى من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله ؛ وقد وليتك عمل خالد (٧) ، فاياك وعيبة (٨) الجاهلية ، فان الله يبغضها ويبغض أهلها

(١) على بمعنى مع .

(٢) زرى عليه زراية : عابه .

(٣) شنف له كفرح : أبغضه وتنكره .

(٤) جلة . جمع جليل .

(٥) بلاه يبلوه ، امتحنه واختبره

(٦) خرجه ، دربه وعلمه

(٧) هو جالد بن سعيد بن العاص ، وكان أبو بكر سيره إلى الشام أولا ثم عزله

(٨) العيبة ، بضم العين وكسر ها ، الكبر والفخر ، وفي الحديث « إن الله

قد وصع عنكم عيبة الجاهلية ، يعنى الكبر

وإذا قدمت على جنك فأحسن صحبتهم ، وأبدأهم بالخير ، وعدهم إياه ، وإذا وعظهم فأوجز ، فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لأوقاتها ، بآتمام وكروعها وسجودها ، والتخشع فيها ، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم ، وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكريك وهم جاهلون به ، ولا تريشهم ^(١) . فيروا خللك ، ويعاموا علمك ، وأنزلهم في ثروة (٢) عسكريك ، وأمنع من قبلك من محادثتهم ، وكن أنت المتولى لكلامهم ؛ ولا تجعل سر لك لعلايتك ، فيختلط أمرك ، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولا تخزن عن المشير خبرك ، فتؤتى من قبل نفسك

وأسر بالليل في أصحابك تأتلك الأخبار ، وتتكشف عندك الاستار ، وأكثر حرسك ، وبدد في عسكريك ، وأكثر مفاجأتهم في محارستهم بغير علم منهم بك ، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط ، وعقب (٣) بينهم بالليل ، وأجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة ، فانها أيسرهما لقربها من النهار ولا تخف من عقوبة المستحق ، ولا تلجن فيها ، ولا تسرع إليها ، ولا تتخذها مدقماً (٤) ، ولا تغفل عن أهل عسكريك فتفسده ، ولا تجسس عليهم فتفضحهم ، ولا تكشف الناس عن أسرارهم ، واكتف بعلايتهم ، ولا تجالس العباثين (٥) ، وجالس أهل الصدق والوفاء ، وأصدق اللقاء ، ولا تجبن فيجبن الناس ، واجتنب

(١) من الريث ، وهو الإبطاء .

(٢) الثروة : كثرة العدد من الناس

(٣) عقبه تعقبيا : جاء بعقبه .

(٤) لا تتخذ : من خذا يتخذو كنصر ، وخذى يتخذى كرضى : إذا استرخى

والمدقع : الملق بالندقاء (وهى الأرض) أو الهارب أو أشد الهزلى هزالا ، أى ولا تضعف ولا تجبن أمام تنفيذ العقوبة ، وهو مقابل لقوله : ولا تسرع إليها .

(٥) من عبث كفرح ، أى لعب .

الغلول (١) ، فإنه يقرب الفقر ، ويدفع النصر ، ويستجدون قوما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له .

٨ — خطبة لعمر بن الخطاب :

وخطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ ولي الخلافة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس : إني داع فأمنوا ، اللهم إني غليظ فليكن لأهل طاعتك ، وفاقية الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وأرزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة (٢) والنفاق ، من غير ظلم مني لهم ، ولا اعتداء عليهم .

اللهم إني شحيح فسخني في نوائب المعروف ، قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة ، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة .
اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين .

اللهم إني كثير الغفلة والنسيان ، فألهمني ذكرك على كل حال ، وذكر الموت في كل حين .

اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك ، فأرزقني النشاط فيها ، والقدرة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك .

اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك والحياء منك ، وأرزقني الخشوع فيما يرضيك عني ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات .

اللهم ارزقني التفكر والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على كل شيء قدير .

٩ — وصيته لسعد بن أبي وقاص

(١) الغلول : الخيانة .

(٢) الدعارة : الفجور .

ووصى عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعد بن أبى وقاص حين أمره على حرب العراق فقال .

يا سعد سعد بنى وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يمحو السوء بالسوء ، ولكنه يمحو السوء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعاقبة ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذى رأيت النبى (ص) عليه فالزمه فإنه الأمر

١٠ - وخطب أيضاً فقال :

أيها الناس اتقوا الله فى سريرتكم وعلايتكم وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تكونوا مثل قوم كانوا فى سفينة فأقبل أحدهم على موضع يخرقه فندعوه فقال : هو . وضعى ولى أن أحكم فيه فان أخذوا على يده سلم وسلخوا وأن تركوه هلك وهلكوا معه وهذا مثل ضربته لكم رحمنا الله وإياكم

١١ - وخطب اذ ولى الخلافة

صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس انى داع فأمنوا اللهم انى غليظ فلينى لأهل طاعتك وموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وأرزقنى الغلظة والشدّة على أعدائك وأهل الدعارة والتفارق من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم اللهم انى شحيح فسخنى فى نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة واجعلنى ابتغى بذلك وجهك والدار الآخرة اللهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للؤمنين اللهم انى كثير الغفلة والنسيان فألهمنى ذكرك على كل حال وذكّر الموت فى كل حين اللهم انى ضعيف عند العمل لطاعتك فارزقنى النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التى لا تكون الا بعزتك وتوفيقك اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى وذكّر المقام بين يديك والحياء منك وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى والمحاسبة لنفسى واصلاح الساعات والحد من الشهوات اللهم ارزقنى التفكير والتدبر بما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر فى عجائبه والعمل بذلك ما بقيت انك على كل شيء قدير .

١٢ - آخر خطبة خطبها عثمان :

وكانت آخر خطبة خطبها عثمان بن عفان رضى الله عنه .
 « إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركوا
 إليها ، إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية
 فآثروا (١) ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله .
 اتقوا الله جل وعز ، فإن تقواه جنة (٢) من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا
 من الله الغير (٣) ، والزموا جماعتكم ، لاتصيروا أحزابا ، واذكروا نعمة الله
 عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ،

١٣ - خطبة أم الخير بنت الحريش في وقعة صفين

وكتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن
 سراقه البارقي برحلهما ، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيرا ، وبالشر شرا بقولها فيه .
 فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه ، فقالت ، أما أنا فغير زائغة عن طاعة
 ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين ، لأمر تختلج في صدرى فلما شيعها
 وأراد مفارقتها ، قال لها يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه مجازينى
 بقولك فى الخير خيرا ، وبالشر شرا ، فقالى عندك ؟ قالت : يا هذا لا يطمعك
 برك بى أن أسر بباطل ، ولا يؤيسك معرفتى بك أن أقول فىك غير الحق .
 فسارت خير مسير ، حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرم ، ثم أدخلها
 فى اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة
 الله وبركاته ، فقال لها . وعليك السلام يا أم الخير ، بحق ما دعوتنى بهذا الاسم ؟
 قالت : مه يا أمير المؤمنين ، فإن بديهة (٤) السلطان مدحضة (٥) لما يجب عليه ،

(١) آثروا : فضلوا وقدموا

(٢) جنة : وقاية

(٣) غير الدهر ، أحداثه المغيرة

(٤) البديهة ، أول كل شئ وما يفجأ منه

(٥) المدحضة ، المزلة

ولكل أجل كتاب، قال: صدقت فكيف حالك يا خالة؟ وكيف كنت في مسيرك؟ قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرت إليك، فأنا في مجلس أنيق، عند ملك رقيق، قال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم قالت: يا أمير المؤمنين، يعيذك الله من دحض (١) المقال، وما تردى (٢) عاقبته، قال: ليس هذا أردنا، أخبرنا كيف كان كلامك إذ قتل عمار (٣) بن ياسر؟ قالت، لم أكن والله زورته (٤)، قبل، ولا رويته بعد، إنما كانت كلمات نفثها لسانى عند الصدمة، فإن أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت، فالتفت معاوية إلى جلسائه فقال، أيكم يحفظ كلامها؟ فقال رجل منهم، أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين قال: هات، قال كأنى بها بين بردين زئبريين (٥) كثيفي النسج وهى على جمل ارمك (٦)، وييدها سوط منتشر الضفيرة، وهى كالفلج يهدر (٧) فى شقشقة تقول

يا أيها الناس، اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم، إن الله قد أوضح لكم الحق، وأبان الدليل، وبين السيل، ورفع العلم، ولم يدعكم فى عماية مدلهمة (٨)، فأين تريدون، رحكم الله؟ أفراراً عن أمير المؤمنين، أم فراراً من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتداداً عن الحق؟ أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول: ولنبلونكم

(١) دحضت الحججة دحضاً من بات نفع: بطأت ودحضت رجله، زلقت، ومكان دحض زلق

(٢) تردى، تهلك

(٣) عمار بن ياسر، من أصحاب الإمام على، قتل يوم صفين

(٤) زور الشئ، حسنه وقومه وهذبه

(٥) الزئبر، ما يعلو الثوب الجديد كالذى تراه فى القطيفة، فى رواية أخرى

عليها برد زبيدى نسبة الى زبيد، بفتح الزاى، بلد باليمن

(٦) وصف من الرمكة بالضم وهى لون الرماد.

(٧) يهدر. بصوت، والشقشقة. شئ يخرج البعير من فيه إذا هاج.

(٨) أدلهم الظلام. كثف وأسود.

حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ، ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول :

اللهم قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وببكد يارب أزمة القلوب ، فأجمع الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله ، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل (١) والرضى التقي ، والصديق الأكبر ، لأنها إحن بدرية (٢) وأحقاد جاهلية ، وضغائن أحدية (٣) ، وثبها معاوية حين الغفلة ، وليدرك ثارات بنى عبد شمس (٤) ، ثم قالت :

قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلمهم ينتهون ، صبراً يامعشر المهاجرين والانصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأنى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة ، فرت من قسورة (٥) ، لاتدري أين يسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وعماء قليل ليصبحن نادمين ، حين تحل بهم الدامة ، فيطلبون الاقالة ولات حين مناص ، إنه من ضل والله عن الحق وقع في الباطل .

(١) تعنى الامام عليا كرم الله وجهه .

(٢) الاحن جمع إحنة . وهى الضغينة والحقد ، تسمى إلى ما كان من قتل على يوم بدر أخا معاوية (حنظلة بن أبى سفيان) وجده لأمه (عتبة بن ربيعة) وخاله (الوليد بن عتبة) .

(٣) تشير إلى ما كان من هند زوج أبى سفيان (أم معاوية) فى غزوة أحد ، إذ بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم بعد قتله ، وأخذت كبده فلا كتبها ثم أرسلتها .

(٤) هو الجد الثالث لمعاوية ، فهو . معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس .

(٥) القسورة . الأسد

ألا إن أولياء الله استقصروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسمعوا لها ، فآله الله أيها الناس ، قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، وتقوى كلمة الشيطان ، فإلى أين تريدون - رحمكم الله - عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصهره وأبي سبطيه (١) ، خلق من طينته ، وتفرع من نبعته (٢) وجعله باب دينه ، وأبان ببخضه المنافقين ، وهاهو ذا مفلح الهام (٣) ، ومكسر الأصنام صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتله مبارزى بدر ، وأفى أهل أحد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازن (٤) ، فبالها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقا ، وردة وشقاقا ، وزادت المؤمنين إيمانا .

قد اجتهدت في القول ، وبالغت في النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فقال معاوية : يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولو قتلتك ما حرجت (٥) في ذلك ، قالت : والله ما يسوؤني يا بن هند أن يجرى قتلى على يدي من يسعدني الله بشقاقه ، قال : هيات يا كثيرة الفضول ! ماتقولين في عثمان ابن عفان رحمه الله ؟ قالت . وما عسيت أن أقول في عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون . قال معاوية : يا أم الخير ، هذا ثناؤك الذي

(١) هما الحسن والحسين رضي الله عنهما ، والسبط . ولد الابن والابنة

(٢) النبعة في الأصل واحدة النبع وهو شجر تتخذ منه القسي والسهام .

(٣) الهام جمع هامة . وهي الرأس .

(٤) كانت غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة ، وغزوة أحد في السنة

الثالثة ، وغزوة الأحزاب (غزوة الخندق) في الخامسة ، وغزوة خيبر في السابعة ،

وغزوة هوازن (غزوة حنين) في الثامنة ، وفي كلها أبلى الإمام على بلاء حسنا ،

تفصل أنباءه كتب التاريخ .

(٥) حرج : أثم .

تذنين ؟ قالت . لكن الله يشهد - وكفى بالله شهيدا - ما أردت بعثمان نقصا ،
 ولقد كان سباقا إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجة غدا ، قال . فما تقولين في
 طلحة (١) بن عبيد الله ؟ قالت . وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ،
 وأتى من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ، قال .
 فما تقولين في الزبير ؟ قالت : وما أقول في ابن (٢) عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وحواريه (٣) ؟ وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأنا أسألك بحق
 الله يامعاوية - فان قریشا تحدث أنك أحلبها - أن تعفيني من هذه المسائل ،
 وتسألني عما شئت من غيرها ، قال . نعم ، ونعمة عين (٤) ، قد أعفيتك منها ، ثم
 أمر لها بجائزة رفيعة ورد لها مكرمة .

١٤ - خطبة الإمام على بعد التحكيم :

وخطب الإمام على كرم الله وجهه بعد التحكيم فقال :
 « الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح (٥) ، والحدث (٦) الجلل ، وأشهد
 أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمدا عبده ورسوله
 صلى الله عليه وآله .

أما بعد ، فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة
 وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمرى ، ونخلت لكم مخزون رأبى ،

(١) طلحة والزبير من كبار الصحابة ، خرجا مع السيدة عائشة بعد مقتل عثمان
 إلى البصرة وقتلا في وقعة الجمل .

(٢) أم الزبير هي : صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣) الحواري : الناصر أو ناصر الأنبياء .

(٤) أى افعل ذلك إنعاما لعينك وإكراما .

(٥) من فدحه الدين أى أثقله

(٦) الحدث الحادث .

لو كان يطاع لقصير أمر^(١) ، فأيتهم على إباء المخالفين الجفافة ، والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضمن الزند بقـدحه ، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن^(٢) :

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصيح إلا ضحى الغد

١٥ - خطبة الإمام على وقد أغار النعمان بن بشير على عين التمر :

وفي سنة ٣٩ هـ فرق معاوية جيوشه في أطراف على ، فبعث النعمان بن بشير الانصارى في ألفين فأنوا عين التمر^(٣) فأغاروا عليها ، وبها عامل لعلى في ثلثمائة ، فكتب إلى على يستمده ، فأمر الناس أن ينهضوا إليه فثاقلوا ، فصعد المنبر فتشهد ثم قال :

« منيت^(٤) بمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ، لا أبا لكم ! ما تنتظرون بنصركم ربكم ؟ أما دين يجمعكم ، ولا حمية تحمّشكم^(٥) ؟ أقوم فيكم مستصرخا ، وأنا دينكم متغوّثا^(٦) ، فلا تسمعون لى قولا ، ولا تطيعون لى أمرا ، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة ! فما يدرك بكم ثأر ، ولا يبلغ بكم مرام ! دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجر جرتهم^(٧) جرجرة الجمل الأسر^(٨) ، وثأفلتم تثاقل

(١) قصير . هو مولى جذيمة الأبرش ، وكان قد أشار على سيده ألا يأمن الزبلاء ملكة الجزيرة ، وقد دعت إليه ليتزوجها ، فخالفه وقصد إليها فقتلته ، فقال قصير . ولا يطاع لقصير أمر ، فذهبت مثلا

(٢) هو دريد بن الصمة .

(٣) بلد على الفرات شمالي الكوفة .

(٤) منيت : بليت

(٥) حمش كفرح : غضب ، وأحمشه : أغضبه .

(٦) قائل : واغوّثاه .

(٧) الجرجرة : صوت يردده البعير في خنجرته ، وأكثر ما يكون ذلك

عند الاعياء والتعب .

(٨) الجمل الأسر : المصاب بداء السرر (كسبب) وهو وجع في الكركرة

(بكسر الكافين) وهي رحي زور البعير .

النضو (١) ، ثم خرج الى منكم جنيد متذائب ضعيف (٢) ، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون .

١٦ — خطبة الإمام على وقد أغار الضحاك بن قيس على الحيرة :
 ووجه معاوية الضحاك بن قيس فأغار على الحيرة (٣) ، وغنم من أموال أهلها ، وبلغ ذلك عليا فاستصرخ الناس ، فتقاعدوا عنه ، فقام فيهم خطيبا فقال :
 أيها الناس المجتمعمة أبدانهم المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهى الصم (٤) ،
 الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء ، تقولون في المجالس كيت وكيت (٥) ،
 فإذا جاء القتال قلتم حيدى حيد (٦) .

ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استتراع قلب من قاساكم ، أعاليل بأضاليل (٧) ، دفاع ذى الدين المطول (٨) ، هيهات لا يمنع الضيم الذليل :

(١) النضو ، البعير المهزول ، والادبر ، المجروح .

(٢) جنيد ، مصغر جند ، متذائب ، مضطرب ، من قولهم ، تذاببت الرياح أى اضطرب هبوبها .

(٣) بلد شمال الكوفة .

(٤) يوهى ، يشق ويخرق ، والصم جمع أصم ، وهو الحجر الصلب المصمت .
 (٥) كيت وكيت بفتح آخرهما ، ويكسر ، أى كذا وكذا .

(٦) حيدى حيد ، كلمة يقولها الهارب الفار ، من حاد حيد انا أى مال وانحرف ، أى ابعدى وتنحى عن أيتها الحرب وهى نظيرة قولهم ، فيحى فياح ، أى التسمى .

(٧) الأضاليل جمع أضلولة بالضم ؛ وهى الضلال ؛ وفى كتب اللغة ، العلالة بالضم والتعلة كتحية والعلة بالفتح ؛ ما يتعلل به ، وليس فيها كلمة أعاليل ولا مفرد لها ؛ ولا بد أن تكون جمع أضلولة بالضم كأضاليل وأعاجيب وألاعيب ... الخ ، والمعنى إن أقوالكم هذه تعلل بأباطيل لا جدوى لها .

(٨) المطول ، مبالغة فى ماطل .

ولا يدرك الحق إلا بالجد ، أى دار بعدد داركم تمنعون ؟ ومع أى إمام بعدى
تقاتلون ؟ المغرور والله من غررتوه ، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الاخيبي ،
ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل (١) .

أصبحت والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع فى نصركم ، ولا أوعد العدو
بكم ، ما بالكم ؟ ما دوائكم ؟ ما طبكم ؟ القوم رجال أمثالكم ! أقولا بغير علم ،
وغفلة من غير ورع ، وطمعا فى غير حق ؟ ،

١٧ — ولما بايع المسلمون أبا بكر بالخلافة يوم السقيفة بايعوه بعدها فى
المسجد البيعة العامة ، وبعدها خطب الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه
بالذى هو أهله .

أما بعد فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم : فان أحسنت فأعينونى وإن
أسأت فقومونى .

الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه
حقه إن شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ،
لا يدع أحد منكم الجهاد فى سبيل الله ، فانه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ،
ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ،
فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم .

قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله ! ،

١٨ — ومن خطبة عثمان فى الوعظ قال بعد حمد الله والثناء عليه :
إنكم فى دار قلعة (٢) وفى بقية أعمار . فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه

(١) سهم أفوق ، مكسور الفوق « يضم الفاء ، والفوق : مدخل الوتر من
السهم والناصل ، العارى عن النصل .

(٢) لا دوام لها .

فلقد أتيتكم : صبحتم أو مسيتم . ألا وإن الدنيا طويت على الغرور ، فلا تُغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرّنكم بالله الغرور ^(١) : اعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فانه لا يغفل عنكم . أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثأروها وعمروها ^(٢) ومتعوا بها طويلا ؟ ألم تلفظهم ؟ ارموا الدنيا حيث رمى بها الله ، واطلبوا الآخرة ، فان الله قد ضرب لها مثلا ، فقال عز وجل : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه » ^(٣) الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا . المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً .

ومن خطبه رضى الله عنه :

أما بعد . فان الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركوا إليها . إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم ^(٤) الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية ، فأثروا ما يبقى على ما يفنى ، إن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله . اتقوا الله عز وجل فان تقواه جنة من بأمه ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير ^(٥) ، والزموا جماعتكم ألا تصيروا أحزاباً واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .

(١) الغرور (بالفتح) الدنيا أو ما غرك أو يخص بالشیطان وهو أيضاً ما يتغرر به . وبالضم مصدر غر أو جمع غار .

(٢) عمر الرجل المكان (كنصر) أقام به . والعبارة (بالكسر) ما يعمر به المكان وبالضم أجرة الإقامة به وبالفتح كل ما يلبس على الرأس .

(٣) ذراه فرقه في الهواء .

(٤) البطر . كفر النعمة .

(٥) أى أحداثه التى تغير حال الشيء ، قيل هو مفرد وجمعه أغيار ، وقيل

جمع غيرة كعنب جمع عنبه .

١٩ - خطبة السيدة فاطمة الزهراء

حين بويح أبو بكر ومنعها ميراثها في فذك :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، . فان تفردوه تجدوه أبي
دون نساءكم وأخا ابن عمي دون رجالكم . فبلغ النذارة صادعا بالرسالة ، مائلا
على مدرجة المشركين (١) ضاربا لثبهم (٢) آخذا بكظمهم (٣) يجذ الاصنام (٤)
وينسكت الهام (٥) حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق
عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين وكنتم على شفا حفرة من
النار مذقة الشارب (٦) ، ونهزة الطامع وقبسة العجلان ، وموطىء الاقدام تشربون
الطرق (٧) ، وتقتاتون الورق (٨) ، أذلة خاشعين ، تخافون أن يتخطفكم الناس
من حولكم ، فأنقذكم الله برسوله صلى الله عليه وسلم بعد اللتيا والتي وبعد ما منى
بهم (٩) الرجال وذؤبان العرب ، كلما حشوا نارا للحرب ونجم قرن للضلال ،
ففرت فاغرة من المشركين قذف باخيه في لهواتها فلا ينكفي ، حتى يطأ سماخها
باتخصه ، ويحمد لهبها بحده مكدودا في ذات الله قريبا من رسول الله سيدا في
أولياء الله وأنتم في بلمنية وادعون آمنون

حتى إذا اختار الله لنيه دار أنبيائه ظهرت حسكة النفاق ، ونطق كاظم الغاوين ،

(١) مائلا على مدرجة المشركين أى معترضا طريقهم .

(٢) الثبج من الناس عليتهم وأشرافهم .

(٣) الكظم مخرج النفس .

(٤) الجذ : المكسر .

(٥) النسكت . الضرب بطرف القمضيب .

(٦) المذقة . الشربة من اللبن المخلوط .

(٧) الطارق الماء المشوب بابوال الابل وأروائها .

(٨) تريد بالورق ورق الشجر .

(٩) جمع بهمة - بضم الباء - الشجاع الشديد البأس .

ونبغ حامل الآفلين ، وهدر فنيق (١) المبطلين يخطر في عرصانكم وأطلع الشيطان رأسه صارخابكم ، فوجدكم لدعائه مستجيبين ، وللعزة فيه ملاحظين ، فاستنهضكم فوجدكم خفا ، وأحشكم فالقام غضابا فوسمتم غير إبلكم ، وأوردتموها غير شربكم . هذا والعهد قريب والسلم رحيب ، والجرح لما يندمل بدار ، أزعتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وأن جهنم لمحيطة بالكافرين ، فبهات منكم وأنى بكم تفكون ، وهذا كتاب الله بين ظهركم ، زواجه بيته ، وشواهد لائحة ، وأوامره واضحة ، أرغبة - نه تدبرون ، أم بغيره تحكون ، بثس للظالمين بدلا ، ومن يتبغ غير الاسلام ديناً فإن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين .

ثم لم تريبوا اختها (٢) إلا ريث أن تسكن نفرتها تسرون حسوا في ارتقاء (٣) ونصبر منكم على حز المدى وأنتم اللائى تزعمون أن لا إرث لنا أفحكم الجاهلية يفون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ، وبها معشر المهاجرة ، أفى الكتاب أن ترث أباك ولا أرث أبيه ؟ لقد جئت شيئا فريا (٤) فدونها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعود القيامة ؛ وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبا مستقر وسوف تعدلون .

٢٠ — وخطب أبو بكر رضى الله عنه حين أشار عليه الصحابة بترك المرتدين من العرب وشأنهم لأنه لا طاقة لمن بقى من المسلمين بالحرب أيها الناس : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله

(١) الفنيق : الجمل الفحل

(٢) تريد أنكم منعتم ابن عم رسول الله حقه في الخلافة ثم اتبعتم هذه المظالمه مظلمة أخرى من غير إهمال .

(٣) الارتقاء صوت الأبل أى تهمزون اضطراب الاصوات لتنفعوا بما أردتم والحس وشرب الطائر

(٤) تخاطب أبا بكر رضى الله عنه .

حتى لا يموت ، أيها الناس أن كثير أعدائكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم
هذا المركب ! والله ليظهرن هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون ،
قوله الحق ووعده الصدق : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق
ولكم الويل ما تصفون — وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله
مع الصابرين . »

أيها الناس ، والله لو أفردت من جمعكم لجاهدتهم في حق الله حق جهاده حتى
أبلغ من نفسى عذرا أو أقتل مقتلا ، والله أيها الناس لو منعوني عقلا لجاهدتهم
عليه واستعنت بالله ، إنه خير معين .

٢١ - من خطبة لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه في استنفار أهل الشام . فقال
أف لكم لقد سئمت عتابكم ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً ؛ وبالذلل
من العز خلفاً ، إذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في
غمرة ، ومن الذهول في سكرة ، يرتج عليكم حوارى فتعمهون ، فكأن قلوبكم
مألوسة ^(١) فأنتم لاتعقلون ، ما أنتم لى بثقة سجيى الليالى ^(٢) وما أنتم بركن يمال
بكم ، ولا زوافر ^(٣) عز يفتقر اليكم ؛ ما أنتم إلا كابل ضل رعانها ، فكلما
جمعت من جانب انتشرت من آخر ، لبئس لعمر الله شفر نار الحرب أنتم ،
تسكادون ولا تكيدون وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون لا ينأى عنكم وأنتم في
غفلة ساهون ، غلب والله المتخاذلون ، وأيم الله لى لاظن بكم أن لوحس الوغى
واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن أبى طالب انفراج الرأس ، والله أن امرأ يملك
عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفرى جلده لعظيم عجزه ، ضعيف ماضمت عليه
جوانح صدره .

(١) الألس والمؤالسة. الخداع والخيانة والغش والسرقة

(٢) سجيى الليالى أى أبد الدهر

(٣) الزوافر جمع زافرة : الأنصار والعشيرة ، يقال جأنا ومعه زافرتة أى

قومه ورهطه .

٢٢ - ومن كلام عائشة أم المؤمنين :

بلغها أن أقواماً يتناولون أبا بكر رضى الله عنه ، فأرسلت إلى أذفلة (١) من الناس فلما حضروا اسدلت أستارها وعلت وسادها ، ثم قالت .

أبى وما أبىه !! أبى والله لا تهطوه (٢) الأيدى ، ذلك طود منيف ، وظل مديد
هيات كذبت الظنون ، أنجح إذ أكديتم (٣) ، وسبق إذ ونيتم ، سبق الجواد إذا
استولى على الأمد ، فتى قريش ناشئاً ، وكهفها كهلاً ، يفك عانيها ، ويريش (٤) ،
مملقها ، ويرأب شعبها (٥) ، ويلم شعثها ، حتى حليت قلوبها ؛ ثم استشره (٦) فى دين
الله ، فما برحت شكيمته (٧) فى ذات الله عز وجل حتى اتخذ بفنائهم مسجداً يحيى فيه
ما أمات المبطلون ، وكان رحمه الله غزير الدمة ، وقيد (٨) الجوانح شجى
النشيج (٩) ، فانعطفت إليه نسوان مكة وولدائها يسخرن منه ويستزتون به
« الله يستزى بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ، فأكبرت ذلك رجال قريش
لخنت قسيها ، وفوقت سهامها ، وامتلوه (١٠) غرضاً ، فما فلواله صفاة ، ولا قصفوا

١، الجماعة

٢، لا تتناولوه

٣، جبنتم

٤، يعطى ويفضل من راش السهم إذا جعل فيه ريشا ليكون أسد له وكذلك

المحسن يقوى الفقير على الحياة

٥، الشعب ؛ الصدع

٦، جد واجتهد .

٧، أنفته وحميته

٨، عليل

٩، الشجى الحزين ، النشيج ، صوت البكاء

١٠، نصبوه

له فناة ، ومر على سيسائه (١) حتى إذا ضرب الدين بجرانه (٢) ، وألقى بركه ، ورست أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجا ، ومن كل فرقة أرسالا وأشتاتا ، اختار الله لنبيه ماعنده ، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نصب الشيطان رواقه ، ومد طابه ، ونصب حباله ، وأجاب بخيله ورجله ، واضطرب جبل الاسلام ، ومرج (٣) عهده ، وماج أهله ، وبغى الغوائل ، وظنت رجال أن قد أكشبت نهزها (٤) ، ولات حين الذي يرجون ، وأنى والصديق بين أظهرهم ؟ فقام حاسراً مشمرا فجمع حاشيته ، ورفع قطريه ، فرد رسن الاسلام على غربه ، ولم شعته بطبه ١ وأقام أوده بثقافه ، فابذع النفاق بوطئه ، وانتاش الدين فتعشه (٥) ، فلما أراح الحق على أهله ، وقرر الروس على كواهلها ، وحقق الدماء في أهبا ، أتمه منيته ، فسد ثلثته بنظيره في الرحمة ، وشقيقه في السيرة والمعدلة ، ذاك ابن الخطاب لله أم حفلات له ، ودرت عليه !! لقد أرحدت به ، فنفخ الكفرة وديحها (٦) وشرذ الشرك شذر مذر ، وبعج الأرض وبجحها (٧) ، فقامت أكلها ، ولفظت جنينها ، ترأمة ويصدف عنها ، وتصدى له ويأبأها ، ثم وزع فيها فيثها وودعها كما صحبها . فأروني ماترتابون ، وأى يومى أبى تنعمون ؟ أيوم إقامته إذ عدل فيكم ، أم يوم ظعنه وقد نظر لكم ؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

ثم أقبلت على الناس بوجهها ، فقالت ، أنشدكم الله ، هل أنكرتم مما قلت شيئاً ؟ قالوا : اللهم لا

١ ، شدته ، واليساء ، عظم الظهر ، والعرب تضربه مثلاً للشدّة

٢ ، الجران ، الصدر وكذلك البرك

٣ ، اختلط

٤ ، أكشبت ، قرب ، النهز ، اختلاس الشيء والظفر به مبادرة .

٥ ، رفعه

٦ ، صغرها

٧ ، بعج الأرض وبجحها شقها

وصف الخطابة في صدر الاسلام

تمهيد :

علمت أن القرآن رفع من منزلة النثر ، فاحتل المكانة التي كانت للشعر من قبل . وذلك لأن الاسلام رفع من شأن العقل ، ولابتذال الشعر بالتكسب به ، ولأن العقيدة الجديدة — وهي ما هي — تستلزم الخطابة وتستدعيها ؛ فضلا عن كثرة التنازع السياسي والديني بعد عصر عمر

وإذا كانت هذه هي منزلة النثر عامة فإن الخطابة احتلت الذروة من بين ألوان النثر خاصة في هذا العصر ، عصر صدر الاسلام . والخطابة هي كما تعلم فن إقناع الجماهير واستمالهم والتأثير فيهم ؛ وقد كان هذا العصر أعظم العصور الأدبية خطرا وأكبرها أثرا في الخطابة ، فقد بلغت الغاية واستكملت عناصرها الفنية والأدبية ؛ وظهر الكثير من أعلام الخطباء ومصاقع البيان ؛ وإمامهم هو الرسول الأعظم ، والخطيب الأول ، محمد صلوات الله عليه

أسباب رقي الخطابة

- ١ — الثورة الروحية الكبرى التي قام بها قائد الإنسانية الأعظم وهادياها الكريم محمد صلوات الله عليه ؛ وما تحتاج إليه من فن الخطابة بين أنصار الدعوة وخصومها ، فإن ذلك كان أهم سبب لرقى الخطابة في هذا العهد
- ٢ — رفع الاسلام من شأن العقل وخفضه من غلواء العاطفة ، ودعوته إلى الأقناع بالمنطق والحجة والقول الصادق المبين
- ٣ — ابتذال الشعر بالتكسب به رفع من منزلة الخطابة ونوه بها
- ٤ — الرقي السياسي والاجتماعي ، فقد أصبحت العرب أمة واحدة ، لها رئيس أعلى ، ونظمت شئونها الاجتماعية تنظيما استدعى الخطابة ، سواء كان من الخليفة أو قواده أو عماله أم من أفراد الأمة وخطبائها ، أم في مجالس القضاء والشورى والفصل في الأمور
- ٥ — سلامة الملامكات وقوة الطبع وعدوبة اللسان ، والقدرة على

الارتجال، وذبوع آثار بلاغة القرآن والحديث في النفوس والعقول والأذواق (١)

٦ — كثرة الخلافات حول الخلافة بعد موت الرسول وبعد مقتل عمر، وما يستلزمه ذلك من كثرة فن الخطابة والحجاج بين الآراء والأفكار والأحزاب السياسية

٧ — كثرة الحاجة إليها في شئون الدين والاجتماع والسياسة إلى غير ذلك ذلك من أسباب رقي الخطابه ونهضتها وقوتها في هذا العصر الكريم

أغراض الخطابة

وأغراض الخطابة في هذا العصر كثيرة متنوعة، ومن أهمها:

١ — الدعوة إلى الدين وحجاج المشركين، ونضال المنكر بين الحق والصدق والبيان المبين

٢ — الدفاع عن الرأي حين اختلف الأنصار والمهاجرون فيمن يلي الخلافة بعد الرسول، وحين اختلف المسلمون بعد عمر فيمن يختارونه لهذا المنصب الرفيع، وحين انقسم المسلمون بعد ذلك إلى شيعة وخوارج وإلى أنصار أعلى ومؤيدين لمعاوية وبني أمية

٣ — الحض على قتال أعداء المسلمين، وتحميس الجند وتشجيعهم حين ملاقات الأعداء، والتبشير بالنصر وسوى ذلك مما دعت إليه الفتوحات الإسلامية الكثيرة

١٠ ، وإذا كان قدور دعن بعض الرجال في هذا العصر آثار قليلة جدا من العى والهجز فهذا نادر ضئيل جدا . كما ورد في الكامل أن يزيد بن أبى سفيان ولاه أبو بكر ولاية في الشام فصعد على المنبر فتمكلم فارتج عليه ، فقطع الخطبة وقال . سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى بيانا ، وأتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال ، فكان ذلك منه بلاغة ما بعدها بلاغة اعتذار ، مما أشاد به عمرو بن العاص حين سمع هذه الكلمات ،

٤ — الخطب في الشؤون الدينية من جماعة وصلاة عيدين وحج ومن وعظ وإرشاد وحض على الاستمسك بعروة الدين ومبادئ الاسلام
٥ — شرح خطة سياسية أو رأى ديني أو منهج اجتماعي أو غير ذلك مما استلزمته الحياة الاسلامية في ذلك العهد البعيد
أسلوب الخطابة

١ — تمتاز الخطابة الاسلامية بصفاء الاسلوب ومتانتها وشدة وقوته تأثيره ووصوله إلى قرارة النفوس وامتلاكه للشعور والوجدان
٢ — كما تمتاز بترك التكلف وهجران السجع المتعمد ، وإثارة الطبع وماتليه الملكة الموهوبة المهمة

٣ - كثرة الحكم وظهور العاطفة الدينية وذيق الاقتباس من أسلوب الذكر المبين ومحركاته في الاقناع والتأثير وجمال التصوير وبلاغة التعبير
٤ — وكانت تبدأ بحمد الله والثناء عليه وتختتم بمثل : أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ، : وكان أبو بكر يختم خطبه بقوله ، اللهم اجعل خير زمانى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم ألقاك ، وكان عمر يلزم في آخر خطبه قوله ، اللهم لا تدعنى في غمرة ولا تأخذنى على غرة ولا تجعلنى من الغافلين ،
٥ - وقد كانوا يسرون في خطبهم على طرفى الأيجاز والاطساب اتباعاً لمقتضيات الأحوال والمقامات

ألفاظها

وألفاظ الخطابة في هذا العصر ألفاظ القرآن في عذوبتها وجمالها وسهولتها والبعد عن الحوشى والغريب والمبتذل والمتنافر فيها فوق سلامتها من الخطأ والعيب واللحن ، وفوق ما فيها من موسيقى وروعة وجلال وقوة تأثير
هيئة الخطيب :

وفد ظل الخطباء في هذا العصر على ما ألفوه من لبس العمامة والاشتغال بالرداء واختصار المخصرة وكان صلى الله عليه وسلم يعتمد على عصا في السلم وعلى قوس في الحرب إلى أن اتخذ المنبر وكانوا يقومون على شرف ويخطبون من

قيام إلى غير ذلك من المظاهر التي كانوا يحرصون عليها في الخطابة لتتم للخطيب روعة التأثير والاقناع

معاني الخطابة في صدر الإسلام :

ومعاني الخطابة في هذا العصر لا تخرج عما علمت من الحكمة والصدق والحق والخير والطهر .

وهي مع ذلك مرتبة منظمة صادرة عن عقاية موهوبة مهذبة مثقفة فضلا عن دقتها وعمقها ووضوحها وجلالها وتأثيرها ومنهلم الذي كانوا ينهلون منه هذه الحكمة ؛ هو القرآن الشريف والحديث النبوي الخالد .

وسمو الروح ، وعظمة الايمان ؛ وقوة العقيدة وجلال الغاية ؛ كل هذه خصائص ظاهرة لمعاني الخطابة في الاسلام

وهي مع ذلك مرتبطة الاجزاء ، سليمة المنطق ؛ مرتبة مهذبة واضحة
أشهر الخطباء

وقد امتاز هذا العصر بكثرة الخطباء البلغاء كثرة رائعة عجيبة وفي صدر الخطباء الخطيب الاول والامام الاكبر والزعيم الروحي الاعظم محمد صلوات الله عليه ، وقد مربك طرف من بلاغاته وخطابته صلى الله عليه ومن الخطباء . أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعائشة وخالد وعبدالله بن عباس وعبد الله بن الزبير ، وابو عبيدة عامر بن الجراح ، ومعاوية ؛ وسواهم من اعلام الخطباء والبلغاء ، رضوان الله عليهم أجمعين ومن الخطباء المشهورين ، عطاردين حاجب بن زراره وكان الخطيب عند النبي صلى الله عليه كما يقول الجاحظ (١)

أعلام الخطباء في العصر الإسلامي

علي بن أبي طالب

المتوفى عام ٤٠ هـ

أسرته :

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، جده عبد المطلب
ابن هاشم سيد قريش وزعيمها وعلما المشهور
ووالده أبو طالب ، كان شريفا عظيما ، اشتغل بالتجارة في الجاهلية ،
ولما مات أبوه ورث عنه السقاية والرفادة . وهو الذي كفل ابن أخيه محمد
صلوات الله عليه ، وشمله بالرعاية والعون والتأييد ، ولما تعاهدت قريش علي :
مقاطعة بني هاشم وبني المطلب قال :

ألا أبلغنا عني - علي ذات يديها -	لويا وخصا من لوى بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً	نبياً كموسى خط في أول السكتب
أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبي	ويصبح من لم ين ذنباً كذى الذنب
ولا تتبعوا أمر الرشاة وتقطعوا	أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عوانا وربما	أمر علي من ذاقه حلب الحرب
فلسنا ورب البيت نسلم أحدا	لإزاء من عض الزمان ولا كرب

وظل كذلك إلى أن توفاه الله عليه رحمته .

أما والدته فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وهي أول هاشمية
ولدت هاشميا . أسلمت وهاجرت الى المدينة وماتت في حياة الرسول .

وعلى خليفة المسلمين بعد عثمان ؛ وابن عم الرسول صلى الله عليه ، وزوج ابنته ،
ووالد الحسن والحسين رضوان الله عليهما ، ورابع الخلفاء الراشدين وإمام الخطباء
من المسلمين بعد رسول الله

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله بمكة بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة (وقبل الهجرة بثمان سنين)

ونشأ بها النشأة العالية ، في كفالة الرسول كأحد أولاده . ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان متزوجا خديجة ، وكانت ذات مال كثير ، وكان الرسول يتجر فيه فحصل له ربح وفير ، فلما أصيبت قريش بالفحط والمجاعة ، قال الرسول لعمه العباس : « إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، والناس فيما ترى من الشدة ، فانطلق بنا فلنخفف من عياله : تأخذ أنت واحدا وأنا واحد . » وكان لأبي طالب من الذكور أربعة أولاد ، كل واحد بينه وبين الذي يليه عشر سنين ، وكان أسنهم طالبا ، فعقيلاً ، فجعفر ، فعلياً ؛ فلما جاء الإسلام أسلم على جعفر فعقيل ، أما طالب فمات على الكفر كأبيه . وكان إسلام علي وهو صغير في السنة الثامنة أو العاشرة من عمره قبل أن يتدنس بشيء من رجس الجاهلية ، ولذلك قيل فيه . « كرم الله وجهه » ، لأنه لم يسجد لصنم قط

ولما علم أبوه بإسلامه وصلاته مع الرسول قال له : « أي بني : أي شيء الذي أنت عليه ؟ » قال : « يا أبت آمنت بالله ورسوله ! وصدقت ما جاء به واتبعته . » فقال له : « أما إنه لم يدعك إلا إلى الخير فالزمه . »

وكان ذا منزلة سامية عند الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والمسلمين كافة كان على جانب كبير من التقوى ، وكان أوفرهم نصيباً وأكرمهم مدداً من الرسول ، ولهذا كانت إليه الفتوى في حياة الرسول وبعده ، حتى ضرب به المثل بعد وفاة الرسول فقيل : « قضية ولا أبا حسن لها . » قال عبد الله بن عباس : « قسم علم الناس على خمسة أجزاء ، فكان أعلى منها أربعة ولسائر الناس جزء شاركهم فيه فكان أعلمهم به . » وقال عبد الله ابن مسعود : « كان علي رضي الله عنه أفرض أهل المدينة وأقضاهم . » يريد أعلمهم بعلم الميراث والفصل في القضايا بين الناس . ومن دلائل عبقريته أنه كان يسأل عن الأمور المشككة فيجيب فيها على البديهة ويحل مشكلات المسلمين الدينية والاجتماعية ، وكان بطلا مقداما ،

وفارسا شجاعا ، وعلمها من أعلام الاسلام ، كما كان خطيبا مصقعا ، وبليغا مفوها ،
ومستشاراً مؤتمناً عند أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما .

ألوان من حياته :

١ — رجاء على رضوان الله عليه في نشر الدعوة في حياة الرسول الكريم
ذائع مشهور

وتعلمون موقفه الخالد ليلة الهجرة ، وكيف نام في الموضع الذي ينام فيه
الرسول ليلة الهجرة ليفدى الرسول ، ويضمن نجاح هجرته مع أنه كان يعلم ما يترقبه
من قتل وتعذيب .

ثم هاجر على إلى المدينة وأقام فيها مع الرسول الكريم ، يكمل ثقافته الدينية
بما يتلقاه من الرسول ، وكان من كتاب الوحي ، واشترك في غزواته ومشاهدته
ماعداء غزوة تبوك .

٢ — وتوفي رسول الله صلوات الله وولى الخلافة أبو بكر بعده فحق كثير
من المسلمون ، ولكن عليا كان كريما رائع التضحية وما يضر به من المثل العظيمة ،
فوقف مع أبي بكر يشد أزره ؛ ويسند ظهره ، ويشير عليه في المشكلات ، وتوفي
أبو بكر وتولى الخلافة عمر ، فكان على له ظهيرا مدينا ، كان يشير عليه بالصواب
والرشد إذا تفاقمت الأمور واشتدت الخطوب .

ثم قام عثمان بعد عمر بالخلافة فبايعه على وظل يعاونه إلى أن تفاقمت الأمور
وقامت الثورة على عثمان ومات فيها قتيلًا ، ويروى أن عثمان كتب إلى علي وهو
محاصر في داره :

أما بعد :

فقد بلغ السيل الزبي ، وجاوز الحزام الطبيين ، وطمع في من لا يدفع عن
نفسه ، ولم يغلبك مثل مغلب ، فأقبل إلى صديقاً كنت أوعدوا :

فان كنت مأكولا فكن خير آكل

وإلا فأدركني ولما أمزق

فبعث إليه بابنيه : الحسن والحسين يدافعان عنه . ولكنهما لم يستطيعا مقاومة الجماهير الثائرة فقتل عثمان

٣ — خلافته :

وبويع على بالخلافة بعد عثمان على كره منه سنة ٣٥ هـ فأخذ معاوية بن أبي سفيان يؤلب بنى أمية عليه لأنه لم يأخذ بدم عثمان ؛ وقد كان الثوار يوم بويع لعل مجتمعين ولم تغمد سيوفهم ، فرأى رضى الله عنه أن من الحكمة تركهم حتى تخمد نار الفتنة وتم البيعة ، ورأى معاوية أنه يجب الأخذ بدم عثمان قبل الشروع في البيعة ؛ وانضم إليه في هذا أهل الشام وطائفة من أهل مصر والعراق . قضى رحمه الله في الخلافة نحو خمس سنوات من ذى الحجة عام ٣٥ هـ الى رمضان عام ٤٠ هـ .

وقد كانت الأحداث التي وقعت في خلافته أحداثا عظيمة جعلته في كدح دائم وحروب مستمرة

خرجت عليه عائشة بالبصرة ومعها طلحة والزبير ، ومعركة الجمل مشهورة ثم استمرت الحروب بينه وبين معاوية بن أبي سفيان سجالا ، ومنها موقعة صفين ثم كان أمر التحكيم الذي قبله على على كره منه ، وخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري فيه .

ثم انتهى الأمر بقتل الخوارج لعل بيد عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، رحمه الله عليه بالكوفة في السابع عشر من رمضان عام ٤٠ هـ ودفن بها وعمره ثلاثة وستون عاما وتولى بعده ابنه الحسن خلافة المسلمين ثم تنازل عنها لمعاوية عام ٤١ هـ .

نهج البلاغة للإمام علي

وهو كتاب جليل ، وأثر أدبي خالد ، بعد كلام الله وكلام رسوله . جمع فيه الشريف الرضي م ٢٠٦ هـ كل ما ينسب للإمام علي من خطب

ووضايا ونصائح وحكم وأمثال ومواعظ وآراء ومحاورات ورسائل وعهود ، وقيل ان الذى قام بجمعه هو الشريف المرتضى م ٤٢٦ هـ

والشيعة على أن الكتاب بجملة وتفصيله لأمير المؤمنين على ، وذهب بعض الباحثين الى أنه منحول مفترى عليه ، أما حجج الذين ينفون نسبه عن على فأهمها :

١ - أن فى الكتاب أقوالا شديده اللهجة فى حق بعض الصحابة كما فى الخطبة الشقشقية السابقة ولكن بعض الباحثين يؤيدون نسبة هذه الخطبة اليه

٢ - ما فى الكتاب من أفكار عميقة واصطلاحات صوفية متأخرة . واصطلاحات كلامية أيضا لم توجد فى عصره .

٣ - ما فى بعض رسائل الكتاب من طول كثير مما يدع للشك مجالا فى صحة نسبتها إلى الامام على كما فى عهد على الى الاشترا النخعى .

٤ - خلو الكتب المؤلفة قبل الشريف الرضى من كثير مما فى نهج البلاغة وقد ذهب كثير من الباحثين إلى نسبة الكتاب لعلى

ولكن مما لا ريب أن بعضا مما فى الكتاب منتحل مدخول ، لاتصح نسبته إلى الإمام ، ولاداعى لتفصيل القول فى ذلك ، فلهذا موضوع آخر غير هذا المكان هذا وقد تنقف بثقافة نهج البلاغة كثير من عاشق الأدب ودارسيه فى القديم والحديث . ولايزل إلى اليوم من أهم كتب الأدب والثقافة الدينية والعربية والكتاب على الاسلوب نفهم العبارة مصقول البيان لطيف الروح ينحدر إلى النفس بسهولة

وموضوعات الكتاب كما يقول الرضى ثلاثة : اولها الخطب والأوامر ، وثانيها . الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ .

ويناز مع ذلك بطوله وضخامته وبأهمية ما فيه من آراء فى الاخلاق والسياسة والذين والاجتماع وبأنه ثروة فكرية وأدبية واسعة .

بلاغة على

وعلى كريم الله وجهه في الذروة من البلاغة والفصاحة والبيان وهو أخطب الخطباء بعد رسول الله صلوات الله ولذلك أسباب :

- ١ - أسرته وبيئته ومكانهما في البلاغة
 - ٢ - تأثره ببلاغة القرآن والرسول
 - ٣ - كانت حياته كلها كفاح ونضال وجهاد وهذا من أهم ما يبعث على الخطابة ويدعو إليها
 - ٤ - نشأته وطبعه من صغره على البيان واللسن الفصاحة
 - ٥ - قوة عارضته ، وحدة ذكائه وعبقريته ، وجيل شخصيته ووجه للصراحة والرأي الواضح . وكل ذلك مما يبعث الخطابة ويعين عليها
- وتمتاز خطابته بخصائص كثيرة من أهمها :
- ١ - تمثيلها لحياته وشخصيته وآرائه وعقيدته في الحياة
 - ٢ - بلاغة أسلوبه وإحكامه وإشراقه واستمداده من أسلوب الذكر الحديث والبلاغة النبوية الشريفة
 - ٣ - دقة معانيه وإحكامها وترتيبها وجلالها وعظمة الروح فيها وعلو الافق مما لا يكون إلا لمثل على كرم الله وجهه

٤ - جزالة ألفاظه إذا استثنينا منها هذه الألفاظ الاصطلاحية الكثيرة ويقول فيه الرضى :

كان أمير المؤمنين على عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ؛ ومنه عليه السلام ظهرت مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ... من أجل هذا كان إذا خطب فهو أخطب العرب بعد رسول الله ، وإذا كتب كان أبلغ الناس قولاً وأصدقهم وصفاً وأسيرهم مثلاً رضى الله عنه

بعض آثار من كلام علي

١ — وما قاله عليه السلام قبل موته
أنا بالأمس صاحبكم ، واليوم عبرة لكم ، وغدا مفارقكم ، إن أبق فأنا
ولو دمي ، وإن أفن فالقنصل ميعادي ، وأن أغفر فالعفو لي قربة ؛ وهو لكم
حسنة . فاعفوا واصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله ما فجأتني من الموت
وارد كرهته ، ولا طالع أنكرته وما كنت إلا كقارب ورد . وطالب وجد
وما عند الله خير للأبرار

ومن دعائه عليه السلام :

اللهم إني أعوذ بك أن أفقر في غناك ، أو أضل في هداك ، أو أضام في
سلطانك ، أو أضطهد والأمر لك

٢ — وقال من وصية لولده محمد بن الحنفية حين أعطاه الراية يوم الجبل
« تزول الجبال ولا تزول . عني على ناجذك ^(١) أعر الله جمجمتك ^(٢) تدفي
الأرض قدمك ^(٣) . أرم ببصرك أقصى القوم ، وغض ببصرك ؛ واعلم أن النصر
بيد الله سبحانه ،

٣ — ومن كلامه عليه السلام يصف بيئته بالخلافة ويرد على من زعم أن البيعة له
أخذت قسرا

بسطمت يدي فكففتها ؛ ومددت يديها فقبضتني ، ثم تداكمتكم على تذاك
الابل الهيم ^(٤) على حياضها يوم ورودها ، حتى انقطعت النعل وسقط الرداء
وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن أبتهج بها الصغير وهدج ^(٥) ، إليها الكبير ،
وتحامل نحوها العليل وحسرت إليها المكعاب .

(١) أي احرص على أن يكون الأمر لك

(٢) أي لا تشعر نفسك أن رأسك الآن لك بل أعرها الله جل ذكره وهذا

آثر قول في الاستهانة بالنفس يوم الروح

(٣) تدفع أمر من وتد — بفتح التاء — الوتد ثبته

(٤) تداكمتكم تراحمتم والهيم جمع هيماء وهي التي برح بها العطش

(٥) هدج مشى مشية ضعف

٤ - ومن كلامه في التحريض على القتال لما أغار سفيان الاسدي على الانبار وقتل عامله عليها :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال : أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ^(١) ألبسه الله الذل ، وسياء ^(٢) الحسف ^(٣) وديث بالصغار ^(٤) . وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً . وقلت لكم أغزوهم من قبل أن يغزوكم ، فوالذي نفسي بيده ما غزى قوم قط في عقر ^(٥) دارهم إلا ذلوا ؛ فتخاذلتم وتواكلتم ، وثقل عليكم قولي ، واتخذتموه وراءكم ظهرياً حتى شنت عليكم الغارات ^(٦) .

هذا أخو غامد قد بلغت خيله الأنبار ، وقتل حسان البكري ، وأزال خيلكم عن مسالحها ^(٧) وقتل منكم رجالاً صالحين . وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة ، فينزع حجلها وقلبها ورعاثها ^(٨) ، ثم انصرفوا موفورين ^(٩) ، مانال رجلاً منهم كلم ^(١٠) ولا أريق لهم دم . فلو أن رجلاً مسلماً مات من دون هذا أسفاً ما كان عندي فيه ملوماً ، بل كان به عندي جديراً . يا عجباً كل العجب !! عجب يميت القلب ، ويشغل الفهم ، ويكثر الأحزان ، من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم ، وفشلكم عن حقكم حتى أصبحتم غرضاً ترمون ولا ترمون ، ويغار عليكم ولا تغفرون ، ويعصى الله فيكم ^(١) رغب (كفرح) فيه أراده . وعنه كرهه . وإليه ابتهل ، ورغب (كسكرم) اشتد نهمه .

(٢) علامة . (٣) الذل . (٤) ديث : وصم ، والصغار الذل .

(٥) عقر : وسط .

(٦) قال المبرد : قوله شنت عليكم الغارات يقول صبت . يقال شذنت الماء وكذلك فسرها صاحب القاموس المحيط .

(٧) جمع مسلحة وهي الثغر حيث يخشى طروق العدو .

(٨) الحجل : الخللخال ، القلب ، السوار ، الرعاث جمع رعة وهي القرط .

(٩) تأمين لم ينقص منهم أحد . (١٠) جرح .

وترضون ، إذا قلت أغزوهم في الشتاء قلت هذا أو ان قر وصر (١) ، وإن قلت
لكم اغزوهم في الصيف قلت هذه حمارة (٢) القيظ . أنظرنا ينصرم الحر عنا ،
فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون ، فأنتم والله من السيف أفر ، بأشباه الرجال
ولا رجال ، وباطغام (٣) الاحلام ، وباعقول ربات الحجال (٤) والله لقد أفسدتم
على رأيي بالعصيان ، ولقد ملأتم جوفى غيظاً حتى قالت قريش : ابن أبي طالب
رجل شجاع ولكن لا رأى له في الحرب لله درهم (٥) ١١ ومن ذا يكون أعلم
بها مني وأشد لها مراساً ، فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد
نيفت اليوم على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع (يقولها ثلاثاً) ، فقام إليه
رجل ومعه أخوه ، فقال يا أمير المؤمنين : أنا وأخي هذا كما قال الله تعالى : رب
إني لا أملك إلا نفسي وأخي ، فرنا بأمرك ، فوالله لنتهين إليه ولو حال دونه
جمر الغضى وشوك القتاد ، فدعا لهما بخير ، ثم قال لهما وأين تقعان عما أريد .

٥ — الخطبة الشقشقية :

أما والله لقد تمصصها ابن أبي قحافة ، وأنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من
الرحى ، ينحدر عن السيل ، ولا يرقى إلى الطير ، فسدات دونها ثوبا وطويت

(١) القر بالضم : البرد ، ويوم قر بالفتح وليلة قره كذلك باردة والقره

بالكسرة البرد والرجل مقرر . والصر : الريح الشديدة كالصرصر .

(٢) حمارة القيظ شدته ومثلها صبارة الشتاء .

(٣) الطغام : السفلة من الناس والواحد طغامة .

(٤) الحجال جمع حجلة وهي الستر : أى ذوات الخدور كناية عن النساء

أو جمع حجل بكسر فسكون وهو الخلخال .

(٥) الدر : النفس ، واللين ، والعمل ، والمراد من نسبة الدر إلى الله بأحد

هذه المعاني هو تعظيمه لأن الشيء إذا نسب إلى العظيم كان عظيماً .

عنها كمشحاً ، وطفقت رثى به بين أن أهول بيد جذاء ^(١) أو أصبر على طخية عمية ^(٢) يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه ، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شعراً ، أرى ترائي نها ، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده ، ثم تمثل بقول الأعشى :

شتان ما يوى على كورها ويوم حيان أخى جابر ^(٣)

فيا عجباً بينا هو يستقيها في حياته ، اذ عدها لآخر بعد وفاته ، لشد ما تشظرا ضرعها فصيرها في حوزة خشناء يغلاظ كلها ، ويخشن مسها ، ويكثر العثار فيها ، والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ^(٤) ان أشنق لها خرم وأن أسلس لها تقحم

ففى الناس . لعمر الله بحبب وشماس ، وتلون واعتراض ، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة ، حتى إذا مضى لسبيله ، جعلها في جماعة ^(٥) زعم أنى أحدهم فيا لله وللشورى ، متى اعترض الريب فى مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر ، لكنى أسففت إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا ، فصغا رجل منهم

(١) اليد الجذاء المقطوعة

(٢) الطخية قطعة من الغيم والسحاب

(٣) كان حيان ابن السمين نديماً للأعشى وهو فى هذا البيت يشكو تفاوت

ما بينه وبينه فهو يسير فى الرمضاء على كور ناقتة بينا نديمه يقيم فى رفاهة العيش

(٤) الصعبة من النسيان التى لم تتركب ولم ترض وأشنق الرجل ناقتة إذا كسها

بالذمام ؛ وخرم أى قطع أنفها .

(٥) هؤلاء الجماعة أهل الشورى هم : على وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن

ابن عوف .

لضعفه ^(١) ، ومال الآخر لصهره ، مسح هن وهن ^(٢) ، إلى أن قام ثالث القوم ،
 ناججا حضنيه بين نثيله ومعتلفه ^(٣) ، وقام معه نبو أبيه يخضمون مال الله خضمة
 الابل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث قتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته ، فما
 واعنى إلا والناس كعرف الضبع إلى ، يتسألون على من كل جانب ، حتى لقه
 وطىء الحسنان ، وشق عطفائى ، مجتمعين حول كربيضة الغنم ^(٤) ، فلما نهضت
 بالامر نكثت طائفة ، ومرقت أخرى ، وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام
 الله حيث يقول :

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا
 والعاقبة للمتقين

بلى والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكنهم حلت الدنيا فى أعينهم وراقهم
 زبرجها ، أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام
 الحججة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا
 سغب مظلوم ، لالقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها ،
 ولألفيتم دنيا كم هذه عندى من عطفة عنز .

قالوا : وقام إليه رجل من أهل السواد ، عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته
 فناوله كتابا فاقبل ينظر فيه ، فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ، يا أمير المؤمنين

(١) صغا : مال وهذا الذى يرى على رضى الله عنه أنه صغا لضعفه هو طلحة
 ابن عبيد الله والذى مال لصهره هو عبيد الرحمن بن عوف وكان زوجا لاخت
 عثمان رضى الله عنه

(٢) هن من الالفاظ التى يكتنى بها عن شيء يجب ستره

(٣) ناججا حضنيه أى رافعا لهما ، والحضن ما بين الابط والكشح والنثيل

الروث والمعتاف موضع العلف

(٤) ربيضة الغنم القطعة الرابضة منها

لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت ! فقال هيهات يا ابن عباس اتلك شقشة^(١)
هسدرت ثم قرث ، قال ابن عباس فوالله ما أسفت على كلام قط كائننى على هذا
السكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد

حول هذه الخطبة

وينكر كثيرون هذه الخطبة لما تشتمل عليه من اتهام للخلفاء الثلاثة رضوان
الله عليهم بما لا يصدر مثله عن أمير المؤمنين على رحمه الله مع جلاله وعفته وتسامحه
وفرط أدبه وفضله وكرمه

٦ — ومن الحكم لعلى بن أبى طالب :

إيمان المرء يعرف بإيمانه . أدب المرء خير من ذهبه . أداء الدين من الدين .
أحسن إلى المسيء تسد . إخوان هذا الزمان جواسيس العيوب . أخوك من واساك
بنشب لا من واساك بنسب . بشر نفسك بالظفر بعد الصبر . بركة المال فى أداء
الزكاة ، بع الدنيا بالآخرة تربح . بكاء المرء من خشية الله تعالى قرّة العين . باكر
تسعد . بطن المرء عدوه . بركة العمر حسن العمل . بلاء الإنسان من اللسان .
بشاشة الوجه عطية ثانية . توكل على الله يكفيك . تدارك فى آخر العمر ما فاتك
فى أوله . تكاسل المرء فى الصلاة من ضعف الإيمان . تغافل عن المكروه توفر .
ثلمة الدين موت العلماء . ثبات الملك بالعدل . ثواب الآخرة خير من نعيم الدنيا .
ثناء الرجل على معطيه مستزيد . جد بما تجدد . جولة الباطل ساعة وجولة الحق
إلى قيام الساعة . جودة الكلام فى الاختصار . جليس المرء مثله . جليس المرء
غنيمة . جالس الفقراء تزد شكرا . جل من لا يموت . حياء المرء ستره .
حوضات الطعام خير من حوضات الكلام . خوف الله تأمن غيره . خالف
نفسك تهترح . خير الأصحاب من يدلك على الخير . خليل المرء دليل عقله .
خوف الله يحلو القلب . خلو القلب خير من ملء الكيس . خير المال ما أنفق فى
سبيل الله . دليل عقل المرء فعله ودليل علمه قوله . دوام السرور برؤية الإخوان

(١) الشقشة ما يخرج البعير من فيه إذا هاج .

دولة الأرزاق آفة الرجال . دين الرجل حديثه . دولة الملوك في العدل . دار من جفاك تخجيلا . دم على كظم الغيظ تحمد عواقبك . ذنب واحد كثير وذكر وألف طاعة قليل . ذكر الأولياء ينزل الرحمة . ذليل الخلق عزيز عند الله . ذكر الموت جلاء القلب . ذكر الشباب حسرة . رؤية الحبيب جلاء العين . رفاهية العيش في الأمن . رسول الموت الولادة . زيارة الحبيب إطراء المحبة . زوايا الدنيا مشحونة بالزبايا . زيارة الضعفاء من التواضع . زينة الباطن خير من زينة الظاهر . سيرة المرء تنبئ عن سريره . سمو المرء التواضع . شين العلم الصلف . شمرؤا في طلب الجنة . شريك ناعيك . شحيح غنى أفقر من فقير سخى صدق المرء نجاحه . صحة البدن في الصوم . الصبر يورث الظفر . صلاة الليل بهاء النهار . صلاح الإنسان في حفظ اللسان . صاحب الاختيار تأمن الأشرار . صمت الجاهل ستره . صلاح الدين في الورع وفساده في الطمع . ضل سعي من رجا غير الله تعالى . ضرب الحبيب أوجع . ضل من ركن إلى الأشرار . طاب من وثق بالله . طالب الأدب أولى من طلب الذهب . ظلم المرء يصرعه ظلامه المظلوم لا تضيع . ظمأ المال أشد من ظمأ الماء . ظل عمر الظالم قصير وظل عمر الكريم فسيح . عش قنعاً تكن ملـكاً . عيب الكلام تطويله . عاقبة الظالم وخيمة . غدرك من ذلك على الاساءة . فاز من ظفر بالدين . فخر المرء بفضله أولى من فخره بأصله . فاز من سلم من شر نفسه . فسدت نعمة من كفرها . قبول الحق من الدين . كلام الله دواء القلب . كفران النعمة مزيلها . كفى بالشيب داء . كمال العلم في الحلم . لين الكلام قيد القلوب . من كثر كلامه كثر ملامه . مجلس العلم روضة من رياض الجنة . مصاحبة الأشرار ركوب البحر . نسيان الموت صداً للقلب . نم آمناً تكن في أمهد الفرش . نضرة الوجه في الصدق . ولاية الأحق سريعة الزوال وحدة المرء خير من جليس السوء . هم السعيد آخرته وهم الشقي دنياه . هلاك المرء في العجب . هربك من نفسك أنفع من هربك من الأسد . لادين لمن لا مروءة له . لا فقر للعاقل . يعمل النمام في ساعة فتنة أشهر . يسود المرء قومه بالأحسان إليهم

الدين يعصم . الدنيا تسلم ، الصيانة رأس المروءة . الحق سيف قاطع . العجب عنوان الحماقة . البشاشة جبل المودة . الارتقاء إلى الفضائل صعب . الانحطاط إلى الرذائل سهل . السكوت عن اللاحق جوابه . إمام عادل خير من مطر وابل . المحسن حى وإن نقل إلى منازل الاموات . العاقل إذا سكت ففكر وإذا نطق ذكر وإذا نظر اعتبر . الداعى بلا عمل كالقوس بلا وتر لا تجاب الرجل بنفسه عنوان ضعف عقله ، أحسن الجود عفو بعد مقدرة ، بركوب الاهوال تكسب الاموال ، بالسخاء يستر العيوب ، تكلموا تعرفوا فان المرء مخبوء تحت لسانه ، ثوب التقي أشرف الملابس ، ثوب الآخرة ينسب مشقة الدنيا ، ثروة العاقل فى علمه و ثروة الجاهل فى ماله ، ثلاث يوجبن المحبة الدين والتواضع والسخاء . جهاد النفس أفضل الجهاد . حسن الادب يسترقب النسب . حلاوه الظفر تمحو مرارة الصبر . حد اللسان يقطع الارصال . خير الثناء ماجرى على السنة الاخيار . دوام الفتن من أعظم المحن رب سكون أبلغ من كلام . زلة العالم كانهكسار السفينة تغرق وتغرق معها غيرها . زخارف الدنيا تفسد العقول الضعيفة . سلاح اللئام قبح الكلام . سمع الاذن لا ينفع مع غفلة القلب . شر الناس من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً شديداً لا يعرف فضله ما لا من فقد هما الشباب والعافية صمتلك حتى تستنطق أجمل من نطقك حتى تسكت . صوم النفس عن لذات الدنيا أفضل الصيام . صدر العاقل صندوق سره . ضع فخرك وأحطط كبرك وكما تزرع تحصد وكما تدين تدان . ضعف البصر لا يضر مع استنارة البصيرة . طوبى لمن غلب نفسه ولم تغلبه ومن ملك هواه ولم يملكه . طلب الثناء بغير استحقاق خرق . ظن العاقل أصح من يقين الجاهل . ظرف الرجل تنزهه عن المحارم ومبادرته إلى المسكارم . عليك بالآخرة تأتلك الدنيا صاغرة . عند الامتحان يكرم المرء أو يهان . عجيب العامر دار الفناء وتارك دار البقاء . عجيب لمن يحمل نفسه كيف يعرف ربه . عبد الشهوة أذل من عبد الرق . عبد المطامع أسير لا يفك أسره . عاشر أهل الفضائل تنبل . عداوة الاقارب أمس من لسع العقارب . غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه . غنى المؤمن بالله . غنى العاقل فى حكمته . غنى الجاهل فى قنيتة . فى الذكر حياة القلوب . فى رضا الله نيل المطلوب فى الدنيا عمل ولا حساب وفى الآخرة

الحساب ولا عمل . في الاستشارة عين الهداية . فقد البصر أهون من فقد البصيرة . قد يبعد القريب . قد يلين الصليب . قلة الأكل تمنع كثيرا من ألال الجسم . قل الحق وإن كان عليك . قليل الحق يدفع كثير الباطل كما أن قليل النار يحرق كثير الخطب . كل طير يأوى إلى شكله ، كل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه ، كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا العلم فإنه يتسع ، كم يفتح بالصبر من غلق . كيف ينجو من الله هارب . كيف يسلم من الموت طالبه ، كن عالما ناطقا أو مستمعا واعيا ، كلام الرجل ميزان عقله ، كلما قاربت أجلا فأحسن عملا ، وليس من عادة الكرام تأخير الانعام ، للشدائد تذخر الرجال ، من توقر وقر ، ومن تكبر حقر ، من استشار العاقل ملك ، من استبد برأيه هلك ، ما حقر نفسه إلا عاقل . ما أعجب برأيه إلا جاهل ، نعم الادم الجوع ، هدى من أطاع ربه ، وخاف ذنبه ، هلك أمرؤ لا يعرف قدره ، هانت عليه نفسه من أمر عليه لسانه ، وقرروا كباركم توفركم صغاركم ، وقار الشيب أجمل من بضارة الشباب ، لا تثقن بعهد من لا دين له ، لا تعدما تعجز عن الوفاء به ، لا تثق بمن يذيع سرك ، لا يسترقك الطمع فقد جملك الله حرا . يستدل على الكريم بحسن بشره وبذل خيريه يستدل على إدبار الدول بأربع : تضييع الأصول والتمسك بالفروع وتقديم الأرزال وتأخير الأفاضل ، يبلغ الصادق بصدقه مالا يبلغه الكاذب باحتياله

٨ — وعن علي بن أبي رافع ، قال : كنت على بيت مال علي بن أبي طالب وكتبه ، فكان في بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة فأرسلت إلى بنت علي بن أبي طالب فقالت لي : إنه قد بلغني أن في بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ ، وهو في يدك وأنا أحب أن تعيرنيه أتجمل به في يوم الاضحى ، فأرسلت إليها : عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام يا بنت أمير المؤمنين ، فقالت : نعم عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام فدفعته إليها وإذا أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه . فقال لها : من أين جاء إليك هذا العقد ، فقالت : استعرت من أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين لأنزبن به في العيد ثم أردته ، فبعثت إلي .

أمير المؤمنين فحسبه فقال لى : أتخون المسلمين يا ابن أبى رافع ، فقلت معاذ الله أن أخون المسلمين ، فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذى فى بيت مال المسلمين بعير إذنى ورضاهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنها بنتك وسألنى أن أعيرها تتزين به ، فأعرتهم — إياه عارية مضمونة مردودة عل أن ترده سالما إلى موضعه . فقال : رده من يومك وإياك أن تعود إلى مثله فتتالك عقوبتى إلى مثله ثم قال ويل لابنتى لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة مضمونة لكانت إذن هاشمية قطعت يدها فى سرقة . فبلغت مقالته ابنته فقالت له يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعة منك فمن أحق بابسه منى فقال لها : يا بنت ابن أبى طالب لا تذهبي بنفسك عن الحق أكل نساء المهاجرين والانصار يتزين فى مثل هذا العيد بمثل هذا فقبضته منها ورددته إلى موضعه .

ووصف على رضى الله عنه الدنيا وقد سئل ذلك ، فقال .
وما أصف لك من دار أولها عناء وأخرها فناء ، من صح فيها أمن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فتن ، حلالها حساب وحرامها عذاب ^(١)
وراجع وصف على رضى الله عنه لرسول الله ^(٢)
وراجع وصف ضرار الصدائى لعلى رضى الله عنه وقد طلب منه ذلك معاوية ^(٣)
ووصف الحسن البصرى لعلى بن أبى طالب ^(٤)
وجواب على رضى الله عنه لمن سأله عن الإيمان ^(٥)
وصيغة صلاته على النبي صلى الله عليه وكان يعلمها أصحابه ^(٦)
وقد سبق ذكر كثير من آثاره فى نماذج الخطابة والثر الفنى

(١) ٢/١٢٦ الأمالى

(٢) ٢/٦٩ الأمالى

(٣) ٢/١٤٧ الأمالى

(٤) ١٧٠ و ١٩٤ النوادر - الأمالى

(٥) ١٧١ النوادر

(٦) ١٧٣ النوادر

الامام على والشعر

وينسب لأمير المؤمنين على رضى الله ديوان شعر كبير ، وهو مطبوع متداول ، ونسب إليه ابن رشيق شعراً فى الجزء الاول من العمدة .
والحق أن أكثر ما ينسب لعلى من الشعر منتحل ، وأنه لم يفرغ للشعر ولم يؤثر عنه إلا القليل منه .

وليس بمعقول أن يكف لبيد عن الشعر ويخوض فيه مثل الامام على كرم الله إلى هذا الحد الذى يصوره لنا الديوان المنسوب إليه .

هذا وأكثر ما ينسب لعلى تصح نسبته لغيره ولاداعى الأفاضة فى ذلك كله ، وإن كان جل شعره فى الزهد والحكمة والموعظة ، ومما نسب إليه قصيدة طويلة سموها القصيدة الزينية ومطلعها :

صرمت حبالك بعد وصلك زينب والدهر فيه تصرم وتقلب

ومما نسب اليه قوله يرثى النبى صلى الله عليه وسلم :

أمن بعد تكفينى النبى ودفنه	بأثوابه آسى على هالك ثوى
رزئنا رسول الله فينا فلن نرى	بذاك عديلاً ما حيينا من الورى
لقد غشيتنا ظلمة بعد موته	نهاراً فقد زادت على ظلمة الدجى
وكننا برؤياه نرى النور والهدى	صباحاً مساءً راح فينا أو اغتدى
فيا خير من ضم الجوانح والحشا	ويا خير ميت ضم التراب والثرى
كان أمور الناس بعدك ضينت	سفينة نوح حين فى البحر قد سما
وضاق فضاء الارض عنهم برحبه	لفقد رسول الله إذ قيل قد مضى
فقد نزلت بالمسلمين مصيبة	كصدع الصفا لشعب للصدع فى الصفا
فلن يستقل الناس تلك مصيبة	ولن يجبر العظم الذى منهم وهى
وفى كل وقت للصلاة يهيجها	بلال ويدعو باسمه كلما دعا
ويطلب أقوام وارث هالك	وفينا موازيت النبوة والهدى

وقوله :

وما هي ان غرت قرونا بطائل	لقد خاب من غرته دنيا دنية
عزوف عن الدنيا ولست بجاهل	وقلت لها غرى سوى فاني
رهين بقفر بين تلك الجنادل	وما أنا والدنيا فان محمداً
وأموال قارون وملك القبائل	وهيها أتتنا بالكنوز ودرها
وتطلب من خزائنها بالطوائل	أليس جميعا للفناء مصيرها
لما فيك من عز وملك ونائل	فغرى سوى اني غير راغب
فشأنك يادنيا وأهل الغوائل	وقد قنعت نفسي بما قد رزقته
واخشى عقابا دائما غير زائل	فاني أخاف الله يوم لقائه

عمر بن الخطاب

نسبه وأسرته ونشأته :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدى بن كعب بن لؤى . وأمه بنت هاشم بن المغيرة من بني مخزوم .

ولد لثلاث عشرة سنة مضت من ميلاد الرسول صلوات الله عليه -

عام ٥٨٤ -

ونشأ في مكة شجاعاً ألباً بطلاً صريحاً لا يرى فيما يعتقد أنه الحق هوادة ولا مجاملة ، وكان يسفر بين قريش وقبائل العرب .

ثم بعث الرسول صلوات الله وسنة ٢٧ سنة ، وحارب الاسلام حرباً شديدة ثم أسلم وأعلن إسلامه في العام السادس من البعثة وهاجر بعد الرسول صلوات الله عليه في غير خيفة أو خفية . وحضر مع الرسول صلى الله عليه غزواته كلها . وكان يستمع لمشورته ورأيه ، وكان هو وأبو بكر بمنزلة الوزيرين لرسول الله . وقد صاهره الرسول فتزوج بنته حفصة ، ولما مات الرسول كان لأمير الفضل في إعلان البيعة لأبي بكر ، فكان لأبي بكر بمنزلة الوزير الأول يشير عليه ويعينه ، وكان أبو بكر يحيل عليه الفصل في القضايا والمشكلات .

خلافته :

وتوفي أبو بكر عام ١٣ هـ ، وكان قد عهد بالأمر بعده إلى عمر ، وكان بدء خلافته يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى الثانية عام ١٣ هـ = ٢٣ أغسطس ٦٣٤ م .

وفي عهده زادت الفتوحات الاسلامية ، وانتشرت الدعوة الاسلامية في الشرق والغرب ، وانتصر المسلمون على فارس والروم انتصارات ساحقة . ومصرت الكوفة والبصرة ودونت الدواوين .

وكان مثلاً أعلى في العدالة والديمقراطية والتفاني في إعزاز كلمة الاسلام

ورفع شأن المسلمين ، وكان مثالا للرحمة والبر والعطف على الرعية والصرامة في الحق والجد في نشر الاسلام .

وقتل عليه رضوان الله عام ٢٣ هـ

بلاغه عمر :

كان عمر أدبيا يتذوق الأدب وينقد الشعر ، ويروى المأثور من بلاغة الجاهليين .

وكانت له آراء دقيقة في نقد الشعر ، كما كانت له مواقف كريمة في رعاية الشعراء وتوجيههم وتشجيعهم .

وله بعض المأثور من الشعر مما سجل صاحب العمدة وسواه آثاراً منه .

وله كثير من الخطب والرسائل والوصايا والنصائح ، والكلمات الحكيمة والأمثال الذائعة والآراء الحصيفة .

وكان رحمه الله خطيباً بليغاً ومفوهاً مؤثراً ، قوى الحججة شديد العارضة رائع الأسلوب والديباجة تنبع معانيه من ينابيع الحكمة والنبوة ، وتنوع موضوعات خطابه بحسب المقامات والأحوال .

وقد مر بك الكثير من نماذج نثره في الخطب والوصايا والنصائح والحكم .

وهاك آثاراً قليلة أخرى لهذا العبقرى العظيم :

من خطبة له لما بلغه أن قوما يفضلونه على أبي بكر الصديق رحمه الله ،
فوثب مغضباً حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ،
ثم قال :

أيها الناس : إني سأخبركم عنى وعن أبي بكر : إنه لما توفى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارتدت العرب ، ومنعت شاتها وبعيرها ^(١) ، فأجمع رأينا كلنا أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم أن قتلنا له : يا خليفة رسول الله ، إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحي والملائكة ، يمدده الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم
فالزم بيتك ومسجدك ، فإنه لا طاقة لك بقتال العرب ، فقال أبو بكر الصديق
أو كلكم رأيته على هذا ؟ فقلنا نعم ، فقال والله لأن آخر ^(٢) من السماء ، فتخطفنى
الطير أحب إلى من أن يكون هذا رأى . ثم صعد المنبر ، فحمد الله وكبره ، وصلى
على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها من كان يعبد محمداً
فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . أيها الناس : أئن
كثير أعداؤكم ، وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب ؟ ۱۱ والله ليظهرن الله
هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون . قوله الحق ، ووعدده الصدق . بل
نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ^(٣) فإذا هو زاهق ^(٤) وكم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة بأذن الله والله مع الصابرين ، والله يأيها الناس لو أفردت من جميعكم
لجاهدتهم في الله حق جهاده حتى أبلى بنفسى عذراً ^(٥) أو أقتل قتلاً . والله أيها الناس

(١) أى منعت زكاتها .

(٢) أسقط .

(٣) دمه : أصاب دماغه .

(٤) زهق الشيء : هلك ، والباطل : اضمحل .

(٥) يقال أبلاه عذراً : قدمه إليه فقبله . والمعنى هنا فعل ما يعذر معه أى لم يقصر

لو منعوني عقالا لجاهدتهم^(١) عليه، واستعنت الله عليهم وهو خير معين^(٢)؛ ثم نزل:
لجاهد في الله حق جهاده حتى أذعن العرب بالحق .

وقد سبق لعمر كثير من الآثار في نماذج النثر الفنى والخطابة^(٣)

(١) عقال : زكاة عام من الابل والغنم وقيل العقال الحبل الذى تعقل به
الفريضة فكان يعطى معها .

(٢) وقد تقدمت هذه الخطبة لأبى بكر فى صفحة ١٢١

(٣) راجع ص ٧٢ و ٧٦ و ٨٠ و ٨٥ و ١٠٩ و ١١٠ من هذا الكتاب

بعض مواقف عمر من الشعراء

١ - عمر وأبو كلاب بن أمية *

عن عروة بن الزبير قال : هاجر كلاب بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر ابن الخطاب، فأقام بها مدة ، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبد الله ، والزبير بن العوام فسألها : أى الأعمال أفضل في الاسلام ؟ فقالا : الجهاد . فسأل عمر فاغزاه في جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، وخرج معه أخ له آخر ، فأنهض أمية يقول :

يا أم هيثم ماذا قلت ؟ أبلاني	ريب المنون وهذان الجديدان ^(١)
إما ترى حجري قد رك ^(٢) جانبه	فقد يسرك صلبا غير كذبان ^(٣)
إما ترى لا أمضى إلى سفر	إلا معي واحد منكم أو اثنان
يا ابني أمية ، إني عنكما غاني	وما الغنى غير أنى مرعش فاني
يا ابني أمية ، إلا تشهدا كبرى	فان نايكما والشكل مثلان
إذ يحمل الفرس الأحوى ^(٤) ثلاثتنا	وإذ فراقكما والموت سيان
أصبحت هزما الراعى الضأن أعجبه	ماذا يريك منى راعى الضأن ؟
انعق بضائك في نجم ^(٥) تحفره	من الأباطح واحبها بجمدان ^(٦)
إن ترع ضانا فاني قد رعيتهم	بيض الوجوه بنى عمى وإخوانى
فلما طالت غيبة كلاب عنه قال :	

لمن شيخان قد نشدا كلابا كتاب الله إن رقب الكتابا

* المحاسن والمساوى ص ٥٨٨ طبع ليزج ، ذيل الأمالى ص ١٠٨ ،
 (١) الجديدان : الليل والنهار (٢) رك . ضعف (٣) الكذبان : الرخو
 (٤) الأحوى : الأسود (٥) النجم : ما نجم من النبات على غير ساق (٦) جمدان
 جبل بطريق مكة وواد .

تنفض مـهـده شفقا عليه ونجنبه أباعرنا^(١) الصعابا
 إذا هتفت حمامة بطن واد على بيضاتها دعوا كلابا
 تركت أباك مرعشة يدها وأمك ما تسيع لها شرابا
 أناديه وولاني قفاه فلا وأبي كلاب ما أصابا
 فان مهاجرين تكنفاه ليترك شيخه ؛ خطئا وخابا
 وإن أباك حين تركت شيخ يطارد أينقا شسبا^(٢) طرابا
 إذا بلغ الرسم^(٣) فكان شدا^(٤) يخر ، فخالط الذقن الترابا
 قبلت أبياته عمر فلم يرد كلابا ، فاهتز أمية واختلط^(٥) جزعا عليه ، وتغنت
 الركبان بشعر أبيه فبلغه ، فأنشأ يقول .

اعمر ك ما تركت أبا كلاب كبين السن مكتثبا مصابا
 وأما لا يزال لهـما حزين تنادى بعد رقدتها كلابا
 لكسب المال أو طاب المعالي ولمكنى رجوت به الثوابا
 ثم أتاه يوما وهو في مسجد الرسول ، يحوله المهاجرون والأنصار ، فوقف
 عليه ثم أنشأ يقول :

أعاذل قد عدلت بغير علم ولا تدرين عاذل ما ألاقى
 فاما كنت عاذلتى فردى كلابا إذ توجه العراق
 ولم أقض اللبانة من كلاب غداة غد وأذن بالفراق
 فلا والله ما باليت وجدى ولا شفقى عليك ولا اشتياقى

(١) جمع بعير .

(٢) الشسب : جمع شاسب وهو النحيف اليابس ضمراً .

(٣) الرسم : سير الأبل

(٤) الشد . الحضر والعدو (٥) فسد عقله

سأستعدي على الفاروق ربا له حج الحجاج على اتساق
وأدعو الله مجتهداً عليه بيطن الأخشبين^(١) إلى دفاق^(٢)
فلما أنشدها عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص أن رحل كلاباً ،
فرحله .

فلما قدم دخل إليه فقال : ما بلغ من برك بأبيك ؟ قال : كنت أبره وأكفيه
أمره ، وكنت أعتد — إذا أردت أن أحلب لبناً — أغزر ناقة في إبله وأسمها
فأسقيه .

فبعث عمر إلى أميه من جاء به إليه . فأدخله يتهادى ، وقد ضعف بصره وانحنى
فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما تراني يا أمير المؤمنين . قال : فهل لك
من حاجة ؟ قال : نعم : أشتي أن أرى كلاباً ، فأشمه شمة ، وأضمه ضمة قبل أن
أموت . فبكى عمر ثم قال : ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى .

ثم أمر كلاباً أن يحتلب لآبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبعث إليه بلبنها . ففعل ؛
فناوله عمر الإماء وقال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلما أخذه وأدناه إلى فمه ، قال :
نعم والله يا أمير المؤمنين ، إني لأشم رائحة كلاب من هذا الإماء . فبكى عمر وقال :
هذا كلاب عندك حاضراً قد جشاك به . فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله وجعل
عمر يبكي ومن حضره وقال لكللاب ألزم أباك لجاهد فيهما ما بقيا
٢ — عمر وأبو محجن الثقفي :

كان أبو محجن^(٣) الثقفي من المعاقرين للخمر ، المحدودين في شربها ، أقام

(١) الأخشبان ، جبلاً مكة ، أبو قبيس والأحمر ، وجبلاً منى

(٢) دفاق ، موضع أو واد .

• المهذب ص ٤٨ ج ٢ ، الخزانة ص ٥٥٣ ج ٣ ، الأغاني ص ١٣٨ ج ٢٠

السكامل لابن الأثير ص ٢٣٢ ج ٢ ، المسعودي ص ٤٢٣ ج ١

(٣) أبو محجن اسمه وكنيته على المشهور ، أسلم سنة ٩ هـ ، وسمع من النبي صلى

الله عليه وسلم وروى عنه ، وكان جواداً كريماً من الفرسان المشهورين
في الجاهلية والإسلام مات سنة ٣٠ هـ

عليه عمر بن الخطاب الحيد مراراً ، ودو لا ياتى ، فنفاه إلى جزيرة في البحر ،
وبعث معه حرمياً (١) فهرب منه ولحق بسعد بن أبي وقاص ، وهو في حربه مع
الفرس — وكانت حرب القادسية .

ولما بلغ عمر كتب إلى سعد بحبسه ، فحبسه في القصر ، وتطلع أبو محجن إلى
الحرب ، فرآها مشتعلة ، فذهب إلى سلمى بنت أبي حفص زوج سعد ، فقال لها :
هل لك في خير ؟ قالت : وما ذاك ! قال تخلين عني وتعيرينني البلقاء (٢) ، فله على
إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى تضعي رجلي في قيدي ، فقالت . وما أنا وذاك
فرجع يرسف في قيوده ، ويقول :

كفى حزناً أن ترتدى الخيل بالقنا وأترك مشدوداً على وثاقيا
إذا قت عنائى الحديد وغلقت مصاريع من دوني تصم المنايا
وقد كنت ذا مال كثير واخوة فقد تركوني واحداً لا أخاليا
وقد شف جسمي أننى كل شارق (٣) أعالج كبلاً (٤) مصتما قد برانيا
فله درى يوم أترك مؤثقا وتذهل عني أسرتى ورجاليا
حبيساً عن الحرب العوان وقد بدت وإعمال غيرى يوم ذاك العواليا
ولله عهد لا أخيس (٥) بعهد لئن فرجت ألا أزور الحوانيا (٦)

فقالت سلمى . إني استخرت الله ورضيت بعهدك واطلقته :

فاقتاد أبو محجن الفرس ؛ وأخرجها ثم وكبها ، ودب عليها ، وفي ذلك اليوم
أظهر من شجاعته عجباً . ولما تجاوز أهل العسكرين أقبل أبو محجن حتى دخل
القصر ، ووضع نفسه عن دابته ، وأعاد رجله في القيد وقال .

لقد علمت ثقيف غير نخر بأنا نحن أكرمهم سيوفا

(١) الحرسى . واحد حرس السلطان .

(٢) البلقاء ، فرس سعد بن أبي وقاص .

(٣) أصل الشارق : اليوم الذى فيه الشمس ، والمراد كل يوم .

(٤) الكبل القيد (٥) خاس بالعهد . غدر ونكث

(٦) الحانية . الدكان

وأكثرهم دروعا سابغات وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفاً
فإن حبس فقد عرفوا بلأني وإن أطلق أجرعهم حتوفاً
فقلت له سلمي : يا أبا محجن ، في أي شيء حبسك هذا الرجل ؟ فقال : أما
والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنني كنت صاحب شراب في الجاهلية
وأنا امرؤ شاعر ، يدب الشعر على لساني ، فينفثه أحياناً ، فحبسني لأنني قلت :
إذا مت فادفني إلى أصل كرمه تروى عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفني بالفلاة (١) فأنني أخاف إذا مامت أن لا أذرقها
فذهبت إلى سعد وأخبرته خبر أبي محجن ، فدعابه وأطلقه ، وقال . اذهب فما
أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ، فقال . والله لا أجبت لساني إلى قبيح أبداً
٣ - عمرو الخطيئة والزبرقان بن بدره

قدم الزبرقان على عمر في سنة مجدبة ، ليؤدي صدقات قومه ، فلقبه الخطيئة
بقرقرى (٢) ، ومعه ابنه أوس وسواده وبناته وامراته ، فقال له الزبرقان - وقد
عرفه ولم يعرفه الخطيئة : أين تريد ؟ قال : العراق ، فقد حطمتنا هذه السنة ،
قال : وتصنع ماذا ؟ قال : وددت أن أصادف بها رجلاً يكفيني مثونة عيالي ،
وأصفيه مدحى أبداً .

فقال له الزبرقان : قد أصبته ، فهل لك فيه يوسعك لبنا وتمرا ، ويجاورك
أحسن جوار وأكرم ؟ فقال الخطيئة : هذا وأبيك العيش ، وما كنت أرجو
هذا كله ، قال فقد أصبته ، قال : عند من ؟ قال : عندي ؛ قال ومن انت ؟
قال . الزبرقان بن بدر . قال . وأين محلك ؟ قال : أركب هذه الابل ، واستقبل
مطلع الشمس ، وسل عن القمر (٣) حتى تأتي منزلي .

(١) الفلاة . الأرض المهلكة .

. الأغاني ص ١٨٠ ج ٢ ، نهاية الأرب ص ٢٩٧ ج ٣ ، ذيل زهر الآداب

ص ٢٢٧ ، ابن أبي الحديد ص ١٠٣ ج ٣ ، الكامل ص ٣٤٨ و ٣٥٤ ج ١

(٢) قرقرى : أرض باليمامة فيها قرى وزورع كثيرة ونخيل .

(٣) الزبرقان . البدر ، وسمى به الحصين بن بدر لحسنه ، وكان رسول الله

قد استعمل الزبرقان على صدقات قومه وأقره أبو بكر ، توفي أيام معاوية
سنة ٤٥ هـ وكان فصيحاً شاعراً .

ثم كتب إلى أمه ، وكان اسمها أم شذرة : أن أحسنى إليه وأكثرى له من التمر واللبن . وكان الخطيئة دميما سبي الخلق ، لا تأخذه العين ، ومعه غيال كذلك ، فلما رأت أم شذرة حاله هان عليها ، وقصرت ^(١) به .

ونظر بغیض ^(٢) وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أم شذرة ، فأرسلوا إليه : أن اتنا ، فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصير والغفلة ، ولست بالذي أحمل على صاحبها ذنبها ، فلما ألح عليه بنو أنف الناقة قال لهم : لست بحامل على الرجل ذنب غيره ، فان تركت وجفيت تحوات اليكم ، فأطعموه ووعدوه وعداً عظيماً .

فلما لم يجبههم دسوا إلى هنيئة زوحة الزبرقان : أن الزبرقان إنما يريد أن يتزوج ابنته . مليكة — وكانت جميلة كاملة — فظهرت من المرأة للخطيئة جفوة ، وهي في ذلك تداريه ، ثم أرادوا النجعة ^(٣) ، فقالت له أم شذرة : قد حضرت النجعة ، فاركب أنت وأهلك هذا الظهر إلى مكان كذا وكذا ، ثم رده إلينا حتى نلحقك ، فانه لا يسعنا جميعاً ، فأرسل إليها : بل تقدي أنت . فأنت أحق بذلك ، ففعلت .

وثأقلت عن رده إليه ، وتركته يومين أو ثلاثة ، وألح بنو أنف الناقة عليه ، وقالوا له : قد تركت بمضيعة ، فلما ألحوا عليه أجابهم ، فقال : أما الآن فنعم ! أنا صائر معكم ، وتحمل معهم . فضربوا له قبة ، وربطوا بكل طناب من أطناها جلة ^(٤) هجرية ، وأراحوا ^(٥) عليهم لبهم ، وأكثروا له من التمر واللبن ، وأعطوه لقاحاً ^(٦) وكسوة .

(١) قصرت به . لم تسكرمه ولم تبلغ ما يرضيه .

(٢) كانت بغیض وأنف الناقة ينازعون الزبرقان الشرف ، وكانوا أشرف من الزبرقان إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسه .

(٣) النجعة ؛ طلب السكلا في موضعه .

(٤) الجلة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكثر فيه .

(٥) لإراحة الابل : ردها في العشى .

(٦) اللقاح : جمع لقوح وهي الناقة الحلوب .

فلما قدم الزبرقان سأل عنه ، فأخبر بقصته ، فركب فرسه ، وأخذ رمحاً ، وسار حتى وقف على نادى القرعيين ، فقال : ردوا على جارى ! فقالوا : ما هو لك بجار ، وقد اطرحت وضيعته ، فألم (١) أن يكون بين الحيين حرب ؛ فحضرهم أهل الحجا من قومهم ، ولاموا بغیضا وقالوا : أردد على الرجل جاره ، فقال : لست مخرجه وقد آوئته ، وهو رجل حر مالك لأمره ، فخيروه ، فان اختارنى لم أخرجه ، وإن اختاره لم أكرهه .

فخيروا الخطيئة فاختر بغیضا ورهطه ، فجاء الزبرقان ووقف عليه ، وقال له : أبا مليكة ، أفارقت جوارى عن سخط وذم ؟ قال . لا ، فانصرف وتركه . وجعل الخطيئة يمدح القرعيين من غير أن يهجو الزبرقان ، وهم يحضونه على ذلك ويحرضونه فيأبى ويقول . لا ذنب للرجل عندى ، حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النمر بن قاسط فهجا بغیضا ، فقال .

أرى إبل بجوف الماء حلت	وأعوزها به الماء الرواء (٢)
وقد وردت مياه بنى قريع	فما وصلوا القرابة مذ أساءوا
تحلا (٣) يوم ورد الناس إبل	وتصدر وهى محنقة (٤) ظماء
ألم أك جار شماس بن لآى	فأسلنى وقد نزل البلاء
فقلت . تحولى يا أم بكر	إلى حيث المكارم والعلاء
وجدنا بيت بهدلة بن عوف	تعالى سميكة ودحا الفناء (٥)
وما أضجى لشماس بن لآى	قديم فى الفعّال (٦) ولا رباء (٧)
سوى أن الخطيئة قال قولا	فهذا من مقالته جزاء

(١) ألم . قرب (٢) الرواء . الكثير .

(٣) تحلا . تمنع (٤) محنقة . ضامرة

(٥) دحا الفناء . عظم واتسع

(٦) الفعّال . اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه

(٧) الرباء . الطول والمنة والفضل

حينئذ قال الخطيئة يهجو الزبرقان ، ويناضل عن بغيض قصيدته التي يقول فيها :

والله مامعشر لاموا امرأ جنباً^(١) في آل لاي بن شماس بأكياس^(٢)
ما كان ذنب بغيض ، لا بألكم ، في بائس جاء يحدو آخر الناس
لقد مريتكم^(٣) لو أن درتكم^(٤) يوما يجيء بها مسحى وإبساسي^(٥)
وقد مدحتكم عمدا لأرشدكم كما يكون لكم منجى^(٦) وإمراسي^(٧)
لما بدالى منكم عيب أنفسكم ولم يكن لجراحي فيكم آسى
أزمت يأسا مينا من نوالكم ولن ترى طارداً للحجر كالياس
ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً ذا فاقة حل في مستوعر شاسي^(٨)
جاراً لقوم أطالوا هون — نزله وغادروه مقبياً بين أرماس^(٩)
ملوا قراه وهرته^(١٠) كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتهم — واقعد فانك أنت الطاعم^(١١) الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

(١) الجنب : القريب

(٢) جمع كيس : اللبيب الفطن والمراد بالمشعر الزبرقان ورهطه

(٣) مرى الناقة يريها : مسح ضرعها ، والمراد مدارانهم ومدحهم ليدروا

عليه بالعطاء

(٤) الدرة اللبن

(٥) الإبساس : أن تدعو الناقة باسمها وتلاطفها لتدر

(٦) المتح : أن يقف الرجل فوق البئر ليجذب الدلو

(٧) الامراس : وضع حبل البئر في البكرة بعد أن انزلق منها

(٨) المستوعر : المكان الوعر ، والشاسي : المكان الغليظ المرتفع

(٩) الرمس : القبر وجمعه أرماس ، والهون : المذلة : أى تركوه كالميت

(١٠) هرته الكلاب : نبخته . وهو كناية عن أن كان غريباً مضطهداً بينهم

(١١) الطاعم : المطعوم . والكاسي : المكسو

ما كان ذنبى أن فلت معاولكم من آل لاي صفاة (١) أصلها راسي
قد ناضلوك فسيولوا من كنائهم مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس (٢)
فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب ، فرفعه عمر اليه واستنشدته فأنشده ،
فقال عمر . ما أسمع هجاء ولا كنها معاتبة ، فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروءتى إلا
أن آكل وألبس ، فقال عمر . على بحسان ، فجيء به ، فسأله : فقال . أترأه هجاء ؟
قال . نعم وسليح عليه ! فحبسه عمر ، فقال فى الحبس .

أعوذ بجدك إني امرؤ سقتنى الأعدى اليك السجلا (٣)
فانك خير من الزبرقان أشد نكالا وأرجى نوالا
تحنن على هداك المليك فان لكل مقام مقالا
ولا تأخذنى بقول الوشاة فان كان ما زعموا صادقا
فان كان لى يشتكين الوجا (٥) فسيقت اليك نسائى رجالا (٤)
فلم يلتفت عمر اليه ، حتى قال .
يخفضن آلا (٦) ويرفعن آلا

ماذا تقول لأفراخ بذى (٧) مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذى من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النهى اليشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر (٨)

(١) الصفاة . الحاجر الصلد الضخم لا يذبت (٢) أنكاس . جمع نكس ، وهو
أضعف السهام ، ومعنى البيت . أن العرب كانوا إذا أسروا أسيرا خيروه بين
التخلىة ، وجز الناصية والأسر ، فان اختار جز الناصية جزوها له واخلوا سبيله ،
ثم جعلوا ذلك الشعر فى كنائهم ، فاذا افتخروا أخرجوه وأروهم مفاخرهم
(٣) السجلا . جمع سجل وهو الدلو العظيمة ملوأة (٤) جمع رجلة ، أى راجله
(٥) الوجا . الحفا وقيل شدته (٦) الآل . عمد الخيمة (٧) ذو مرخ . واد بالحجاز
(٨) الأثر ، واحدها أثره ، ومعناها الاستثثار والمكرمة

فأمن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر^(١)
 أهلى فداؤك كم بينى وبينهم من عرض داوية^(٢) يحمى بها البصر
 فبكى عمر حين قال : « ماذا تقول لأفراخ بنى مرخ » : فقال عمرو بن العاص
 ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء ، أعدل من رجل يبكى على تركه الخطيئة ! فقال
 عمر : على بالكرسى ، فأتى به ، فجلس عليه ؛ ثم قال ، أشيروا على فى الشاعر فإنه
 يقول الهجر ، وينسب بالحرم ، ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم . ما أراى إلا
 قاطعاً لسانه ، ثم قال ، على بالطست ، فأتى بها ثم قال ، على بالخصف^(٣) ، على
 بالسكين ، لابل على بالموسى فهو أوحى^(٤) ! فضج الخطيئة وقال ، إنى والله يا أمير
 المؤمنين قد هجوت أبى وأمى وامراتى ونفسى ؛ فتبسم عمر ، ثم قال . ما الذى
 قلت ؟ قال ، قلت لأبى وأمى

ولقد رأيتك فى النساء فسؤتى وأبا بنيك فسأمتنى فى المجلس
 وقلت لأبى خاصة

فبئس الشيخ أنت لدى تميم وبئس الشيخ أنت لدى المعالى
 وقلت لأمى خاصة

تنحى واجلسى منى بعيداً أراح الله منك العالمينا
 أغربالا^(٥) إذا استودعت سرا وكانونا^(٦) على المتحدثينا ؟
 حياتك ما علمت حياة سوء وموتك قد يسر الصالحينا
 وقلت لامراتى

أطوف ما أطوف ثم آتى إلى بيت قعيـدته لكاع
 وقلت لنفسى

أبت شفتاى اليوم إلا تكلماً بسوء فما أدرى لمن أبا قائله
 أرى لى وجهاً شوه الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله

(١) القرر . جمع قررة ، وهى البرد (٢) الداوية ، الفلاة الواسعة

(٣) الخصف ، مخز الاسكافى (٤) أرحى . أسرع (٥) الغربال . النمام

(٦) الكانون . الثقل من الناس ، وقيل الكانون ، الذى يجلس حتى

فقالوا : لا يعود يا أمير المؤمنين ، وأشاروا إليه أن قل : لا أعود ، فقال ،
لأعود يا أمير المؤمنين ، فقال له النجاء ! ثم قال له عمر : يا حطيئة كأنى بك عند
فتى من قریش ، قد بسط لك نمرقة ^(١) ، وكسر لك أخرى وقال . غتنا يا حطيئة ،
فطفقت تغنيه بأعراض الناس ^(٢) !

قال ابن أسلم : فما أنقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر قد
بسط له نمرقه ، وكسر له أخرى وقال : غتنا يا حطيئة ، فجعل يغنيه ، فقالت له :
يا حطيئة أتذكر قول عمر ؟ ففزع وقال . يرحم الله ذلك المرء أما أنى لو كان حياً
ما فعلت !

عمر والشعر

وكان عمر رضى الله عنه :

١ — راوية للشعر يتمثل به فى كثير من واقفه

٢ — بل كان شاعرا روى صاحب العمدة والعقد بعض آثاره ، وروى عنه

« روى أولادكم ما سار من المثل وحسن من الشعر » ^(٣)

٣ — وكان ذا بصر بالشعر ونقده وفهمه .

٤ — وكان يحنو على الشعراء ويكافئهم ويوجههم إلى الخير ويرشدهم إلى حفظ

أعراض المسلمين وشرفهم وكرامتهم

وكتب الأدب مشحونة بكثير من الروايات الأدبية حول ذلك

(١) النمرقة الوسادة .

(٢) يروى أن عمر رضى الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة

فاشتري منه أعراض المسلمين جميعا بثلاثة آلاف درهم فقال الحطيئة فى ذلك

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتما يضر ولا مديحا ينفع

ومنعتنى عرض اللئيم فلم يخف ذمى وأصبح آمنا لا يفزع

(٣) ٢١٢ ج١ البيان والتبيين

قال عمر بن الخطاب :

امروؤ القيس سابق الشعراء ، خسف^(١) لهم عين شعر فافتقر^(٢) عن معان عور^(٣) أصبح بصر^(٤)

ويقول عمر : النابغة أشعر شعراء عطفان^(٥) وزمير أشعر الناس (٦)

وأعجب بيت لزهير^(٧) وبيت لمعدة بن الطيب (٨)

وروى عنه أنه مدح زهيراً بأنه كان لا يعاظم في الكلام ولا يقول إلا الحق وموقف عمر لما استعداه الزبرقان على الخطيئة معروف وقد سبق ذكره^(٩) وكذلك موقفه من رديط تميم ابن مقبل لما استعدوه على النجاشي وقد هجاهم وكان عمر شاعراً وكذلك أبو بكر وعلى ، وعلى أشعر الثلاثة^(١٠)

وقال عمر لابنه عبد الرحمن : يا بني احفظ محاسن الشعر يحسن أدبك . وقال : ارووا من من الشعر أعفه^(١١)

وكان عمر أعلم الناس بالشعر^(١٢)

وراجع ذكر ما دار بين متمم بن نويرة وعمر ورثاء متمم له بعد وفاته في النوادر، (١٣)

(١) من الخسف وهي البئر التي حفرت في حجارة فخرج عنها ماء كثير

(٢) أى فتح ، من الفقر وهو فم القناة .

(٣) يريد أن امرأ القيس من اليمن وأهل اليمن ليست لهم فصاحة نزار

فجعل لهم معاني عورا فتح امرؤ القيس أصبح بصرها فانه يمانى النسب نزارى الدار والمنشأ . (٤) ٢٩٦ ج ٢ المزهر طبع صبيح .

(٥) ٣٧٩ > ٣ العقد (٦) ٣٧٩ و ٣٨٠ > ٣ المرجع (٨) ٣٨٦ ج ٣ العقد

(٧) ٢٨٧ ج ٣ العقد

(٩) وراجع في العقد ص ٤٠٨ > ٣ و ٣٣ ر ٢ ، وفي البيان والتبيين ٢٢٤ ج ٢

وراجع رأيه في الشعر في العقد ص ٢٨٦ > ٣

(١٠) ٣٨٨ ر ٣ العقد (١١) ١٨ الجهرة

(١٢) ١٦٩ و ١٧٠ ج ١ البيان وراجع تحكيمه في الشعر في ص ١٦٩ ج ١

(١٢) ١٧٨ النوادر ملحق بالآمالى

آثار أخرى لعمر

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه وهو غائب .

أما بعد فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ومن شكر زاده ومن
أقرضه جزاه فاجعل التقوى جلاء بصرك وعماد ظهرك فإنه لا عمل لمن لا نية له
ولا أجر لمن لا حسنة له ولا جديد لمن لا خلق له (١)

رسالة عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري^(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم :

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس : سلام عليك ،
أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة . فافهم إذا أدلى اليك ، فإنه لا ينفع
تكلم بحق لا نفاذ له . آس^(٣) بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى
لا يطمع شريف في حيفك^(٤) ، ولا يئس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى ،
واليمين على من أنكر . والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم
حلالا . لا يمنعك قضاء قضيتَه اليوم ، فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك
أن ترجع إلى الحق ؛ فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التماذى في الباطل .
الفهم الفهم فيما تلجلج^(٥) في صدرك بما ليس في كتاب ولا سنة^(٦) . اعرف الأشباه
والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق
واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بيته أمدا ينتهى إليه ، فإذا حضر بينته أخذت له

(١) ٢ / ٥٥ الأما

(٢) من رجال المسلمين الأعلام ، ولى قضاء البصرة حين بعث إليه عمر بهذه

الرسالة . وله موقف مشهور في التحكيم بين علي ومعاوية .

(٣) آس بين الناس : سو بينهم . (٤) الحيف : الميل أى ميلك معه لشرفه .

(٥) تلجلج : تردد حتى كان موضع حيرة .

(٦) الكتاب : القرآن الكريم والسنة ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير .

بحقه ، وإلا استحللت عليه القضية ، فانه أنفى للشك وأجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو نسب ^(١) ؛ فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايان ^(٢) . وإياك والقلق والضجر ^(٣) والتأذى بالخصوم والتسكر عند الخصومات ، فان الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس . ومن تخلق ^(٤) للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله ^(٥) ، فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائنه رحمة ، والسلام ^(٦) .

كتاب عمر الى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما إليه ينصحانه .

بسم الله الرحمن الرحيم .

من عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل ، سلام عليكما فاني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد جاءني كتابكما ترعمان أنه بلغكما أني وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها ^(٧) يجلس بين يدي الصديق والعدو والشريف والوضيع ؛ وكتبتما أن أنظر كيف أنت يا عمر عند ذلك ، وأنه لاحول ولا قوة لعمر عند ذلك إلا بالله . وكتبتما تحذرانني ما حذرت به الأمم قبلنا ، وقد يما كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس ، يقربان كل بعيد ويبلغان كل

-
- (١) ظنين : متهم أى ينتسب الى غير أبيه أو يدعى الى غير مواليه ، فليس أهلا للشهادة . (٢) درأ : دفع يريد منع الحدود . (٣) القلق والضجر ضيق الصدر وقلة الصبر . (٤) أى أظهر للناس في خلقه خلاف نيته . (٥) شأنه . ضدزانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه . (٦) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله في الدنيا ورحمته في الآخرة .

(٧) الأحمر كناية عن العجم ، والأسود عن العرب والمراد جميع المسلمين .

(٨) اختلا فهما بآجال الناس الخ : تعاقبهما على قضاء الأعمار .

جديد ، ويأتيان بكل موعود ، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة أو النار ،
ثم توفي كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب . كتبنا تزعمان أن أمر هذه
الامة ، يرجع في آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة ولستم بذلك
وليس هذا ذلك الزمان ، ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرهبة ، فتكون
رغبة بعض الناس إلى بعض إصلاح دينهم ورهبة بعض الناس لإصلاح دنياهم .
وكتبنا تعوذاني بالله أن أنزل كتابكما منى سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما .
وإنما كتبنا نصيحة لى . وقد صدقنا . فتعهداني منكما بكتاب ، فلا غنى بي عنكما .
والسلام عليكما !

ثانياً - الكتابة الفنية

في عصر صدر الاسلام

نماذج لها :

١ - كتاب الرسول الى المنذر بن ساوى

من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى : سلام عليك ، فاني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد فاني أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وإنه من يطع رسله ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نههم فقد نهى لي . وأن رسله قد أثبوا عليك خيراً وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم ، وإنما مهما تصلح فلن نذكرك ، ومن أقام على يهوديته أو نصرانيته فعليه الجزية .

٢ - كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى أبرويز

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله عز وجل ، فاني أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . واسلم تسلم فان توليت فانما أثم المجوس عليك .

٣ - كتابه إلى النجاشي

بسم الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة إني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم البتول الطيبة الحصينة حملته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فأني رسول الله ، وإني أدعرك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين والسلام على من اتبع الهدى

٤ - كتابه صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بالموادعة :

هذا كتاب من محمد صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بأنهم آمنون على أمه والهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من ناوهم ، وأن لا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم لنصره أجاوبه، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ، ولهم النصر على من بر منهم واتفق .

٥ - صلح الحديبية بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش .

باسمك اللهم ، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو : اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليه ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وأنتك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، فإذا كان عاما قابلا خرجنا عنك فدخلتها باصحابك فأقمت بها ثلاثا وإن معك سلاح الرماح والسيوف في الركب فلا تدخلها بغير هذا .

٦ - كتابه صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل يعزيه بابن له مات

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول إلى معاذ بن جبل سلام عليكم فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فعظم الله لك الاجر وألهمك الصبر ، ورزقنا وإياك الشكر ، ثم إن أنفسنا وأهاليها ومواليها من مواهب الله السنية وعوارفه المستودعة نمتع بها إلى أجل معدود وتقبض لوقت معلوم ، ثم اقترض علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى ، وكان ابنك من مواهب الله الهنيئة وعوارفه المستودعة متمتع به من غبطة وسرور وقبضه عنك بأجر كثير .

واعلم أن الجزع لا يرد ميتاً ولا يدفع حزناً . فأحسن الجزاء وتنجز الموعد وليذهب أسفك ما هو نازل بك فكأن قد

٨ - من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن حزم الأنصاري حين ولاه اليمن :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني اسنارث بن كعب عمرو بن حزم الأنصاري ليفقههم في الدين ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه ، وأمر فيه بأمره . ومنه :
بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيان من الله ورسوله . يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عقد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن .

أمره بتقوى الله في أمره كله ، فد إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمر به الله ، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم في الدين . وينهى الناس فلا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم وبالذي عليهم ، ويأين الناس في الحق ، ويشهد عليهم في الظلم ، فإن الله عز وجل كره الظلم ونهى عنه وقال . . ألا لعنة الله على الظالمين ، ويبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينذر بالنار وبعملها ، ويستألف الناس حتى يتفقهوا في الدين .

٩ — كتاب أبي بكر إلى أهل الردة :

وكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى قبائل العرب التي ارتدت عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم - سنة إحدى عشرة هجرية - كتاباً واحداً ، ونصه .

بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة ، أقام على إسلامه أو رجع عنه . سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ، فاني أحمد ^(١) إليكم الله الذي لا إله إلا هو . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأقرب ما جاء به ، وأكفر من أبي وأجاهده . أما بعد ، فإن الله تعالى أرسل محمداً بالحق من عنده إلى الخلق ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً ، ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين فهدى الله للحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذنه من أدبر عنه ، حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً ، ثم توفي الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأمرته ، وقضى الذي عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزله فقال : « إنك ميت وأنهم ميتون وقال . « وما جعلنا البشر من قبلك الخلد أفان مات فهم الخالدون ، وقال للمؤمنين « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين « فمن كان إنما يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فان الله له بالمرصاد ، ^(٢) حتى قيوم ^(٣) لا يموت ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره منتقم من عدوه بحزبه .

(١) أي أحده معك ، فأقام إلى مقام مع ، وقيل معناه أحمد إليك نعمته الله وأحدثك بها .

(٢) المرصاد الطريق ، وفلان يرصد فلاناً أي يقعد له على طريقه يترقبه ، والمعنى أن الله يرصد كل إنسان حتى يجزيه بأعماله لا يفوته منها شيء .

(٣) القيوم . الدائم القيام بتدبير خلقه وحفظه .

(٤) السنة : فتور يتقدم النوم

وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبيكم من الله وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وأن تهتدوا بهداه ، وأن تعتصموا بدين الله ، فإن كل من لم يهده الله ضال ، وكل من لم يعافه مبتلى ، وكل من لم يعنه مخدول ، فمن هداه الله كان مهتديا ومن أضله كان ضالا ، قال الله تعالى : « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقربه ، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل »^(١) .

وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر الإسلام وعمل به ، اغترارا بالله ، وجهالة بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله جل ثناؤه : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ، وقال جل ذكره : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » .

وإني أنفذت إليكم « فلانا » في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان ، وأمرته ألا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله ، فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحا ، قبل منه وأعانه عليه ، ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ، ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه ، وأن يحرقهم بالنيران ، ويقتلهم كل قتلة ، وأن يسبى النساء والذراري ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله .

(١) الصرف . التوبة ، والعدل . الفدية ، وقيل الصرف . القيمة ، والعدل . المثل ، وأصله في الفدية ، يقال . لم يقبلوا منهم صرفا ولا عدلا ، أي لم يأخذوا منهم دية ولم يفعلوا بقتيلهم ، رجلا واحدا ، ثم جعل بعد في كل شيء حتى سار مثلا فيمن لم يؤخذ منه الشيء الذي يجب عليه وألزم أكثر منه .

وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم ، والداعية الآذان ، فاذا أذن المسلمون فأذنوا ، **كفوا عنهم** ، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم ، وإن أذنوا سألوهم ما عليهم ، فإن أبو اعاجلوهم ، وإن أقرأوا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم .

١٠ - كتاب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص .

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص والى مصر ، وقد استبطأ ورود الخراج من قبله :

د من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص :

سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا إله الا هو ، أما بعد : فقد عجبت من كثرة كتبى إليك فى إبطائك بالخراج ، وكتابك الى بنيات (١) الطرق ، وقد علمت أنى لست أرضى منك إلا بالحق البين ، ولم أقدمك إلى مصر اجعلها لك طعمة ولا لقومك ، ولكنى رجعتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك فاذا أتاك كتابى هذا فاحمل الخراج ، فانما هو فى المسلمين ، وعندى من قد تعلم ، قوم محصورون ، والسلام .

١١ - رد عمرو على عمر

فكتب إليه عمرو بن العاص :

د بسم الله الرحمن الرحيم ، لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص . سلام عليك فانى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد . فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطنى فى الخراج ، ويزعم أنى أعند (٢) عن الحق ، وأنكب (٣) عن الطريق ، وإنى والله ما أرغب عن مصالح ما أتم ، ولكن أهل الأرض استنظرونى

(١) بنيات الطرق : الأباطيل .

(٢) عند عن الطريق كنصر وسمع وكرم عنودا : مال .

(٣) نكب عنه كنصر وفرح نكباً (كشمس وسبب) .

الى أن تدرك غلثهم ، فنظرت للمسلمين ، فكان الرفق بهم خيراً من أن نخرق (١) بهم ، فيصيروا الى بيع ما لا غنى بهم عنه ، والسلام ،

١٢ - كتاب عمر إلى سعد بن أبي وقاص :

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص ، وقد أمره على حرب العراق .

« أما بعد . فاني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المسكيدة في الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن انا بهم قوة . لأن عدونا ليس كعددهم ، ولا أعدتنا كعدتهم ، فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل (٢) علينا في القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم جفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا ان عدونا شر منا ، فان يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني اسرائيل — لما عملوا بمساخط — كفار المجوس ، فجاءوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، وأسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدركم أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم

وترفق بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تجشمهم مسيراً يثم بهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم — والسفر لم ينقص قوتهم — فانهم سائرون الى عدوهم مقيم ، حامى الانفس والكراع (٣) ، وأقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ، ويرمون (٤) أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح

(١) الخرق كقفل وسبب ضد الرفق وفعله كفرح .

(٢) الفضل : الزيادة .

(٣) الكراع من كل شيء طرفه ، واسم يجمع الخيل .

(٤) رمه كضرب ونصر : أصلحه .

منازلهم عن قرى أهل الصالح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تنق بدينه ، ولا يرزأ ^(١) أحداً من أهلها شيئاً ، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها ، كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم فتولوا خيراً ، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح .

وإذا وطئت أرض العدو فاذك ^(٢) العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن الكذب لا ينفعك خبره ، وإن صدقك في بعضه ، والغاش عين عليك ، وليس عينا لك .

وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع ، وتبث السرايا ^(٣) بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتنع الطلائع عوراتهم ، وتنق ^(٤) للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك ، وتخبر لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والبصير على الجلال ، ولا تخص بها أحد بهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر ما حايبت به أهل خاصتك ، ولا تبعن طليعة ولا سرية في وجه تنخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكابة ، فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، وأجمع إليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تتاجلهم المناجزة ، مالم يستكرهك القتال ، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله ، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها ، فتصنع بعدوك كصنعه بك .

ثم أذك أحراسك على عسكريك ، وتيقظ من البيات جهديك ، ولا تؤتى بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه ، لترهب به عدو الله وعدوك ، والله ولي أمرك ومن معك وولى النصر لكم على عدوكم والله المستعان .

(١) رزأه ماله : أصاب منه شيئاً .

(٢) أذكى عليه العيون : أرسل عليه الجواسيس

(٣) السرايا جمع سرية كغنيه . وهى القطعة من الجيش .

(٤) تنقاه : اختاره .

١٣ - كتاب معاوية إلى علي .

وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب حين شجر بينهما الخلاف :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب .
أما بعد . فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثمان ،
لكنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين ولكنت أغريت بدم عثمان
المهاجرين وخدلت عنه الانصار : فأطاعك الجاهل ، وقوى بك الضعيف ؛
وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت « ١ » ،
شورى بين المسلمين ، وإلّا كان الحجازيون هم الحكم على الناس والحق فيهم
فلما فارقه كان الحكم على الناس أهل الشام . ولعمري ما حجتك عليهم كحجتك
اطلحة والزبير ؛ لأنهما بايعاك ولم أبايحك ، وما حجتك على أهل الشام كحجتك
على أهل على البصرة ؛ لأن أهل البصر أطاعوك ، ولم يطعك أهل الشام ؛ فأما شرفك
في الإسلام ؛ وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعك من قریش
فلمست أدفعه . »

١٤ - رد على معاوية .

فكتب إليه الإمام علي :

« بسم الله الرحمن الرحيم » من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر .
أما بعد . فقد أتاني كتابك كتاب امرى ليس له بصريهديه ، ولا قائد يرشده
دعاه الهوى فاجابه ، وقاده فاتبعه ، زعمت أنك إنما أنسد عليك بيعتى خفري (٢)
بعثان ، ولعمري ما كنت إلا رجلا من المهـاجرين ، أوردت كما أوردوا ،
وأصدرت كما أصدروا ، وما كان الله ليجمعهم على ضلال ، ولا ليضربهم بالعمى ،
وما أمرت فلزمتنى خطيئة الأمر ؛ ولا قتلت فأخاف على نفسى قصاص القتال .
وأما قولك إن أهل الشام هم حكم أهل الحجاز . فهات رجلا من قریش الشام

(١) كانت أى الخلافة .

(٢) خفريه كضرب خفرا وخفورا : نقض عهده وغدره .

يقبل في الشورى ، أو تحمل له الخلافة ، فإن سميت كذبتك المهاجرون والانصار ، ونحن نأتيك به من قریش الحجاز .

١٥ — وصية أبي بكر إلى عمر رضى الله عنه :

إني مستخلفك من بعدى وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل ، وأنه لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة فانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إني أخاف ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ؛ ولم يذكر حسناتهم فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ، ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقى بيده إلى التهلكة . فإذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجز الله

١٦ — وكتب عمر رضى الله عنه الى أبي موسى الأشعرى :

أما بعد فإن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عميةا بمجولة وضغائن محمولة ، وأهواء متعبة ، ودنيا مؤثرة ، فأقم الحدود ولو ساعة من نهار . وإذا عرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فأثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا ، فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى ، وكن من خشية الله على وجل ، وأخف الفساق وأجعلهم يدا يدا ورجلا رجلا ، وإذا كانت بين القبائل نائرة وتداعرا يالفلان فانما تلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله وتكون دعواهم الى الله وإلى الامام ، وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة تدعو يا لضبة !! وإني والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها خيرا قط ولا منع بها من سوء قط فإذا جاءك كتابي هذا فانهمكهم عقوبة حتى

يفرقوا إن لم يفقهوا ، وعهد مرضى المسامحين ، واشهد جنازتهم ، واقتح بابك
وباشر أمرهم بنفسك ، فانما أنت أمرؤ منهم غير أن الله جعلك أنقامهم حملا وقد بلغ
أمير المؤمنين أنه فشاك ولاهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك
ايس للمسلمين مثلها فايالك يا عبد الله أن تكون البهيمة التي مرت بواد خصب فلم
يكن لها همة إلا السمن ؛ وانما حنقها في السمن ، وأعلم أن للعامل مردا الى الله
فاذا زاع العامل زاغت رعيته وان أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام .

١٧ — وكتب على رضى الله عنه كتاب حالف بين ربيعة واليمن
هذاما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها وباديها وربيعة حاضرها وباديها أنهم
على كتاب الله يدعون اليه ويأمرون به ويحجبون من دعا اليه وأمر به لا
يشترون به ثمنًا ولا يرضون به بدلا وأنهم بدا راحته على من خالف ذلك .
لا ينقضون عهدهم لمعينة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستدلال قوم قوما
ولا لمسبة قوم قوما على ذلك شاهدهم وغائبهم ، وسفيهم وعالمهم ، وحليمهم
وجاهلهم ثم ان عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ان عهد الله كان مسئولا ، وكتبه
على بن أبى طالب

١٨ — وكتب إلى عبد الله بن عباس يعظه

أما بعد فان المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن
ليدركه . فليكن سرورك بما نلت من آخرتك . وليكن أسفك على ما فات منها
وما نلت من دنياك فلا تسكر به فرحا ، وما فأنك منها فلا تأس عليه جزعا ،
وليكن همك فيما بعد الموت (١)

وصف الكتابة في صدر الاسلام

تمهيد :

١ - تعلمون أن الكتابة انتقلت من الأنبار والحيرة على يد بشر بن عبد الملك أخى أكيدر بن عبد الملك الكندى صاحب دومة الجندل ، وأن بشرا خرج إلى مكة وتزوج بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان ، فعلم جماعة من أهل مكة ، فكثرت من يكتب بها من قريش

قال رجل من أهل دومة الجندل من كندة يفتخر على قريش بذلك :
لا تجحدوا نعماء بشر عليكمو فقد كان ميمون النقيبة أزهرأ
أناكم بخط الجزم حتى حفظتمو من المال ما قد كان شتى مبعثرا
فاجريتم الاقلام عودا وبدأة وضاعيتمو كتاب كسرى وقيصرا
وعرف خط أهل الحجاز بالحجازى ، ولما نشأت الكوفة أدخل عليه كتابها
شيئا من الزخرف والتحسين فسمى الخط الكوفى

٢ - والكتابة على أى حال آكد أسباب الحضارة ، وأوثق وسائل العمران
وكلما ازدادت شئون الحضارة واتسعت مذاهب الملك ، وتعددت مناحى التفكير
ومناهج الثقافة ، ازدادت الحاجة إليها وازداد الكتاب إقبالا عليها وافتتانا في مناحيها
وتجويدا في لغتها ومعانيها وتنويعا في موضوعاتها وأغراضها

حالة الكتابة في عصر النبوة :

ولما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم كان بمكة نفر من يحسنون الكتابة
ويبلغون نحو السبعة عشر ، ثم لما هاجر إلى المدينة ووقعت غزوة بدر وأسرا المسلم من
نحو سبعين رجلا من قريش وغيرهم ، جعل الرسول صلى الله عليه فداء كل من
بعجز عن دفع المال لتعليم الكتابة لعشرة من فتيان المدينة فلا يطلق سراحه الا بعد
تعليمهم فكثرت الكتابة في المدينة ، وأخذت تنتشر في كل ناحية دخلها الاسلام
في حياة الرسول وبعده

وبلغ عدد كتابه عليه السلام ثلاثة وأربعين كتاباً منهم زيد بن ثابت ومعاوية واختاف في كونه صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب ؛ فمن قال بذلك استدل بقوله تعالى رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة وبحديث البخاري أنه عليه الصلاة والسلام في غزوة الحديبية أخذ الكتاب ليكتب فيكتب ؛ ومن قال إنه أمي استدل : بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك ، وبحديث البخاري نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب وليس ما يمنع من أن الرسول صلوات الله عليه كان أمياً قبل بعثته لئنم له المعجزة ثم بعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته ، تعلم الكتابة وعرفها وكان على كرم الله وجهه ، وعائشة وصفية من أمهات المؤمنين ، يحسنون الكتابة .

ولم يلاحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى إلا رقد أناف الكتاب على خمسمائة ، بين رجل وامرأة وفقى .

وفي العهد النبوي كتب القرآن الكريم ، ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلا الأقبالي والامراء والملوك ، وكتبت عهود الصلح بينه وبين قريش وغيرهم من دخل في ذمة المسلمين

• وكان كتابه صلى الله عليه وسلم نوعين :

كتاب وحى ، وكتاب أعمال . ومن بين كتاب الأعمال :

الزبير بن العوام ؛ وجهل بن الصلت ، وكانا يكتبان الصدقات ، والمغيرة بن شعبة والحصين بن نمير وكانا يكتبان التداين والمعاملات ، وحديفة بن اليان ، وكان يكتب خرص النخل .

الكتابة بعد عهد النبوة :

ولما توفى رسول الله صلوات الله وآتسعت القوحت الاسلامية ، كثرت الحاجة إلى الكتابة ؛ وقام الكتاب بأعمال الدعوة والدولة ، فكتبوا القرآن واستخدمهم الخلفاء في كتابة رسائلهم إلى العمال والولاة والقواد ، وفي وصاياهم إلى قضاتهم ، ورسائلهم إلى أهل الأمصار ، وفي كتابة وثائق الصلح ونصائح الخليفة وتوجيهاته في الحرب والسلام .

وكان الخليفة أو الوالى يكتب بيده أو يملى على بعض الكتاب ، ولم تكن قد صارت بعد صناعة فنية كما حدث فى عهد بنى أمية وبنى العباس .
بواعث الكتابة الأدبية فى هذا العصر :

وكانت الحاجة إلى الكتابة كثيرة :

١ — فقد كان المسلمون فى حاجة إليها لتدوين القرآن ولكتابة رسائل الدعوة إلى الاسلام

٢ — كما كانوا فى حاجة إليها فى شئون الملك والسياسة ، والحرب والسلام وفى كتابة العهود والمصالحات والمنشورات والوصايا والنصائح

٣ — الحاجة إليها فى تدوين الدواوين وتنظيمها

٤ — وساعد على ذلك معرفة الخط وانتشار الكتابة فى مكة والمدينة وسواهما من الأمصار . ويروى أن زيد بن أرقم بن يغوث والعلاء بن عقبه كانا يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومياهم وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء
تدوين الدواوين :

لما اتسعت الفتوحات فى عهد عمر وكثرت موارد الدولة ووفرت الغنائم احتاجت الدولة إلى انشاء الدواوين لضبط مواردها ومصارفها وضبط أعطيات المسلمين ويقول الفخرى :

« كان المسلمون هم الجنود وكان قتالهم لاجل الدين لا لاجل الدنيا وكان لا يزال فيهم دائماً من يبذل شطراً صالحاً من ماله فى وجوه البر والقربى وكانوا لا يريدون على نصرهم لإسلامهم ونصرهم لنبيهم جزاء إلا من عند الله تعالى ولم يفرض النبي صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضى الله عنه عطاء مقررًا ولكن كانوا إذا غزوا وغنموا أخذوا نصيباً من الغنائم قررته الشريعة لهم وإذا ورد إلى المدينة مال من بعض البلاد أحضر إلى مسجد رسول الله وفرق فيهم حسب ما يراه وجرى الأمر على ذلك مدة خلافة أبى بكر فلما كانت سنة خمس عشرة من الهجرة فى خلافة عمر رأى أن الفتوح قد توالى وأن كنوز الأكاسرة قد

ملكته وأن الجمول من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والثياب الفاخرة قد
تتابعته فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال فيهم . ولم يكن يعرف
كيف يصنع وكيف يضبط ذلك وكان بالمدينة بعض مرازمة الفرس فلما رأى
حيزه عمر قال له يا أمير المؤمنين إن للأكاسرة شيئاً يسمونه ديونا ، جميع دخلهم
وخرجهم مضبوط فيه لا يشذ منه شيء وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يلاحظ
عليها خلال فتنه عمر وقال : صفة لي . فوصفه المرزبان فعظمه عمر لذلك
ودون الدواوين ،

وقد عهد الخلفاء بالكتابة في الدواوين إلى العرب والموالي والمتعربين وظلت
كتابة الخراج في الأقاليم بلغة أهل مصر ففي العراق وفارس بالفارسية
وفي الشام بالرومية وفي مصر بالقبطية حتى حذقها من العرب طائفة فحوت بعد
ذلك الكتابة في الدواوين إلى اللغة العربية وذلك في عصر بني أمية وسيأتي
تفصيل ذلك إنشاء الله

أسلوب الكتابة في صدر الاسلام :

ويمتاز أسلوب الكتابة في هذا العصر بما يأتي .

١ — سهولتها ووضوحها وقصدها إلى الغرض وبعدها عن التكلف وخلوها
من عبارات التفخيم

٢ — ميلها إلى الإيجاز . حتى لقد كتب خالد بن الوليد إلى عياض بن غنم
رسالة وهو محاصر بدومة الجندل يقول فيها .
« من خالد إلى عياض : إياك أريد ،

٣ — وكانت الرسائل تبدأ باسمك اللهم ثم يقول من فلان إلى فلان ثم يلي
ذلك غالباً قولهم : السلام عليكم أو السلام على من اتبع الهدى ، ثم يشنون بقولهم
« إني أحمد الله إليك ، ، ثم يأتي الكاتب غالباً بأمأ بعد ، ويذكر غرضه الذي
يكتب لأجله ، ويختتمها بقوله والسلام عليك ورحمة الله ،

ومن مثل ذلك كتابه (ص) الى خالد بن الوليد وكان قد بعثه الى بنى الحارث
فأجابوه إلى الاسلام وهالك نصه :

من محمد رسول الله الى خالد بن الوليد

سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا إله الا هو اما بعد :

فاني كتابك جاني مع رسولك يخبرني بأن بنى الحارث قد أسلموا قبل ان
تقاتلهم ، وأجابوا الى مادعوتهم اليه من الاسلام وشهدوا أن لا إله الا الله وان
محمد عبده ورسوله وان قد هداهم الله بهداه فبشرهم وانذرهم واقبل وليقبل
معك وفدهم .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

ثالثا - التوقيعات

نماذج للتوقيعات في هذا العصر

توقيع لآبي بكر إلى خالد بن الوليد وقد استأذنه في ملاقة العدو :

ادن من الموت توهب لك الحياة

عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وقد استأذنه في بناء دار الأمانة بالكوفة :

ابن ما يستر من الشمس ويكن من المطر

ووقع عمر على شكوى لأهل مصر من مروان بن الحكم :

فان عصوك فقل إني برىء مما تعملون .

ووقع على في كتاب للحسين ضمن شيئا من أمر عثمان بن عفان :

رأى الشيخ خير من مشهد الغلام

ووقع في كتاب الحصين بن المنذر أحد قواده بصفين حين شكاً إليه من

إسراع القتل في جيشه :

بقية السيف أنهى عددا

ووقع عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص : كن لرعتك كما تحب أن

يكون لك أميرك

ووقع عثمان بن عفان في قصة رجل شكاً عيلة : قد أمرنا لك بما يقيمك

وليس في مال الله فضل للسررف

ووقع على بن أبي طالب كرم الله وجهه في كتاب جاءه من الأشر النخعي

فيه بعض ما يكره : من لك بأخيك كله . وفي كتاب صعصة بن صوحان يسأله

في شيء : قيمة كل امرىء ما يحسن

الشعر

في صدر الاسلام

نماذج من شعر المخضرمين

قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس من عباد بني النجار من الأنصار، ومن أول من أسلم عند قدوم رسول الله المدينة :

سبحوا الله شرق كل صباح	طلعت شمسه وكل هلال (١)
عالم السر والبيان لدينا	ليس ما قال ربنا بضلال (٢)
وله الطير تستريد وتأوى	في وكور من آمانات الجبال (٣)
وله الوحش بالفلاة تراها	في حقاف وفي ظلال الجبال (٤)
يا بني الأرحام لا تقطعوها	وصلوها قصيرة من طوال
واتقوا الله في ضعيف اليتامى	ربما يستحل غير الحلال
وأعلموا إن لليتيم وليا	علما يهتدى بغير السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه	إن مال اليتيم يرعاه والى
يا بني التخوم لا تخزلوها	إن خزل التخوم ذو عقال (٥)

(١) يريد : سبحوا الله صباحا ومساء .

(٢) البيان هنا : الظهور ويريد به العلانية ، أى أنه سبحانه يعلم السر

والعلانية وله الطير ، أى له من الخلق الطير .

(٣) تستريد : تذهب وتجىء فى طلب الرزق .

(٤) الحقاف جمع حقف وهو المعوج من الرمل .

(٥) التخوم : جمع تخم كفرح وهى حد الأرض بين الجارين ، والمعنى لا تقتطعوا

منها شيئا ليس لكم أو لا تقتطعوا صلة الجوار بينكم وفى رواية لا تظلموها ، ويروى هذا البيت لأحيحة بن الجلاح — ومعنى « ذو عقال » ذو مرض صعب البرء وأصل العقال التواء فى قوائم الدابة .

يا بني الأيام لا تأمونها واحذروا مكرها ومراليلها
وأعدوا أن مرها لنفساد الـ خلق ما كان من جديد وبالي
أجمعوا أمركم عل البر والتقوى وترك الخنا وأخذ الحلال
وقال حساب بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله في انتصار المسابن على
المشركين في وقعة بدر :

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحى فى الورق القشيب (١)
تداولها الرياح وكل جون من الوسمى منهمر سكوب (٢)
فامسى رسمها خلقتا وأمست يبابا بعد ساكنها الحبيب (٣)
فدع عنك التذكر كل يوم ورد حرارة الصدر الكشيب
وخبر بالذى لا عيب فيه بصدق غير أخبار الكذوب
بما صنع الملك غداة بدر لنا فى المشركين من النصيب (٤)
غداة كأن جمعهم حراء بدت أركانه جنح الغروب (٥)
فلاقيناهم منا يجمع كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد وازروه على الأعداء فى لفح الحروب
بأيديهم صوارم مرهفات وكل مجرب خاطى الكعوب (٦)

(١) الوحى هنا الكتابة ، والرسالة . والقشيب الجديد

(٢) الجون : الأسود من السحاب لتبرأكمه والوسمى أول المطر .

(٣) البباب : الخراب

(٤) أى خبر بما صنع الله لنا من النصيب ، أى بما أحسن لنا واختار لنا

(٥) حراء جبل قرب مكة وفيه الغار الذى كان يتعبد فيه رسول الله قبل

نزول الوحى . والمعنى كأن جمع المشركين جبل حراء عند غروب الشمس

فيكون مسودا مدهاما ، وكذلك يكون الجيش المدجج بالحديد والدرع

(٦) خاطى الكعوب غليظها صلبها يريد الرمح أى بأيديهم سيوف مرهفة

ورماح غليظة مكتنزة .

بنوا الأرس الغطارف وازرتها بنوا النجار في الدين الصليب (١)
 فغادروا أبا جهل صريعا وعقبة قد تركنا بالجبوب (٢)
 وشيبة قد تركنا في رجال ذوى حسب إذا نسبوا حسيب
 يناديهم رسـ... ول الله لما قذفناهم كبا في القلب (٣)
 الم يحدوا كلامي كان حقا وأر الله يأخذ بالقلوب
 فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذا رأى مصيب

وقال كعب بن زهير :

لو كنت أعجب من شيء لأعجني سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
 يسعى الفتى لأمور ليس يدركها والنفس واحدة والهم منتشر
 فالمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينتهى العمر حتى ينتهى الأثر

وقال النابغة الجعدي :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدر
 ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلم إذا ما أورد الأمر أصدر

وقال الأشتر النخعي من أصحاب علي رضي الله عنهما :

بقيت وفري وانحرفت عن الولا ولقيت أضيافي بوجه عبوس (٤)

(١) الغطارف جمع غطريف وهو السيد الشجاع ، والصلب القوى . ويريد بالدين دين الإسلام .

(٢) الجبوب : موضع بيدر

(٣) القلب : البئر ، وقد قذف رسول الله بقتلى المشركين في بئر هناك وخاطبهم بعد دفنهم فقال : هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ والكباكب جمع كبكبة وهي جماعة من الناس .

(٤) أى بقيت مالى ولم أنفقه فيما يكسبني رفعة القدر .

إن لم أشن على ابن حرب غارة لم تخل يوما من نهاب نفوس^(١)
خيلا كأمثال السعالى^(٢) شربا تعدو ببيض فى الكريهة شوس
حمى الحديد عليهم فكأهمهم ومضان برق أو شعاع شمس

وقال الخطيئة يمدح :

نزور امرأ يؤتى على الحمد ما له ومن يؤت أثمان المحامد يحمد
يرى البخل لا يبقى على المرء ماله ويعلم أن البخل غير مخلص
كسوب ومتلاف إذا ما سألته تهمل واهتز اهتزاز المهند
متى تأتته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد^(٣)

وقال معن بن أوس المزنى فى استصلاح ذى القربى :

وذى رحم قلت أظفار ضغنه بحلى عنه وهو ليس له حلم^(٤)
يحاول رغمى لا يحاول غيره وكالموت عندى أن يحل به الرغم^(٥)
فان أعف عنه أغض عينا على قذى وليس له بالصفح عن ذنبه علم
وأن انتصر منه أكن مثل رائش سهام عدو يستهاض بها العظم^(٦)

(١) يريد بابن حرب معاوية .

(٢) السعالى : الغيلان ، والشرب جمع شارب وهو الضامر ، والشوس :

جمع أشوس وهو السيد المترفع أنفة .

(٣) تعشو : تقصد .

(٤) الضغن : الحقد (٥) الرغم : الذل

(٦) راش السهم : الزق عليه الريش ، وذلك أعون على تسديده وسرعته ،

واستهاض العظم وهاضه واهتاضه : كسره بعد الجبور .

صبرت على ما كان بيني وبينه
وبادرت منه التأي والمرة قادر
ويشتم عرضي في مغربي جاهدا
إذا سمته وصل القرابة سامني
فان أدعه للنصف بأب ويعصني
فلولا اتقاء الله والرحم التي
إذن لعلاه بارقي وخطمته
ويسعى إذا أبني ليهدم صالحني
يود لو أني معدم ذو خصاصة
ويغتد غنما في الحوادث نكبتني
فما زلت في ليني له وتعطني
وخفض له مني الجناح تألفا
وقولي إذا أخشى عليه ملية
وصبري على أشياء منه ترييني
لاستل منه الضغن حتى استلته
رأيت اثلاما بيننا فرفعته
وأبرأت غل الصدر منه توسعا
فداويته حتى أرفأن نفاره
وأطفأت نار الحرب بيني وبينه

وما تستوى حرب الأقارب والسلم
على سهمه مادام في كفه السهم
وليس له عدى هوان ولا شتم
قطيعتها ، تلك السفاهة والاثم
ويدع لحكم جائر ، غيره الحكم
رعايتها حق وتعطيها علم
بوسم شنار لا يشاكه وسم^(١)
وليس الذي بيني كمن شأنه الهدم
وأكره جهدي أن يخالطه العدم^(٢)
وما إن له فيها سناء ولا غنم^(٣)
عليه كما تحنو على الولد الأم
لتدنيه مني القرابة والرحم
ألا أسلم فذاك الخال ذو العقد والعم
وكظمي على غيظي وقد ينفع الكظم
وقد كان ذا ضغن يضيق به الجرم^(٤)
برفقي وأحيائي وقد يرفع الشلم
بحلمي كما بشفي بالأدوية الكلم^(٥)
فعندنا كأننا لم يكن بيننا صرم^(٦)
فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

-
- (١) البارقي : السيف ، وخطمه : ضرب أنفه أو جعل عليه الخطام أو قهره .
الوسم : أثر الكي ، وشاكه : شابهه
(٢) الخصاصة : الفقر . (٣) السناء : الرفعة .
(٤) الجرم : الخلق . (٥) الكلم : الجرح .
(٦) أرفأن : سكن بعد نفار ..

وللإمام على كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ

في النصائح

صن النفس واحملها على ما يزينها^(١) ولا ترين الناس إلا تحملا
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد يعز غنى النفس إن قل مالها
ولا خير في ود امرئ متلون جواد إذا استغيت عن أخذ ماله
فما أكثر الإخوان حين تعدهم
تعش سالما والقول فيك جميل
نبابك دهر أو جفاك خليل^(٢)
عسى نكبات الدهر عنك تزول
ويغنى غنى المال وهو ذليل
إذا الريح مالت مال حيث تميل^(٣)
وعند احتمال الفقر عنك بخيل
ولكنهم في النائبات^(٤) قليل

وللخنساء المتوفاة سنة ٢٤ هـ

أعني جودا ولا تحمدا
ألا تبكيان الجواد الجميل
ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد^(٥) رفيع العما
دساد^(٦) عشيرته أمردا^(٧)

(١) يعني احفظ النفس مما يشينها واجبرها على ما يزينها . (٢) يعني ولا تظهر للناس إلا ما تتجمل به ومعنى نبابك دهر أنه لم يساعدك وجفاك هجر . (٣) متلون متقلب ومعنى ميله حيث تميل الريح أنه غير ثابت . (٤) النائبات الشدائد وعندما تعرف الإخوان .

(٥) النجاد ككتاب حائل الصيف وطولها كناية عن طول الجسم الدال على الشجاعة .

(٦) العباد الابنية الرفيعه جمع عماد وهي كناية عن السيادة والشرف .

(٧) يعني أن سيادته ابتدأت من صغره .

إذ القوم مدوا أياديهم إلى المجد مد إليه يدا (١)
 فقال الذى فوق أيديهم من المجد ثم مضى مصعدا (٢)
 يحمله القوم ما عاظم وإن كان أصغرهم مولدا (٣)
 وإن ذكر المجد ألفيته تآزر بالمجد ثم ارتدى (٤)

وللعباس بن مرداس المتوفى سنة ١٦ هـ

ترى الرجل النحيف فتزدريه (٥) وفى أثوابه أسد مزير (٦)
 ويمجبك الطير فتبليه فيخلف ظنك الرجل الطير (٧)
 فما عظم الرجال لهم بفخر ولكن فخرهم كرم وخير (٨)
 بغاث الطير أكثرها فراخا وأم الصفر مقلات نزور (٩)

(١) يعنى يد واحدة منه تغنى عن أيد كثيرة .

(٢) يعنى ينال على هيئة ما يتعب فيه الاقوام وزيادة .

(٣) يعنى يكلفونه ما يحتاجون إليه على صغر سنه عنهم .

(٤) يعنى وجدته منفردا بالمجد

(٥) فتزدريه تحتقره

(٦) المزير الشديد القلب القوى الظاهر المزاراة .

(٧) الطير ذو المنظر والرواء فتبليه تخبره فيخلف ظنك تلقاه على خلاف
 ما كنت تعتقده فيه .

(٨) الخير بكسر الخاء الكرم والشرف .

(٩) بغاث الطير شرارها والمقلات التي لا تفرخ إلا واحدا والنزور
 القليلة الفراخ .

ضعاف الطير أطولها جسوما
لقد عظم البعير ^(٢) بغير لب
يصرفه الصبي بكل وجه ^(٣)
وتضر به الوليدة بالهراوى
فان أك في شراركم قليلا
ولم تطل البزاة ^(١) ولا الصقور
فلم يتغن بالعظم البعير
ويحبسه على الخسف الجريز ^(٤)
فلا غير لديه ولا نكير ^(٥)
فانى في خياركم كثير

ولا فى الاسود الدولى م ٦٥ هـ

أترك مجارة السفينه ^(٦) فانها
يأبىها الرجل المعلم غيره
تصف الدوام لذى السقام وذى الضنا ^(٨)
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا
إبدأ بنفسك فانها عن غيرها ^(١٠)
فهناك يسمع ما تقول ويهتدى
لانه عن خلق وتأتى مثله
ندم وغب بعد ذاك وخيم ^(٧)
هلا لندك كان ذا التعليم
كيا يصح به وأنت تقيم
أبدأ وأنت من الرشاد ^(٩) عديم
فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
بالقول منك وينفع التعليم
عار عليك إذا فقلت عظيم

ولحسان بن ثابت المتوفى سنة ٥٤ هـ

وهو شاعر النبى صلى الله عليه وسلم فى بيان أوصافه

(١) البزاة جمع باز وهو طائر صيد . (٢) البعير الجمل . (٣) يعنى يتوجه به
أين شاء ومتى أراد وكيف شاء . (٤) الخسف حبس الدابة بلا عاف والجريز حبل
يسكم به الجمل ليحبس عن الأكل . (٥) الوليدة الصبية والهراوة هى العصا وغير
مصدر غاريغار والنكير الانكار .

(٦) مجارة السفينه محركاته فى السفينة . (٧) الغب العاقبة والوخيم السيء .

(٨) السقام المرضى . (٩) الرشاد الهدى . (١٠) الغنى الضلال .

لسانى وسيفى صارمان كلاهما (١) ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودى (٢)
 وإن أك ذا مال كثير أجد به وإن يهتصر عودى على الجهد يحمد (٣)
 فلا المال ينسيانى حياىى وعفتى (٤) ولا واقعات الدهر يفلن مبردى (٥)
 وإنى لمعط ما وجدت وقائل لما وقد نارى ليلة الريح أوقد (٦)
 وإنى لقوال لذى البث (٧) مرحبا وأهلا إذا ما جاء من غير مرصد
 وإنى لحلو تعتربنى مرارة (٨) وإنى لنراك لما أعود

وكان النضر بن الحارث شديد العداوة لله ولرسوله فلما أسر يوم بدر أمر
 النبي صلى الله عليه وسلم فقتله على بن أبى طالب رضى الله عنه صبورا (٩) . فعرضت
 للنبي أخته قتيلة بيت الحارث فأنشدته :

يا راكبا ان الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق (١٠)

(١) صارمان قاطعان . (٢) يعنى أن لسانى يدرك به مالا يدرك بالسيف
 (٣) الاهتمام بالادناء وأمانة نحو الاغصان والجهد الفاقة والحاجة يعنى وإن
 تطالب منى حاجة أقضها وإن كنت معدما
 (٤) يعنى لا أطغى عند الاستغناء
 (٥) واقعات الدهر تصرفاته وحوادثه والفل الثلم والمبرد الحديد يسجل بها
 الحديد وغيره والمعنى أن حوادث الدهر لا تقعد من همى .
 (٦) يعنى ليلة البرد والريح التى يصعب فيها إيقاد النيران .
 (٧) البث الشكوى من حاجة ومن غير مرصد من غير انتظار ولا وعد .
 (٨) يعنى حلو للفكاهة هو الجد .

(٩) الصبر : الحبس ، وصبر الانسان على القتل : نصبه ليقتل .
 (١٠) الأثيل . واد بنواحي المدينة قرب بدر، تقول أنك ستدرك الأثيل صبح
 الليلة الخامسة إذا لم يعقبك عاتق .

أبلغ به ميتا بان تحية
منى إليه وعبرة مسفوحة
هل يسمعن النضر إن ناديته ؟
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه
قسرا يقاد الى المنية متعبا
أحمد هانت ضنء كريمة
ما كان ضرك لو مننت وربما
فالنضر أقرب من قتلت قرابة
لو كنت قابل فدية افديته
فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها ودمعت عيناه وقال لأبي بكر :
لو كنت سمعت شعرها ما قتلتها .

وقالت الخنساء وهي مخضرمة

قذى بعينك أم بالعين عوار
كأن عيني لذكراه اذا خطرت
تبكى لصخرهى العبرى وقد ولعت
أم زرفت اذ خلت من أهلها الدار
فيض يسيل على الخدين مدرار
ودونه من جديد الترب أستار

- (١) خفق السهم أسرع وناقة خيفق سريعة جدا .
- (٢) وكف الدمع : سال (٣) ناشه إذا تناوله .
- (٤) الرسف والرسيف : مشى المقيد ، والعانى الأسير .
- (٥) رواية اللسان : ولانت ضنء نجبية وهى أقوم لأن ها التنبيهه إذا دخلت على الضمير وجب أن يتبع بإشارة ، والضمنء : النسل ، ورجل معرق أى أصيل
- (٦) الحنق : شدة الاغتيال وأحنقه غيره فهو محنق .
- (٧) أغلي بالشيء وغالى به . طلب فيه ثمنا غاليا أو اشتراه بثمان غال .

إذ راها الدهر إن الدهر ضرار
والدهر في صرفه حول وأطوار
نعم المعمم للداعين نصار
وفي الحروب جرى الصدر مهصار
أهل الموارد ما في ورده عار
له سلاحان أنياب وأظفار
لها حنينان إعلان وإسرار
فانما هي أقبال وأدبار
فانما هي تحنان وتسجار
صخر وللدهر إحلاء وإمرار
وان صخرا إذا نشتو لنحار
وأن صخراً إذا جاعوا لعقار
كأنه علم في رأسه نار
وللحروب غداة الروع مسعار
شهاد أندية للجيش جرار
معاتب وحده يسدى ونيار
كانت ترجم عنه قبل أخبار
حتى آتى دون غور النجم أستار
لربة حين يخلى بيته الجار
لكنه بارز بالصحن مهمار
وفي الجذوب كريم الجد ميسار
فقد أصيب فما للعيش أوطار
كانت تحت طى البرد أسوار
أباؤه من طوال السمك أحرار
ضخم الدسيعة في العزاء مغوار

تبكى خناس على صخر وحق لها
لا بد من ميتة في صرفها عبر
قد كان فيكم أبو عمرو يسودكم
صلب النخيزة وهاب اذا منعوا
يا صخر وراد ماء قد تناذره
مشى السبتي الى هيجاء معضلة
وما عجول على بو تطيف به
ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت
لا تسمن الدهر في أرض وان رتعت
يوماً بأوجد منى يوم فارقتي
وإن صخراً لوالينا وسيدنا
وإن صخراً لمقدام إذا ركبوا
وإن صخراً لتأتم الهداة به
جلد جميل المحيا كامل ورع
حمال ألوية هباط أودية
فقلت لما رأيت الدهر ليس له
لقد نعى ابن نهيك لى أخائقة
فبت ساهرة للنجم أرقبه
لم تره جارة يمشى بساحتها
ولا تراه وما في البيت يأكله
ومطعم القوم شحها عند مسخيمهم
قد كان خالصتي من كل دى نسب
مثل الرديني لم تفقد شبيبته
جهم المحيا تضيء الليل صورته
مورث المجد ميمون نقيبته

فرع لفرع كريم غير مؤتشب جلد المريرة عند الجمع فخار
 طلق اليدين لفعل الخير ذو فجر ضخم الدسيعة بالخيرات أمار
 ليكه مقتر أفنى حريته دهر وحالفه بؤس وإقتار
 ورفقة حار حاديهم بهلكة كأن ظلمتها في الطخية القار
 لا يمنع القوم أن سألوه خلعتة ولا يجاوزه بالليل بالليل مرار

وقال الحطيئة يمدح آل لآي

ألا هبت أمانة بعد هده تعاتبني وما قضت كراها
 فقلت لها أمام ذرى عتابي فان النفس مبدية ثناها
 وليس لها من الحدثان بد اذا ما الدهر من كذب رماها
 فهل ابصرت أو خبرت نفساً اناها في تمنها مناها
 كاني ساورتني ذات سم نقيع لا بلائها رقاها
 لعمر الرافصات بكل فج من الركيان موعدها مناها
 لقد شدت حبال آل لآي حبال بعد ما ضعفت قواها
 ومن يطلب مساعي آل لآي تصعده الامور إلى علاها
 كرام يفضلون قروم سعد أولى إحسابها وأولى نهاها
 وهم فرع الذرى من آل سعد اذا ما عد من سعد ذراها
 وخطة ما جد في آل لآي اذا ما قام قائلها قضاها
 إذا أعوجت قناه الأمر يوماً أقاموها لتبلغ منهاها
 وبينى المجد راحل آل لآي على العوجاء مضطراً حشاها
 وتسعى للسياسة آل لآي فتدركها وما اتصت لحاها
 لعمرك إن جارة آل لآي لعف جيهم حسن ثناها

وقال أبو ذؤيب الهذلي وكان له أولاد سبعة فأتوا كلهم إلا طفلاً يرثيهم .
 أمن المنون وريه يتفجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

قالت أمامة ما لجسمك شاحبا
أو ما لجسمك لا يلائم مضجعا
فاجبتها أما لجسمي أنه
أودى بنى وأعقبوني حسرة
سبقوا هوى وأعقبوا لهوهم
فبقيت بعدهم بعيش ناصب
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم
وإذا المنية أنشبت أظفارها
فالعين بعدهم كأن حداقها
حتى كأنى للحوادث مروة
وتجلدى للشامتين أريهم
والنفس راغبة إذا رغبتها

منذ ابثذلت ومثل مالك ينفع
إلا أقض عايك ذاك المضجع
أودى بنى من البلاد فودعوا
بعد الرقاد وعبرة ما تقلع
فتخرموا ولكل جنب مصرع
وماخال إلى لاحق مستبجع
وإذا المنية أقبلت لا تدفع
الفيت كل تميم لا تنفع
سمات بشوك فهي عورة تدمع
بصفا المشرق كل يوم تفرع
أنى لرب الدهر لا اتضعضع
وإذا ترد إلى قليل تنفع

وصلى متمم بن نويرة الصبح مع أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ،
ثم أنشد :

نعم القتل إذا الرياح تناوحت
أدعوته بالله ثم قتله
لا يضم الفحشاء تحت رداءه
تحت البيوت قتلت يا ابن الأزور
لو هو دعاك بذمة لم يغدر
حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى حتى سالت عينه العوراء ، قال أبو بكر : ما دعوته ولا قتله ، فقال
متمم يرثي أخاه مالكا وهى التى تسمى أم المرائى .

لعمري وما دهرى بتأبين مالك
لقد غيب المنهال تحت درائه
ولا برما يهسى النساء لعرسه
ففى غير مبطان العشيات أروعا
إذا القشع من برد العشاء تقعقا
إذا لم تجد عند امرئ سوء مطعما
إذا هزت الريح الكئيب الممرعا
كفرخ الحبارى ريشه قد تمزعا

لعمري وما دهرى بتأبين مالك
لقد غيب المنهال تحت درائه
ولا برما يهسى النساء لعرسه
ففى غير مبطان العشيات أروعا
إذا القشع من برد العشاء تقعقا
إذا لم تجد عند امرئ سوء مطعما
إذا هزت الريح الكئيب الممرعا
كفرخ الحبارى ريشه قد تمزعا

وما كان وقافا إذا الخيل أحجمت
ولا بكهام سيفه من عسده
أبى الصبر آيات أراها وأننى
وإنى متى ما أدع باسمك لم تجب
تحيته منى وإن كان نائما
فإن تكن الأيام فاقن بيننا
فعمشنا بخير فى الحياة وقبلنا
وكننا كندمانى جذيمة حقة
فلما تفرقنا كانى ومالك
فما شارف حنت حيننا ورجعت
ولا ذات أظآر ثلاث روائم
بأوجد منى يوم قام بمالك
سقى الله أرضا حلما قبر مالك

ولا طالبا من خشية الموت مفزعا
إذا هو لاقى حاسرا أو مقنعا
أرى كل جبل بعد حبلك أقطعا
وكنى حريا أن تجيب وتسمعا
وأمسى ترابا فوقه الأرض بلقعا
فقد بان محمودا أخى حين ودعا
أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
أنينا بأبكى شجوها الترك أجمعا
رأين مجرا من حوار ومصرعا
مناد فصيح بالعراق فأسمعا
رهام الغواذى المزجيات فأمرعا

وقال أبو سفيان يذكر موقفه وبلاءه يوم أحد :

ولو شئت نجتنى كمين طمرة
فما زال مهرى مزجر الكلب منهم
أقاتلهم وأدعى يآل غالب
فبكى ولا ترعى مقالة عاذل
أباك وإخوانا له قد تتابعوا

ولم أحمل النعماء لابن شعوب
لدى غدوة حتى دنت لغروب
وأدفعهم عنى بركن صليب
ولا تسأى من عبدة ونحيب
وحق لهم من عبدة بنصيب

وسلى الذى قد كان فى النفس إننى
ومن هاشم قرماً نجيباً ومصقعا
فآبوا وقد أودى الحلائب منهم
أصاهم من لم يكن لدماهم

قتلت من النجسار كل نجيب
وكان لدى الهيجاء غير هيسوب
لهم خذب من مقبط وكثيب
كفيا ولا فى خطة بضريب

فاجابه كعب بن مالك

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم ولست لزور قلته بمصيب
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم نجياً وقد سميته بنجيب
ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه وشيبة والحجاج وابن حبيب
غداة دعا العباسي عليا فراعه بضربة غضب به بخضيب

ولما كان يوم فتح مكة دخل أبو سفيان بن حرب على الرسول صلى الله عليه وسلم فأنشده .

لعمري انى يوم أحـل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أوانى حين أهدى وأهتدى
وهاد هدانى غير نفسى ونالى مع الله من طردت كل مطرد
أصد وأناى جاهدا عن محمد وأدعى ولو لم أنتسب من محمد
هم ما هم من لم يقل بهواهم وان كان ذا رأى يلم ويفند
أريد لأرضيهم ولست بلانط مع القوم ما لم أهدى كل مقعد
فقل لثقيف لا أريد قتالها وقل لثقيف تلك غيرى أوعدى
وما كنت فى الجيش الذى نال عامرا وما كان من جرى لسانى ولا يدي
قبائل جاءت من بلاد بعيدة نزائع جاءت من سهام وسرد

وقال الخطيب (١) .

وطاوى ثلاث (٢) عاصب البطن مرمل (٣) بيداء لم (٤) يعرف لساكنها رسما (٥)

(١) هو أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك نشأ منبوذا لا يعرف له أهل ولا وطن وقد انتسب الى قبائل مختلفة وشعره فى الطبقة الأولى من القوة والجزالة لولا أنه أكثر من قبيح الهجاء ،

(٢) أى مقيم ثلاث ليالى على الطوى : أى الجوع .

(٣) المرمل : الذى نفد زاده . (٤) صحراء .

(٥) رسم الدار ما كان من آثارها لاصقا بالأرض .

أخى جفوة^(١) فيه من الانس وحشة
وأفرد في شعب^(٢) عجوزا ازامها
حفاة عراة ما اغتذوا خبر ملة^(٤)
رأى شبعا وسط الظلام فراع
فقال هيا رباه ضيف ولا قرى
فقال ابنه لما رآه بحيرة
ولا تعتذر بالعدم عل الذى طراً
فروى قليلا ثم أحجم برهة
فيتأهما غت على البعد عانة
عطاشا تريد الماء فانساب نحوها
فأمهلها حتى تروى عطاشها
فخرت نحوص ذاب جحش سمينة
فيا بشره إذ جرهما نحو قومه
وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم

يرى البؤس فيها من شراسته أفعى
ثلاثة أشبال تخالهم بهما^(٣)
ولا عرفوا للبرمذ خلقوا طعما
فلما رأى ضيفا تشمر واهتما
بحقك لا تحرمه تا الليلة اللحم
أيا أبت اذبحنى ويسر لهم طعما
يظن لنا مالا فيوسعنا ذما
وان هو لم يذبح فتاه فقهما
قد أنتظمت من خالف مسجلها نظما
على أنه منها إلى دمها أظما
فأرسل فيها من كناته سهما
قد أكتنزت شهما وقد طبقت لحما
ويا بشرهم لما رأوا كلها يدمى
وما غرموا غرما وقد غنموا غنما

وقال مالك بن الريب المازنى : يرثى نفسه ويصف قبره وكان خرج مع سعيد
ابن عفان أخى عثما بن عفان لما ولى خراسان ، فلما كان ببعض الطريق أراد
أن يلبس خفه فلدغته أفعى . فلما أحس بالموت أنشأ يقول :

دعاني الهوى من أهل أود وصحبتى بذى الطيسين فالتفت ورائيا
فما راعنى إلا سوابق عبرتى تقنعت منها إن ألام ردائيا

(١) الجفوة : الوحشة .

(٢) الشعب : الطريق فى الجبل .

(٣) جمع بهمة : الصغير من أولاد الضأن والمعز .

(٤) الملة : الرماد الحار .

ألم ترى بعث الضلالة بالهدى وأصبحت في جيش بن عفان غازيا (١)
فله درى حين اترك طائعا بنى بأعلى الرقتين وما ليا
تقول ابنتي لما رأت وشك رحلتى سفارك هذا تاركى لا أباليا
ألا ليت شعرى هل بكنت أم مالك كما كنت لو غادى نعيمك باكيا
إذا مت فاعتادى القبور وسلمى عليهم اسقين السحاب الغواديا
ترى جدثا قد جرت الريح فوقه ترابا كلون القسطلاني هايا (٢)
فيا صاحبي رحلى دنا الموت فاحفرا براية انى مقيم لياليا
وخطا بأطرف الأسنة مضجعى وردا على عيني فضل ردائيا
ولا تحسدانى بارك الله فيكما من الأرض ذات العرض ان توسعاليا
خذانى فخرانى ببردى اليكما فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
تفقدت من ييكى على فلم أجد سوى السيف والرمح الردينى باكيا
وادم غريب يجر لجامه إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا
وبالرمل لو يعلمن علمى نسوة بكنين وفدين الطيب المداويا
عجوزى وأختاى اللتان أصيبتا بموتى وينت لى تهيج البواكيا
لعمري لئن غالت خراسان هامتى لقد كنت عن بابى خراسان نايا
تحمل أصحابى عشاءا وغادروا أخائقة فى عرصة الدار ثاويا

(١) مالك شاعر فاتك كان يقطع الطريق، وكان من أحسن الناس وجها وأرقهم حديثا، فر به سعيه فى طريقه الى خراسان وتألفه واتخذته فى خاصته.

(٢) القسطلاني نسبة الى قسطلان، وهو الغبار الساطع، والهابى التراب الدقيق.

يقولون لاتبعد وهم يدفنوني وأين مكان البعد إلا مكانيا (١)

ومن الدثاء قول أم حكيم زوج عبيد الله بن العباس أمير اليمن
من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان معاوية قد أرسل قائده الطاغية
بسر بن أرطاة إلى اليمن ، ففر من وجهه عبيد الله ، فعمد بسر إلى طفليه الصغيرين
فذبجهم بمديّة فقالت ترثيهما :

يامن أحسن بابني اللذين هما	كالدرتين تشظي عنهما العصف
يامن أحسن بابني اللذين هما	مخ العظام فمخى اليوم محتطف
نبئت بسراوما صدقت ما زعموا	من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا
أنحى على ودجى ابني مرهفة	مشحودة وكذلك الاثم يقترف
حتى لقيت رجالا من أرومته	سم الأنوف لهم في قومهم شرف
فالآن ألعن بسرا حق لعنته	هذا لعمر أبي بسر هو السرف
من دل والهة حيرى مدلهة	على صبيين حلا اذ غدا السلف
وقالت فيهما وهو بما يتغنى به :	

ألا يامن رأى الاخوين	أمهما هي الشكلى
تسائل : من رأى ابنها ؟	وتستسقى فلا تسقى
فلما استياست رجعت	بعبرة واله حيرى
تتابع بين ولولة	وبين مدامع ترى

وكان كعب بن مالك الانصارى أحد من عاون عثمان على الثأرين وشهر سلاحه
فلما ناشد عثمان الناس أن يغمدوا سيوفهم انصرف ولم ير أن الأمر يخلص اليه
ولا يجترئ القوم على قتله فلما قتل وقف كعب بن مالك على مجلس الانصار
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشدهم :

من مبلغ الانصار عنى آية	رسلا تقص عليهم التبيان
ان قد فعاتم فعلة مذكورة	كست الفضوح وأبدت الشانانا
بقهودكم فى داركم وأميركم	يعشى ضواحي داره النيرانا

بيناً يرجى دفعكم عن داره ملئت حريقاً كايما ودخاناً
حتى إذا خلصوا إلى أبوابه دخلوا عليه صائماً عطشاناً
يعلون قلته السيوف وأنتم متلبثون مكانكم رضواناً
الله يعلم أنني لم أرضه لكم صنيعاً يوم ذاك وشاناً
يا لهف نفسي إذا قول ولا أرى نفراً من الأنصار لي أعواناً
والله لو شهد ابن قيس ثابت ومعاشر كانوا له أخواناً
وأبودجانة وابن أقرم ثابت وأخو المشاهد من بني عجلاناً
ورفاة العمري وابن معاذهم وأخو معاوى لم يخف خذلاناً
قوم يرون الحق نصر أميرهم ويرون طاعة أمره إيماناً

وكان ورقة بن نوفل يمر ببلال بن رباح وهو يعاني العذاب الأليم من قریش
لإيمانه بالله وكان يحتمل هذا العذاب صابراً محتسباً وهو يقول : أحد أحد
فكان ورقة يقون أحد أحد يا بلال ! والله اثنى قتلتموه لاتخذنه حناناً — أى
قديساً — وقال فى ذلك :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا تعبدن إلهاً غير خالقكم فان دعوكم فقولوا بيننا جدد
سبحان ذى العرش سبحاناً نعوذ به وقبل قد سبح الجودى والحمد
مسخر كل ما تحت السماء له لا ينبغي أن يباوى ملكه أحد
لا شيء مما نرى تبقى بشاشته يبقى الا لهو يودى المال والولد
لم تغن عن هرمر يوماً خزائنه والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ دان الشعوب به والجن والانس يجرى بينها البرد

وقال زيد بن عمرو بن نفيل

عزلت الجن و الجنان عني كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا إلتيتها ولا صنمى بنى طسم ادير
ولاعتما أدين وكان ربا لنافى الدهر اذ حلنى صفير
أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقسمت الامور

ألم تعلم بأن الله أفنى رجلا كان شأنهم الفجور
 رأينا الميرء يعثر ذات يوم كما يتروح الغصن النضير

وقال عبد الله بن الزبيري حين أسلم يعتذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم بما هجاه
 به وهو مشرك :

يا رسول المليك إن لسانى راتق مافقت إذ أنا بور
 إذا جارى الشيطان فى سنن الغى ومن مال ميله مشور
 آمن اللحم والعظام بما قلت فنفسى الفدا وأنت النذير
 وقال

منع الرقاد بلابل وهموم والليل معتلج الرواق بهم
 عما أتانى أن أجد لا منى فيه فبت كأتى محموم
 يا خير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين رسوم
 إني لمعتذر اليك من الذى أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم
 أيام تأمرنى بأغوى خطة سهم وتأمرنى به مخزوم
 فاغفر فدا لك والداى كلاهما ذنبى فانك زاحم مرحوم
 وعليك من أئز المليك علامة نور أضاء وخاتم مختوم
 مضت العداوة فانقضت أسبابها ودعت أواصر بيتنا وحلوم

وقال أبو دهل الجهمي يرحم النبي صلى الله عليه وسلم :

إن البيوت معادن فتجاره ذهب وكل بيوته ضخم^(١)
 عقم النساء فما يلدن شبيهه لمن النساء بمثله عقم
 متهلل بنعم بلا متباعد سيان منه الوفير والعدم^(٢)

(١) البيوت المراد بها القبائل المعادن جمع معدن وهو منبت الجوهر ، النجار :
 الأصل ، وكل بيوته ضخم أى أن القبائل التى اكتتفت من أخواله وأعمامه شريفة
 عظيمة مثل هاشم وأمية ومخزوم .

(٢) متهلل بنعم : أى فرح بقول نعم . بلا متباعد : أى بعيد من قول لا ،
 وسيان : مثلان ، الوفير : المال الكثير ، العدم : قلة المال :

وقال متمم بن نويرة (١)

لقد لآمنى عند القبور على البكا رفيق لتذراف الدموع السوافك (٢)
فقال أتبكي كل قبر رأيتـه لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك (٣)
فقات له : إن الشجا يبعث الشجا فدعنى فهذا كله قبر مالك (٤)

- (١) شاعر مخضرم صحابي قتل أخوه مالك في خلافة أبي بكر أيام الردة
فحزن عليه ورثاه بمرات بليغة منها هذه الأبيات
(٢) التذراف : جريان الدموع . السوافك : المراد منها المسفوكـة .
(٣) ثوى : أقام . اللوى والدكادك : اسماء موضعين .
(٤) الشجا : الحزن .

الشعر

وما طرأ عليه في أغراضه وألفاظه وأساليبه ومعانيه

تمهيد :

١ - كان الشعر في الجاهلية ميدان البلاغة ومجال الفصاحة ، وشغل العرب الشاغل ، وسجل أيامهم الخالدة ومفاخرهم التليدة ، والناطق بآثرهم ، والمعبر عن آمالهم ، والذائد عن أعراضهم وأحسابهم

وكان للشعر أثره في نفوسهم وحياتهم ، وللشعراء منزلتهم العالية عند الخاصة والعامة ، وكان يقوله الصغير والكبير والرجل والمرأة والفتى والفتاة ، والبطل الممجد في معارك الصحراء ، والصعلوك الفقير في وصف حياته ونفسيته ومطامحه : وأنتم تعلمون الكثير عن منزلة الشعر والشاعر في الجاهلية مما سبق تفصيله لكم في الأدب الجاهلي .

ب - وكان يذكي الشعر في نفوس العرب في الجاهلية بواعث كثيرة أهمها :

١ - هذه البلاغة والملكات القوية السليمة العالية .

٢ - ما كان فيه العرب من حرية ومن فراغ .

٣ - كثرة الحروب والخلافات بينهم ، مما كان يوجب روح الشاعرية فيهم ، ويشعل ملوكات البيان في نفوسهم .

٤ - انقيادهم للعصية وانتصارهم لها وسيرهم وراءها وتحكمها في نفوسهم وحياتهم ، والعصية تثير الفخر وتدعو إلى الهجاء وتحمل على الحماسة . مما يستدعي الشعر ويستطلبه . إلى غير ذلك من الأسباب .

الشعر في صدر الاسلام :

١ - جاء الاسلام بهذه الدعوة الروحية العظمى ، وتلك النورة

الإنسانية الكبرى .

نزل يهدى النفوس ، ويوقظ العقل ، ويهذب الخلق ، وينظم حياة الفرد والأسرة والجماعة والأمة والانسانية كافة تنظيماً يوائم أسمى مبادئ العدالة والحرية والأخاء الانساني المنشود .

واختلف الناس حيال هذه الدعوة الكبرى في بدء النبوة ، فمن مصدق ومكذب ، مؤمن وجاحد ، وانتصر المسلمون لدينهم المجيد ، وشبت خصومات وخلافات كثيرة ، بدأت بالهيجاج والحوار والنضال باللسان ، ثم انتقلت إلى السيف والرمح والسنان فكثرت الحروب والغزوات بين الرسول والمشركين بعد الهجرة .

وهذه الخلافات وتلك الثورة الكبرى من أعظم ما يبعث على الشعر ويستدعيه واتخذ رسول الله له شعراء يؤيدون الدعوة ويدافعون عنها ويهجون خصومها وهم : حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه . أما شعراء المشركين فهم عمرو بن العاصي وأبو سفيان وضرار بن الخطاب وعبد الله بن الزبير . وكثرت المنافرات والمفاخرات الأدبية بين أنصار الرسول وأنصار المشركين من الشعراء ، وسجل التاريخ الأدبي طائفة كبيرة من هذه المحاورات والمفاخرات وكان لحسان في ذلك المجال الحظ الأوفى .

وقد ساعد شعراء الرسول في هذه المعركة الأدبية إيمانهم الثابت وتأجج عواطفهم وامتلاؤها بالرغبة في الذود عن الاسلام والرسول بكل ما يستطيعون ويملكون ، وبلاغاتهم وطبائعهم الأدبية الاصلية ، ثم تأثرهم ببلاغة القرآن والرسول واحتذاؤهم لها ، فوق تأييد الله ورسوله في دفاعهم الجبار عن دينه وكتابه وشريعته الخالدة المقدسة .

٢ - ثم انتهى الصراع الحربي في جزيرة العرب وألقى المشركون كافة السلاح أمام المسلمين ودخلوا في الدين الجديد وآمنوا بمحمد ودينه ، فسكنت الأمور واطمأنت النفوس وهدأت الخواطر وأخذ الناس يتأدبون بآداب الدين ويرعون أحكامه في عباداتهم ومعاملاتهم وحياتهم .

فتركوا كثيراً من مفاخر جاهليتهم الباطلة ، وتقاليدهم بدائياتهم الزائفة ،

وتحاكوا إلى الله ورسوله فيما شجر بينهم من خلاف، فأعرضوا عن الخمر والزنا والقمار والكذب والزور، وتركوا الهجاء الكاذب والفخر الباطل والغزل الفاحش، وهجروا حب الانتقام والاختذ بالنار وشن الحروب لاوهى الأسباب، وأصاخوا إلى داعى الله ونداء الحق، وأعرضوا عن اللغو والفجور والتشبيب بالنساء

هنالك ضعف الشعر، وبطلت أغراضه أو الكثير منها، وفقر الداعى إليه، بتأثير هذا الوازع الدينى القوى، ولما أعجبهم من بلاغة القرآن وروعته وعظمته وسموه، وحسان وحديث ضعف شعره فى الاسلام مشهور، حتى تعجب النقاد من ذلك، وقال العالى: «كان حسان يقول الشعر فى الجاهلية، فيجيد جدا، ويغير فى نواصى الفحول، ويدعى أن له شيطانا يقول الشعر على لسانه كعادة الشعراء فى ذلك؟ ويقول مثل قوله فى بنى جفنة ملوك غسان

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن ماوية الكريم المفضل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
فلما أدرك الاسلام. وتبدل الشيطان ملكا تراجع شعره وكاد يرك فى قوله،
ليعلم أن الشيطان أصلح للشاعر وأليق به وأذهب فى طريقه من الملك،^(١)
٣ أما الشعراء فكانوا إزاء ذلك، وحيال تأثرهم بالاسلام الكريم،
طوائف ثلاثا:

أ - طائفة تركت الشعر جملة، حيث بهرهما هذا الدين الخالد، وتلك البلاغة الرائعة بلاغة القرآن الكريم، ومن هذه الطائفة: لييد الذى لم يؤثر عنه فى الاسلام إلا بيت واحد كما يقولون وهو:
الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى

حتى تبدلت من الاسلام سربالا
ب - وطائفة مع تأثرها بالاسلام والقرآن كالتائفة السابقة غيرت نهجها فى الشعر فنظمت متأثرة بآداب الدين وروحه وعقائده وأهدافه، ولكن ظهر

عليها الضعف وبأن في شعرها العجز الفنى الذى تحدث عنه الثعالبي في شعر حسان ج - وطائفة ثالثة ، خالفت الطائفتين السابقتين في أنها عاشت بعيدا في البادية وضعفت فيها النزعة الدينية القوية مع أنها في عصر النبوة ، وظلت على نهج حياتها السابقة في الجاهلية ، ومن هذه الطائفة : الخطيئة ولقيف من الشعراء سواء كضابئ البرجى وأبو محجن الثقفى وسواهما :

٤ - وبعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزهه الله عن الشعر فلم ينظم منه شيئا أما أسرته فكان فيها خول من الشعراء ^(١) ، وأما أكثر أصحابه فنظم الشعر وأنشده ورواه ، وأما خلفاؤه رحمة الله عليهم فقد كانوا ذوى بصر بالشعر ومعرفة به ونقد له وإعجاب به وحب وأريحية ورغبة لسماحه وإنشاده كما عرفت سواء في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلى .

وكان عمر بن الخطاب وغيره يأمررون بتعلم الشعر ، وقد سبق في ذلك روايات كثيرة ، ولا بأس بأن نعيد بعضها عليك . قالت عائشة : « رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم » وقال ابن عباس : « إذا قرأتم شيئا في كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه من أشعار العرب » وقال عمر : « رووا أولادكم ما سار من المثل وحسن من الشعر » إلى غير ذلك مما تجده في أول العمدة وجمهرة أشعار العرب وسواهما من مصادر الآداب والبيان .

وكان رسول الله يأمر شعراءه بقول الشعر ، فأمر حسان بهجاء المشركين ، وقال له : اهجم وروح القدس معك ، وبعث لابن رواحة فانطلق إليه مسرعا فسلم ، فجلس بين يديه ، فقال صلى الله عليه وسلم كأنه يتعجب من شعره : كيف تقول الشعر إذا قلت ؟ قال : أنظر في ذلك ثم أقول . قال : فعليك بالمشركين ، ^(٢)

(١) يقول ابن سلام في طبقات الشعراء : كان أبو طالب شاعرا جيدا الكلام [٩٨ المرجع طبع المطبعة المحمودية] . ويقول : وأجمع الناس على أن الزبير ابن عبد المطلب شاعر (٩٩ المرجع)
 (٢) راجع ص ٨٨ طبقات الشعر لابن سلام عجم المحمودية .

وقال صلى الله عليه وسلم لكتب بن مالك : أترى الله نسي قولك :
 زعمت سخينة أن ستغلب ربها و ايغابن مغالب ^(١) الغلاب
 وكان ابن الزبير يحارب رسول الله بشعره ثم أسلم ومدح النبي واعتذر اليه
 فقال :

إني لاعتذر اليك من الذي أسديت إذ أنا في الضلال أهيم
 أيام تأمرني بأغوى خطية وسهم، وتأمرني بها ونخزوم،
 فاغفر فديك والداي كلاهما ذنبي فانك راحم مرحوم
 وعليك من أثر المليك علامة نور أضاء وخاتم محتوم
 مضت العداوة فانقضت أسابها ودعت أو اصرينتنا ^(٢) وحلوم
 وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عزة الجمحي الشاعر ، لأن المسلمين
 أسروه يوم بدر فرحمه الرسول وأطلق سراحه بعد أن عاهده أن لا يعين عليه بشعر
 ولكنه خان العهد وهجا الرسول فأسر يوم أحد فقتله الرسول صلى الله عليه وسلم
 صبوا ^(٣) .

وكان هبيرة بن أبي وهب شاعراً من رجال قريش المعدودين وكان شديد
 العداوة لله ولرسوله فأخمله الله ^(٤)
 أغراض الشعر في صدر الاسلام

١ - هجر الشعراء الاغراض التي تتنافى والدين و آعاليم الاسلام : كالغزل
 الفاحش ، والفخر الكاذب ، والهجاء المفضع ومن استمر منهم على الهجاء كالخطيئة
 حبس وزجر من الخلفاء الراشدين وموقف عمر من الخطيئة معروف ، كذلك
 بطل الكلام في الخمر ووصفها والميسر وقتيانه والجزور التي ينحرونها عليه ، وفي

(١) ٨٨ طبقات الشعراء.

(٢) ٩٦ و ٩٧ المرجع

(٣) راجع ١٠٤ و ١٠٥ طبقات الشعراء لابن سلام

(٤) ١٠٦ و ١٠٨ المرجع

تملق الناس بالمدح؛ وفي صيد الوحش وطرده مما كان يعده المسلم المتأثر
بالعقيدة الإسلامية عبثاً ولها

وكان كثير من هذه الأغراض شديد الصلة بحياتهم في الجاهلية كالخمر والميسر
وحياة البطولة والصراع والأخذ بالثأر والرغبة في الانتقام والديب والاستهتار
والفجور في الحب، ومن أجل ذلك كان فيها أجود أشعارهم وأملؤها بالقوة
والروعة والعاطفة؛ وهذا يفسر لك بعض الحق فيما يقال من أن الشعر ضعف في
صدر الإسلام

ب — واقتصروا في نظم الشعر في هذه الأغراض الآتية :

١ — الدعوة إلى الإسلام ومبادئه ومناضلة خصومه .

٢ — هجاء أعداء الدعوة في عصر النبوة ، وهجاء أصحاب الديانات الزائفة
بعد عصر النبوة .

٣ — رثاء من استشهدوا في غزوات الرسول وفي الفتوحات الإسلامية الكثيرة،
ومن قتل ظلماً من خلفائه وكبار أصحابه .

٤ — شيوعه على ألسنة الشعراء زمن الخلفاء الراشدين في الفخر والتباهي
بالانتصار على جيوش الفرس والروم والتمدح بشجاعة المسلمين وأبطالهم ووصف
المعادل والحصون وآلات القتال والحصار التي لم يكونوا عرفوها وأنواع
الحيوان الذي لم يشاهدوه، ومنه الفيلة التي حارب الفرس عليها العرب،
ووصف جبال الثلج والأنهار العظام وسفائن البحر ذلك : مما ملئت به كتب
المغازي والفتوح . ويكثر في هذا النوع الأراجيز .

٥ — الحكمة، وقد كثرت في الشعر في هذا العصر بتأثير ثقافة القرآن
والدين وللتجارب الكثيرة التي أفادوها في الحياة، يقول حسان أو حفيده سعيد :

وإن أمراً يمسى ويصبح سالماً من الناس إلا ما جنى لسعيد

ويقول الخطيئة :

لا يذهب العرف بين الله والناس

ويقول كعب بن زهير .

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

٦ — المدح وأشهر شعرائه حسان والنابغة الجعدي وكعب بن زهير والخطيئة وفي هذا الفرز يبدو أثر الإسلام في معانيه وألفاظه.

٧ - كما نلاحظه في الوعظ والتزهيد في الدنيا والدعوة إلى تقوى الله ، متأثرين في ذلك بالإسلام ،

معاني الشعر في صدر الإسلام

وقد تأثرت معاني الشعر في هذا العصر تأثراً واضحاً بالإسلام والقرآن الكريم فغلب على معانيه :

١ — العمق والدقة والفهم والاستقصاء وترتيب المعاني والأفكار .

٢ — ظهور المعاني الإسلامية في الشعر وغلبتها عليه .

٣ - الصدق والحق وترك المبالغة والغلو .

٤ - الوضوح والبساطة في المعاني والأفكار والخيالات والبيوت .

٥ — توليد المعاني من العقائد الإسلامية كالصلاة والصيام والجنة والنار الخ .

٦ — ظهور العاطفة الدينية وغلبتها على معاني الشعر في هذا العصر

أسلوب الشعر .

تأثر الشعراء في عصر النبوة وبعده بالقرآن الكريم وحديث رسول الله تأثراً ظاهراً في الأسلوب والأداء مما أحدث تغييراً واضحاً في الأسلوب في هذا العصر :

١ — فقد هجروا الحوشى والغريب والمبتذل والساقط والمملحون

٢ — وامنعوا في جمال السبك وعذوبته وإحكامه وتلاؤمه

٣ — كثير في شعرهم الاقتباس من القرآن الكريم ، كما يقول معن بن أرس :
فما زلت في لبي له وتطفي عليه كما تحنو على الولد الأم
وخفض له مني الجناح تألفا لتدنيه مني القرابة والرحم
٤ — جزالة الأسلوب وقوته وكثرة روائعه وصوره الأدبية والبيانية .

٥ — هذا^(١) ويقسم الأقدمون الشعراء المخضرمين طائفتين متميزتين : شعراء
الوهر من أعراب نجد واليمامة وبواديها ، وشعراء المدر وهم أهل القرى كالمدينة
ومكة والطائف ، وقرى عبد القيس في البحرين ، والحيرة بسواد العراق . و يرون
أن شعراء نجد واليمامة والبوادي أخف من شعر أهل القرى وأجزل لفظا وأضخم
أداء وأوسع مذهبا في تنويع ساليب الكلام ولكن شعرهم لا يخلو من حوشية
في العبارة ، ومنهم كان فحول الشعراء .

و يرون أن شعراء المدر ألين شعرا وأرق لفظا وألطف كناية وأدمل أسلوبا
وأن أشعرهم جميعا أهل المدينة ، ومنهم كان شعراء التي الذين نافحوا عنه الشعراء
الناشئين في قریش بعد أن لم يكن لها شعر يذكر ، وأن شعر الانصار من الاوس
والخزرج في هذا العصر لان في اللفظ وهان في المعنى عما كان عليه في الجاهلية
وعلموا ذلك بأن الاسلام نسخ كثيرا من بواعث الشر التي تثير النفوس وتشعل
الاحقاد : كالعصية الجاهلية ، وحب الانتقام ، والاخذ بالنار ، والنشوة بالخمر
والهجاء السكاذب ، واكثر ما يجيش بالخواطر عند احتدام الشرور وتسكن اليه
النفوس عند الرضا والسرور . وأمر آخر ذكره ، وهو أن كثرة تلقيهم آيات هذا
القراء المعجز ونزوله بينهم كل حين بما يهرم ويأخذ بهجامع قلوبهم صخر قيمة
شعرهم في أعينهم ، واستخسوا معانيهم وأسلوبهم بالاضافة إلى معانيه وأسلوبه ،
فهبطت قوة شعرهم عما كانت عليه ، ومنلوا لذلك بقوة شعر حسان في الجاهلية
ولينه في الاسلام وشموخ شعر أمية بن أبي الصلت في الجاهلية واستخذه في
الإسلام : لمكان حسده لرسول الله وأكبر من ذلك أن ليذا العامري وهو من

أخف شعراء الجاهلية ، عند ما انقطع إلى حفظ القرآن ومدارسته انقطع عن قول الشعر في الاسلام ويةولون : إن من لم يتعرض لهذا الاخام والانهار من أعراب البوادي بقي شعره إلا قليلا على غرار شعر الجاهلية من أمثال الخطيئة وكعب ابن زهير . وكل هذا كلام مقبول في جملة ، ولكن كثيرا من أهل العلم والنقد من المتقدمين والمتأخرين يرون أن بعض ما يستضعف من شعر شعراء مكة والمدينة والطائف مدسوس عليهم .

ألفاظ الشعر :

وألفاظ الشعر عامة في هذا العصر يغلب عليها العذوبة والخفة وترك الحوشية والتناثر والغرابة . ويتردد فيها كثير من الألفاظ الاسلامية كالصيام والصلاة والزكاة والحج والايمان والاسلام .



وبعد فقد كان المسلمون والخلفاء يراعون الشعر والشعراء . وكان أبرز عمل قاموا به هو الدعوة إلى المحافظة على الشعر الجاهلي وروايته وكتابته خوفاً من أن يندثر بكثرة من قتل من العرب في الفتوحات ولما شاهدوه من قلة الرغبة في الشعر عند الناس بتأثير الشعور الديني الجديد ، ومحافظة على لغة القرآن ولفهم بلاغته وإعجازه ولهذا قال عمر بن الخطاب :

عليكم بديوانكم لا تضلوا ، فقالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم .

أشهر الشعراء المخضرمين

١ - عبد الله بن رواحة

المتوفى سنة ٥٩ هـ

شاعر عظيم القدر في قومه سيد في الجاهلية . كان في حروب أهل المدينة في الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم

نشأ بالمدينة وشب شاعرا يفحم الشعراء ولما هاجر الرسول صلوات الله عليه أسلم . وشهد بدرًا وكان في الاسلام عظيم القدر والمكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

دافع عن الرسول بشعره وجادل مشركي مكة وكانت له روائع كثيرة في تأييد الاسلام . ولذلك كان الرسول يحبه ويدعو له . وأشد الرسول قصيدته :

نجالد الناس عرض فنأسرهم	فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا	حى من الناس إن عزوا وإن كثروا
يا هاشم الخير إن الله فضلكم	على البرية فضلا ما له غير
إن تفرست فيك الخير أعرفه	فراصة خالفتهم في الذي نظروا
ولو سألت أو استنصرت بعضهم	في جل أمرك ما آدوا ولا نصروا
فثبت الله ما آتاك من حسن	ثبوت موسى ونصرا كالذي نصروا

فأقبل عليه بوجهه مبتسما ثم قال وإياك فثبت الله

وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مونة ثالث ثلاثة أمراء : زيد بن حارثة . وجعفر بن أبي طالب . وابن رواحة . فلما قتل صاحبه كانه كره الأقدام فقال :

أقسمت يا نفس لتزلنه طائعة أو لتكرهنه
وطالما قد كنت مطمئنة ما لي أراك تكرهن الجنة
فقتل يومئذ . ويقول قبيل غزوة مؤتة :

إذا أدنيني وحلت رحلي مسيرة أربع بعد (الحساء)
فشأنك فأنعمي وخلاك ذم ولا أرنو إلى أهلي ورائي
وجاء المؤمنون وغادروني بأرض الشام مشهور النواء
وردك كل ذي نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء

ومن شعره :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبداء
أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبداء
وقال في معركة مؤتة ،

يا نفس إلا تهتلي تموتني
هذي حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقه د لقيت
إن تقبلي فعملهما هديت
وإن تأخرت فقه د شقيت

ومن شعر عبد الله بن رواحة هذه القصيدة .

تذكر بعد ما شطت نجوداً وكانت تيمت قلبي وليداً (١)
كذي داء غدا في الناس يمشي ويكتم داءه زمناً عميداً (٢)

(١) شطت : بعدت — والنجود : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض —

وتيمت : فتننت ودهلت — والوليد : المولود وهو يعني أنه أحبها منذ الصغر

(٢) كذي داء لح : يعني أنه كصاحب الداء الذي كتم الناس مابه —

والعميد : المديد

تصيد عورة الفتيان حتى تصيدهم وتشنا أن تصيدا (١)
فقد صادت فؤادك يوم أبدت أسبلا خدها صلتاً وجيدا (٢)
تزين معقد اللبات منها شنوف في القلائد — والفريدا (٣)
فان تضنن عليك بما لديها وتقلب وصل نائلها — جديدا (٤)
لعمرك ما يوافقني خليل إذا ما كان ذا خلف كنودا (٥)

وقد علم القبائل — غير نخر — إذا لم تلف مائلة ركودا (٦)
— بأنا نخرج الشتوات منا
إذا ما استحكت ، حسباً وجودا (٧)

(١) تصيد : تتصيد — والعورة : موضع الضعف وما اختفى — والفتيان :
الرجال — وتصيدهم تجذبهم وتخضعهم — وتشنا : تكره وتأبى — أن تصيدا
يعنى تصيدهم عن غير عمد

(٢) صادت : ملكت — وأبدت : كشفت — أسبلا : وجهاً أسبلا
والاسبيل الطويل ، — والصلت ، الطويل أيضاً — والجيد ، العنق

(٣) معاهد اللبات : الاغناق والرقاب — والشنوف : الاقراط وما تدلى
من العقد — القلائد : العقد المزدوج

(٤) تضنن ، تبخل — لديها عندها — وتقلب وصل الخ ، تتجاهله وتنكره
— ونائلها : مواضعها والمعنى أنها تزعم أنها لم تصله قبل اليوم

(٥) ما يوافقني ، لا يعجبني — والخليل ، الصديق — والكنود ، الجحود

(٦) أقول بغير نخر إن الناس يعلمون انا إذا لم تنخر جزوراً توجد راكدة

فلا أقل من أن نخرج الشتوات وحسباً وجوداً منصوبان على أنها مفعول لاجله

(٧) والشتوات ، طعام الشتاء مما يصنع من البر ولحم الغنم والشيء — إذا

ما استحكت الخ إذا حصل ضيق — وذلك حفظاً لما رثنا — والجود بالموجود

ليس بخلا

قدور تفرق الاوصال فيها خضيب لونها : بيضاً وسوداً (١)
 متى ما تأت يثرب أو تزرها تجدنا نحن أكرمها وجوداً (٢)
 وأغلظها على الأعداء ركنا وألينا لباغى الخير عوداً (٣)
 وأخطبها إذا اجتمعوا لأمر واقصدها وأوقاها عهداً (٤)
 إذا ندعى لأر أو لجار فنحن الاكثرون بها عديداً (٥)
 متى ماتدع في جشم بن عوف تجدنى لا أغم ولا وحيداً (٦)
 وحولى جمع ساعدة بن عمرو وتيم اللات قد لبسوا الحديداً (٧)
 زعمتم أنما نلتم ملوكاً ونزعم أنما نلنا عبيداً (٨)

- (١) قدور : آنية طهى الطعام - تفرق الاوصال : عميقة فيها طعام كثير -
 والخضيب : متعددة الألوان - بيضاً وسوداً : حال ووصف القدور
 (٢) يثرب : المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - أو تزرها وفي
 رواية أو تردها
 (٣) أغلظها : أشدها وأقواها - وألينا : أسهلها - لباغى الخير : لطالب
 الجود والاحسان ، والمعنى أنهم مهايون مرجون .
 (٤) اخطبها : أفصحها لساناً ، وأرشدنا رأياً - واقصدها : أكثرها قصداً
 (٥) ندعى : ننادى - لنار أو لجار : للحرب أخذاً للنار ، أو لإغاثة للجار -
 لبينا الدعوة بفرسان لاعداد لهم وبها : يثرب
 (٦) تدع : تنادى وتنشدنى - وجشم بن عوف : قبيلة الشاعر - لا أغم :
 لست مجهولاً - ووحيد : لا أخ له ولا نفر
 (٧) بل تجدنى كثير النفر كبير الشهرة لأن أنصار آل ساعدة بن عمرو ، وهم
 هم في الحرب والسلام - وتيم اللات : عبدها ، وهو لاسم قبيلة - لبسوا الحديد
 تقلدوا السلاح وأدرعوا الدروع
 (٨) زعمتم : ادعيتهم - أنما : أن الذى - نلتم : ملكتم . ملوكاً . أقبالا
 وشجعاناً - ونحن بدورنا لا ندعى دعواكم ، بل نقول إن أسرانا من العبيد

وما نبغى من الاخلاف وترا وقد نلنا المسود والمسودا (١)
 وكان نساؤكم في كل دار يهرشن المعاصم والحدودا (٢)
 تركنا جمجمي كبناات فقع وغوغا في مجالسها قعودا (٣)
 ورهط ابي أمية قد أبجنا وأوس الله أتبعنا ثودا (٤)

٢ - كعب بن مالك

من شعراء المدينة من بنى سلمة . نشأ بها وأسلم بعد الهجرة ودافع عن الرسول
 بشعره ولسانه فحمده وأثنى عليه . وكان أحد الثلاثة الذين تخلعوا عن ثوبك فتاب الله
 عليهم كما قص في سورة براءة

وكان شاعرا مجيدا . قال يوم أحد من قصيدة .

فجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع
 ثلاثة آلاف ونحن نصية ثلاث مئين إن كثرنا أو أربع
 فراحوا سراعا مرجعين كأنهم جهام هراقت ماءه الريح مقلع
 ورحنا وأخوانا بطاء كأننا أسود على لحم بيشتة ظلع

(١) نبغى . نريد - والاخلاف . الاحزاب المتحالفون - والوتر . الانتقام
 وفي الاساس أن الوتر والوتيرة . التواني -- وقد نلنا الخ . ملكنا ناصية الجميع
 (٢) وكان نساؤكم سبايا مأسورات يقاسين الذل والفاقة عليهن ثياب بالية
 قدرة أجسامهن ، وهذه أوصاف الاسرى ، وقيل يتخذن ملهية -- من المهارشة
 وهي المداعبة قال في الاساس . اتهارشت الكلاب واهترشت : هارش بعضها بعضا
 وهارشت بينها مهارشة وهاشا ، وهما كلبا هراش ، وقيل . هرش الزمان اشتد
 وقسى ، والهرش المحنة والذل

(٣) جمجمي . قبيلة هزمها الشاعر وقومه - وبناات فقع : مثل يضرب في الذلة
 عند العرب - والغوغاء : الطبقة لدنيا من الناس - وأوس قبيلة بيثرب - اتبعنا ثودا
 أبدناهم حتى أمسو في الغابرين .

وقال كعب في أيام الخندق .

من سره ضرب يرعب بعضه
بعضاً كعمعة الأباء المحرق
فليأت مأسدة تسن سيوفها
بين المزاد وبين جزع الخندق
وقال بعد ذلك في كلبه أيضاً .

قضينا من تهامة كل وتر
ونخيرها ولو نطق لقال
فلمست بحاضن إن لم تروها
فنتزع العروش ببطون وج
ونهدم ما بنات اللات منكم
ونسلها القلائد والشنوقا
وتخير شتم أغمدنا السيوف
قواطهين دوسا أو ثقيفا
بساحة داركم منا الوفا
وتترك داركم ما خلوقا
ونسلها القلائد والشنوقا

٣ — كعب بن زهير

المتوفى عام ٢٤ هـ

وهو كعب بن زهير بن أبي سلمى أحد فحول المخضرمين ، وصاحب « بانة
سعاد » ، الجيدة المشهورة

ومن شعراء الرسول صلى الله عليه

أسرته شاعرة فهو ابن زهير صاحب المعلقة . قال الشعر في حدائثه ، فكان
والدة ينهيه عنه مخافة أن يقول مالا خير فيه فيروى عنه ، فيلزمه عاره الدهر فلم
ينته ، فآذاه فلم يرتدع ، فامتحنه امتحاناً شديداً ، فكان يقول على البديهة
ما يحب زهير ، فأجازه له فضي ونبع فيه حتى كان من فحول عصره
ولما ظهر الإسلام ذهب أخوه بجير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم
فغضب كعب للإسلام ، ونهاه عن الإسلام وهجاه وهجا رسول الله وأصحابه ،
فتوعده النبي صلى الله عليه وسلم ، وأهدر دمه ، فحذره أخوه العاقبة إلا أن يجيء
إلى النبي مسلماً تائباً ، فهام كعب يتراعى على القبائل أن يجيره فلم يجره أحد ،
وأرجف الناس أنه مقتول لا محالة . فلما ضاقت الأرض في وجهه ؛ جاء أبا بكر
رضي الله عنه المدينة وتوسل به إلى الرسول ، وعاذ به وآمن ، وأنشد
قصيدته المشهورة يمدح بهارسو الله وهي من جيد شعره ، ومطلعها :

بانت^(١) سعاد فقلبي اليوم متبول^(٢) مقيم^(٣) إثرها لم يقد مكبول^(٤)
 فخلع عليه النبي برده فبقيت في أهل بيته ، حتى ناعوها لماوية بعشرين ألف
 درهم ، وبيعت للمنصور العباسي بأربعين ألفاً
 وكان كعب من الشعراء المجيدين المشهورين بالسبق وعلو الكعب في الشعر ،
 وكان خلف الأحمر أحد علماء الشعر يقول : لولا قصائد لزهير ما فضلت
 على ابنه كعب ، وكفاه فضلاً أن الخطيئة مع ذائع شهرته رجاء أن ينوه به
 في شعره فقال :

فن للقوافي شأنها من يحوكمها^(٥) إذا مامني كعب وفوز جرول^(٦)
 وكان يكثر من غريب الألفاظ على جودة في الوصف ، وسهولة في العبارة
 في بعض المواضع ، وصعوبة في بعضها الآخر .
 ومن شعره قوله في قصيدته بانت سعاد :

وقال كل خليل كنت آله	لا ألينك اني عاك
فقلت خلوا سبيلي لا أبالك	فكل ما قد در الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت سلامته	يوما على آلة حدباء ^(٧) محمول
أنبت أن رسول الله أرعدني	والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ^(٨) ال	قرءان فيم - ا مواعيط وتفصيل
لاتأخذني باقوال الوشاة ولم	أذيب وقد كثرت في الأقاويل

ومن قوله أيضا :

-
- (١) فارقت (٢) تبلة الحب أسقمه وأضناه
 (٣) معبد ومذال (٤) مقيد
 (٥) شان ضد زان ، وحاك الثوب نسجه ، والقصيدة نظمها
 (٦) فوزمات ، وجرول اسم الخطيئة الشاعر
 (٧) يريد النعش ، وقيل الآلة ، والحدباء العصابة الشديدة
 (٨) كل عطية تبرع بها معطيها

أن كنت لاترهب ذى لما تعرف من صفحى عن الجاهل
فاخشس — كوتى إذ أنا منعت فيك لمسدوع خنا ^(١) القائل
فالسامع الذم شريك له ومطعم الماكول كالأكول
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

٤ — الخنساء الشاعرة

المتوفاة عام ٢٤ هـ

هى تماضر الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية الشاعرة المشهورة . نشأت وعاشت بين قومها بنى سليم ، وسليم قبيلة عربية قوية من قبائل البدو وهى من أهم قبائل قيس ، وقيس أشهر مضر على الإطلاق . عرفت سليم بكثرة غزوها من حولها من القبائل وخصوصاً غطفان ثم عرفت بعد الهجرة بمنااة الرسول أيام إقامته فى المدينة ، ولكنها ما لبثت أن وفد عليه معلنة إسلامها ومؤيدة لإيمانها بدفاع مجيد عن الرسول ورسالة فى غزوة حنين المشهورة . وليس من العسير تصور معيشة قبيلة بدوية قبيل الاسلام فحال بدو العرب لم تتغير كثيراً على مدى الايام والاعوام ولكن بدوة سليم لم تكن خالصة وإنما كان يشوبها القليل من الحضارة فقربها من مكة يسرها الاتصال بها ويسر لها شهود موسم الحج كل عام وما يتبع موسم الحج من أسواق تجارية واجتماعيه وأدبية ، ثم قربها من المدينة يسرها الاتصال بها وبمدينتها وأخيراً وقوعها بالقرب أو على الطريق التجارية بين مكة والشام يسرها الاتصال التجارى وما يتبعه من اتصال اجتماعى . كل هذا كان ولا شك له أثر فى خلط بدوة تلك القبيلة بشيء من الحضارة مهما يكن يسيراً

ولم تكن أسرة عمرو بن الشريد ابى تماضر أو الخنساء أسرة ضعيفة الشأن بين بنى سليم، فنحن نعلم أن العرب ما اعتدت برجال في حياتها الاجتماعية قدر ما اعتدت بفرسانها، ولقد كان صخر ومعاوية ابنا الشريد أشهر فرسان بنى سليم، بل من أشهر فرسان مضر. ويروى الرواة أن أباهما عمرو بن الشريد، كان يأخذ بيد ولديه في موسم الحج ويقول: أنا أبو خيرى مضر، فمن أنكر فليغير، فلا يغير عليه أحد وكان يقول من أتى بمثلهما أخوين فله حكمه فتقر له العرب بذلك.

هذه قبيلة الخنساء وتلك أسرتهما.. أحبها دريد بن الصمة فارس جشم وشاعرها المشهور، قالوا إن دريدا رآها يوما وهى تنه الأبل فهويها وقال فى هواه هذا شعراً منه.

حيوا تماضر وأربعوا صحبى وقفوا فان وقوفكم حسبى
أخناس قد هام الفؤاد بكم واعتاده دام من الحب

ثم خطبها دريد إلى أبيها فمال له أبوها، ولكن هذه المرأة فى نفسها ما ليس لغيرها وأنا ذا كرك لها وهى فاعلة، ثم دخل إليها وقال يا خنساء أذاك فارس هوازن وسيد جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين، قالت يا ابت أترانى تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح ومتزوجة شيخ بنى جشم هامة اليوم أو غد، وكان دريد يسمعها فلما خرج إليه أبوها وقال له أنها امتعت وقد تجيب انصرف دريد وهو متيقن من رفضها. ولقد صعب هذا الرفض على دريد فهجاها بشعر يقول فيه:

وتزعم اننى شيخ كبير وهل خبرتها انى ابن خمس
فلما أبلغوها هجاء دريد وقالوا لها ألا تجيبينه قالت لا أجمع عليه أن أردّه وأن أهجوه

قتل شقيقها معاوية ثم أخوها لأبيها صخر. وكان قتل معاوية فى يوم حورة الاول أما يوم حورة الثانى فقد أثاره صخر للاخذ بثأر أخيه. وفى يوم ذات الأثل طعن صخر طعنه أمهله عاماً وتوفى فى آخره. وكانت الخنساء تقول المقطعات

الصغيرة فلما قتل أخوها جزعت عليهما جزعاً شديداً وبكتهما بكاء مرا، وكان أشد وجدها على صخر، لأنه شاطرهما هي وزوجها أمواله مراراً، فهاج حزنها الشعر في نفسها، فقالت المراثي المطولات، وفاقت النساء والرجال فيها وأطالت عليهما البكاء العويل حتى تفرحت مآقيها، وحتى ضرب بها المثل في الحزن والبكاء وكثرة الرثاء .

ولعل أصدق صورة وأقواها لبر صخر بها تلك التي رسمتها هي لعائشة أم المؤمنين . قالوا أقبلت الخنساء الى المدينة حاجة فأتت عائشة أم المؤمنين وعليها صدر من شعر وهي حليقة الرأس تدب من الكبر على العصا ، وبعد أن ناقشتها عائشة في لبس الصدر ، قالت لها : ما دعاك الى هذا إلا صنائع من جميله ، قالت نعم إن لشعاري سبياً وذلك أن زوجي كان رجلاً متلافاً للأموال يقامر بالقداح فأتلف فيها ماله حتى بقينا على غير شيء ، فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخى صخر فإله ، فأتيته وشكوت اليه حالنا فشاطرني ماله ، فانطلق زوجي فقامر به فقمر حتى لم يبق لنا شيء فعدت إليه في العام المقبل أشكو إليه حالنا فماد لي بمثل ذلك فأتلفه زوجي ، فلما كان في الثالثة أو الرابعة خلت بصخر امرأته فعذلته ثم قالت إن زرجها مقامر وهذا ما لا يقوم له شيء فان كان لا بد من صلتها فاعطها أخس مالك فانما هو متلف والخيار فيه والشرار سيان فانشأ يقول لامرأته :

والله لا أمنعها خيـارداً وهي حصان قد كفتني عارها
ولو هلكت قددت نهارها واتخذت من شعر صدرها

ثم شطر ماله فاعطاني أفصل شطرين : فلما هلك اتخذت هذا الصدر ، والله لا أخلف ظنه ولا أكذب قوله ما حبيت .

صبغت حياة الخنساء بصبغة سوداء قائمة وباتت تعرف بحبيد رثائها وعميق حزنها الذي لم تضعفه السنين شعر تفرج به عن نفسها وعزاء تلتفاه من كل من يلقاها ويسمىها صغيراً كان أم كبيراً حقيراً كان أم عظيماً .

أصبحت الخنساء تشهد موسم الحج وقد سومت هودجها تنشد شعرها في رثاء

أخويها وأبيها وتعاضم العرب بمصيتها بل تعاضم العرب بحيد شعرها في الرثاء .
لم تزل الخنساء وحدها تعاضم العرب بمصيتها حتى أتتها هذه بنت عتبة بن
ربيعة تقرن جملها إليها وقد سومت هودجها هي أيضاً تعاضم العرب بمصيتها في
في شهداء بدر أبيها وعمها وأخيها . وفي هذا الموسم أنشدت كل منهما شعراً في
مصيتها وأنشدت الخنساء قصيدتها .

من حس لى الأخوين كالعصنين أو من رآهما
أخوين كالصقيرين لم ير ناظر شروهما
وبينما كانت الخنساء تدب أخويها كانت رسالة النبي تنتشر ويشيع نورها على
الحجاز وما جاوره .

وما لبثت أن توافدت إليه الوفود معلنة إسلامها . وكان بين هذه الوفود
وفد بنى سليم وفيهم الخنساء وأنشدت النبي شعرها فاعجب به وكان يستزيدها ويقول
لها هيه يا خنساء .

وقالوا قدم عدى بن هاشم على رسول الله وقال له أن فينا أشعر الناس
وأفرسهم وأسخاهم أما أسخاهم فحاتم بن سعد وأما أفرسهم فعمرو بن معدى
كرب قال الرسول ليس كما قلت يا عدى فان اشعر الناس الخنساء بنت عمرو ،
أسامت الخنساء مع قومه ولكن الاسلام لم ينسها مصيتها فكان الحاج
لا يستعرب منظر امرأة حلقة الرأس لابسة الصدور تدب على عصا من الكبر
وقد قوح البكاء عينيها حبي عميت تطوف في مكة والمدينة منشدة .

باعين جودى بالدموع المستهلات السوافح
فيضاً كما فاض الغروب المترغات من النواضع
ان البكاء هو الشفاء من الجوى بين الجوانح

نمتها عائشة أم المؤمنين عن أمس الصدور ونهاها عمر بن الخطاب عن حزنها
ولكن حزنها صمد لكل شيء ولم يضعف . وقالوا أقبلت الخنساء حاجة
فمرت بالمدينة ومعها ناس من قومها فأتوا عمر بن الخطاب فقالوا هذه الخنساء
نزلت المدينة بزي الجاهلية نلو وعظمتها يا أمير المؤمنين فلقد طال بكأؤها في

الجمالية والاسلام فقام عمر فاتاهما فقال : يا جنساء فرفت رأسها وقالت :
ما تشاء ، قال ما الذى قرح عينيك ، قالت البكاء على السادات من مضر قال لأنهم
هلكوا فى الجمالية وهم أعضاء اللهب وحشو جهنم . قالت فذاك الذى زادنى وجعاً ،
قال فأنشدبنى مما قلت قالت أما إني لا أنشدك بما قلت اليوم ، ولكن أنشدك بما
قلت الساعة ، فقالت :

سقى جدثاً أكاف غمرة دونه من الفيث ديمات الربيع ووابله
فقال عمر دعوها فانها لا تزال حزينه أبداً ، .

واشترك بنوها الاربعة فى معركة القادسية ، فكان كلامها يزيدهم نشاطا واستهتارا
بالموت : يا بنى إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين . يقول الله عز وجل :
يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فاذا
رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطربت لظى على سباقها وجللت ناراً على
أرواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفرو بالمغنم
والكرامة فى دار الخلود والمقامة ، .

قتل بنوها الاربعة فى حرب القادسية وكلنا نعلم كيف تلقت خبر موت بنينا
بقلب عامر بالإيمان قوى بالوقيدة الراسخة التى تستهتر بأجل شئ فى سبيلها ، قالت
لما نعوهم إليها : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى
مستقر رحمته ، .

الخنساء لدى عائشة أم المؤمنين :

دخلت (١) الخنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وعليها صدر (٢) من شعر ، قد استشعرته إلى جلدتها ؛ فقالت لها : ما هذا يا خنساء ؟ فوالله لقد توفي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فما لبسته !

قالت : إن له معنى دعاني إلى لباسه ؛ وذلك أن أبى زوجنى سيد قومه ، وكان رجلاً متلافاً ، فأسرف في ماله ، حتى أنفده ، ثم رجع في مالى ، فأنفده أيضاً .

ثم التفت إلى فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ، فأتيناه ، فقسم ماله شطرين (٣) ، ثم خيرنا في أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده على حال حسنة ؛ فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه .

ثم التفت إلى ، فقال : إلى أين يا خنساء ، قلت : إلى أخى صخر ، فرحلنا إليه ، فقسم ماله ، وخيرنا في أفضل الشطرين .

فقالت له زوجته : ألا ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيرهم بين الشطرين ، فقال :

والله لا أمنحها شرارها فلو هلكت قددت (٤) خمارها

واتخذت من شعر صدرها

فآليت ألا يفارق الصدر جسدى ما بقيت !

(١) العقد ص ٢٢ ج ١ ، سرح العيون ص ٢٩٩

(٢) الصدر : ثوب رأسه كالمقنعة ، وأسفله يغشى الصدر والمنكبين ، وكانت المرأة إذا فقدت حميمها فأحدث عليه ليست صدراراً من صوف

(٣) شطر الشيء : نصفه

(٤) قددت : قدت

الخنساء تعاضم بمصاها :

لما (١) كانت وقعة بدر ، قتل فيها عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد ابن عتبة ، فأقبلت هند بنت عتبة ترثهم ، وبلغها ترثهم (٢) الخنساء هودجها في الموسم ومعاضمتها العرب بمصيتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخوها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سومت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ؛ وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك .

فلما أصيبت هند (٣) بما أصيبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوم براية ، وشهدت الموسم بعكاظ — وكانت سوقا يجتمع فيها العرب — فقالت : اقرنوا جلي بجمل الخنساء ، ففعلوا ؛ فلما أن دنت منها ، قالت لها الخنساء : من أنت يا أخية ؟ قالت ، أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تعاضمين العرب بمصيتك ، فبم تعاضمينهم ؟ فقالت الخنساء بعمرو بن الشريد ، وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وبم تعاضمينهم أنت ؟ قالت ، بابي عتبة بن ربيعة ، وعمي شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد ؛ قالت الخنساء ، أوسواء هم عندك ؟ ثم أشدت تقول .

أبكى أبي عمراً بعين غزيرة قايـل إذا نام الخـلى هـودها
وصنوى لا أنسى معارية الذي له من سراة الحرتين (٤) وفودها
وصخراً ، ومن ذا مثل صخر إذ غدا بساهمة الآطال (٥) قبا يقودها

(١) الأغانى ص ٢١٠ ج ٤ ، معاهد التنصيص ص ١١٧

(٢) سوم الشيء ، جعل له سومة وعلامة ليعرف ويتميز

(٣) هي هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وأم معاوية .

(٤) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود والمراد حرة بني سليم ، وحرة بني هلال بالحجاز . أى هو مقصد الاشراف تأتبه وفودها فيما يلزمها .

(٥) الساهمة : الدقيقة ، والآطال : جمع إطل وهو الحاصرة ، والقب : جمع

أقب ، وهي الفرس الدقيقة الخصر ، الضامرة البطن .

فذلك ياهند الرزية فاعلى ونيران حرب حين شب وقودها
فقات هند تحبها :

أبكى عميد الأبطحين (١) كليهما وحاميهما من كل باغ يريد
أبى عتبة الخيرات ويحك فاعلى وشيبة والحامى الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب وفى العز منها حين ينمى عديدها (٢)
ثم قالت :

من حس لى الأخوين كالغصنين أو من راهما (٣)
قرمان لا يتظالما ن ولا يرام حماهما
ويلى على الأخوين والى قبر الذى واراها
لا مثل كهل فى الكهو ل ولا فتى كفتاهما
أسدان لا يتدللا ن ولا يرام حماهما
رمحين خطيين فى كبى السماء سناهما
ما خلفا إذ ودعا فى سودد شرواهما (٤)
سادا بغير تكلف عفواً يفيض ندهما

ومن رثاء الخدباء :

أعنى هلا تبكيان على صخر بدمع حثيث لا بكى ولا نزر
فتستفرغان الدمع أو تذر يانه على ذى الندى والباع والسيد الغمر
فما لكما عن ذى اليمين فابكيا عليه من الباكي المسلب من صبر

(١) الأبطحان : تريد بطحاء مكة وسهل تهامة .

(٢) عديدها : جموعها .

(٣) راهما : أصله رآهما .

(٤) شرواهما : مثلها .

كأن لم يقل اهلا لطالب حاجة بوجه بشير الامر منشرح الصدر
ولم يغد في خيل مجنبة القنا ليروى أطراف الردينية السمر
فشان المنايا اذ اصابك ربيها لتغدو على الفتیان بعدك أو تأسرى
فن يضمن المعروف في صلب ماله

ضمانك أو يقرى الضيوف كما تقرى

ومبثوثة مثل الجراد وزعتها لها زجل يملأ القوب من الذعر
صحبتهم بالخيل تردى كأنها جراد زفته ريح نجد الى البحر
وقاله والنعش يسبق خطورها لتدركه يالهف نفسى على صخر
الاشكت أم الذين غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر
وماذا ثوى في اللحد تحت ترابه من الخير يا بؤس الحوادث والدهر

ولها اثرى صخرا :

يالهف نفسى على صخر وقد فزعت خيل الخيل وأقران لاقران
سمح اذا يسر الاقوام أقدمهم طلق اليدىن وهوب غير منان
حلا حل (١) ماجد محض ضريبته مجذامة (٢) لهواه غير مبطان (٣)
سمح سجيته جزل عطيته وللأمانة راع غير خوان
نعم الفتى أنت يوم الروح قد علموا كفء اذا التف فرسان بفرسان
سمح الخلائق محمود شمائله على البناء اذا ماقصر البانى
ماوى الارامل والايام ان سغبوا شهاد أنجية مطعم ضيفان
حلف الندى وعقيد المجد أى فتى

كالايث في الحرب لا نكس ولا وان (٤)

(٢) عاص

(٤) فاتر

(١) كريم

(٣) عظيم البطن

وقالت :

أيا عين مالك لا تهجمينا
لصخر بن عمرو فجعنا به
رزينا أبا المجد والمكرمات
فيا صخر لا يبعدنك المليك
وعظم الشجا في قلوب العدا
رقيع العماد يقوق الرجال
يخل الخطار ليوم الفخار
ويبلى السيوف ويهرى الضيوف
فيا لك من نكبة الحقت
رمتا فلم يخطنا سهمها
بصخر بن عمرو بمجمولة
فيا أرض ماذا وعيت الندى
تعين من السودد المشتري
فلوان حيا بكتته البلاد
ولكننى سوف أبكى عليك
فبــــكى أخاك لآله
وتذكر أيامك الصالحات
سقى الله قبرك صوب الغمام
فنعم الفتى فى زمان الهياج
ودارت رحا القوم تحت السيوف
وقرن يرى الموت منه الرجال
كريم المشاهد يوم الحفاظ
حملت عليه فغادرته
وأنت على معرب قارح

وتبكين اذ حل ماتكرهينا
فجئت رزيته اذ رزينا
فاصبح فى العصة الماكثينا
فقد كذب ركننا وحصنا حصينا
وانضلا اذا جاءك السائلونا
ويجرى فيسبق سبقا مينا
ويحمى الزمار ويعطى المئنا
اذا الطرق أمسى عزيزا ثمينا
أمرت معيشتنا ما حيننا
كذلك الحوادث حيننا فحيننا
من الارض قد ضمنت رهننا
بصخر بن عمرو وفى من تعينا
وابن المكارم لو تعلمينا
لبكىه ثم حنت حنينا
ومثل فراقك أبكى العيونا
اذا المجد ضيعة السايسونا
وما كنت تأتى الينا دفينا
فروى القلب وروى الجنينا
اذا ما الرماح بجمع رويننا
وكانوا هنالك لا يثنوننا
يقارع عن نفس المخطرينا
إذا ما النساء أرنت رنيننا
صريعاً وغفرت منه الجنينا
كأن به حين يردى جنونا

وفتيه - ان صدق على شذب
فولوا ش - لالا وألفيتهم
فسوف أبصرك يا ابن الشريد
إذا وجهوهن وجهها هويتا
ليستقون نهجا وجونا حويتا
وأسهر عيني مع الساهرينا

* * *

ولها :

يؤرقني التذكر حين أمسى
على صخر وأى فنى كصخر
وللخصم الالذ إذا تعدى
قلم اسمع به رزما لجن
أشد على صروف الدهر أبدا
وضيف طارق أو مستجير
فاكرمه وامنه فامسى
وأكرم عند ضر الناس جهدا
ألا يا صخر لا أنساك حتى
فقد ودعت يوم فراق صخر
فيا لهنى عليه ولهنى أمى
يذكرنى طلوع الشمس صخرا
ولولا كثرة الباكين حولي
ولكن لا أزال أرى عجولا
هما كلتا هما تيكى أخاها
وما يكون مثل أخى ولكن

فأصبح قد بليت بفرط نكس
ليوم كريمة وطعان حلس
ليأخذ حق مظلوم بنفس
ولم أسمع به رزما لانس
وأفصل فى الخطوب بغير لبس
يروع قلبه من كل جرس
خلى باله من كل بؤس
لجاد أو لجار أو لعرس
أفارق مهجتي ويشق رمسى
أبى حسبان لذاتى وأنسى
أصبح فى الضريح وفيه يمسى
واذكره بكل مغيب شمس
على اخوانهم لقتلت نفسى
وباكى تنوح ليوم نحس
عشية رزئه أو غب أمس
أعزى النفس عنه بالتأسي

* * *

ومن قولها في صخر أيضا :

أمن جدث الأيام عينك تهمل تبكى على صخر وفي الدهر مذهل (١)
 ألا من لعين لا تجف دموعها إذا قلت أفنت تستهل فتحفل (٢)
 على ماجد ضخم الدسيعة بارع له سورة في قومه ماتحول (٣)
 فما بلغت كف أمرى متاولا من المجد إلا والذي نلت أطول
 ولا بلغ المهدون للناس مدحة وإن أطبوا إلا الذي فيك أفضل
 ومن أجل البيتين الأخيرين فضلها معاوية بمحضر الأخطل ، وأقرها
 الأخطل بالفضل .

ومن قولها : وقد تسابق أبوها وأخوها فسبق أبوها ، ف قيل لها : لئن مدحت
 أباك لقد هجوب أخاك ، فقالت : وتخلصت من الموقف أحسن تخلص يجعل سبق
 أبيها ليس عن عجز أخيها ، ولكنه اعتراف بحقه وتسليم لكبر سنه .
 جارى أباه فاقبلا وهما يتعاوران ملامة الحضر (٤)
 حتى إذا نزت القلوب وقد لزت هناك العذر بالعذر (٥)

(١) هملت العين (كضرب) كثر نزول دمعها . المذهل : هنا مصدر ميمي :
 أى الذهول ، والمعنى إن الدهر في ذهول عنك لا يهमे أمرك ولا يرد لك
 بالبيكاه فائتا .

(٢) استهل المطر . بدأ نزوله . حفلت السماء (كضرب) كثر مطرها .

(٣) الدسيعة . الجفنة . أو المائدة الكريمة . برع . تم في كل فضل وكال .

(٤) الحضر والإحضار : السرعة .

(٥) نزت : تحركت واضطربت . لزه به . ألصقه به . العذر بسكون الذال :

الشعر الذى على كاهل الفرس . أو أصلها العذر بضمين جمع عذار وهو جانب
 اللحية أو ما وقع عليه من اللجام .

وعلا هتاف الناس أيهما قال المجيب هناك لا أدري
برزت صحيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجرى^(١)
أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكبر^(٢)
وهما وقد برزا كأنهما صقران قد حطا إلى وكر

وقيل للخنساء : صفي لنا اخويك صخرًا ومعاوية فقالت : كان صخر والله جنة
الزمان الا غير وذعاف الخميس الاحمر وكان والله معاوية القائل الفاعل، قيل لها .
فأيهما كان أسنى وأخف قالت اما صخر فخر الشتاء وأما معاوية فبرد الهواء قيل
لها : فأيهما أوجع وأجمع قالت : اما صخر لجمر الكبد وأما معاوية فسقام
الجسد وانشأت .

اسدان . محمرا المخالب نجدة بجران في الزمن الغضوب الانمر
فمران في النادى رفيعا محمدا في المجد فرعا سودد متخير
وقالت الخنساء ترثي أخاها :

فدى بعينك أم بالعين عوار أم ذرفت أن خلت من أهل الدار
كأن دمعى من ذكرى اذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدرار
فالعين تبكى على صخر وحق لها ودونه من جديد الارض أستار
بكاء والهة ضلت ألفتها لها حنينان اصغار واكبار
ترعى اذا نسيت حتى اذا ذكرت فانما هي اقبال وادبار
وان صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
حامى الحقيقة محمود الخليفة مه دى الطريقة نفاع وضار
وقالت أيضا :

اعيني جودا ولا تجمدا الا تبكيان لصخر الندى

(١) الغلواء : الغلو .

(٢) الكبر : الشرف والعظمة .

ألا تبكيان الجرى الجواد ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العباد د ساد عشيرته امردا
يحمه القوم ما غلهم وان كان أصغرهم مولدا
جموع الضيوف الى بابه يرى أفضل الكسب أن يحمدا
ومما رث به أخاها معاوية قولها من قصيدة .

ألا ما لعينك أم ما لها لقد أخضل الدمع سر بالها
أبعد ابن عمرو من آل الشري د حلت به الأرض أثقالها
وأقسمت آسى على هالك وأسأل نائحة ماله
لتجرى المنية بعد الفتى الـ مغادر بالمحو أذلالها (١)
سأحمل نفسي على كخطه فاما عليها ، وإما لها
نهين النفوس وهون النفو س يوم الكريمة أبقى لها
فان تك مرة أودت به فقد كان يكثر تقناها
فزال الكواكب من فقده وجللت الشمس أجلاها (٢)

وقولها من قصيدة ترثى بها أخاها سخر .

بكت عيني وعاورها قذاها بعوار فما تقضى كراها
على صخر وأى فتى كصخر إذا ما الذاب لم ترأم طلاها
لئن جزعت بنو عمرو عليه لقد رزئت بنو عمرو فتاها

* * *

(١) المغادر بالمحو أى المتروك بالموضع المسمى المحو — وأذلالها مجازيها —
تقول لتجر المنية فى مجازيها كما تشاء فما أبالى بما تفعل بعد موت هذا الفتى المقتول
بالمحو .

(٢) أجلاها جمع جل أى ستر .

وكثير من النقاد يعجبون بشاعرية الخنساء ويشيدون بها حتى إن جريراً سئل من أشعر الناس فقال أنا لولا الخنساء . وأغلب النقاد على أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها ، ومن فضل ليلي الأخيلية عليها لم ينكر أنها أرثى النساء . وكان بشار يقول لم تقل امرأة شورا إلا ظهر الضعف فيه ، فقيل له وكذلك الخنساء ، فقال تلك غليت الفحول . ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية ، أقل منه عند شعراء الاسلام فذلك النابغة الذبياني يقول لها وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التي مطلعها :

قذى بعينيك أم بالدين عوار أم ذرفت إذ دخلت من أهلها الدار
لولا أن أبا بصير يعنى ، إلا عشى ، أنشدني قبلك لقلت إنك أشعر من بالسوق
ولشعر الخنساء رنين في السمع ، وهزة في القلب ووقع في النفس ، لأنه صادر
عن فؤاد محزون وما خرج من القلب حل في القلب ، وكان فوق ذلك لين اللفظ
سهل الأسلوب حسن الديباجة .

٥ - أبو محجن الثقفي

المتوفى عام ٣٠ هـ

شاعر مخضرم ، نشأ في الطائف وهي مدينة في الجنوب الشرقي من مكة تبعد
عنها خمسة وسبعين ميلاً اشتهرت بطبيب هوائها وجودة مزارعها وهي مصيف العرب
قال النخعي يصف أخت الحجاج بالنعمة والنرف

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

وكانت أشهر القبائل العربية بالطائف ، ثقيف ، قبيلة أبي محجن . وقد أنجبت
ثقيف شعراء مجيدين في الجاهلية والاسلام ومن شعراء الجاهلية الشاعر المتدين
أمية بن أبي الصلت ، وفي العصر الأموي الشاعر الشريف طريح الثقفي ، والشاعر
الحكيم الأجرد الثقفي — واشتهر من أمرائها وسائرتها وقادتها الأمير
الحجاج بن يوسف الثقفي ، والقائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند ولما
يكتمل العشرين ، والذي قال فيه القائل .

ساس الجيوش لسبع عشر حجة ياقرب ذلك سؤدداً من مولد

كذلك كانت كثرة العنب والزبيب في بلادهم سبباً في شيوخ الخمر بينهم وولوع أهلها بشربها .

وقد كانت الخمر شائعة بين العرب في الجاهلية ، ولكن بين خاصتهم لا بين عامتهم . يتمدحو بشربها وإتلاف مالهم في سبيلها .

وكانت الخمر تأتيهم من الشام ومن اليمن ومن الطائف ، وأبر محجن كان كما يقول أحمد أمين من هذه الطبقة ، فتي ، غني ، من ثقيف ، من الطائف - شجاع ، كريم يكثر الشراب ، ويتلف المال ويحتفظ بالمروءة ويقول .

لاتسأل الناس عن مالي وكثرته وسائل الناس عن حزمي وعن خلقي

القوم أعلم أني من سرانهم إذا تطيش يد الرديدة الفرق

قد أوكب الهول مسدولاً عساكره واكتم السر فيه ضربة العنق

عف المطالب عما لست ناله وإن ظلمت شديد الحقد والعنق

وفد أجود وما مالي بذى فنع (١) وقد أكر وراء الحجر الفرق (٢)

سيكثر المال يوماً بعد قلت وبكتسى العود بهد اليبس بالورق

ظلت ثقيف على جاهليها لاتذعن لدعوة الاسلام حتى أسلم من حولها ورأت

نفسها بمعزل ، فاضطرت إلى الاسلام في السنة التاسعة للهجرة ، وسمع شاعرنا

بالاسلام وتعاليمه فأسلم مع قومه ولم نسمع عنه في حياة رسول الله وأبي بكر

شيئاً ولكننا نراه اصطدم مع عمر وهو الشديد في الحق لاتأخذه فيه هوادة ،

فعاد شاعرنا يتغزل ويشرب - يرى امرأة من الأنصار تسمى « الشموس » ،

فيحبها ويحاول رؤيتها بكل حيلة فلا يستطيع ، فيؤجر نفسه ويعمل في حائط يبنى

بجانب منزلها ويطل عليها من كوة البستان ويقول :

ولقد نظرت إلى الشموس ودونها

خرج من الرحمن غير قليل

ويشرب ويقول الشعر في الخمر :

(١) الفنع زيادة المال والمال ذو فنع وكثير ،

(٢) الحجر الهارب الذي ألجىء الى الحجر .

إن كانت الخرق قد عزت وقد منعت

وحال من دونها الاسلام والخرج

فقد أباكرها صرفاً وأمزجها

رياً وأطرب أحياناً وأمتزج

لخده عمر وبلغ ذلك سبع مرات أو ثمانياً، وهو لا يزال على رأيه؛ مصمم على تفكيره، ماض في عزله وشربه، يش عمر من علاجه، وضاق به ذرعاً، فقرر أن ينفيه في جزيرة كانت تنفي فيها العرب في الجاهلية خلعاءه - أ، وبعث معه حرسياً يحافظ عليه حتى لا يهرب، وأوصاه ألا يأخذ سجينه سيفاً معه، وقد عرف عمر كيف ينتقم، فلم يألُم أبو محجن من شيء ألمه من هذا

تظاهر أبو محجن بأنه يحمل غرارتين ملتصقتين دقيقتاً وعمد إلى سيفه فجعل نصله في غرارة، وجفنه في غرارة، ودفنها في الدقيق حتى إذا جاوز هو والحرسى المدينة ولقيا من سفرهما هذا نصباً جلياً للغداء، فقام شاعرنا يوم أنه يخرج دقيقتاً، فأتى خرج سيفه، ووثب على الحرسى، فخرج يعددو على بغيره راجعاً إلى المدينة، وذهب أبو محجن إلى حيث يحيا الرجال والفرسان حياة النجدة والشهامة - إلى مواقع الغزوات، إلى أشدها هولاء، وأصعبها مراساً، إلى القادسية، حيث المواقع الفاصلة، بين سيادة العرب وسيادة الفرس

ولكن عمر، لم يخف عليه أمره، فعرف أين توجه، فما وصل إلى القادسية حتى سبقه كتاب عمر يأمر سعد بن أبي وقاص بحبسه، ففعل ذلك وحبسه في قصره وقيدته، فمضى يرسف في قيوده ويستعطف سعداً أن يطلقه فزجره، فذهب إلى سلى زوج سعد وقال لها :

هل لك إلى خير ؟

قالت : وما ذاك ؟

قال : تخلين عني وتعيريننى البلقاء (فرس سعد) فله على إن سلمنى الله أن أرجع إليك حتى تضعى رجلى فى قيدي، فابت ؛ فقام ثائراً حزيناً، يرى القتال على الباب وهو يرسف فى القيد، وانطلق لسانه بهذه الأبيات :

كنى حزناً أن تطعن الخيل بالقنا
وأترك مشدوداً على وثاقها
إذا قهر عتاني الحديد وغلقت
مغاليق من دوني تصم المنايا
وقد كنت ذا أهل كثير وإخوة
فقد تركوني واحداً لا أنا ليا
هلم سلاحى لا أبالك أنى
أرى الحرب لا تزدد إلا تماديا
ولله عهد لا أخيس بعهد

لئن فرجت ألا أزور الحوانيا (١)

سمعت سلمى هذا الشعر فرثت له ورأت الصدق في قوله فأطلقته ، واقتاد
فرس سعد وخرج إلى موطن القتال وإذا به أمام الناس يقف بين الصفين
ويحمل على العدو حملات منكرة حتى عجب الناس من قتاله وأمره ، ورأوا
الفرس فرس سعد ، والطاعن لم يشهد الحرب معهم قبل اليوم ، حتى إذا انتصف
الليل وتحاجز العسكران رجع صاحبنا إلى القصر وأعاد رجله في القيد (٢)
فلما أصبح الصباح تحدث الناس به وأخبرت سلمى سعدا بما كان منه فأطلقه
وعاهده ألا يحده أبدا إذا شرب .

وقال لسعد كنت آنف أن أتركها من أجل الحد ، فاما إذ به رجعتي فلا والله
لا أشربها أبدا .

لقد كان مما أخذه عمر عليه قوله :

إذا مت فادفني إلى أصل كرمه تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفني بالفلاة قاتنى أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

(١) الحوانى جمع حانية وهى الحانوت

(٢) راجع ص ١٥٢ - ١٥٥ من هذا الكتاب

ودخل ابنه على معاوية فقال له أبوك القائل :
 إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروى عظامي بعد موتي عروقها
 ولا تدفني بالفلاة فاني أخاف إذا ماتت ألا أذوقها
 فقال : أبي الذي يقول :
 لا تسأل الناس عن مالي وكثرته وسائل القوم عن مالي وعن خلقي

٦ — أبو ذؤيب الهذلي

المتوفى عام ٢٦ هـ

هو خويلد بن خالد الجاهلي أسلمى أحد المخضرمين أسلم واشتهر بقول الشعر
 الفحل الرصين .

خرج مع ابن سعد بن أبي سرح لغزو أفريقيا عام ٢٦ هجرية ثم عاد مع ابن
 الزبير إلى مصر فاصيب أبناؤه الخمسة فيها بالطمون فماتوا ورثاهم بمرثيته المشهورة .
 ومات أبو ذؤيب في مصر بعدهم عام ٢٦ هـ .

وكانت له مكانة كبيرة في الشعر وأشهر قصائده عينيته التي رثى فيها أولاده
 الخمسة . وهي كما في المفضليات .

أمن المنون وريها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع (١)
 قالت أميمة ما لجسمك شاحباً منذ ابتذلت ومثلي مالك ينفع (٢)
 أم ما لجنبك لا يلائم مضجعاً إلا أقض عليه ذاك المضجع (٣)

(١) المنون . الموت يذكر وبؤث ، وسمى الموت منونا ؛ لأنه يمن المرء .
 أى ينقصه . ريب المنون . ما يأتى به من الفواجع . الاعتبار . فعل ما يرضى العاتب .
 (٢) ابتذل الرجل (بالبناء للفاعل) . عمل عمله بنفسه . وقوله . ومثلي مالك
 ينفع أى فى شراء العبيد وقيامهم بالعمل بذلك .
 (٣) أقض عليه المضجع . أى امتلأ قضيضاً (حصى) والمراد أنه أرق
 ولم يهدأ .

فأجبتها أن ما لجسمى أنه أودى بنى فأعقبوني حسرة
سبقوا هوى وأعقبوا لهوهم فغبرت بعدهم بعيش ناصب
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم وإذا المنية أنشبت أظفارها
فالعين بعد دم كان جفونها وتجلى للشامتين أريهم
حتى كائن للحوادث مروة لا بد من تلف مقيم فانتظر
ولقد أرى أن البكاء سفاهة

أودى بنى من البلاد فودعوا (١)
بعد الرقاد وعبرة ما تطلع
فتخرموا ولكل جنب مصرع (٢)
وإخال أنى لاحق مستتب (٣)
وإذا المنية أقبلت لا تدفع
ألفيت كل تميمه لا تنفع
سملت بشوك فهي عورا تدمع (٤)
أنى لريب الدهر لا أتضعضع
بصفا المشقر كل يوم تفرع (٥)
أبارض قومك أم بأخرى المضجع
ولسوف يولع بالبكا من يفجع

إلى آخر هذه القصيدة الجيدة

وله قصائد كثيرة في الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ طبعة ١٩٣٢ . وسئل حسان من أشعر الناس فقال هذيل وأشعر هذيل غير مدافع

(١) أن هنا مخففة من الثقيلة ، أى أجبتها أن الذى حصل لجسمى أن أولادى هلكوا . وتركوا .

(٢) أصل هوى هوأى (لغة هذيل تقلب ألف المقصور فى هذه الحالة ياء وتدغمها فى ياء المتكلم) أعقبوا . ساروا سيرا فسيحا سريعا ، والمراد أنهم ماتوا فى مستقبل المعرف وصلوا إلى الغاية قبل غيرهم . تخرموا . أخذوا واحدا بعد واحد .
(٣) غبرت . بقيت . مستتب : لاحق ، من قولك ، استتبعتنى فلان ، أى جعلنى أتبعه .

(٤) ويرى كأن حداقها وذلك مناسب لقوله سملت . أى ففقت وعورا مقصور عورا .

(٥) المروة . القطعة من أصلب الحجارة . الصفا . جمع صفاة ، وهى الجر الصلد الضخم . المشقر . حصن بالبحرين .

أبو ذؤيب . ويقول فيه ابن سلام كان شاعرا فخلا لا غمزة فيه ولا وهن وجعله
من الطبقة الثالثة مع لييد والجمدى والشماخ

٧ - الخطيئة

المتوفى عام ٥٩ هـ

هو أبو مليكة جرول الخطيئة العبسى الشاعر المشهور نشأ نشأة فقيرة فى نجد
خامل النسب قليل الحسب مختلطا عليه أمرأه وأبيه انتسب إلى عبس فنسب إليها
وكان مع ذلك دميما قبيح الخلقة بخيلا يطرد أضيافه ويؤذى جيرانه ويقع فى اعراض
الناس ويثلبهم فكانوا يخشون لسانه .

كان الخطيئة تلميذ زهير فى الشعر وواوئته لذلك خرج شعره مصفولا قوى
الديباجة رائع الأسلوب ساحر النيان نغم الألفاظ له نصيب كبير من
المروعة والبلاغة .

وكان الخطيئة من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم متصرفا فى جميع فنون
الشعر من المديح والهجاء والفخر والغزل مجيدا فى ذلك كله أدرك الجاهلية والإسلام
فأسلم ثم ارتد كما يقول صاحب الأغاني . ويقول أبو عبيدة فيه : كان الخطيئة متين
الشعر شرود القافية .

وفد على سعيد بن العاص وهو يعشى الناس بالمدينة ، والناس يخرجون أولا
أولا ، والخطيئة قبيح المنظر ، رث الهيئة ، جالس مع أصحاب سمره ، فذهب الشرط
يقيمونه ، فأبى أن يقوم ، وحانت من سعيد التفاتة ، فقال : دعو الرجل ، فتركوه
وخاضوا فى أحاديث العرب وأشعارها مليا ، فقال لهم الخطيئة (١) : والله ما أصبتم
جيد الشعر ، ولا شاعر العرب ، فقال له سعيد : أتعرف من ذلك شيئا ؟ قال :
نعم ، قال : فمن أشعر العرب ؟ قال الذى يقول .

لا أعد الاقتار عدما ولا كن فقد من رزقته الاعداد
أنشد القصيدة حتى أتى عليها .

نال له : من يقولها ؟ قال أبو دواد اليا بادي ، قال : ثم من ؟
ل الذي يقول :

نلح ^(١) بما شئت فقد يدرك بالجهل وقد يخدع ^(٢) الأريب
ثم أنشدها حتى فرغ منها : قال : ومن يقولها ؟ قال عبيد بن الأبرص ، قال : ثم من ؟
قال : لحسبك بي عند رغبة أو رهبة إذا رفعت إحدى رجلي على الأخرى ثم
عديت في إثر القوافي عدا الفصيل الصادي ، قال : ومن أنت قال : الخطيئة ،
فرحب به سعيد ، ثم قال : أسأت بكتماننا نفسك منذ الليلة ، ووصله وكساه .
ومضى لوجهة إلى عتيبة بن النهراس العجلي ، فسأله فقال له : ما أنا على عمل
فأعطيك منه ، ولا في مالي فضل عن قومي ، قال له : فلا عليك ! وانصرف .
فقال له بعض قومه : لقد عرضتنا ونفسك للشر ! قال : وكيف ؟ قالوا : هذا
الخطيئة ، وهو هاجينا أخبت هجاء ، فقال : ردوه ، فردوه إليه ، فقال له : لم
كتمتنا نفسك ؟ كأنك كنت تطلب العلل علينا ! اجلس فلك عندنا ما يسرك ، فجلس
فقال له : من أشعر الناس ؟ قال الذي يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ^(٣) ومن لا يتق الشتم يشتم
فقال له عتيبة : إن هذا من مقدمات أفاعيك ، ثم قال لو كيئه : اذهب معه
إلى السوق فلا يطلب شيئاً إلا اشتريته له فجعل يعرض عليه الخبز ورقيق الثياب

-
- (١) أفلح من الفلاح وهو البقاء ، أي عس بما شئت من عقل وحق ، فقد
يرزق لاحق ، ويحرم العاقل .
(٢) رجل مخدع : خدع مراراً .
(٣) يفره يتعه ولا ينقصه

فلا يربدها ، ويومئ إلى الكرايبس ^(١) والأكسية الغلاظ ، فيشتريها له ، حتى
قضى أربه ^(٢) : ثم مضى .

فلما جلس عتيبه في نادى قومه أقبل الخطيئة ، فلما رآه عتيبة قال : هذا مقام
العائد بك يا أبا مليكة من خيرك وشرك ، قال : قد كنت قلت بيتين فاستمعهما ،
ثم أنشأ يقول .

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا فسيان لا ذم عليك ولا حمد الخ

ومن شعره يهجو الزبرقان ، ويناضل عن بغيض فصيدته التي يقول فيها :

والله ما معشر لاموامراً جنبا ^(٣)	في آل لاي بن شماس بأكياس ^(٤)
ما كان ذنب بغيض ، لا أبا لكم ،	في بائس جاء يحذو آخر الناس
لقد مريتكم ^(٥) لو أن درتكم ^(٦)	يوماً يحس بها مسحى وإبسسى ^(٧)
وقد مدحتكم عمداً لأرشدكم	كيما يكون لكم متحى ^(٨) وإمراسى ^(٩)
لما بدا لي منكم عيب أنفسكم	ولم يكن لجراحي فيكم آسى
أزمعت يأساً مبيناً من نوالكم	ولن ترى طارداً للجر كاليساس .

(١) الكرايبس : ثياب القطن .

(٢) الأرب الحاجة .

(٣) الجنب الغريب

(٤) جمع كيس : اللبيب القطن ، والمراد بالمعشر الزبرقان ورهطه .

(٥) مرى الناقة يريها مسح ضرعها ، والمراد مدار ، ومدحهم ليدروا

عليه العطاء . (٦) الدرة . اللبن .

(٧) الإبساس التلطف بالناقة عند الحلب بأن يقا لها بس يس تسكيناً

لها لتندر

(٨) المتح : نزع الماء من البئر

(٩) الإمراس : وضع حبل البئر في البكرة بعد أن انزلق منها .

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً
جأراً لقوم أطالوا هون منزله
ملوا قراه وهرته (٣) كلابهم
ع المكارم لا ترحل لبغيتها
م عمل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستد عليه الزبرقان عمر بن الخطاب : فرفعه عمر إليه واستنشدته فأنشده ،
فقال عمر : ما هجاء ولكنها مناتبة ، فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروءتي
إلا أن آكل وألبس ؟ فقال عمر : على بحسان ، فجىء به ، فسأله . فقال . أترأه
هجاء ؟ فقال . نعم وسلح عليه ! فخبسه عمر ، فقال في الحبس قصائد يستعطف بها
عمر ، فلم يلتفت إليه ، حتى قال .

ما ذا تقول لأفراخ بنى مرخ (٥)
ألقيت كاسهم هم قعر مظلمة
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها
فامن على صبية بالرمل مسكنهم
أهلى فداؤك كم بينى وبينهم
رغب الحواصل لا ماء ولا شجر
فاغمر ، عليك سلام الله ، يا عمر
ألقت إليك مقاليد النهى البشر
لكن لأنفسهم كانت بك الأثر (٦)
بين الأباطح تغشاهم بها القرر (٧)
من عرض داوية (٨) تعمى بها الخبر

-
- (١) المستوعر المكان الوعر ، والشاسى : المكان الغليظ المرتفع .
(٢) الرمس القبر وجمعه أرماس ، والهون المذلة . أى تركوه كالميت .
(٣) هرته الكلاب . نبخته ، وهو كناية عن أنه كان غريباً مضطهداً بينهم
(٤) الطاعم : المطعوم . والكاسى : المكسو
(٥) ذو مرخ : واذ بالخباز .
(٦) الأثر : واحدتها أثر ، ومعناها : الاستئثار والمكرمة .
(٧) القرر : جمع قرة ، وهى البرد .
(٨) الداوية : الفلاة الواسعة :

ومن شعره :

وفتيان صدق من عدى عليهم
إذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم
وطاروا إلى الجرد العتاق فأجروا
أولئك آباء الغريب وغائة الص
أحلوا حياض الموت فوق جباههم
وكان ابن شبرمه يقول : أنا والله أعلم بحيد الشعر ، ولقد أحسن الخطيئة
حيث يقول في آل شماس قوم بغيض :

ألا طرقتنا بعد ما هجروا هند
وإن التي نكبتها عن معانيره
أتت آل شماس بن لاي وإمما
فان الشقي من تعادى صدورهم
يسوسون أحلاما بعيدا أناتها
أقبلوا عليهم لأبا لا ييكم
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها
وقد جزن غورا واستبان لنا نجد
على غناب أن صددت كما صدوا
أنعم بها الأحلام والحسب العد^(٥)
وذو الجد من لانوا إليه ومن ودوا
وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد^(٦)
من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا
وإن عاهدوا أو فوا وإن عقدوا شدوا^(٧)
وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا^(٨)

(١) الصدق : الشدة في القتال . بصرى : مدينة بالشام . وصفائح بصرى الدروع

(٢) المناطق : جمع منطقة (بكسر الميم) مئى ما يشد على الوسط

(٣) غائة : جمع غائث . الصريخ : طالب . غة . المرمل : الفقير . الدراق

جمع ردى وهو الصى الفقير .

(٤) حياض الموت معناه الميتة . السوابق : سابق وهو الجواد

(٥) العد . القديم

(٦) الحفيظة . الخمية .

(٧) عقدوا ، أى عقدوا الألوية للحرب ، شدوا : اشتدوا في الحملة .

(٨) الضمير في كدروها للنعمة المفهومة من أنعموا . والمراد تكديرها

بالمن . وكدوا أى أتعبوا ، المراد اتعبوا المنعم عليه بطلب الشكر

وشعر الخطيئة كان محل إعجاب النقاد والأدباء وروايتهم ومدحهم .
قال أبو صفوان : ما من أحد إلا لو أشاء أن أجد عليه . طعنا في شعره
لوجدت لا الخطيئة .

وقال حماد : ليس أحد يعد زهيرا شعر من الخطيئة . وقال رجل للخطيئة
من أشعر الناس فأخرج لسانه كأنه لسان الحية وقال هذا إذا طمع .

والنقاد يعجبون ، لا يذهب العرف بين الله والناس ، إعجابا كثيرا .

وقال ابن عباس للخطيئة : من أشعر الناس ؟ قال : لولا الطمع والجشع
لكنت أشعر الناس .

وكان الخطيئة يقول إنما أنا حسب موضوع . وسئل كثير من أشعر الناس ؟
ففضل الخطيئة .

٨ - حسان

المتوفى عام ٥٤ هـ .

تمهيد :

أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي النجاري أشهر
شعراء رسول الله والذي وقف مع الرسول يدافع عن الإسلام والعقدة دفاعا
حارا والعلم الذي طارت شهرته في كل مكان .
أسرته :

بنو النجار قوم حسان أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أم جده
عبد المطلب منهل ولذلك فحسان له برسول الله صلة قرابة بعيدة .

وبنو النجار من الخزرج وهي القبيلة العظيمة التي كانت تقيم في المدينة مع
الأوس . وهما من الأزد القحطانيين .

وكان ميلاد ونشأة حسان بالمدينة والمدينة في العصر الجاهلي كانت مجتمعا
صغيرا تسوده الحروب والخلافات الدامية التي كانت تقوم بين الأوس

والخزرج وبين اليهود سكان المدينة من قيس والذين وفد عليهم الأوس والخزرج فأقاموا معهم فيها وغلبوهم على أمرهم :

كان بين الأوس والخزرج في الجاهلية عداة شديدة وخصومات كثيرة وحروب وأيام وكان قيس بن الخطيم شاعر الأوس وحسان شاعر الخزرج فلما أسلمت القبيلتان وهاجر الرسول الكريم إلى المدينة ألف بين قلوبهم وجمع بين شملهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا

ميلاد حسان ونشأته :

ولد حسان بالمدينة قبل الهجرة بنحو ٥٠ سنة وقبل مولد النبي بنحو ثمانى سنين واشترك مع قومه الخزرج في حروبهم ومفاخرتهم وجاشت نفسه بالشاعرية المتدفقة فكان شاعر قومه والمدافع عن أحسابهم ومفاخرهم وأخذ يناضل قيس بن الخطيم شاعر الأوس ويفاخره بقومه ومجدهم وحصفت شاعرية حسان وطارت شهرته في الجزيرة العربية ووفد على ملوك الحيرة وبني غسان يمدحهم وينال جوائزهم وينافس فحول الشعراء مثل النابغة وغيره في الخطوة عندهم وكان له مكانته الممتازة في قصورهم ،

وكان يؤيد من منزلة حسان في الشعر شرفه وحسبه ومجده التليد ، فقد كان أبوه ثابت بن المنذر بن حرام من سادة قومه وأشرافهم ، وكان جده المنذر الحاكم بين الأوس والخزرج يوم سميحة ، وهو يوم من أيامهم ومن شعر حسان الرائع الجيد في مدح بني جفنة من أن ملوك الشام قوله :

يغشون حتى مانهر كلابهم

لا يسألون عن السواد المقبل

وستأتى القصيدة

وهكذا عاش حسان في الجاهلية يتكسب بالشعر كالأعشى والنابغة والحطيئة ، كان حسان يقصد يمدأئحه بني غسان عاما ويقعد عاما وكان يرجع عنهم

بالجوائز السنية والآمال الطائلة حتى قيل إنهم جعلوا له مراثيا شهريا يصل إليه
وأُنشد جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغسانيين لاميته المشهورة وعنده النابغة ففضلها
على شعر النابغة

ما زال بنو غسان على برهم بحسان وإيثارهم له حتى وهو في اسلامه وهم في
نصر تم

و جبلة يقسم ألا يطيف به ذكر حسان إلا أرسل إليه ولا يمر به غاد أو
رائح إلا ث معه ما يطرف به حسانا . وأرسل له جبلة بعد أن ارتد عن
الاسلام ولحق بقيصر الروم خمسمائة دينار وخمسة أثواب فقال حسان :

إن ابن جفنة من بقية معشر لم يغذهم أبائهم بالالوم
لم ينسى بالشام إذ هو ربها كلا ولا متصرا بالروم
يمطى الجزيل ولا يراه عنده إلا لبعض عطية المذموم
ويرى أن رسولا للمعاوية وفد على ملك الروم فسأله جبلة عن حسان فأعلمه
أنه قد كبر وعمرى فدفع إليه ألف دينار وحللا وقال له إن وجدته حيا فادفعها
إليه وإن وجدته ميتا فانشرا للجل على قبره واشتر له إبلا وانحراها على قبره ، فجاء فوجده
حيا فأخبره بذلك فبكى وقال : وددت أنك جئت ووجدتني ميتا

وكان يشبب في الجاهلية بأمرأة تدعى « شعشاء » وبفتاة من قومه تسمى « عمرة »
وقد تزوجها حسان ثم طلقها ثم اتبعها نفسه

وهكذا كانت حياة حسان في الجاهلية ترف ولهو ووصف للخمر وشرب
لها وانتجاع الملوك وإشادة بهم ، واشتراك في المعارك التي كانت تقوم كثيرها
بين قومه الخزرج وبين الأوس وتنويه بمجد قومه وأحسابهم وافتخار بما آثرهم
وأيامهم في الجاهلية إلى أن بلغ حسان سن الستين
حياته في الاسلام :

دخل حسان في الاسلام بعد الهجرة واطمأن قلبه إلى الدين الجديد ، وأخذ
يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم بلسانه فاتخذ شاعره وقربه لديه ورفع
مكانته عنده

كان ثلاثة رهط من قريش وهم عبد الله بن الزبير وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وعمرو بن العاصي قبل إسلامهم يهجون رسول الله والانصار : فاستنصر رسول الله الانصار وندبهم لارد عليهم فأجابه ثلاثة من الانصار هم : كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وأشعرهم حسان

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اشتد عليه أذى قريش بالهجاء قال لأصحابه : ما يمنع الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ فقال حسان : أنا لها ، وضرب بلسانه أرنبة أنفه وقال : والله ما يسرنى به مقول ما بين بصري وصنعاء ، والله لو وضعت على صخر لفلقه أو على شعر لحلقه ، فقال له النبي : كيف تهجوم وأنا منهم ؟ قال : أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين ، فقال : اجهم وروح القدس معك فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام في غبش الظلام ، ثم قال صلى الله عليه وسلم له : إيت أبا بكر فهو أعلم بالقوم فأطلعه أبو بكر على مخازيهم وما يتهمون به في نسيهم فجههم أوجع هجاء عليهم ولم يمس رسول الله من هجائه لهم شيء ومن هجائه لأبي سفيان ويبدو فيه أثر الإلهام والصنعة والحدق والنكاية قوله :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ، ووالده العبد ومن ولدت أبناء زهرة منكم كرام ، ولم يلحق عجائزك المجد وإن امرأ كانت سمية أمه وسمراء مثلوب إذا بلغ الجهد وأنت هجين نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ويروى أن أحد الصحابة قال — لما اشتد هجاء المشركين للرسول — لعلي ابن أبي طالب : اهج عنا القوم الذين قد هجونا ، فقال علي : إن أذن لي رسول الله فعلت ، فقال رجل : يا رسول الله أئذن لعلي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا ، فقال صلى الله عليه وسلم : ليس هناك أو ليس عنده ذلك ، ثم ندب الانصار فقال حسان : أنا لها . وكان حسان وكعب يعارضان المشركين بمثل قولهم في الوقائع والآيام والمآثر ويعير انهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم

بالكفر فكان أشد القول عليهم قول حسان وكمب وأهون القول عليهم قول
ابن رواحة ، فلما أسلدوا وفقهوا الدين كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه ، ويقول له : أجب عني ، اللهم
أيده بروح القدس

* * *

هكذا عاش حسان في حياة الرسول يدافع عنه ويناضل المشركين ويرد على
شعرائهم ويهجو خصوم رسول الله . يرفع من شأن الإسلام ودعوته ورسوله
وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يؤثره ويقربه منه ، ويقسم له من الغنائم ،
والهدايا .

وقد وهب له د سيرين ، أخت د مارية ، القبطية ، أم ولد رسول الله ، وكان
المقوقس قد بعث بهما لرسول الله ، مع هدايا أخرى ، فأولدها حسان ابنه
عبد الرحمن ، وهب له رسول الله د بيرحى ، وهو قصر بالمدينة ، وقفه أبو طلحة
على آل رسول صلوات الله عليه .

ولم يشهد مع رسول الله ، مشهداً ولا غزوة ، ويرى أنه كان جباناً ، يصف
في شعره شجاعته وبطولته ، ومع ذلك فهو شديد الخوف شديد الجبن ؛ يقيم بأطم
عال بالمدينة يسمى د فارعا ،

وذلك ليس بعار على هذا شاعر العظيم : ،

١ — فانه عاش من صغره عيشة ترف ونعمة د لا عيشة ، نضال وكفاح
وحروب .

٢ — وهو جالس الملوك وشاعرها والذي يغدقون عليه الأموال والهبات
فلم يألف البؤس ، ولم يجرّد سيفه من صغره للنهب والغنيمة .

٣ — وقد أدرك الإسلام بعد أن كبر ووهن عظمه .

٤ — ويروى أنه كان في الجاهلية ، بطلا شجاعا ، وأنه أدركه مرض أصاب
أعصابه فاصبح لا يرجى لقتال .

ويقول ابن قتيبة في حسان إذ كان جباناً ^(١) ، وكذلك يتهمة بالجن ، كثير من الباحثين . ويروون أنه أنشد أمام رسول الله قوله :
لقد غدت أمام القوم منتطقاً

بصارم مثل لون الملح قطاع
تحفز ^(٢) عني نجاد السيف سابغة
فضفاضة مثل لون النهى بالقاع

فتبسم رسول الله

(. . .)

واستمر حسان مبجلاً محترماً ، عند الخلفاء والصحابة حتى توفي ؛ في عهد معاربية عام ٥٥٤ هـ فرحمه الله وأجزل مثوبته كفاء دفاعه عن دينه ورسوله وكتابه الحكيم .

وكان عمر حسان عند موته عشرين ومائة سنة قضى نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام ووهن بصره في آخر حياته ، واعتلت صحته حتى توفاه الله

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة

(٢) تحفز : تدفع . النهى بكسر النون : الغدير . السابغة أى درع واسعة

شعر حسان

آراء النقاد في شعره :

١ — قال ابن سلام فيه : هو كثير الشعر جيدة وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد ، وضعت عليه قریش أشعارا كثيرة لانتليق به ^(١)

٢ — وقال الأصمعي : الشعر نكد بابه الشر هذا حسان فخل من فحول الجاهلية فلما جاء الاسلام سقط شعره ^٢ ،

ويروى عن الأصمعي أنه قال : حسان أحد فحول الشعراء ، فقال له ابوحاتم تأتي له أشعار أئمة ، فقال تنسب إليه أشياء لا تصح عنه .

وقد سبق أن ذكرنا رأى الثعالبي فيه في موضع آخر من الكتاب (ص ٢٠٦)

وقيل لحسان : لان شعرك أوهرم في الاسلام ، فقال : يا بن أخي ان الاسلام

يجهز عن الكذب

وأنشد حسان شيئا من شعره في الجاهلية للنابعة فائى عليه ^(٣)

ويقول فيه أبو عبيدة :

فضل حسان الشعراء بثلاثة ، كان شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر النبي في النبوة وشاعر الدين كلها في الاسلام وقال : اجتمعت العرب على أن حسانا أشعر أهل المدينة وجعله ابن سلام أشعر شعراء المدينة

ويقول المبرد في الكامل :

واعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان فانهم يعدون ستة في نسق واحد ، وهم

سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام .

(١) ٨٤ طبقات الشعراء لابن سلام

(٢) ١٠٤ الشعر والشعراء

(٣) ١١٧ ذيل الامالي

وقال أبو الفرج الأصبهاني :

حسان فحل من فحول الشعراء

وقال قوم الخطيئة له وقد حضرته الوفاة : يا أبا مليكة أوص

فقال : ويل للأعراء من راوية السوء ، قالوا أوص رحمك الله ، قال : أبلغوا

الأنصار أن صاحبهم أشعر العرب حيث يقول .

يغشون حتى مانهر كلابهم لايسالون عن السواد المقبل^(١)

وروى أن حساناً ، وفد على النعمان بن المنذر ، فأذن له بعد أن تركه مدة

على الباب ، فخلاً به ، وناداه وأصاب منه مالا كثيراً ، حتى جاء النابغة ، فدح

النعمان ، بيأتيته المشهورة ، فاهتز النعمان ، لشعره وأمر له بمائة ناقة من الإبل

السود برعاتها ؛ قال حسان ، ، وفما حسدت أحدا قط حسدى له في شعره

وجزيل عطائه . وذكروا أن حساناً ، كان يذهب إلى النابغة ، ليعرض عليه

شعره في الجاهلية

وروى أن حساناً قال ، أتيت جبلة بن الأيهم الغساني ، وقد مدحته ، فأذن لي ،

فجلست بين يديه ، وعن يمينه رجل له ضفيرتان ، وعن يساره رجل لا أعرفه ،

فقال ، أتعرف هذين فقلت ، أيا هذا فأعرفه . وهو النابغة الذبياني ، —

وأما هذا فلا أعرفه . قال . هو علقمة بن عبدة ، ، فإن شئت استنشدتكما ، ثم

إن شئت أن تنشدا بعدهما أنشدت قلت : فذاك . فأنشده النابغة ،

كليني لهم يا أميمة ناصب وائل أقاسيه بطيء الكواكب

قال . فذهب نصفي . ثم قال د لعلقمة ، أنشد . فأنشد

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فذهب نصفي الآخر فقال لي ، أنت أعلم الآن ، إن شئت سكنت ، وإن شئت

أنشدت ؛ فتشددت وأنشدت .

لله در عصابة ... الخ

فقال لي : أدن — أدن ، لعمرى ما أنت بدونهما ثم أمر لي بثلاثمائة دينار وعشرة أقمصة لها جيب واحد وقال هذا لك عندنا في كل عام ، .
 وذكروا أن الحطيئة ، وقف على د حسان ، وهو ينشد من شعره ،
 فقال له د حسان ، — وهو لا يعرفه : كيف تسمع هذا الشعر يا أعرابي ؟ قال :
 الحطيئة ، : لا أرى به بأساً ! فغضب حسان وقال : اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابي ،
 كنيت ؟ قال . أبو مليكة . قال . ما كنيت قط أهون على منك حين كنيت بامرأة
 فما اسمك ؟ قال . الحطيئة . فقال د حسان ، : امض بسلام ، .
 ويقول حسان في إحدى قصائده .

وقافية عجت بآبيل رزينة تلقيت من جو السماء نزولها
 يراها الذي ينطق الشعر عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولها
 ويقول في أخرى .

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري
 وروى عن ، أنه وفد على النعمان بن المنذر قال ، فلما دخلت بلاده لقيني رجل
 فسألني عن وجهي وما أقدمني فاخبرته ، فانزلني فاذا هو صانع ، فقال :
 من أنت ، فقلت : من أهل الحجاز ؛ قال : كن خزرجيا ، قلت : أنا خزرجي
 قال : كن نجاريا قلت : أنا نجاري ، قال : كن حسانا ؛ قلت . أنا حسان ، قال
 كنت أحب لقاءك وأنا واصف لك هذا النعمان الرجل وما ينبغي لك أن تعمل
 به في أمره ، أنك إذا لقيت حاجبه وانتسبت وأعلمته مقدمك ، أقام شهراً لا يرد
 عليك شيئاً ثم يلقاك فيقول من أنت وما أقدمك ثم يمكث شهراً لا يرد عليك
 شيئاً ثم . ماذن لك فاذا دخلت على النعمان فستجد عنده أناسا فيستشدونك فلا
 تشاء حتى يأمر بك فاذا أمرك فأنشد فيستزيدك من عنده فلا تزده حتى يستزيدك
 فاذا فعلت هذا فانتظر ثوابه وما عنده فان هذا ينبغي لك أن تعرفه من أمره
 ل حسان فقدمت إلى الحاجب فاذا الأمر على ما وصف لي ثم دخلت على النعمان
 ففعلت ما أمرني به الصانع فأنشدته شعري ثم خرجت من عنده فأقت أختلف

إليه فاجازني وأكرمني وجعلت أخبر صاحبي بما صنع فيقول إنه ' رال هكذا
حتى يأتيه أبو أمامة يعنى النابغة فادا قدم فلا حظ فيه لأحد الشعراء قال
فاقت كذلك إلى أن دخلت عليه ليلة فوالله أنى لجالس عند هو بصوت خلف
قبته وكان يوما ترد عليه النعم الود ولم يكن للعرب نعم إلا للنعمان فأقبل
النابغة فاستأذن فقدم وهو يقول

أنا أم يسمع رب القبه يا أوهب الناس لعيس صلبه
ضاربة بالمشفر الأذبة ذات نجاف في يدها جذبه^(١)

قال : أبو أمامة أدخلوه فأنشده قصيدته التي يقول فيها
ولست بمسبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المذهب

فأمر له بمائة ناقة فيها رعاؤها ومطافيلها وكلابها من السود قال حسان
فخرجت من من عنده لأدري أكنت له أحسد على شعره أم على ما نال من
جزيل عطائه ، فرجعت إلى صاحبي فقال انصرف فلا شيء لك عنده سوى
ما أخذت

وبعد فقد أجمعت العرب على أن حسان أشعر أدل المذر ، وهم أهل المدينة
ومكة والطائف وأهل قرى البحرين من عبد القيس .

وكان أجزل شعره وأقواه وأحصفه ما قاله في شببته وكهولته في الجاهلية ،
أى من مثل ما ناقض به قيس بن الخطيم في وقائع الأوس والخزرج ومدح به
آل جفنة وآل النعمان بن المنذر . ولما أسلم كان قد مضى من عمره ستون سنة
ولكنها لم تطفى من شعله خاطره ولم تقل من غرب لسانه .

ووجد فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقية من النكايه لأعدائه أبقاها
فيه انطباعه على الهجاء منذ شب ، ودعا الله أن يؤيد فيه هذه البقية بروح القدس .

وصف شعره

١ — أما شعر حسان في الجاهلية فهو خلّ جزل قوى رائع بعيد في مذهب الشعر وعموده شأنه شأن الشعراء الجاهليين وأكثير أعراضه في الجاهلية :

١ — الهجاء وأول ما قاله في مناقضة قيس بن الخطيم وشعراء الأوس ثم هجما خصومه وخصوم قومه عامة

٢ — المدح كما في مدحه لبني غسان وللعنمان بن المنذر ولسواهم من سادة العرب وأشرفهم

٣ — الفخر ، وقد وصف فيه مجده ومجد قومه وأحسابهم وآثرهم ومكانتهم عند العرب ، وفخره كثير متعدد النواحي والمعاني وكان فخره جيدا رائعا بعيدا في الجزالة والبلاغة والروعة .

٤ — الغزل والنسيب فقد تغزل بشعثاء وعمرة غزلا رفيقا معجبا

أما منزلته في الشعر في الجاهلية فيصفها حسان نفسه ، اذ يصور ذهابه إلى النعمان وخوفه من النابغة ورهبته من شعره ، وذلك طبعاً إنما كان في عهد شبابه وبدء شاعريته ، ولكن حسانا يستمر خائفا من النابغة ، فيقابلها عند بني غسان فيرتاع ويرهب هذا الشاعر العظيم

ولقد يكون ذلك تصويرا من حسان لوساوس نفسه وخطرات فؤاده وإلا فقصيدته

يغشون حتى نما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

مثلا تقف مع أمهات قصائد المديح في الشعر الجاهلي .

وإذ ، النابغة يحيى في الشعر الجاهلي إماما ومتبوعاً ، فلا على حسان أن

نقول يحيى وراءه مصليا ومغبرا في وجوه الشعراء ،

— أما شعره في الاسلام فيروى أنه لان بعض الشيء وأخذ الضعف

١١ من بعض النواحي ، وأسباب ذلك كثيره متعددة الجهات .

- ١ — فقد يكون هرمه وشيخوخته من أسباب هذا الضعف .
- ٢ — وقد يكون أيضا كثرة مآدس على حسان من ر المنحول هو السبب في ذلك أيضا ، وهذا النحل كان من المشتركين وكان بعض كتاب السيرة أيضا كابن سحاق .
- وقد ذكر ابن هشام كثيرا مما نحل واختلق ودس على حسان .
- ٣ — كثرة ارتجاس حسان في شعره في عصر البوة والشعر المرتجل دائما لا يكون كالشعر الذي أعده صاحبه وهذبه وثقفه .
- ٤ — ويروى أن حسان نأفسه على ذلك تعليلا مقبولا ، فقد قيل له : لأن شعرك أوهرم في الإسلام يا أبا الحسام ، فقال : إن الإسلام يحجز عن الكذب والشعر يزينه الكذب .
- ٥ — والاصمى يعمل سبب لين شعره في الإسلام بأن الشعر نكد يقوى في الشر ويضعف في الخير
- ٥ — وقد يكون السبب أيضا في هذا اللين هو انهيار حسان كغيره من الشعراء ببلاغة القرآن . وفصاحة رسول الله صلى الله عليه
- على ان ما يستلان من شعره إنما هو بعض ما قاله في وصف عقائد الإسلام وشعائره وتعداد فضائله ، أو قاله في توحيد الله وتبزيه صفاته وتهجين عبادة الأوثان وما أعبد الله للمؤمنين من الثواب وللمشركين من العقاب ، أو بعض ما قاله في مدح رسول الله وأصحابه ، أو بعض ما قاله في رثاء من استشهد في الغزوات من أصحابه ومن مات من الخلفاء بعد رسول الله أو من أصحابه
- أما شعره في مناقضة المشركين وهجائهم وفي الذب عن رسول الله والدفاع عن الدين فقد كان قويا جزلا رائعا
- وكان رسول الله إذا سمع هجاءه في أعدائه يقول : لهذا أشد عليهم من وقع النبل .
- ولهذا يرى النقاد أن شعره في الإسلام كان لا يزال كعده في زمن الشباب قويا جسيما رصينا في مواضع خاصة في هجائه المشركين ؛ وعند هيجه بمعارضة

شعرهم ، وفي فخره وحماسته . ويرون أيضاً أن كثيراً مما وجد من شعره لنا ضعيفاً لم تكن نسبته إليه صحيحة ، وإعما هو مما وضعه المتكثرون من الشعر من رواة المغازي والسير . قال الأصمعي مرة : حسان أحد فحول الشعراء فقال أبو حاتم . تأتي له أشعار لينة ، فقال الأصمعي تنسب له أشياء لا تصح عنه والحق الذي شك فيه أن شعر حسان بعد الهجرة إلى فتح مكة كان قوياً جزلاً فصيحاً شديد الأسر ذاهباً في عمود البلاغ ، كما كان شعره في عهد الجاهلية ، والسبب في ذلك اشتغال شاعريته وثورة عواطفه والتهاب مشاعره ، ورغبته البعيدة في الذب عن حياض الإسلام ونضال خصوم الدين والرد على الذين يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما استسلم المشركون وألقوا السلاح أمام رسول الله وجنده وسكت صوت المعارضة سكنت شاعرية حسان وهدأت واخذ ينظم الشعر لنا ضعيفاً لا قوة ولا فخامة فيه كما كان شعره في صدر الإسلام والجاهلية .
وأغراض شعره في الإسلام متنوعة كثيرة وأهمها .

١ - الهجاء ، فقد أجاد فيه حسان كل الأجاد ، ووقف هجاءه على المشركين خاصة ولم يكن متناول الهجو قریشاً كلها ، بل المشركين منها بعامه وأشدّهم على رسول الله بخاصة ، من مثل أبي جهل وأبي لهب وأبي سفيان ، وهم من أقرب قریش نسباً إليه ، وكان هجاؤه لأحدهم ليس بالطعن في أصل نسبه وذم عشيرته بل في نفي نسبه عن نسبهم وأنه دعى فيهم أو لصيق أو متبني أو عبد ، ثم يذكر ما يستفبح من صفاته الخلقية فيصفه باللؤم وقطع الرحيم والجهل وخفة الحلم والبخل والجبن والفرار عن إنقاذ الأحبة من وهداة الموت في المعارك ، وأكثر ما يذكر من ذلك في وقعه بدر وهزيمة قریش فيها ، وربما أقذع في ذلك إقذاعاً شديداً

٢ - فقد مدح رسول الله وخلفاءه وكبار الصحابة والذين أبلوا في الدفاع عز سلام بلاء حسنا

٣ — الرثاء وقد أكثر منه في رثاء الشهداء في الغزوات الإسلامية ثم رثاء رسول الله صلوات الله عليه وخلفائه من بعده

٤ — الحكمة وضرب المثل وذلك بتأثير القرآن الكريم وبلاغة رسول الله وما أفاده في الحياة من خبرة وتجربة وثقافة عامة وإدراك صحيح لشؤون العيش والحياة

٥ — وصف الغزوات الإسلامية والاشادة ببطولة المسلمين فيها وانتصارهم على أعدائهم وما بذلوه من تضحية وفداء لإسلام الكلمة الاسلام والقيمة أسلوب شعره وألفاظه .

يمتاز حسان في أسلوبه بما يأتي :

١ — قلة التكلف أو المبالغه في التجويد والتهذيب والتنقيح ، يخالف في ذلك الاعشى والنابغة والخطيب وزهيرا وسواهم من الشعراء المصنعين ، بل كان يرسل الشعر كما تجود به فطرته وقرينته ، لا يعتمد صنعة ، ولا يقصد تهذيباً ، ولا يؤثر الغريب ، وذلك أثر ليشة المدن والبعد قليلا عن البداوة .

٢ — وظهر في شعره بعد الاسلام روح التأثير بالاسلام ومبادئه وبالقرآن وبلاغته وبفصاحه الرسول وسموها .

٣ — وهذا اللين الفنى الذى حدثناك عنه وعن أسبابه والذى نراه في شعر حسان بعد استقرار الاسلام هو أحد الظواهر الفنية التى تلمسها عند حسان في شعره .

٤ — وقد كثرت في شعر حسان الألفاظ الإسلامية المحدثه التى استعملها الاسلام ووردت في القرآن الكريم كالصلاة والصيام والزكاة والحج والايمان والاسلام وسواها .

معانى شعره .

ومعانى حسان في الجاهلية مطبوعة بطابع الجاهلية وصورة حياتها وتفكيرها وأخلاقها وعاداتها ونظام التفكير والحياة فيها .

أما معانيه في الاسلام فهي مستمدة من معاني القرآن والحديث يكثر فيها
حكايه حجج المشتركين والرد عليهم وضرب الامثال والموعظة والحكمة مع
الدقة والعمق وظهور الحصافة عليها مما أفاده حسان من الاسلام الكريم .
وبعد فشعر حسان يبدو فيه تأثير الاسلام والقرآن في الادب العربي ، ويكاد
هذا التأثير يفقد في شعر الخطيئة مع أنه من المخضرمين ، لأن الخطيئة أسلم ثم
ارتد ثم عاد الى الاسلام على طمع وجشع ورقة دين ، فلم يتملا بروح الاسلام
كغيره من شعراء الرسول .

روائع حسان :

والنقاد يعجبون بشعر كثير لحسان ، ومن ذا الذي لا يطرب لقوله :
يفشون حتى ماتر كلابهم . لايسألون عن السواد المقبل
أو لقوله :

وان امرأ يمسى ويصبح سالما من الناس إلا ماجنى لسعيد
وهذا البيت يقول فيه حسان : قلت شعرا لم أقل مثله ^(١) . وقال بعض أهل
المدينة : ما ذكرت بيت حسان إلا اشتبهت أن أعود في الفتوة وهو :

أهوى حديث الندمان في فلق الصبح وصوت المطرب الغرد
وبسوى ذلك من روائع شعره وغرر حكمه وأمثاله

تقد النابغة لحسان :

ويروى ^(٢) أن نابغة ^(٣) بنى ذبيان كانت تضرب له قبة من آدم بسوق

(١) ١٠٥ الشعر والشعراء

(٢) أغاني ص ٣٤٠ ج ٩

(٣) هو أبو أمامة زياد بن معاوية ، أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمهم بمكاظ
ولقب بالنابغة لنبوغه في الشعر فجأة وهو كبير بعد أن امتنع عليه وهو
صغير ، وهو من أشرف ذبيان وعمر طويلا ومات قبيل البعثة ،

عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء ، فدخل إليه حسان بن ثابت ، وعنده الأعشى ، وقد أنشده شعره ، وأنشدته الخنساء قولها ،

قذى بعينيك أم بالعين عوار (١) . أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار
حتى انتهت إلى قولها :

وإن صخرأ لتأتم الهداة به كأنه عالم (٢) في رأسه نار
وإن صخرأ لمولانا وسيدنا ، إن صخرأ إذا نشتو (٣) لنجار

فقال : لولا أن أبا بصير (٤) أنشدني قبلك لغات إنك أشعر الناس ! أنت والله أشعر من كل أنثى ! قالت : والله ومن كل رجل .

فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومنها . قال : حيث تقول ماذا ؟ قال .
حيث أقول :

لنا الجففات الغريلمن بالضحا وأسيفنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابنى محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال : إنك قلت ، الجففات ، فقلت العدد ؛ ولو قلت : الجفان ، لكان أكثر . وقلت : يلمعن في الضحا ، ولو قلت : يبرقن بالدجا ، لكان أبلغ في المديح ، لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً ، وقلت : يقطرن من نجدة دماً ، فدللت على قلة القتل ، ولو قلت : يجرين ، لكان أكثرهم لانصباب الدم ، وغرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك .

فقام حسان منكسراً منقطعاً !

والمحققون يرون أن هذه القصة مختلفة .

(١) عوار : كل ما أعل العين ، وذرفت : قطرت .

(٢) العلم : الجبل . (٣) شتا القوم : أجدبوا في الشتاء .

(٤) أبو بصير : كنية الأعشى ،

حسان والنعمان :

قال حسان ^(١) بن ثابت : قدمت على النعمان بن المنذر وقدامتدحته فأثيت حاجيه
عصام بن شهر فجاست إليه ، فقال : إني لأرى عربياً ، أفن الحجاز أنت ؟ قلت :
نعم ! قال : فكن قحطانياً ، قلت : فأنا قحطاني . قال : فكن يثربياً . قلت : فأنا
يثربي ، قال : فكن خزرجياً ، قلت : فأنا خزرجي ، قال : فأنت حسان

أجئت بمدحة الملك ؟ قلت : نعم . قال فاني أرشدك إذا دخلت عليه ،
فانه يسألك عن جيلة بن الایهم ويسبه ، فاياك أن تساعد على ذلك ، ولكن أمر
ذكره إمراراً لا توافق فيه ولا تحالف ، وقل : ما دخول مثل أيها الملك بينك
وبين جيلة وهو منك وأنت منه ؟ وإن دعاك إلى الطعام فلا تواكله ، فان أقسم
عليك فأصب منه اليسير إصابة بار بقسمه ، متشرف بمؤاكلته ، لا أكل جائع
سغب ^(٢) ، ولا تطل محادثته ، ولا تبدأه باخبار عن شيء حتى يكون هو السائل
لك ، ولا تطل الإقامة في مجلسه .

فقلت : أحسن الله رفدك قد أوصيت واعياً ، ودخل ، ثم خرج إلى فقال لي :
ادخل . فدخلت فسلت وحييت تحية الملوك .

ثم جرى بيني وبينه في شأن جيلة ما قاله عصام كأنه كان حاضراً ، وأجبت
بما أمرني ، ثم استأذنته في الانشاد فأذن لي ، فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلت
ما أمرني عصام به ، وبالشرب ففعلت مثل ذلك ، فأمرني بجائزة سنية وخرجت .

حسان عند عمر بن الحارث :

قال حسان ^(٣) بن ثابت : قدمت على عمر بن الحارث ، فاعتاص على الوصول
إليه ، فقلت للحاجب بعد مدة : إن أذنت لي عليه وإلا هجوت اليمن كلها ثم

(١) الأغاني ص ١٦٤ ج ٩ .

(٢) السغب الجوع ، ولا يكون إلا مع تعب .

(٣) الأغاني ص ٢٢ ج ١٤ .

انقلبت عنكم ، فأذن لي ، فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة وهو جالس عن يمينه ، وعلقمه بن عبدة وهو جالس عن يساره ، فقال لي : يا ابن الفريعة ، قد عرفت عيصك ^(١) ونسبك في غسان ، فارجع فاني باعث إليك بصلة سنية ، ولا أحتاج إلى الشمر ، فاني أخاف عليك هذين السبعين : النابغة وعلقمة ، أن يفضحاك ، وفضيحتك فضيحتي وأنت والله لا تحسن أن تقول :

رقاق النعال طيب حجازتهم يحيون بالريحان يوم السباسب ^(٢)
فأبيت وقلت : لا بد منه ، فقال : ذاك إلى عميك ، فقلت لهما : بحق الملك إلا قد متناي عليكما ، فقالا . قد فعلنا . فقال عمرو بن الحارث : مات يا ابن الفريعة ، فأنشأت .

لله در عصابة نادمها يوما بجلق ^(٣) في الزمان الأول
أولاد جفنة ^(٤) عند قبر أبيهم ^(٥) قبر ابن ^(٦) ماريه الكريم المفضل

(١) العيص : الأصل والفريعة أمه .

(٢) رقاق النعال : أى أن نعالهم رقيقة لا يخرسفونها طباقا ، وذلك كناية عن قلة مشيهم ، لأنهم ملوك ، بل يركبون الخيل غالبا ، وحجزة الازار والسراويل مجتمع شداها على الوسط من الجسم ، كناية عن عفتهم ، والسباسب : يوم الشعانين ، وهو يوم عيد عند النصارى وكان الممدوح نصرانيا .

(٣) جلق : دمشق :

(٤) جفنة : هو جفنة بن عمرو أبو ملوك الشام ، وأولاده هم : النعمان والمندر والمينذر وجبله وأبو شمر ، وكانوا جميعا ملوكا .

(٥) أراد بهذا : أنهم أعزاء مقيمون بدار مملكتهم ، ليسوا أصحاب رحلة واتجاع .

(٦) هي مارية بنت ظالم الكندية أم الحارث الأعرج وهي ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل ، فيقال لما يغلى به الثمن : بقرطى مارية ، واختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار .

يسقون من ورد البريص (١) عليهم
 يغشون حتى ماتهم كلابهم
 كاساً تصفق (٢) بالرحيق السلسل
 لايسألون عن السواد المقبل
 بيض الوجوه كريمة أحسابهم
 شم الأنوف من الطراز الأول
 فلبثت أزمانا طوالا فيهم
 شم ادركت كأتني لم أفعل

قال : فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل (٣) عن موضعه سروراً حتى شاطر البيت وهو يقول : هذا وأبيك الشعر لا ما يعللاني به منذ اليوم ، هذه والله البتارة التي قد بترت المدائح ، أحسنت يا بن الفريعة ، هات له يا غلام ألف دينار مرجوحة (٤) فأعطيت ذلك ، ثم قال : لك على في كل سنة مثلها .

ثم أقبل على النابغة فقال : قم يا زياد ، فهات الشاء المسجوع ، فقام النابغة فقال : ألا انعم صباحاً أيها الملك المبارك ؛ السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، والوالدى فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والعجم حماؤك ، والحكماء جلساؤك ، والمداره (٥) سمارك ، والمقاول إخوانك ، والعقل شعارك ، والحلم دثارك ، والسكينة مهادك ، والوقار غشاؤك ، والبر وسادك ، والصدق رداؤك ، واليمن حذاؤك ، والسخاء ظهارتك ، والحمية بطانتك ، والعلاء غايتك ، وأكرم الأحياء أحياءك ، وأشرف الأجداد أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعف النساء حلاتك ، وأفخر الشبان أبناؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأعلى البنيان بنيانك ، وأعذب المياه أمواهك

(١) البريص : غوطة دمشق .

(٢) صفق الشراب : حوله بمزجوا من إناء إلى إناء ليصفو . والرحيق : الخمر أو أطيبها ، والسلسل : العذب البارد .

(٣) زحل عن موضعه : زحف .

(٤) مرجوحة : هي ما كان في كل دينار منها عشرة دنانير .

(٥) المداره : جمع مدره ، وهو السيد السريف ، والمقدم في اللسان

وأفبح الدارات ^(١) دارتك ، وأنزه الحدائق حدائقك ، وأرفع اللباس لباسك ،
قدحائف الإضريح ^(٢) عاتقك ، ولام المسك مسكك ^(٣) ، وجاور العنبر ترائبك ^(٤) ،
وصاحب النعيم جسدك .

المسجد آنتك ، واللجين صحافك ، والعصب ^(٥) مناديلك : والحوارى ^(٦)
طعامك ، والشهد لإدامك ، والخرطوم ^(٧) شرابك ، والأشراف مناصفك ^(٨) ،
والخير بفنائك ، والشر بساحة أعدائك ، والنصر منوط بلوائك والخذلان
مع ألواية جسادك ، والبر فـمـلك ، قد طحطح ^(٩) عدوك غضبك ، وهزم
مقانبهم ^(١٠) ، مشهدك ، وسار فى الناس عدلك ، وسكن قوارع الأعداء ظفرك
الذهب عطاؤك ، والدواة رمزك ، والأوراق لحظك ، والغنى أطرقتك ، وألف
دينار مرجوحة لإيماؤك .

أيفأخرك المنذر اللخمى ؟ فوالله لقفاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من
يمينه ، ولإخصك خير من رأسه ، ولخطؤك خير من صوابه ، ولصمتك خير من
كلامه ، ولأملك خير من أيب ، ولخدمك خير من قومه ، فهب لى أسارى قومى ،
واسترهن بذلك شكرى ، فانك من أشراف قحطان : وأنا من سروات عدنان .

فرفع عمرو رأسه إلى جارية كانت قائمة على رأسه ، وقال : بمثل هذا فليثن
على الملوك ، ومثل ابن الفريعة فليمدحهم . وأطلق له أسرى قومه !

-
- (١) الدارة : المحل يجمع البناء . (٢) الاضريح : الخنز
(٣) المسك : الجلد . (٤) الترائب : عظام الصدر
(٥) العصب : نوع من البرد (٦) الحوارى : لباب الدقيق
(٧) الخرطوم : أول مايجرى من العنب قبل أن يداس
(٨) جمع منصف وهو الخادم .
(٩) طحطح : كسر وفرق وبدد إهلاكا .
(١٠) المقنب من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين

نماذج من شعر حسان

١ - قال حسان رضى الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم
أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد^(١)
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد^(٢)
(وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي أنا بعد يأس وفترة

من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا ناراً وبشر جنة وعلينا الإسلام فالله نحمد^(٣)
وأنت إله الخلق ربى وخالق بذلك ما عمرت في الناس أشهد^(٤)

(١) قوله أغر خبر لمبتدأ محذوف أى هو أغر أبيض الوجه . ويلوح يظهر
(٢) قوله إذا قال المؤذن في الخمس أى في الصلاة الخمس . وقوله أشهد أى أن
لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

(٣) وشق له من اسمه يريد أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم اشتق
من اسم الله وهذا بما اختص به رسول الله في ذاته في الدنيا وأوضح
ذلك الشاعر بقوله فذو العرش محمود هو الله سبحانه وتعالى ، والذي من
صفات الله تقدس وعلا الحميد بمعنى المحمود وهو من الأسماء الحسنى فعيل
بمعنى مفعول وهذا محمد . وقوله والأوثان الخ ، جملة إسمية وقعت حالا واسم أمسى
يعود على النبي ، وحمل وهادياً على مستنيراً بالواو لأنهما صفتان ثابتة - ان في
الموصوف فعطفت إحداهما على الأخرى بالواو لأن معناها الاجتماع ولو
عطفت بالفاء لم يجز والصقيل المهند السيف المهند المطبوع من حديد الهند ،
وقوله فالله نحمد قدم المفعول لافادة الحصر أى لاغيره

(٤) قوله وأنت مبتدأ خبره ربى وقوله إله الخلق اعتراض أتى به لتحسين
الكلام أى يا إله الخلق

تعالىت رب الناس عن قول من دعا
سواك إلهاً أنت أعلى وأعجـد
لك الخلق والنعماء والأمر كله . فإياك نستعين وإياك نعبد

٢ — وقال أيضاً يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم بدر
مستشعري خلق المأذى يقدمهم على البرية بالتقوى وبالجلود
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم (وقد وردنا ولم نسمع لقولكم
مستعصمين بحبل غير منجذم فينا الرسول وفينا الحق نتبعه
ماض على الهول ركاب لما قطعوا واف وماض شهاب يستضاء به
مبارك كضياء البدر صورته مستحکم من جبال الله ممدود (٢)
حتى الممات ونصر غير محدود إذا السكاة تحا، وافي الصناديد (٣)
بدر أنار على كل الأماجيد ما قال كان قضاء غير مردود

(١) حذف النون من مستشعرين استخفافا وإضافة إلى ما بعده ، وصف
جيشا فقال مخبرا عن فرسانه مستشعري خلق المأذى أى لابسى آلة الحرب والمأذى
الدروع الصافية الحديد اللينة اللمس وأحدثها ، إذية ويقدمهم يرأسهم جلد النخيزة
ثابت الجائش قوى الطبيعة ويريد به النبي صلى الله عليه وسلم والرعد يد الجبان

(٢) قوله حتى شر بننا رواء أى ماء عذبا كثيرا
وغير تصريد : التصريد سقى دون الرى ومستعصمين انتصب على الحال من
ضمير شر بننا . وقوله غير منجذم أى متقطع والحبل القوة وهو بذلك يشير إلى قول
الله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
(٣) قوله ماض على الهول صفة للرسول أى قادر على اقترحام الهول المشقة

٣ - وقال حسان يمدح رسول الله ويهجو أبا سفيان :

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نجب هـ^(١)
 بأن سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الإمام^(٢)
 هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء^(٣)
 أنهم جوه ولست له بكف فشر كما لخير كما الفـ دام^(٤)

(١) قوله فأنت مجوف ، المجوف كالمجوف هو الجبان الذى لا قلب له والنخب بمعنى النزع يقال رجل نجب أى جبان لا قواد له . وقوله هـ أى خال يعنى من العقل أو الخير قال تعالى وأفتدتهم هـاء وقوله فأنت مجوف يريد أبا سفيان وإنما التفت الى ضمير المخاطب ولم يقل فهو مجوف على ما هو الظاهر قصدا الى توجيه الخطاب اليه بما يكره ليكون أبلغ فى الشتم وأشد من الحكاية فى النكابة
 (٢) قوله بأن سيوفنا أدخل الشاعر الباء على المفعول الثانى لأبلغ كأنه ضمنه معنى أخبر . وقوله تركتك عبدا أى ذليلا . وسادتها الاماء ضميره يرجع الى الدار وإنما سادتها الاماء لكونها لم يبق فيها الاحرار والمراد الوصف بنهاية الذل والمهانة فان الاماء فى نفس الامر فى مهذلة وقد أثبت لها السيادة على العبيد فالعبيد اذا فى غاية الذلة .

(٣) يخاطب به أبا سفيان بن الحرث فإنه كان قبل اسلامه يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم . والجزاء المكافاة على الشيء بالخير أو الشر قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمعه قال جزاؤك على الله الجنة باحسان .

(٤) قوله بكف الكف هو النظير والمثل والاستفهام للانكار أى ما كان يذنبى لك أن تهجوه ولست من أكفائه ونظرائه فلم تنصفه . وقوله فشر كما لخير كما الفداء مع عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرهما بلا ريبه جار على أسلوب الكلام المنصف وإنما أبهم الامر بين الفريقين ليكون ادعى للمخاطب الى الاذعان للحق وترك العناد حيث يرى المتكلم ساوى بينه وبين نفسه وأنصفه

هجوت مباركاً برا حنيفاً أمين الله شيمته الوفاء (١)
 فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء (٢)
 فان أبى ووالده وعرضى لارض محمد منكم حرقاء (٣)
 فاما تثقفن بنو لؤى جذيمة إن قتلهم شفاء (٤)

(١) قوله حنيفا الحنيف هو من أسلم في أمر الله فلم يلتو في شيء وكان على دين ابراهيم فهو حنيف عند العرب

(٢) يقول لانبألى بكم فان هجأتم أو مدحتم ونصرتهم فذلك عندنا على حد سواء إذ لا بضيره هجوكم ولا يعوزه مدحكم ونصركم

(٣) قوله وقاء الوقاء بالفتح والكسر ما وقيت به الشيء يروى أن حسان لما انتهى إلى هذا البيت قال صلى الله عليه وسلم وراك الله يا حسان حر النار

(٤) قوله أما هي الشرطية وما الزائدة أدغمت الميم في الزون للتقارب .
 وتثقفن من قولهم تثقفه يشقفه صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه قال تعالى واقتلوهم حيث تقفتموهم أى حيث وجدتموهم من حل أو حرم . وقوله بنو لؤى يريد به لؤياً أحد أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وبنو لؤى هم كعب بن لؤى على عمود النسب النبوى وجذيمة وسعد وعامر أبو حسل وبغيض على غيره وكان لوى يكنى أبا كعب وكان التقدم فى قریش لبنيه وبنى بنيه وأما جذيمة فهو أبو حى من خزاعة وهو جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة وهذا ربيعة أبو خزاعة وهو أول من غير دين اسماعيل عليه السلام ودعا العرب إلى عبادة الاصنام والمراد من جذيمة هنا الحى لا الرجل ولذلك قال الشاعر أن قتلهم شفاء فأتى بضمير الجمع وإضافة القتل إلى الضمير من إضافة المصدر إلى مفعوله يريد أن إيقاع القتل بهؤلاء القوم وتدميرهم شفاء لما فى الصدور بما وقع منهم لان رئيسهم الحرث بن أبى ضرار

أولئك معشر أنصارنا . ففي أظفارنا منهم دماء (١)
وحلف الحرث بن أبي ضرار وحلف قريظة منا براء (٢)
لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

* * *

٤ — وقال حسان رضى الله عنه في هجرة الرسول

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم وقدس ومن يسرى إليهم ويغتدى
ترحل عن قوم فضات عقولهم وحل على قوم بنور مجدد (٣)
هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفها عني وهداة يهتدون بمهتد (٤)

(١) قوله أولئك معشر يعنى جذيمة . ونصروا علينا بالبناء للعلوم أى أعانوا
علينا أعداءنا فانتقمنا منهم وبطشنا فيهم وافترسناهم افتراس السباع فى أظفارنا
منهم دماء يريد ما كان من الحرث بن أبي ضرار وقومه كإياتى فى شرح البيت الآتى
(٢) والحلف المحالف والصدىق يحلف لصاحبه أن لا يغدر به والحرث بن أبي ضرار
رأس بنى جذيمة وهو أبو جويرية بنت الحرث أم المؤمنين رضى الله عنها زوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعنى بحلف الحرث حلفاءه الذين وافقوه على مناواة رسول الله
وقتاله قبل أن يسلم الحرث فخرج النبي لقتالهم فى شعبان فى السنة الخامسة من الهجرة
فانهزم المشركون ومن نجا من القتل أسركا أسرت النساء فمن المسلمون على الأسرى
بالحق لما تزوج عليه السلام منهم جويرية بنت الحارث وكانت فى الأسرى

(٣) قوله ترحل عن قوم هم قريش وذلك فى السنة الأولى من الهجرة فى
الثانى والعشرين من صفر أو فى غرة ربيع الأول منها حيث هاجر من مكة إلى
المدينة وخرج عليه الصلاة وسلام مع أبى بكر ولبثا فى الغار ثلاثة أيام

(٤) قوله تسفها عنى أى ضلوا وزاغوا عن الحق واستجبوا العمى عن
الهدى والبيت بمعنى قول الله عز وجل قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل
تستوى الظلمات والنور

لقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى حلت عليهم بأسعد^(١)
 نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مسجد
 وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحي الغد^(٢)
 ليهن أبا بكر سعادة جـده بصحبته من يسعد الله يسعد^(٣)
 وقال رضى الله عنه يرثي النبي صلى الله عليه وسلم :

(بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
 ولا تمنح الآيات من دار حرمة بها منبر الهادى الذى كان يصعد^(٤)
 وواضح آيات وبقى معالم وربيع له فيه مصلى ومسجد
 بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء ويوقد^(٥)

(١) قوله على أهل يثرب هم أهل المدينة . وقواه بأسعد أى بطالع أسعد مبارك
 (٢) قوله فتصديقها الضمير للمقالة أى أنه أن أخبر بشيء محجوب فى الغيب
 من غير وحى يؤيد الله سبحانه وتعالى قوله بكلامه المقدس الذى ينزل به جبريل
 فى اليوم النخ .
 (٣) قوله سعادة جده أى بأجتهاده ومثابرته على مواظبة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم .

(٤) ارتفع رسم على الابتداء وخبره بطيبة مقدما ومتعاق الباء محذوف وهو
 أيضا متعلق اللام فى للرسول والتقدير بطيبة رسم كائن للرسول وطيبة هى المدينة
 سماها النبي بذلك وبعده أسماء آخر؛ والمعهد المنزل وجملة وقد تعفو الرسوم النخ حالية
 وتهمد تخرب يقال همد المكان خرب ، وقوله من دار حرمة أى من دار مهابة
 ويريد بها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا تمنح الآيات أى لا ينقطع
 ذكر كلام الله منها .

(٥) قوله بها حجرات الضمير لدار الحرمة والحجرات جمع حجرة وهى
 الموضع المنفرد

معالم لم تطمس على العهد آياها
عرفت بها رسم الرسول وعهده
ظلت بها أبكى الرسول فاسعدت
تذكر آلاء الرسول وما أرى
مفجعة قد شفها فقد أحد
وما بلغت من كل أمر عشيره
أطبات وقوفا تذرف العين جهدها
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت
وبورك لحد منك ضمن طيبا
تهيل عليه التراب أيد وأعين
لقد غيبوا حلما وعلميا وحة
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
يكون من تبكى السموات يومه
وهل عدلت يوما رزية هالك
تقطع فيه منزل الوحي عنهم
يدل على الرحمن من يقتدى به

أناها البلى فالآى منها تجدد
وقبرا به واره فى التراب ملحد
عيون ومثلاها من الجفن تسعد
لها محميا نفسى فنفسى تبلد (١)
فظلت لآلاء الرسول تعدد
ولكن نفسى بعض ما فيه محمد (٢)
على طلل القبر الذى فيه أحد
بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
عليه بناء من صفيح منضد
عليه وقد غارت بذلك أسعد (٣)
عشية علوه الثرى لا يوسد
وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
ومن قد بكته الأرض فالناس أكد
رزية يوم مات فيه محمد (٤)
وقد كان ذا نوريغور ينجد
وينقذ من هول الخزايا ويرشد (٥)

(١) قوله فأسعدت عيون أى ساعدت وعاونت معى فى البكاء عيون أى
ناس أخر . وقوله تذكر الخ أى أن هذه العيون تذكر وتعدد نعم الرسول عليها
فهى لذلك تبكى عليه بحرقة ثم قال وإنى لست قادرا على إحصاء هذه النعم فنفسى
عنها تبلد أى تقصر وتضعف (٢) قوله عشيره أى عشيره
(٣) المسدد الموفق للصواب . والبناء المنضد من صفيح هو البناء المصنوف
بعضه فوق بعض من صفيح وهو الحجر العريض . وقوله وقد غارت أسعد
جمع سعد أى غابت سعودهم والجملة حالية . (٤) قوله وهل عدلت لفظه
لفظ الاستفهام ومعناه النفي كأنه قال وما عدلت وساوت يوما مصيبة ميت
مصيبة يوم توفى فيه رسول الله عليه وسلم . (٥) قوله يدل من يقتدى
به ويتبعه الضمير لرسول الله أى يرشده على الحق وهو الله سبحانه وتعالى

لأولهم يهديهم الحق جاهدا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمده
فبينا هم في نعمة الله بينهم
عزيز عليه أن يحيدوا عن الهدى
عطوف عليهم لا يثنى جناحه
فبيناهم في ذلك النور إذ غدا
فأصبح محمودا إلى الله راجعا
وأمرت بلاد الحرم وحشا بقاعها
قفارا سوى معمورة للحد ضافها
ومسجده فالوحشات لفقده
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت
فبكي رسول الله ياعين عبدة
معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
فمن عنده تيسير ما يتشدد
دليل به نهج الطريقة يقصد^(١)
حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
إلى كفاف يحنو عليهم ويمهد
إلى نورهم سهم من الموت مقصد^(٢)
يبكيه جفن المرسلات ويحمد^(٣)
لغيبه ما كانت من الوحي تعد
فقيد يبكيه بلاط وغرقد^(٤)
خلاء له فيه مقام ومقعد
ديار وعرصات وربيع ومولد
ولا أعرفك الدهر دمعا يحمد

(١) قوله وأن ناب أمر أي وأن دهمهم خطب ونزل بهم انصرف عنهم
بدعاء الرسول الله لم يقوموا بحمده والدليل يريد به رسول الله صلى عليه وسلم .
(٢) قوله الى كفاف أي جانب ويهد أي ويسكت على ما يكره أي بغض
الطرف عن هفواتهم قال الراعي .

وإني لأحى الأنف من دون ذمتي إذا الدنس الواهي الأمانة أهدا
ومقصد أي صائب قائل .

(٣) قوله يبكيه أي يبكي عليه فحذف وأوصل . جفن المرسلات الملائكة .
(٤) قوله سوى معمورة للحد أي مكان اللحد . وضافها أي نزل بها ضيفا
كريما ويراد بالفقيد رسول الله عليه الصلاة والسلام . وقوله ، يبكيه بلاط هو
موضع بالمدينة بين المسجد والسوق مبلط . والغرقد شجر وبقيع الغرقد مقبرة
المدينة المنورة .

ومالك لا تبكين ذا النعمة التي
 فجودى عليه بالدموع وأعوى
 وما فقد الماضون مثل محمد
 أعف وأوفى ذمة بعد ذمة
 وأبذل منه للطريف وتالد
 وأكرم حيا في البيوت اذا انتهى
 وأمنع ذروات وأثبت في العلى
 وثبت فرعا في الفروع ومنبتاً
 رباه وليدا فاستتم تمامه
 تناهت وصاة المسلمين بكفه
 على الناس منها سابع يتغمد
 لفقد الذى لامثله الدهر يوجد (١)
 ولا مثله حتى القيامة يفقد
 وأقرب منه نائلا لا ينكد
 إذا ضن معطاء بما كان يتلد (٢)
 وأكرم جدا أبطحيا يسود
 دعائم عز شاهقات تشيد (٣)
 وعوداً غداة المزن فالعود أغيد
 على أكرم الخيرات رب. ممجد
 فلا العلم محبوس ولا الرأى يفند (٤)

(١) قوله ياعين حذفت الياء لوقوعها موقع ما يحذف في النداء وهو التنوين
 ولأن الكسرة تدل عليه وباب النداء باب حذف وإيجاز، وضمير منها يعود
 على النعمة. وسابع أى مطر سابع دان تمتد الى الارض وبذا يكثر الخير ويتسع
 الرزق ويتغمد يزداد يقال غمدت البئر غمدا اذا كثر ماءها. وقوله فجودى
 عليه بالدموع أى ولا تدخرى شيأ.

(٢) قوله وأبذل معطوف على أعف وضمير منه للمثل بفرض وجوده أى
 كثير البذل لماله الطريف المستحدث المستفاد والتليد الموروث عن الآباء قديما
 (٣) أبطحيا منسوب الى قريش البطاح الذى ينزلون أباطح مكة. وامنع
 ذروات جمع ذروة وهى الشرف أى وأرفع شرفا من بيوتات العرب التى تضم
 شرف القبيلة.

(٤) قول غداة ظرف لقوله وأثبت أى واثبت فرعا فى ذلك الوقت وأغيد
 مروى غرض رطب : ورب ممجد فاعل رباه أى أنشأه ربه وليدا صيبا. وقوله
 تناهت وصاة المسلمين بكفه أى صار هو المسئول عنهم وعهد الله اليه أمرهم ويراد
 بالعلم هنا علم مافى الغيب وهو لا يعلمه الا بنزول الوحي عليه. وقوله ولا الرأى
 يفند أى ولا رأيه يضعف بل كان قوى الحجة ثابت الفكرة

أقول ولا يلقي قول عائب من الناس لإعازب القول مبعد^(١)
وليس هوائى نازعا عن ثنائه لعلى به فى جنة الخلد أخلد^(٢)
مع المصطفى أرجو بذلك جواره وفى نيل ذلك اليوم أسعى وأجهد
٦ — وقال أيضاً يرثيه صلى الله عليه وسلم

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت مآقيا بكحل الأرمد
جزعا على المهدي أصبح ثاويأ ياخير من وطىء الحصى لا تبعد^(٣)
وجهي بقيقك الترب لهفي ليتنى غيبك قبلك فى بقيق الغرقد
بأبى وأمى من شهدت وفاته فى يوم الاثنين النبي المهدي
فظللت بعد وفاته متبلدا متلدا يا ليتنى لم أولد^(٤)
أقيم بعدك بالمدينة بينهم يا ليتنى صبحت سم الأسود^(٥)

(١) يقول أقول قولى هذا ولا يمكن لأحد أن ينكره على الا ذاهب القول
أى الذى لا يعتد به فهو سفيه. رأى بعيد العقل وفى حديث عائكة :
فهن هواء والحلوم عواذب — جمع عازب أى أنها خالية بعيدة العقول
(٢) قوله نازعا عن ثنائه أى ليس مبلى راجعاً عن مدحه وثنائه
(٣) الأرمد هو الذى هاجت عينه من الرمد وهو وجع العين وانتفاخها
وانتصب جزعاً على المصدر

(٤) بقيق الغرقد مقبرة المدينة المنورة . وقوله فى يوم الاثنين عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال ولد صلى الله عليه وسلم فى يوم الاثنين واستنّبى يوم
الاثنين وخرج مهاجراً من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين
ورفع الحجر يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين نصف النهار لاثنى عشرة ليلة خلت
من ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة ضحى فى مثل الوقت الذى دخل فيه
المدينة . وقوله متبلدا متلدا أى نافذا الصبر متلها حائر فى أمرى لأدرى كيف أصنع
(٥) قوله أقيم بعدك لفظه لفظ الاستفهام والمعنى الانكار أى لم أقم بعدك
بالمدينة الح . وقوله يا ليتنى ، يا حرف نداء والمنادى محذوف أى يا قوم أو غير
ذلك وصبحت سم الأسود ، أى شربت الصبوح وهو ما شرب بالغداة فما
دون القائلة من سم الأسود وهى الحية

أو حل أمر الله فينا عاجلا في روحه من يومنا أو في غد
فتقوم ساعتنا فنلقى طيباً محضاً ضرائبه كريم المتمد
يا بكر آمنة المبارك بكرها ولدته محصنة بسعد الأسعد (١)
نوراً أضاء على البرية كلها من يهدر للنور المبارك يهتدى
يا رب فاجمعنا معاً ونبينا في جنة تنبى عيون الحسد (٢)
في جنة الفردوس فاكتبها لنا يا ذا الجلال وذا العلا والسودد
والله أسمع ما بقيت بهالك إلا بكيت على النبي محمد (٣)
يا ويح أنصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد (٤)
ضاقت بالانصار البلاد فأصبحوا سودا وجوههم كلون الاثمد
ولقد ولدناه وفينا قبره وفضول نعمته بنا لم يحمد

(١) قوله فنلقى طيباً أى فنرى رسولا طيباً محضاً ضرائبه أى خالصة ونقية طبيعته وسجيته جمع ضريبة ويريد به النبي عليه الصلاة والسلام ، وبكرها فاعل المبارك وهو النبي . ومحصنة حال من ضمير ولدته أى عفيفة . وبسعد الأسعد أى بطالع سعيد .

(٢) تنبى عيون الحسد أى تبعد عنا عيون الحسد (٣) تعلق الباء من قوله بهالك بأسمع وحذف حرف النبي الداخل على الفعل لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتاً لم يكن بد من اللام ونحو قول امرء القيس * فقلت يمين الله أبرح قاعدا *

او قوله ما بقيت ما مع الفعل في تقدير مصدر وحذف اسم الزمان معه أى مدة بقيت وفى الكلام نية الشرط والجزاء كانه قال لا أسمع بهالك أن بقيت ومعناه ان بقيت حياً فلذلك وقع الماضى فيه فى موضع المستقبل لأن ما بقيت فى موضع ما أبقي وان أبقي •

(٥) ويح كلمة ترحم وتوجع وتضاف كما هنا ولا تضاف ويريد بالمغيب رسول الله أى المتوارى . وسواء الملحد وسطه .

والله أكرمنا به وهدي به أنصاره في كل ساعة مشهد
صلى الاله ومن يحف يعرشه والطيبون على المبارك أحمد

٧ - وقال أيضاً يرثيه صلى الله عليه وسلم

آليت ما في جميع الناس مجتهداً منى آية بر غير إفتاد (١)
تالله ما حملت أنى ولا وضعت مثل الرسول نبى الأمة الهادى
ولا برا الله خلقاً من بريته أوفى بدمه جار أو بميعاد (٢)
من الذى كان فينا يستضاء به مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد
مصدقاً للنبيين الآلى سلقوا وأبذل الناس للنعروف للجادى (٣)
يا أفضل الناس إنى كنت فى نهر أصبحت منه كمثلى المفرد الهادى
أمسى نساؤك عطلان البيوت فما يضربن فوق نقفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب بلسن المسوح وقد أيقن بالبؤس بعد النعمة البادى (٤)

٨ - وقال الحرث بن أبى شمر الغسانى لحسان وكان النعمان بن المنذر اللخمى
يساميه : يا ابن الفريضة لقد نبئت أنك تفضل النعمان على فقال وكيف أفضله
عليك فوالله لقفاك أحسن من وجهه ولأملك أشرف من أبيه ولأبوك أشرف
من جميع قومه ولشمالك أجود من يمينه ولحرمانك أنفع من نداه ولقليلك أكثر

(١) قول آليت آية برأى حلفت حلفة صادقة غير افتاد أى تكذيب

(٢) قوله ولا برا الله من بريته أى ولا خلق الله من خلقه شخصاً أو فى

منه الخ .

(٣) الجادى طالب الجدوى وهى العطية .

(٤) المسوح جمع مسح وهو الكساء من الشعر جمع القلة أمساح قال

أبو ذؤيب .

ثم شرين بنبط والجمال كأن الرشع منهن بالآباط أمساح

وأيقن الخ أى تحقق بالشقاء الذى ظهر عليهن بعد النعمة السابقة .

من كثيره ولثامك أشرع من غديره ولكرسيك أرفع من سريره ولجدولك أغور
من بحره وليومك أطول من شهره ولشهرك أمد من حوله ولحولك خير من
حقبه ولزندك أورى من زنده ولجندك أعز من جنده وإنك من غسان وإنه
من لحم فكيف أفضله عليك وأعدله بك فقال يا ابن الفريعة هذا لا يسمع إلا
في شعر فقال :

نبئت أن أبا منذر يساميك للحرث الأصغر^(١)
قفاك أحسن من وجهه وأملك خير من المنذر
ويسرى يدبك على عسرها كيمنى يديه على المعسر
وشتان بينكما فى الندى وفى البأس والخير والمنظر^(٢)
٩ — وقال أيضا يرثى أهل مؤته عام ٨ هـ .

عين جودى بدمعك المذور واذكرى فى الرخاء أهل القبور
واذكرى مؤته وما كان فيها يوم ولوا فى وقعة التغوير
حين ولوا وغادروا ثم زيدا نعم مأوى الضريك والمأسور^(٣)
حب خير الانام طراً جميعاً سيد الناس حبه فى الصدور^(٤)
ذاكم أحمد الذى لا سواه ذاك حزنى معاله وسرورى

(١) نبئت فيه الحرم

(٢) الخير بالكسر الكرم والجود .

(٣) الرخاء لعله يريد به أيام السلم والتغوير القائلة وذلك لما أصيبوا متتابعين
وأخذ الراية خالد بن الوليد خرج إلى الظاهر من ذلك اليوم تعرف الكآبة فى
وجهه فخطب الناس بما كان من أمرهم . والضريك الشديد عصب الخلق فى جسم .
وكذلك المأسور يقال فلان شديد أسر الخلق إذا كان معصوب الخلق غير مسترخ
وزيدا هو زيد بن حارثة .

(٤) حب خير الانام صفة لزيد أى هو محبوب خير الانام . وكان زيد ابن
حارثة رضى الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٠ — وقال رضى الله عنه يجيب رجلا من قريش حين أسروا سعد بن عباد
يوم الاثنى عشر نقيبا ، قال القرشى .

تداركت سعدا عنوة فأخذته وكان شفاء لو تداركت منذرا
ولو نلت طلت هناك جراحه وكانت جراحا أن تهان وتهدرا (١)

فقال حسان رضى الله عنه بجيبه وهو أول شعر قاله فى الاسلام

لست إلى عمرو ولا المرء منذر إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا
ولولا أبو وهب لمرت قصائد على شرف البلقاء تهوين حسرا
فانا ومن يهدى القصائد نحونا كمستبضع تمرا إلى أهل خبيرا
فلانك كالوسنان يحلم أنه بقرية كسرى أو بقرية قيصر
ولانك كالشاة التى كان حتفها يحفر ذراعها فلم ترض محفرا (٢)
ولانك كالعاوى فأقبل نحره ولم يخش سهما من النبل مضمرا (٣)

١١ — وكان وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى تميم سنة
الوفود بعد فتح مكة فيهم عطار بن حاجب بن زرارة وقيس بن عاصم وقيس

(١) أخذته عنوة أى قهرا وغلبة . وطلت جراحه أى أهدرت

(٢) قوله ولانك كالشاة الخ البيت يشير الى المثل العربى المشهور : حتفها
تحمل ضأن بأظلافها ، وأصله أن رجلا كان جائعا بالفلاة القفر فوجد شاة ولم
يكن معه ما يذبحها به فبحثت الشاة الارض فظهر فيها مدية فذبحها بها فصار مثلا
لكل من أعان على نفسه بسوء تدبيره . ولذلك يضربه الشاعر له . وقوله فلم ترض
محفرا هى المسحاة ونحوها مما يحتقر به أى فلم تقبل محفورا

(٣) قوله فأقبل نحرها سهما أى جعله الضمير للنحر قبالة أى عرضه للسهم
وضمير يخشه للسهم أى لم يخافه كأنه ألقى بنفسه للهلكه . والسهم المضمحل الخفى

ابن الحارث ونعيم بن زيد وعتبة بن حصن بن حذيفة بن بدر والاقرع بن حابس
 في لفهم ولفيفهم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء
 حجارته أن اخرج إلينا يا محمد جئناك لنفاخرك فاذن لشاعرنا وخطيبنا قال قد
 أذنت لخطيبكم فليقل فقام عطار بن حاجب فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل
 وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما تفعل منها المعروف وجعلنا
 أعز أهل المشرق وأكثره عدداً واشده عدة فمن مثلنا في الناس ألسنا
 برؤس الناس وألى فضلهم فمن فاخرنا فليعد مثل ما عددناه وإنا
 لو نشاء لاكثرنا الكلام ولكننا تنحينا من الاكثار وأقول هذا
 لأن تاتوا بمثل قولنا وأمر أفضلي من أمرنا ثم جلس فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لثابت بن قيس الخزرجي قم فاجب الرجل في خطبته فقام ثابت بن
 قيس فقال الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه
 علمه ولم يكن شيء قط الا من فعله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا واصطفي
 من خير خلقه رسولا أكرمه نسباً وأصدق حديثاً وأفضله حسباً فانزل عليه
 كتابه وائتمنه على خلقه وكان خيرة من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان به فأمن
 برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمة أكرم الناس أحساباً وأحسنهم وجوهاً
 وخير الناس فعلاً ثم كان أول الخلق لإجابة واستجاب الله حين دعاه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله تقاتل الناس حتى يؤمنوا
 فمن آمن بالله ورسوله منع بماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله أبداً وكان قتله
 علينا يسيراً أقول هذا واستغفر الله لي والمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم فقام
 الزبرقان بن بدر التيمي فقال .

نحن الكرام فلا حى يعادلنا منا الملوك وفيما تنصب البيع
 وكم قسرنا من الاحياء كلهم عند النهاب وفضل العز يتبع^(١)

(١) وفيما تنصب البيع أى تقام والبيع جمع بيعه بالكسروهي كنيسة النصارى
 وقيل كنيسة اليهود قال تعالى وبيع وصلوات ومساجد . وقسرنا أى قهرنا وغلبنا
 والنهاب جمع نهبه وهى الغنيمة قال العباس بن مرداس
 كانت نهبا تلافيتها بكري على المهر بالاجر

ونحن نطعم عند القحط مطعمنا من الشواء إذا لم يؤنس القزع^(١)
ثم ترى الناس قاتينا سرانهم من كل أرض هو ياشم نطعم
فتنحر الكوم غبطا في أرومتنا . للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا^(٢)
فلا ترانا إلى حى نفاخرهم إلا استقادوا وكاد الرأس يقطع
إنا أيدنا ولم ياب لنا أحد إنا كذلك عند الفخر نرتفع
فمن يقادرننا فى ذاك يعرفنا فيرجع القول والأخبار تستمع

وكان حسان بن ثابت غائبا فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
حسان فلما جاءنى رسوله فأخبرنى إنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم خرجت
إلى رسول الله وأنا أقول :

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا على كل باغ من معد وراغم
منعناه لما حل بين ييوتنا بأسيا فنا من كل عاد وظالم
بحى حريد عزه وثراؤه بجأوية الجولان وسط الأعاجم
هل المجد إلا السودد والعود والندى وجاه الملوك واحتمال العظام^(٣)

قال فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعر القوم فقال
ما قال عرضت فى قوله وقلت على نحو ما قال فلما فرغ الزبرقان بن بدر من
قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حسان فأجب الرجل فيما قال فقال حسان :
إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع^(٤)

(١) إذا لم يؤنس القزع أى إذا لم يرج مطر

(٢) فتنحر الكوم غبطا فى أرومتنا . الكوم القطعة من الابل . والغبط
حسن الحال . والارومة الأصل يفتخر الشاعر بكرم عشيرته .

(٣) بحى حريد أى منعزل ومنفرد لعزته . والعود الطريق القديم العادى
وكذلك السودد على المثل .

(٤) الذوائب جمع ذؤابة وهى الشعر المضفور استعارها هنا للاشراف وفى
حديث دغفل وأبى بكرانك لست من ذوائب قريش أى من أشرافهم .

يرضى بها كل من كانت سريرة
قوم إذا حاربوا ضر واعدوهم
سجية تلك منهم غير محدثة
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم
إن كان في الناس سباقون بعدهم
ولا يضمنون عن مولى بفضلهم
لا يجهلون وإن حاولت جهلهم
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم
كم من صديق لهم نالوا كرامته
أعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم
إن قال سيروا أجدوا السير جهدهم
ما زال مسيرهم حق استفادهم
خدمتهم ما أتى عفوا إذا غضبوا
فان في حربهم فترك عداوتهم
نسموا إذا الحرب نالتنا محالبها

تقوى الاله وبالأمر الذي شرعوا
أو جاولوا النفع في أشياهم نفعا
إن الخلاق فاعلم شرها البدع (١)
عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
ولا يصيبهم في مطمع طبع
في فضل أحلامهم عن ذاك متسع
لا يطمعون ولا يرددهم الطمع (٢)
ومن عدو عليهم جاهد جدعوا
فما وناصرهم عنه وما نزعوا
أو قال عوجوا علينا ساعه ربعوا
أهل الصليب ومن كانت له البيع
ولا يكن همك الأمر الذي منعوا
شرا يخاض عليه الصاب والسلع
إذا الزعانف من أظفارها خشعوا (٣)

(١) البدع جمع بدعة وهي كل محدثة وفي البيتين التقسيم ثم الجمع فقد قسم في البيت الأول صفة الممدوحين إلى الضر بالاعداء والنفع للاولياء ثم جمع في الثاني بأن كلا منهم سجية لهم لا بدعة محدثة فيهم .

(٢) لا يرددهم طمع أى لا يطمعون فى شىء يؤدى بهم إلى الهلاك

(٣) عفوا أى بغير مسألة : ومنعوا أى منعوه . شرا اسم إن . ويخاض عليه أى يخلط عليه الصاب والسلع كلاهما شجر مر . وقوله نسموا الخ فى البيت . تخييل لان الشاعر لما شبه الحرب بالسبع فى الاغتياى أخذ الوهم يخترع لها مخالباً وأظفاراً كمخالب واظفار السبع فشبهت الصورة المتخييلة بالصورة المحققة واستعير لفظ المخالب والاظفار من المشبه به للمشبه . والزعانف من الناس سفلتهم

لا تخز إن هم أصابوا من عدوهم وإن أصيبوا فلا خور ولا جزع
 كأنهم في الوغى والموت مكتنع أسد ببشة في أرساغها فدع
 إذا نصبنا لقوم لاندب لهم كما يدب إلى الوحشية الذرع^(١)
 أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفرقت الأهواء والشيع
 اهدي لهم مدحى قلب يوازره فيما يحب لسان حائك صنع
 فانهم أفضل الأحياء كلهم إن جد بالناس جد القول أو سمعوا

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الأقرع بن حابس وأبى أن هذا الرجل
 المؤتى له لخطيبه أخطب من خطيبنا وإشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من
 أصواتنا فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن
 جوائزهم

١٢ — ولما وقع يوم بعاث وهو بين الأوس والخزرج بسبب قتل سمير
 الأوسى لبجير مولى مالك بن العجلان سيد الحيين واقتلوا قتالا شديداً ثم إن
 رجلا من الأوس نادى يا مالك نشدتك الله والرحم أن تجعل علينا حكما من قومك
 فارعوى مالك وحكموا عمرو بن أمية القيس ففضى للمالك بن العجلان بديهة
 المولى فأبى مالك وآذن بالحرب فخذلته بنو الحرث لرده قضاء عمرو وأنشد قصيدته
 التي يقول فيها :

(١) الخور الضعف يقال خار الرجل يخور خورا ضعفاً وانكسر . والمكتنع
 الدانى القريب . والفدع زوال الرسغ في اليد إلى وحشيها . وقوله لاندب لهم
 أى لم نمنش لهم رويدا ونجسس عليهم والذرع جمع ذريعة وهى الجمل يختل به
 الصيد يمشى الصياد إلى جنبه فيستتر به ويكون كالدرية ويرمى الصيد إذا أمكنه
 وذلك الجمل يسبب أولا مع الوحش حتى تألفه قال الشاعر .

إن سميراً أرى عشيرته . قد حذبوا دونه وقد أنفوا (١)
إن يكن الظن صادقاً بيني والنجا . لا يطعموا الذي علفوا

فقال عمرو بن أمية القيس الأنصاري يخاطبه من قصيدته
يا مال والسيد المعمم قد يبطره بعض رأيه السرف (٢)
نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف
يامال والحق إن قنعت به فالحق فيه لأمرنا نصف
خالفت في الرأي كل ذي فجر والحق يامال غير ماتصف (٣)
إن بجيراً مولى لقومكم والحق يوفى به ويعترف
إن سميراً أبت عشيرته أن يعرفوا فوق مابه نصف
أو تصدر الخيل وهي جائلة تحت هواها جماجم خفف
أو تجرعوا الغيظ مابدا لكم فهارشوا الحرب حين تنصرف (٤)

(١) قوله قد حذبوا دونه أى عطفوا وأشفقوا عليه . وأنفوا يقال أنف الشيء كرهه وشرفت عنه نفسه ويريد ههنا أخذتهم الحمية من الغيرة والغضب لاجل سمير

(٢) قوله يا مال هو منادى مرخم مالك بن العجلان والعمامة عند العرب لا يلبسها إلا الأشراف والعمائم تيجان العرب . والسرف إسم الاسراف وهو مجاوزة القصد

(٣) نحن ضمير منفصل مبتدأ والخبر محذوف جوازا أى راضون بدليل وأنت الخ . وعند ظرف مكان والرضا بالشيء اختياره والرأي العقل والتدبير أى نحن راضون بما عندنا ومختارون له . وأنت كذلك والرأي بيننا مختلف لان كلامنا له عقل وتدبير يخالف لعقل الآخر وتدييره . والنصف العدل والاستقامة والفجر هو الجود الواسع والكرم من التفجر في الخير .

(٤) قوله أو تصدر الخيل الخ أو هنا بمعنى الى . وخفف جمع خفيف . وقوله فهارشوا الهرش هو التحريش وتحريك الفتنة .

وقال قيس بن الخطيم من قصيدة يحويه .

(أبلغ بنى جحجى وقومهم خطمة إنسا وراهم أنف
وإنسا دون ما يسومهم أل أعداء من ضم خطة نكف (١)
نفلى بحد الصفيح هامهم وفليننا هامهم بها عنف

فرد عليه حسان بقوله

ما بال عيني دموعها تكف من ذكر خود شطت بها قذف
بانث بها غربة تؤم بها أرضاً سوانا فالشكل مختلف
ما كنت أدري بوشك بينهم حتى رأيت الحوج قد عزفوا
فغادروني والنفس غالبها ما شفها والهموم تعتكف
دع ذا وعد القريض في نفر يدعون مجدى ومد حتى شرف (٢)
إن أدع في المجد ألقهم سلفاً أهل فعال يبدوا إذا وصفوا (٣)
أو ندع في الأوس دعوة هرباً وقد بدا في الكتيبة النصف
كنتم عبيداً لنا نخولكم من جاءنا والعبيد تضطعف

(١) بنى جحجى وخطمة حيان لقبيلة قيس بن الخطيم لانه أوسى والسوم التكليف . والخطمة الشأن والأمر العظيم ونكف جمع ناكف من نكفت من كذا أى استنكفته وأنفت منه .

(٢) الحدوج هى مراكب النساء واحدها حدج . وعزفوا أى تهيئوا للرحيل . وقوله والنفس غالبها ما شفها أى متغلب عليها ما شفها من الحزن وانحل جسمها وهزلها . وتعتكف أى تقبل على من كل صوب . ودع ذا الخطاب لقيس بن الخطيم انتقال من ذكر الحبيبة الى الافتخار على قيس .

(٣) قوله ألقهم سلفاً السالف المتقدم أى متقدمون وفى التنزيل فجعلناهم سافاً ومثلاً للآخرين أى جعلناهم متقدمين ليعتظ بهم الآخرون . والفعال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

كيف تعاطون مجدنا سفها وأنتم دعوة هـ - ا وكف
 شأنكم جدكم وأكرمنا جد لنا في الفعال ينتصف (١)
 نجعل من كان المجد محتده كأعبد الأوس كلها وصفوا
 هـ لا غضبتهم لأعبد قتلوا يوم بعثت أظلم ظلف
 نقتلهم والسيوف تأخذهم أخذا عنيفا وأنتم كشف
 وكم قتلنا من رانس لكم في فليق يجتدى له التلف (٢)
 ومن لثيم عبـ د يحالفكم ليست له دعوة ولا شرف
 إن سميرا عبد طغى سفها أجـ داه أعبد لنا تلف
 بالكاهنين الذين جـ - دهم عبد العصا واللائم إن أسفوا (٣)

(١) أو ندع في الأوس دعوة هربا أى تنادى من أدبر وتولى منهم . وقوله تعالى في ذكر لظى نعوذ بالله منها : تدعو من أدبر وتولى أى تنادى من أدبر وتولى وكان يوم بعث موضع بقرب المدينة ويومه معروف وقع فيه حرب بين الأوس والخزرج وسببه قتل بجير مولى مالك بن العجلان والذي قتله سمير بن زيد بن مالك أحد بنى عمرو بن عوف من الأوس ، وكان ذلك في السنة السابعة من البوة . والنصف اعطاء الحق . والعبيد تضطاف أى تنسب إلى الضعف . والدعوة في النسب المدعى منهم في نسبه . ولها وكف أى فيها وكف : عيب ونقص الضمير للدعوة . وشانكم جدكم أى أبغضكم جدكم والفعال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٢) هـ لا حرف حث وتحضيض أى لم تغضبوا . وأظلم ظلف أى أقبل عليهم ودنا منهم ظلف وهو الشدة والبؤس ، وفي الحديث قد أظلمكم شهر عظيم أى أقبل عليكم ودنا منكم . والكشف الذين لا يصدقون القتال . وقوله رانس أى رئيس والفيلق الكتيبة العظيمة .

(٣) أن أسفوا أى خضعوا وذلوا ومنه الاسيف العبد والاسير .

١٣ - وقال رضى الله عنه فى يوم أحد ىرد على عبد الله بن الزبعرى السهمى قصيدته التى يقول فيها :

يا غراب البين أسمعت فقل	إنما تنطق شيئا قد فعل
والعطيات حساس بينهم	وسواء قبر مثر ومقل
كل عيش ونعيم زائل	وبنات الدهر يغين بكل ^(١)
أبلغا حسان عنى آية	فقريض الشعر يشفى ذا العلل
كم ترى بالجر من جمجمة	وأكف قد أنزت ورجل
وسرايل حسان سریت	عن كاة أهلكوا فى المنزل ^(٢)
كم قتلنا من كريم سيد	ما جد الجدين مقدم بطل
صادق النجدة قرم بارع	غير ملات لدى وقع الأسل
ليت أشياخى بيدر شهدوا	جزع الخزرع من وقع الأسل
فأسأل المهراس من ساكنه	بعد أبدان وهام كالحجل ^(٣)
إن للخير والشر مدى	ركلا ذلك وجه وقبل ^(٤)

(١) حساس بينهم أى شؤم ونكد . وبنات الدهر صروفه . والكل الأعياء

(٢) الجر سفتح الجبل ، وقد أنزت أى أصابتها جروح فنزيت منها وماتت أصحابها . ورجل لعله جمع تكسير لرجل والمشهور أرجل . وسريت أى نزعت وكشفت .

(٣) المهراس ماء بأحد . والحجل صغار الابل وأولادها

(٤) مدى أى غاية اسم ان مؤخر ، وكلا مبتدأ مرفوع بضمه مقدرة للتعذر وهو اسم لفظه مفرد ومعناه مثنى لعوده على الخير والشر وهو مضاف الى اسم الإشارة ووجه أى جهة خبر كلا وقبل جهة أيضا معطوف على وجه عطف تفسير يقول إن للخير والشر غاية يتهيان بها ويقفان عندها وكلا ذلك صاحب جهه يصرفه الله فيها .

فقال حسان رضى الله عنه :

ذهب بابل الزبعرى وقعة	كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم	وكذاك الحرب أحيانا دول
إذ شددنا شدة صادقة	فأجأ ناكم إلى سفح الجبل
إذ تولون على أعقابكم	هربا في الشعب أشباه الرسل
نضع الخطى في اكتافكم	حيث نهوى عللا بعد نهل (١)
فسدحنا في مقام واحد	منكم سبعين غير المتحل (٢)
وأسرنا منكم أعدادهم	فانصرفتم مثل أفلات الحجل (٣)
تخرج الأضياع من استاهم	كسلاح النيب يأكلن العصل
لم يفوتونا بشيء ساعة	غير أن ولوا بجهل وفشل
ضاق عنا الشعب إذ نجزعه	وملائنا القرط منهم والرجل (٤)
برجال لستم أمثالهم	أيدوا جبريل نصرا فنزل
وعلونا يوم بدر بالتقى	طاعة الله وتصديق الرسل

(١) فأجأناكم ألجأناكم . والرسل القطيع من الابل ترسل الى الماء خمسا ونهوى عللا بعد نهل هو الشرب بعد الشرب تباعا ضربه مثلا أى مرة بعد مرة .

(٢) فسدحنا أى فصرعنا والمسدوح المصروع .

(٣) الحجل من جنس القبيج وهو صغار يقول انهزمتم وفررتم كما تفلت الحجل من الشرك فلا تلوى على شيء .

(٤) الأضياع هى الالبان الممدوقة . والعصل الحوض إذا رعت النيب وهى مسان الابل . ولم يفوتونا أى لم يسبقونا والشعب الطريق النافذين الجبلين ونجزعه نقطعه . والقرط نشوز الأرض واكمه والرجل بجارى الماء واحده رجلة يريد ملائنا ذلك من قتلاتكم .

وتركنا في قريش عورة يوم بدر وأحاديث مثل (١)
وتركنا من قريش جمعهم مثل ما جمع في النخشب الحمل
فقتلنا كل رأس منهم وقتلنا كل جحججاج رفل (٢)
كم قتلنا من كريم سيد ماجد الجدين مقدم بطل
وشريف لشريف ماجد لا نباليه لدى وقع الأسـل
نحن لا أتم بني أسـتاها نحن في البأس إذا البأس نزل

* * *

١٤ — وقال حسان بن ثابت قدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص الوصول
اليه فقلت للحاجب بعد مدة أن أذنت لي عليه وإلا هجوت اليمن كلها ، ثم انقلبت
عنكم فاذن لي فدخلت عليه فوجدت سمندة النابغة وهو جالس عن يمينه وعلقمة
ابن عبدة وهو جالس عن يساره فقال لي يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك
في غسان فارجع فاني باعث اليك بصلة سنية ولا أحتاج الى الشعر فاني أخاف عليك
هذين السبعين النابغة وعلقمة أن يفضحك وفضيحتك فضيحتي وأنت والله لا تحسن
أن تقول :

ـ رفاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

(١) الحمل : الابل التي ترعى بغير راع ليلا ونهارا ، يقال : هملت الماشية
سرحت بغير راع فهي هاملة ويقال بهير هامل وجمعه حمل ، والجحججاج السيد
الكريم ، ولحمل السيد .

(٢) قوله نحن في البأس الخ يقول نحن أصبر منك في البأس لستم لنا أشباها .

تحييم بيض الولائد بينهم وأكسية ألا ضريح فوق المشاجب
يصونون أجسادا قديماً نعيمها بخالصة الأردن خضر المناكب
ولا يحسبون الخير لا شر يعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب^(١)
حبوت بها غسان إذ كنت لاحقاً بقومى وإذا أعيت على مذاهي^(٢)

فأبيت وقلت لا بد منه فقال ذاك الى عميك فقلت لها بحق الملك الا قدمتهانى
عليكاً فقالا قد فعلنا فقال عمرو بن الحارث هات يا ابن للفرقة فأشأت .

أسألت رسم الذار أم لم تسأل بين الجوابى فالبيض فحومل
فالمرج مرج الصفرين فجاسم فديار سلى دارسا لم تحال

(١) قواه رفاق النعال أراد أنهم ملوك لا يخضعون لعالمهم وإنما يخضع من
يمشى . وطيب حيزاتهم أى هم أعفاء محضون وأصل الحيزة الوسط أى
يشدون أزهرهم على عفة . والسباسب يوم السعائين وهو يوم عيد النصرى وكان
الممدوح نصرانيا . وقولة الولائد هى الاماء . والاضريح الحز الأحمر والمشاجب
جمع مشجب وهو عود ينشر عليه الثوب قال الاصمعى هم ملوك أهل نعمة
تخدمهم الاماء البيض الحسان وثيابهم مصونة بتعليقها على الأعواد . والأردان
مقدم كم القميص والخالص الشديد البياض وقوله لازب أى ثابت يقول قد
عرفوا تصرف الزمان وتقلبه فاذا أصابهم خير لم يشقوا بدوامه فيبطروا وإذا
أصابهم شر لم يرهقهم وأيقنوا أنه لا يدوم عليهم فلم يفتنوا فوصفهم بالاعتدال .

(٢) قوله حبوت أعطيت يقول حبوت بالقصيدة غسان إذ كنت لاحقاً
بقومى فكانوا أحق من أمدح . وقوله إذا أعيت يريد إذ كان هارباً من النعمان
فضاقت عليه مذاهي يعنى أنه رأى أهلاً ممدوحه فى حال خوفه وامنه وهذا من شعر
الأنباغة يمدح به عمرو بن الحارث .

دمن تعاقبها الرياح دوارس والمدجنات من السماك الأعزل (١)
 دار لقوم قد أراهم مرة . فوق الأعزة عزم لم ينقل
 لله در عصاة نادمهم يوما بخلق في الزمان الأول (٢)
 يمشون في الحلال المضاعف نسجها مشى الجمال الى الجمال البزل
 الضاربون السكبش يبرق بيضه ضربا يطيح له بنان المفصل
 والخالطون فقيرهم بغنيم والمنعمون على الضعيف المرمل
 أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكرم المفضل
 يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل (٣)

(١) قوله الجواني الخ كلها مواضع ملوك الشام والحيرة الذين تفرقوا بعد سبل العرم واستوطنوا بها . وجاسم اسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الأعظم الى طبرية انتقل اليها جاسم بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام أيام تلبلت الأسن ببابل فسميت به والمدجنات الغيوم الممطرة .

(١) قوله بخلق موضع بقرب دمشق والعصابة الجماعة من الناس .

(٢) قوله : أولاد جفنة قطعه للشاعر من قوله عصابة لما قصد من معنى المدح والثناء ولو نصبه على هذا المعنى لكان حسنا ولو جرّه على البدل والنعث لجاز . وجفنة هو أبو ملوك الشام وهو جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة ابن عمرو بن جفنة وأراد بأولاد جفنة أولاد الحرث الأعرج بن مارية وهم النعمان والمنذر والمنذير وجبله وأبو شمر وهؤلاء كلهم ملوك وهم أعمام جبله بن الإيهم ومارية هي بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة غسانية وهي أخت هند امرأة حجر والد امرئ القيس صاحب المعلقة وأراد بقوله حول قبر أبيهم أنهم في مساكن آبائهم ورباعهم التي كانوا ورثوها عنهم ، وقوله يغشون بالبناء للمفعول أى يتردد اليهم من غشيه اذا جاءه وهو الكلب اذا صوت وهو دون النباح يبنى أن منازلهم لا تخلو من الاضياف والفقراء فكلابهم لانهر على من يقصد منازلهم لا عيادها بكثرة التردد اليها من الاضياف وغيرهم . وقوله لا يسألون أى هم في سعة لا يسألون كم نزل بهم من الناس ولا يهولهم الجمع الكثير وهو السواد اذا قصدوا نحوهم .

يسقون من ورد البريص عليهم
يسقون درباق الرحيق ولم تكن
بيض الوجوه كريمة أحسابهم
فمبثت أزمانا ط — والا فيهم
إما ترى رأسى نغير لونه .
ولقد يرانى موعدى كأننى
ولقد شربت الخمر فى حانوتها
يسعى على بكاسها منتطف
إن التى ناولتنى فرددتها
كلتاهما حلب العصير فعاطنى
بردى يصفق بالرحيق السلسل
تدعى ولائدهم لنقف الخنظل
شم الأنوف من الطراز الأول
ثم اذكرت كأننى لم أفعل
شمطاً فأصبح كالثغام المحول^(١)
فى قصر دومة أو سماء الهيكل
صهباء صافية كطعم الفلفل
فيعلى منها ولو لم أنهل^(٢)
قتلت قتلت فهايتها لم تقتل
بزجاجة أرخاهما للمفصل^(٣)

(١) ضمير يسقون عائد على أولاد جفنة ومن مفعوله . والبريص نهر يتشعب من بردى وهى نهر دمشق كالصراة من الفرات . وقوله بردى يريد ماء بردى فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وقوله يصفق أى يمزج . والرحيق الخمر والسلسل السهل أى كأنه مزوج بذلك أى أنهم لا يسقون الماء الا بمزوج بالخمر لسعتهم وكرمهم وتعظيم من يرد عليهم . والدرياق خالص الخمر وجيده شبه بالدرياق الشافى والولائد جمع وليدة وهى الخادم . والنقف استخراج ما فى الخنظل يقول هم ملوك لا تجتنى ولائدهم الخنظل ولا تنتقفه . والطراز الجيد من كل شىء . واذكرت تذكرت وقوله اما ترى يريد إن ترى رأسى يخاطب امرأة ومازائدة ، والثغام نبت أبيض الثمر والزهر . وشمطاً أى الخياط وادشورها ببياضها . والمحول . الذى قد أتى عليه الحول ويروى كالثغام الممحل .

(٢) قوله منتطف هو المقرط والنظفة بفتحات القرط . وقوله فيعانى أى يسقى سقيا بعد سقى والنهل هنا العطش أى يسقينيها على كل حال عطشت أو لم أعطش .

(٣) قوله قتلت الجملة خبران وكتلت الجملة اعتراضية . وقوله كلتاهما أراد كلتا الممزوجة والصرف حلب العنب وأرخاهما أشدها أرخاء أفعل تفضيل =

بزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل
نسبي أصيل في الكرام ومذودى تكوى مواسمه جنوب المصطفى
ولقد تقلدنا العشرة أمرها ونسود يوم النابات ونعتلى
ويسود سيدنا ججاج سادة ويصيب قائلنا سواء المفصل
ونحاول الأمر المهم خطابة فيهم ونفصل كل أمر معضل (٢)
وتزور أبواب الملوك ركابا ومتى نحكم في البرية نعدل
وفتي يحب الحمد يجمع ماله من دون والده وإن لم يسأل
باكرت لذته وما ما طلتها بزجاجة من خير كرم اهذل (٣)

١٥ — وقال ينزه عائشة عن الريبة .

حصان ززان مائز بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

== من أرخى المازيد وهو سماعي عند قوم مقيس عند آخرين . ومعنى البيت
يخاطب الساقى الذى كان ناوله كأسا مزوجة لانه يقال قتل الخمر اذا مزجتها
فكأنه أراد أن يعلمه أنه قد قطن لما فعله ثم ما اقتنع بذلك منه حتى دعا عليه
بالقتل فى مقابلة المزج وقد أحسن كل الاحسان فى تجنيس اللفظ ثم أنه
عقب الدعاء عليه بأن استعطى منه مالم يقتل يعنى الحرف التى لم زتمج .
وقوله أرخاها للمفصل يعنى به اللسان لانه يفصل بين الحق والباطل

(١) قوله رقصت الرقص ضرب من الخبب يقال رقص رقصا وهو أحد
المصادر التى جاءت على فعل فعلا نحو طرد طردا . والقلوص الفتية من الإبل
بمنزلة الجارية الفتاة من النساء .

(٢) الأصيل ذو الأصل الثابت ومذوده لسانه ومواسمه هجاؤه الذى يسم
به من أراد وجنوب جمع جنب شق الانسان وغيره والمصطفى الذى يلزم النار .
ونسود نفضل بحسبنا وكرمنا وججاج جمع ججاج السيد الكريم ، والمفصل
أحد مفاصل العظام . والأمر المعضل الشديد .

(٣) الكرم الأهدل المتدلّية أغصانه والكرم العنب .

حليمة خير الناس دينا ومنصبها نبي الهدى والمكرمات الفواضل^(١)
عقيلة حى من اوى بن غالب كرام المساعى مجدها غير زائل
مهدبة قد طيب الله جيبها وطهرها من كل سوء وباطل^(٢)
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم فلا رفعت سوطى الى اأمل
وإن الذى قد قيل ليس بلائط بها الدهر بل قول امرى بي ماحل^(٣)
فكيف وودى ماحيت ونصرتى لآل نبي الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم تقاصر عنه سورة المتطاوول^(٤)
رأيتك وايغفر لك الله حرة من المحصنات غير ذات غوائل

ولما بلغ قوله * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل *

قالت عائشة لكنك يا حسان ما تصبح غرثان من لحومهن وكان قد قال

فيها كلاما

١٦ - وقال لابن الزبير حين هرب من النبي يوم فتح مكة :

لا تعد من رجلا أهلك بغضه نجران في عيش أجد لثيم
بليت قاتك في الحروب فألقيت خيانة جوفاء ذات وصوم

(١) رزان أى ذات ثبات ووقار وعفاف ورزينة في مجلسها . وماتزن بريبة .

أى ماتنهم والحليمة الزوجة .

(٢) قد طيب الله جيبها يعنى به قلبها وصدورها .

(٣) ليس بلائط بها أى ليس بلاصق بها الضمير لعائشة رضى الله عنها .

(٤) سورة المتطاوول : السورة كل منزلة رفيعة والمتطاوول هو المستطيل على

الناس إذا هو رفع رأسه أى أن له عليهم فضلا في القدر أى منزلة النبي صلى الله

عليه وسلم تفوق كل منزلة .

غضب الإله على الزبيري وابنه وعذاب سوء في الحياة مقيم ^(١)
فلما سمع ذلك ابن الزبيري رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأسلم وقال :

منع الرقاد بلابل وهموم	والليل معتلج الرواق بهيم
مما أتاني أن أحمد لامي	فيه فبت كأنني محوم
ياخير من حملت على أوصالها	عيرانة سرح اليدين غشوم ^(٢)
إني لمعتذر إليك من التي	أسديت إذ أنا في الضلال أهيم
أيام تأمرني بأغوى خطة	سهم وتأمرني بها مخزوم ^(٣)
وأمد أسباب الهوى ويقودني	أمر الغواة وأمرهم مشوم
فأليوم آمن بالنبي محمد	قلبي ومخطيء هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها	وأنت أواصر بيننا وحلوم ^(٤)

(١) قوله تعد من الخطاب لابن الزبيري ويريد بالرجل أباه . ونجران موضع معروف بين الحجاز والشام والين هرب اليه عبد الله ابن الزبيري لما فتح رسول الله مكة وأخذ أي سريع اليد خفيفها . وقوله فألغيت خمانة أي ضعيفة والضمير للفتنة وذات وحوم وصف ثالث لها أي ذات عيوب . والزبيري هو ابن قيس بن عدى بن سعد القرشي السهمي وابنه عبد الله الشاعر كان من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وعلى أصحابه بلسانه ونفسه ، وكان يناضل عن قريش ويهاجي المسلمين وكان من أشعر قريش

(٢) معتلج الرواق أي ملتطم الرواق ومرخى ظلمته وأحمد يريد به المصطفى عليه الصلاة والسلام ، والعيرانة الناقة الصلبة تشبها بعير الوحش

(٣) أيام نصب على الظرفية الزمانية ، وهو مضاف إلى الجملة بعده وبأغوى خطة أي بائضل أمر . وسهم ومخزوم قبيلتان

(٤) قوله وأنت أواصر جمع آصرة ، ما عطفك على رجل من رحم أو قرابه أو صهر معروف . والحلوم جمع حلم الاناة والعقل

فاغفر فدا لك والذى كلاهما وارحم فانك راحم مرحوم
وعليك من سمة المليك علامة نور أعز وخاتم محتوم
أعطاك بعد محبة برهانه شرفا وبرهان الاله عظيم (١)

١٧ - وقال يوم أحد :

منع النوم بالعشاء الهموم وخيال إذا تغور النجوم
بالقوم هل يقتل المرء مثلى واهن البطش والعظام سؤم
همها العطر والفراش ويعلو ها لجين ولؤلؤ منظوم
لو يدب الحولى من ولد الذر عليها لأندبتها الكلوم (٢)
لم تفقها شمس النهار بشيء غير أن الشباب ليس يدوم
إن خالى خطيب جابية الجو لان عند النعمان حين يقوم
وأبى فى سميحة القائل الفا صل يرم التفت عليه الخصوم
وأنا الصقر عند باب ابن سلمى يوم نعمان فى الكبول مقيم (٣)

(١) أعطاك الضمير لله عز وجل . والبرهان الحجة الفاضله البينة

(٢) قوله واهن البطش أى ضعيف القوة يريد بها المحبوبة التى يشبب بها والاستفهام للتعجب . واللجين الفضة لا مكبر له جاء مصغرا مثل الثريا والكميت . والذر الذى أتى عليه سنة من صغار النمل يقول لو يدب الصغير من ولد الذر على جلدها لأثر فيه وجرحه ولم يرد بالحولى ما أتى عليه حول ولكن جعله فى صغره كالحولى من ولد الحافر والخف فى صغره .

(٣) الجولان من عمل دمشق على طريق مصر . والنعمان أراد بنى جفنة ابن غسان . وسميحة بئر بالمدينة كانت للأوس والخزرج تحاكت عندها ال أبيه وقيل الى جده المنذر بن حرام . وأراد بابن سلمى النعمان بن نذر اللخمي ونعمان هذا الذى ذكر نعمان بن مالك ابن قوقل بن عوف بن عمرو بن عوف وكان حبسه النعمان بن المنذر فوفد فيه وفى غيره حسان فاطلقوا

وأبى ووافد أطلقا لى ثم رحنا وقلهم محطوم
ورهننت اليدين عنهم جميعا كل كف فيها جز مقسوم
وسطت نسبتي الذوائب منهم كل دار فيها أب لى عظيم
رب حلم أضاعه عدم المسا ل وجعل ظلى عليه النعيم^(١)
ما أبأ لى أنب بالحزن تيس أم الحمانى بظهر غي لثيم^(٢)
تلك أفعالنا وفعل الزبعرى خامل فى صديقه مذموم
ولى البأس منكم إذ خضرتكم أسرة من بنى قصى صميم
تسعة تحمل اللواء وطارت فى رعاى من القناء مخزوم^(٣)
لم يولوا حتى أبيدوا جميعاً فى مقام وكلهم مذموم
بدم عاتك وكان حفاظاً أن يقيموا إن الكريم كريم

(١) أبى هو ابن كعب بن قيس بن معاوية بن عمرو بن النجار . ووافد بن عمرو بن الاطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج والاطنابة أمه . ومحطوم مكسر . وقوله جز أراد جزءا فترك الهمز ورهنه يديه ضمانه لهم كقول الرجل لصاحبه لك يدى بكذا وكذا . والذرائب الاشراف

ويقال غطى الليل اذا ستر كل شىء فهو غاط

(٢) ما أبأ لى جملة من الفعل والفاعل وقد دخلها حرف النفي وأنب الهمزة فيه للاستفهام ونب فعل ماض وتيس فاعله والباء فى بالحزن للظرف يقول قد استوى عندى نيب التيس بالحزن ونيل اللثيم من عرضى بظهر الغيب ونيب التيس صوة عند هبابه للفساد والحزن ماغلظ من الارض رخصه لأن الجبال ثم أحفظ للعز من السهول

(٣) قوله لى البأس البيت يخبر بصبر بنى عبد الدار بن قصى يوم أحد وانهمزام بنى مخزوم

وأقاموا حتى أزيروا شعوباً والقنا في نخورهم محطوم
وقريش تلوذ منا لوإذا لم يقيموا وخف منها الحلوم
لم تطق حملة العواتق منهم إنما يحمل اللاواء النجوم^(١)

(١) قوله لم يولوا أى لم يديروا حتى اييدوا جميعاً . وكلهم مذموم بدم عانك أى ملدخ بدم أحمر يسيل من أبدانهم وقوله وكان حفاظاً أى وكان محافظة على العهد والمحامات على الحرم ومنعها من العدو أن يقيموا ولا يولوا وقوله حتى أزيروا أى حتى أوردوا المية فزاروها شعوب من أسماء المنية وفى حديث طلحة حتى أزرنه شعوب أى أوردته المنية . وتلوذ منا لوإذا أى يتسللون منا مستخفين ومستترين بعضهم ببعض من شدة هول ما أصابهم . وخف منها الحلوم أى انذعروا وتخبت عقولهم . وقوله لم تطق الخ تهكم واستهزاء بهم والعواتق جمع عاتق ولذلك جمع على فواعل إنما جاء منهاسته أحرف على فواعل حأجب وحواجب وهالك وهوالك وشارب وشوارب وفارس وفوارس وغارب وغوارب وحارك وحوارك . والنجوم الاشراف المعرقون واحدهم نجم

٩ - النابغة الجعدي

المتوفى عام ٨٠ هـ

هو عبد الله بن قيس بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة شاعر
مخضرم : وكان معمرأ نادم المنذر أبا النعمان بن المنذر : ويقال إنه أقدم من النابغة
الذبياتي لأنه نادم المنذر ، والذبياتي نادم ابنه النعمان بن المنذر ، ولذلك يقول
الجعدي :

تذكرت والذكرى تهيج للفتى ومن حاجة المحزون أن يتذكرا
ندا ماى عند المنذر بن محرق

أرى اليوم منهم ظاهر الحزن مقفرا

ثم أتى رسول الله (ص) وأسلم وأنشده رائيته فقال له النبي (ص) :
« لا يفضض الله فاك » . فغبر دهره لم تنقص له سن . وفى العقد الفريد لابن
عبد ربه :

قدم ابو ليلى النابغة الجعدي على رسول الله فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

بلغنا السماء بمجدنا وجدودنا وإنا لنبغى فوق ذلك مظهراً

فقال له النبي : إلى أين يا أبا سلمى . فقال : إلى الجنة يا رسول الله بك فقال

النبي : إلى الجنة إن شاء الله ، فلما بلغ قوله

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له بوادى تحمى صفوه ان يكدرنا

ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدر

قال النبي : لا يفضض الله فاك فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية

قال أبو جروول الجشمى وكان رئيس قومه . أسرنا النبي صلى الله عليه وسلم

يوم جنين فبينما هو يميز الرجال من النساء إذ وثبت بين يديه فأنشده

أمنن علينا رسول الله فى حرم فأنك المرة نرجوه وننتظر

أمنن على نسوة قد كنت ترضعها يا أرجح الناس حلما حين يخبر

أنا لنشكر للنعماء إذا كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فذكرته حين نشأ في هوازن وأرضعته فقال : أما ما كان لي ولني عبد المطلب
فهو لله فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله . فردت الأنصار ما كان
في أيديها من الذراري والأموال

وعاش طويلاً في الإسلام ، فأقام زمناً مهاجراً حتى أيام عثمان رضي الله عنه
فأحس بضعف في نفسه ، فالتأذن عثمان في الرجوع إلى البادية فأذن له . ثم لما
كانت خلافه على (رضي الله عنه) شهد معه وقائع صفين ، وظاهره بيده ولسانه
ونال من معاوية وبني أمية .

وعند ما آلت الخلافة إلى معاوية كتب إلى مروان أن يأخذ النابغة ، فدخل
على معاوية وعنده مروان فأنشدهما أبياتاً منها :

فان تأخذوا أهلي ومالي بظنة فاني لحراب الرجال محرب
صبور على ما يكره المرء كله سوى الظلم إني أن ظلمت سأغضب
فالتفت معاوية إلى مروان ، فقال ما ترى ؟ — قال أرى ألا ترد عليه
شيئاً — قال ما أهون والله عليك أن بنجر هذا في غار ثم تأخذه العرب فترويه
أما والله ان كنت لممن يرويه . اردد عليه كل شيء أخذته . ثم كان في شيعة
عبد الله بن الزبير ومدحه فاجزل له العطاء على بخل فيه . وبعد سكون الفتن خرج
مهاجراً إلى الأمصار المفتحة .

وعمر الجعدي حتى أدرك الأخطل وماجاه وتناسعا الشعر فغلبه الأخطل
وهاجته ليل الأخيلية انشاعرة فغلبته ومات بأصفهان وهو ابن عشرين ومائتي سنة
نحو عام ٨٠ هـ .

كان النابغة قديماً شاعراً مغلقاً في الجاهلية والإسلام .
ولما هزم كان مختلف الشعر مغلباً حتى قال فيه الفرزدق : د مثله مثل صاحب
الخلقان ترى عنده ثوب عصب وثوب خز وإلى جانبه سمل كساء ، غلبه الأخطل
وأوس بن مضاء وليل الأخيلية . وغلبه من لم يكن إليه ولا قريباً منه مثل عقيل

ابن خالد العقيلي وكان مفجها بكلام لا يشعر ، وهجاه سوار بن أوفى القشيري وفاخره ، ثم هجاه الاخطل آخر عمره

ويقول يونس فيه : كان الجعدي أوصف الناس لفرس وجعله ابن سلام

من الطبقة الثالثة مع أبي ذؤيب ولييد والشمخ

وكان النابغة الجعدي شاعراً مطبوعاً في الجاهلية والاسلام . وهو أول من

سبق الى الكناية في الشعر عن اسم من يغنى إلى غيرها ، وتبعه الناس بعد ، قال :

أ كنى بغير اسمها وقد علم الله خفيات كل مكتم

وكان ممن يصفون الخيل فلا يلحق لهم في ذلك غبار ، حتى ضرب به المثل ،

قال الأصمعي : ثلاثة يصفون الخيل فلا يقاربهم أحد . طفيل الغنوي وأبو دواد

الايادي ، والنابغة الجعدي . وما كان ينتحى طريقة زهير والخطيئة وأشباههما ممن

يبالغون في تهذيب الالفاظ وتنقيح المعاني ، بل كان يلقي القول على عواهنه وكان

تهديه اليه بديته ، فتارة يأتي جيداً متيناً ، وتارة يجيء ضعيفاً رديئاً .

فلم يعرف عنه أنه كان يهذب شعره في جاهلية ولا إسلام ، بل كان يقوله

عفو الخاطر لذلك كان منه الجيد والردى والمتوسط حتى قال الأصمعي : وكان

معجبا به لذلك عنده مطرف ^(١) بآلاف . وخمار بواف ^(٢) فخالف بذلك زهير

والخطيئة . ووافق الذبياني .

ويقول بعض الباحثين : ولعل السبب في أنه كان مغلباً ما كان في طبعه من كرم

وإسجاج ، يتجلى ذلك في ميله الى التوحيد أيام الجاهلية وإطلاقه عنان الشعر

لا يتكاف له ، فلم يستطع مجاراة من غلب على أنفسهم الشر ، واشتعلت صدورهم

بالأحقاد ، ولقد كان إذا عرف أن منافره أربى عليه أسرع بالاعتراف بالهزيمة ،

لا يكابر ولا يمارى ، فانه سمع قول أوس بن مغراء في منافرته .

(١) المطرف (مثلثة الميم) ثوب من خز مربع ذو أعلام .

(٢) الوافي : هو الدرهم قدر درهم وثلاث .

لعمرك ما تبلى سراييل عامر
من اللؤم مادامت عليها جلودها
فقال : لقد غلب أوس :

هذا وفنون الشعر عند الجعدى كثيرة ، وقد أجادوا فى الفخر والرثاء والهجاء
والمدح ووصف الخيل ، وكان أحد ثلاثة أجادى وصفها ، وهم : طفيل الغنوى ،
وأبو دؤاد ، والنابغة الجعدى .

نماذج من شعره :

من قصيدته التى مدح بها رسول الله ، وهى طويلة تبلغ مائتى بيت :
خليلى عوجا ساعة وتهجرا . ولوما على ما أحدث الدهر أوزرا (١)
ولا تجزعا إن الحياة ذميمة . نخفا لروعات الحوادث أوقرا (٢)
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه . فلا تجزعا بما قضى الله واصبرا
ألم تريا أن الملامة . نفعها قليل إذا ما الشئ . ولى وأدبرا
تهيج البكاء والندامة ثم لا . تغير شيئا غير ما كان قدرا

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى . ويتلو كتاب الله كالجرة نيرا
أقيم على التقوى وارضى بفعلها . وكنت من النار المخوفة أحذرا (٣)
خليلى قد لاقيت ما لم تلاقيا . وسرت فى الأحياء ما لم تسيرا
تذكرت والذكرى تهيج لذى الهوى . ومن حاجة المحزون أن يتذكرا

(١) تهجر : سكن وقت الهجرة ، والمراد هنا مجرد اللبث .

(٢) قر بالكسر أمر من وقر (كوعد) بمعنى رزن وبالفتح أمر من قر

(كمر) وخففت بحذف إحدى الراءين وبهما قرىء قوله تعالى : « وقرن فى
بيوتكن » .

(٣) أحذر : تهليل من حذر .

ومنها في الفخر :

وتنكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا (١)
ونحن أناس لا نعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وما كان معروفا لنا أن زردها صحاحا ولا مستنكرا أن تعقرا (٢)
ومما سبق إليه وأخذ منه قوله :

كان مقط شرا سيفه الى طرف القنب فالنقب
لظمن بترس شديد الصفا ق من خشب الجوز لم ينقب
أخذه ابن مقبل فقال :

كان ما بين جنبيه ومتقه من جوزه ومناط الليث ملطوم
بترس أعجم لم تنخر مناقبه بما تخير في آطامها الروم

وقال :

أرأيت أن بسكرت بليل هامت وخرجت منها باليا أو صالى
هل تخمشن ابلى على وجوهها أو تضر بن رهوسها بمالى
أخذه الأخطل فقال :

أرأيت ان بسكرت بليل هامت وخرجت منها باليا أثوابى
هل تخمشن ابلى على وجوهها أو تضر بن رهوسها بسلام
وقال يذكر نساء سبين :

دعتنا النساء اذ عرفن وجوهنا دعاء نساء لم يفارقن عن قلى
حنين الهجان الادم نادى بوردها سقاء يمدون الموانح بالدلا

(١) تنكر : نجهل . الجون هنا الأبيض . أشقر : أحمر .

(٢) المفرد صحيح وصحاح (بالفتح) والجمع صحاح (بالكسر) .

العقر : ضرب قوائم الدابة لتمنع عن الحركة مقدمة لذبحها . فارادة معنى الذبح من العقر مجاز .

فقلنا لنا كلا فقلنا لهم بلى
ويسعفنا حر من النار بصطلي
ونفتوها عنا إذا حموها غلا

فقلنا لهم خلوا طريق نساتنا
فنحن غضاب من مكان نساتنا
تفور علينا قدرهم فنديمها
ويستجاد له قوله :

وأفنت بعد أناس أناسا
وكان الاله هو المستاسا
ن تلقى المعاش فيها خساسا
وحينا أصادف منها شماسا
حتى تساقوا بسمر كاسا
طليق الكلاب يطان الهراسا
ولا نبصر الحى الا التماسا
ملتبسا بالفؤاد التباسا
لم يحول الله فيه نحاسا
وتخلط بالانس منها شماسا
تداعت وكانت راعيه لباسا

لبست أناسا فافنتهم
ثلاثة أهلين صاحبهم
وعشت بعيشين ان المنو
فجينا أصادف غراتها
شهدتهم لا أرجى الحياة
وشمت بطارق بالدارعين
فلما دنونا لجرس النباح
أضأت لنا النار وجها أغر
يضى كضوء سراج السليط
بانسة غير أنس القراف
إذا ما الضجيع ثنى جيدها
ويستجاد قوله يرثى رجلا .

جواد فما يبق من المال باقيا
على أن فيه ما يسوء الأعاديا
من الشبان ازمان الختان
من لم يقلها فنفسه ظلميا

ففى كلمات خيراته غير أنه
ففى تم فيه ما يسر صديقه
وله : ومن يحرص على كبرى فانى
وقال الحمد لله لا شريك له

المولج الليل فى النهار وفى الليل نهارا يفرج الظلمسا
ض ولم بين تحتها دعما
أر حام ماء حتى يصير دما
يخلق منها الابشار والنسا
ثم لحا كساه فالأما
أبشار جلدنا نخاله أدمنا
أخلاق شتى وفرق السكنا

الحافظ الرافع السماء على الار
الخالق البارئ المصور فى ال
من نطفة قدرها مقدرها
ثم عظاما أقامها عصب
ثم كسا الرأس والعواتق وال
واللون والصوت فى المعاش وال

١٠ - معن بن أوس

المتوفى عام ٦٥ هـ

هو معن بن أوس بن نصر بن مزينة من مضر شاعر فحل من المخضرمين عاش في الجاهلية في البادية وكذلك في الاسلام ووفد على عمر بن الخطاب وأنشده قصيدته :

تأوبه طيف بذات الجرائم فنام رفيقاه وليس بناثم
ورحل إلى البصرة وتزوج منها ثم عاد إلى البادية . ويقال أنه لقي معاوية
أيضا وكان معاوية يفضل مزينة في الشعر ويقول كان أشعر أهل الجاهلية منهم
وهو زهير وأشعر أهل الاسلام منهم وهما كعب بن زهير ومعن بن أوس
ويمتاز في شعره بالحكمة الرائعة والمأاني السامية والأفكار الاجتماعية الرفيعة
والدعوة إلى مكارم الأخلاق .

كما يمتاز بسلاسة الأسلوب وعذوبته وجماله وكثرة الألوان البيانية فيه ، وقد
أجاد في الحكمة وعتاب الأصدقاء والوصف والفخر ومن رائع شعره :
أعده الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده (١) رمانى
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني
وكان عبد الملك ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته ، فقال لهم :
ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل في الشعر ، وليفضل من رأى تفضيله ،
فأنشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم . امرؤ القيس ، وقال بعضهم . الذابغة ، وقال
بعضهم . الأعشى ، فلما فرغوا قال . أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندى معن
ابن أوس حيث يقول .

وذى رحم فلمت أظفار ضغنه بحلمى عنه وهو ليس له حلم (٢)
إلى آخر القصيدة .

(١) ١٣٨ ج ٢ البيان والتبيين

(٢) ١٠٢ ج ٢ الإمامي

ومن مختار شعره قوله في ابن عمه :

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه
يحاول رغمي لا يحاول غيره
فان أعف عنه أغض عيناً على قذى
وإن انتصر منه أكن مثل رائش
صبرت على ما كان بيني وبينه
وبادرت منه النأى والمرء قادر
ويشتم عرضي في المغيب جاهداً
إذا سمته وصل القرابة سامني
وإن أدعه للنصف يأب ويعصني
فلولا اتقاء الله والرحم التي
إذن لعلاه بارقي وخطمته
ويسعى إذا أبني ليهدم صالحني
يود لو أني معدم ذو خصاصة

بحلى عنه وهو ليس له حلم
وكالموت عندي أن يحل به الرغم^(١)
وليس له بالصفح عن ذنبه علم^(٢)
سهام عدو يستهاض بها العظم^(٣)
وما تستوى حرب الأقارب والسلام
على سهمه ما دام في كفه السهم^(٤)
وليس له عندي هوان ولا شتم
قطيعتها تلك السفاهة والإثم^(٥)
ويدعو لحكم جائر غيره الحكم^(٦)
رعايتها حق وتعطيها ظلم
بوسم شئار لا يشاكه وسم^(٧)
وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم
وأكره جهدي أن يخالطه العدم^(٨)

(١) الرغم : القسر والاذلال .

(٢) أغضى عينه : أطبق جفنها ، القذى : ما يقع في العين فيؤذيها

(٣) راش السهم : وضع فيه الريش ليكون أسد له وأصوب ، هاض العظم :

كسره بعد جبر وذلك أشد وأنكى .

(٤) بادر الشيء : سبق إليه ، النأى : البعد

(٥) سامه الشيء : كلفه إياه

(٦) النصف . ثلثة : العدل ، اسم من الانصاف

(٧) خطمه : ضرب خطمه ، أنفه ،

(٨) الخصاصة : الفقر أو كل خلل أو خرق في باب أو نحوه ، الجهد بالفتح

المشقة وبالضم المشقة أو الطاقة .

ويعتد غنا في الحواث نكبتى
فما زلت في لىنى له وتعطى
وخفض له منى الجناح تألفا
وقولى إذا ألقى عليه مصيبة
وصبرى على أشياء منه ترينى
لأستل منه الضغن حتى استلته
رأيت اثلاماً بيننا فرقته
وأبرأت غل الصدر منه توسعا
فداووته حتى أرفأن نفاره
وأطعأت نار الحرب بينى وبينه

وما إن له فيها سناء ولا غم^(١)
عليه كما تحنو على الولد الأم
لثديته إمنى القرابة والرحم^(٢)
ألا أسلم فذاك الخال ذو العقد والعم^(٣)
وكظمى على غيظى وقد ينفع الكظم^(٤)
وقد كان ذا ضغن يضيق به الجرم^(٥)
برفقى أحياناً وقد يرفع السلم
بحلى كما يشفى بالادوية الكلم
فعدنا كأننا لم يكن بيننا صرم^(٦)
فأصبح بعد الحرب وهولنا سلم^(٧)

وقال يتمدح بالعفة ومكارم الأخلاق

لعمرك ما أهويت كفى لرينة
ولا قاذى سمى ولا بصرى لها
وأعلم أنى لم تصبنى مصيبة
ولست بمـاش ما حيت لمنكر
ولا مؤثر نفسى على ذى قرابتى

ولا حملتنى نحو فاحشة رجـلى
ولا دلنى رأى عليها ولا عقلى
من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلى
من الأمر ما يمشى إلى مثله مثلى
وأوثر ضيغى ما أقام على أهلى

(١) السناء : الشرف ، رب القصر الضوء .

(٢) الرحم : بالكسر لغة فى الرحم .

(٣) الفدام : بالكسر بمدود ويقصر ، والفدا بالفتح مقصور لا غير فهى فى

البيت صالحة لها ، العقد : العهد

(٤) رابنى الأمر : جعل فى قلبى ريباً أى شكاً

(٥) يروي الحلم والحزم وهما ظاهران ، وأما الجرم فمعناه الجسم والخلق

(٦) أرفأن : سكن ، صرم : قطيعة .

(٧) سلم : هى هنا بمعنى مسالم .

وقال معن بن أوس المزني يعاتب صديقا :

لعمرك ما أدري وإني لأوجل
وإني أخوك الدائم الود لم أحل
أحارب من حاربت من ذى عداوة
وإن سؤتى يوما صبرت إلى غد
كألك تشفى منك داء مسامتي
وإني على أشياء منك تريبنى
ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعنى
وفى الناس إن رثت حبالك واصل
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته
ويركب حد السيف من أن تضيمه
وكنت إذا ما صاحب رام ظنتى
قلبت له ظهر المجن فـ لم أدم
إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكد

على أينما تعدو المنية أول^(١)
أن ابزأك خصم أونبا بك منزل^(٢)
وأحبس مالى إن غرمت فاعقل^(٣)
ليعقب يوما منك آخر مقبل
وسخطى وما فى ريتى ما تعجل^(٤)
قديما لذو صفح على ذاك بجمل^(٥)
يمينك فانظر أى كف تبدل
وفى الأرض عن دار القلى متحول^(٦)
على طرف الهجران إن كان يعقل
إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل^(٧)
وبدل سوما بالذى كنت أفعل
على ذاك إلا ريث ما أتحوّل^(٨)
عليه بوجه آخر الدهر تقبل

(١) رجل وجل وأوجل : خائف .

(٢) حال : تغير . ويروى (لم أخن) وبزاه وأبزى به وأبزاه : غلبه . وقد

نقل الشاعر حركة الهزة إلى النون وحذفها وهى لغة جيدة قرأ بها ورش

(٣) عقل عنه : غرم ما لزمه من دية .

(٤) الريبة : التهمة . يقول : ليس فى تهمتى وما يسومنى منفعة يجب أن

تتعجلها .

(٥) رابنى الأمر وأرابنى : رأيت منه ما أكره

(٦) رث الحبل وأرث : بلى .

(٧) ضامه : ظلمه ونقصه حقه . والمزحل : المتنجى والمهرب .

(٨) المجن : الترس وقلب له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه على

مودعة ثم حال عن ذلك .

١١ - مالك بن الربيع

المتوفى عام ٤٥ هـ

شاعر فاتك جرىء مقدم ، من لصوص العرب وشجعانها .

قال أبو عبيدة ^(١) : لما ولي أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان سعيد بن عثمان بن عفان خراسان ، سار فيمن معه فاخذ طريق فارس ، فلقه بها مالك بن الربيع المازني وكان فيما ذكر من أجمل العرب جمالا وأبينهم بيانا ، فلما رآه سعيد أعجبه . وقال غيره : بل مر به سعيد بالبادية وهو منحدر من المدينة يريد البصرة حين ولاء معاوية خراسان ومالك في نفر من أصحابه ، فقال له . وبحك يا مالك ! ما الذي يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العداوة وقطع الطريق ؟ قال . أصلح الله الأمير ، العجز عن مكافاة الإخوان . قال . فان أنا أغنيتك واستصحبتك أتكف عما تفعل وتتبعني ، قال نعم ، أصلح الله الأمير أكف كالحسن ما كف أحد ، فاستصعبه وأجرى عليه خمسمائة دينار في كل شهر ^(٢) ، وكان معه حتى قتل بخراسان . قال ومكث مالك بخراسان فأت هناك ، فقال يذكر مرضه وغريته . وقال بعضهم . بل مات في غزو سعيد ، طعن فمقط وهو باخرر مق . فقال هذه القصيدة وهي هذه .

ألا ليت شعري هل أبيين ليلة	بجنب الغضى أزجى القلاص النواجيا
فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه	وليت الغضى ماشى الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضى لودنا الغضى	مزار ولكن الغضى ليس دانيا
ألم ترني بعث الضلالة بالهدى	وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا
وأصبحت في أرض الأعادي بعدما	أراني عن أرض الأعادي ^(٣) قاصيا

(١) ٢٥ ذيل الأمل .

(٢) ويروى خمسمائة درهم .

(٣) الأعادي : اليا لتشديد فيه وفي الذي بعده لاقامة الوزن ، والتشديد

هو الأصل في الكلمة لأنها جمع أعداء ، وجمع أفعال أفاعيل .

دعاني الهوى من أهل أودو صحبتي
أجبت الهوى لما دعاني بزفرة
أقول وقد حالت قرى السكرد بيننا
إن الله يرجعني من الغزو لا أرى
تقول ابنتي لما رأيت طول رحلتى
لعمري لئن غالت خراسان هامتى
فان أنج من بابي خراسان لا أعد
الله درى يوم أترك طأءعا
ورد الظباء السنن انحلت عشية
ورد كبيرين الالذين كلاهما
ودر الرجال الشاهدين تفتكى
ودر الهوى من حيث يدعو صحابتي
تذكرت من ييكى على فلم أجده
وأشقر محبوبكا يحمر عنانه
ولكن باكناف السفينة نسوة
صريع على أيدي الرجال بقفرة
ولما تراءت عند مرو منيتى
أقول لأصحابي أرفعوني فانه
فيا صاحبي رحلى دنا الموت فانزلا
أقما على اليوم أو بعض ليلة
وقوما إذا ما استل روحى فهيما
وخطا بأطراف الاسنة مضجعى
ولا تحسداني بارك الله فيكما
خذاني فجراني بشوى اليسكا
وقد كنت عطافا إذا الخيل أدبرت
وقد كنت صبارا على القرن فى الوغى

بذى الطبسين فالتفت ورائيا
تقنعت منه أن ألام ردائيا
جزى الله عمرا خير ما كان جازيا
وإن قل مالى طالبا ما ورائيا
سفارك هذا تاركى لا أباليا
لقد كنت عن بابي خراسان نائيا
إليها وإن منيتموني الأمانيا
بنى بأعلى الرقعة بين وماليا
يخبرن أنى هالك من ورائيا
على شفيق ناصح لونهانيا
بأمرى ألا يقصروا من وثاقيا
ودر لجاجاتي ودر انتهائيا
سوى السيف والرمح الردينى باكيا
إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا
عزيز تلمهن العشية مايلا
يسوون لحدى حيث حم قضائيا
وخل بها جسمى وحادث وفائيا
يقر نعينى إن سهيل بداليا
برايه لى مقيم لياليا
ولا تعجلانى قد تبين شائيا
لى الصدر والاكفان عند فنائيا
وردا على عيني فضل ردائيا
من الارض ذات للعرض أن توسعاليا
فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
سريعا لدى الهيجا الى من دعائيا
وعن شتمى ابن العم والجار وانيا

فطورا ترانى فى طلال ونعمة
ويوما ترانى فى رجا مستديرة
وقوما على بئر السمينة أسمعا
بأنسكا خلفتانى بقفرة
ولا تنسيا عهدى خليلي بعدما
وان ^(١) يعدم الوالون بئا يصيهم
يقولون لا تبعد وهم يدفوننى
غداة غد يالHF نفسى على غد
وأصبح مالى من طريف وتالد
فياليت شعرى هل تغيرت الرجا
إذا الحى حلوها جميعا وأنزلوا
رعين وقد كاد الظلام يحنها
وهل أترك العيس العوالى بالضحى
إذا عصب الركبان بين عنيزة
فياليت شعرى هل بكت أم مالك
اذ مت فاعتادى القبور وسلمى
على جدث قد جرت الريح فوقه
رهينة أحجار وترب تضمنت
فيا صاحباً إما عرضت فبلغا
وعر قلوصى فى الركاب فأنها
وأبصرت نار المازنيات موهنا
بعود ألنجوج ^(٢) أضاء وقودها
غريب بعيد الدار ثاو بقفرة

وطورا ترانى والعناق ركابيا
تخرق أطراف الرماح ثيابيا
بها الغر والبيض الحسان الروانيا
تهبيل على الريح فيها السوافيا
تقطع أو صالى موتبلى عظاميا
ولن يعدم الميراث منى المواليا
وأين مكان البعد إلا مكانيا
إذا أدلجوا عنى وأصبحت ثاوبا
لغيرى وكان المال بالأمس ماليا
رجا المثل أو أمست بفلج كما هيا
بها بقرأ حم العيون سواجيا
يسفن الخرامى مرة والاقاحيا
بركبانها تعلو المتان الفيافيا
وبولان عاجوا المبةقيات النواجيا
كما كنت لو عالوا نعيك باسكيا
على الرمس أسقيت السحاب الغواديا
ترايا كسحق المرنبانى هايا
قرارتها منى العظام البواليا
بنى ازن والريب أن لا تلاقيا
ستفلق أكبادا وتبسكى بواكيا
بعلياء يثنى دونها الطرف زانيا
مها فى ظلال السدر حورا جوازيا
يد الدهر معروفا بأن لا تدانيسا

(١) فى معجم ياقوت بدل هذا الشطر : ولن يعدم الوالون بيتا يحبنى .

(٢) الالنجوج واليلنجوج : عود الطيب يتبخر به .

أقلب طرفي حول رحلى فلا أرى به من عيون المؤنسات مراها
وبالرمل منا نسوة لو شهدتنى بكنين وفدين الطبيب مداويا
وما كان عهد الرمل عندي وأهله ذميا ولا ودعت بالرمل قاليا
فهن أمى وابنتاى وخالتى وبأكية أخرى تهيج البواكيا
ويقول أبو الفرج عن أبي عبيدة ان الذى قاله مالك ثلاثة عشر بيتا والباقي
ولده الناس عليه .

وفى الأغانى أن سعيداً لقيه فى طريق فارس . فقال له سعيد : ويحك ، تفسد
نفسك بقطع الطريق وما يدعوك إلى ما يبلغنى عنك من العبث والفساد وفيك
هذا الفضل؟ قال مالك : يدعونى إليه العجز عن المعالى ، ومساواة ذوى المروءات ،
ومكافأة الإخوان .
وينسب له .

لو كنتم تسكرون الغدر قلت لكم يا آل مروان جارى منكم الحكم
وأتقيكم بيمين الله ضاحية عند الشهود وقد توفى به الذمم
نحن الذين إذا خفتم بجلالة قلتم لنا إنما منكم لتعتصموا
حتى إذا انفرجت عنكم دجنتها صرتم (كجرم) فلا ال ولا رحم
ويقول .

وما أنا بالنائى الحفيظة فى الوغى ولا المتأنى للعواقب فى الذى
ولكننى مستوجد العزم مقدم على غمرات الحادث المتفاقم
قليل اختلاف الرأى فى الحرب باسل جميع القواد عند جل العظام
وله .

أدلت فى مهمه ما إن أرى أحدا حتى إذا حان تعريس لمن نزل
وضعت جنبى وقلت الله يكلا نى مهما تم عنك من ليل فما غفلا
والسيف بينى وبين الثوب مشعرة أخشى الحوادث إنى لم أكن وكلا
وقد تقول وما تخفى لجارتها إنى أرى مالك بن الريب قد نحلا
من يشهد الحرب يصلها ويسعرها تراه بما كسته شاجبا وجلا

ويقول :

أذنب الفضا قد صرت للناس ضحكك تغادى بك الركبان شرقاً الى غرب
فأنت وأن كنت الجريء جنانه منيت بضرغام من الأسد الغلب
بمن لا ينام الليل ألا وسيفه رهينة أقوام سراع الى الشعب
ألم ترني يا ذنب إذ جئت طارقاً تخاتلني أنى امرؤ وافر اللب
زجرتك مرات فلما غلبتني ولم تنرجر نهنت غربك بالضرب
فصرت لقي لما علاك ابن حرة بأبيض قطاع ينجى من الكرب

* * *

وكان مالك ابن الريب لصاً يقطع الطريق ، هو وأصحابه ومنهم غويث أحد
بنى كعب وأبو حردبة ، ومنهم شظاظ الضبي ، وقد ساموا الناس شراً ولم يكن
مالك بأقل أصحابه فتناً وفجوراً . وفي ذلك يقول الراجز

والله نبجاك من القصيم ومن أبي حردبة اللثيم
ومن شظاظ فاتح العكوم ومالك وسيفه المسموم
ثم طال توحش مالك في البادية وفتيكه بها حتى كان عصره مماوية فغزا في جيش
سعيد بن عثمان بن عفان .

النقد الادبي

في صدر الاسلام

- ١ -

والنقد الادبي هو الحكم الذي تصدره على الشعر والنثر، وهو عند المحدثين تقدير النص الادبي تقديرًا صحيحًا وبيان قيمته ودرجته الادبية^(١)،

هو - كما أقول - تحليل الآثار الادبية والحكم عليها وبيان قيمتها الادبية. العامة والموازنة بينها وبين ما يشابهها من الآثار. د وأصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم والغرض منه دراسة الاساليب أو الكتاب أو الآراء والأفكار^(٢)

والخطابة والشعر لأرسطو هي المرجع الأول لسكل الدراسات في النقد والبلاغة^(٣)، وأرسطو أول من كتب في النقد الادبي ووضع في كتابه د فنون الشعر، قواعد للبلاغة بنى عليها طريقته في النقد^(٤)، وعلى أساس مذهب أرسطو في النقد قامت مدارس النقد الحديثة في أوربا وعلى رأسها : سانت بوف [١٨٠٤ - ١٨٩٦]، وتين (١٨٢٨ - ١٨٩٣)، وبرونتيير (١٨٤٩ - ١٩٠٧)، وجول ليمترم ١٩١٧ (٥)

والنقد في الآداب العربية هو د شرح الشعر وتقرير طريقة الشعر الجاهلي

(١) أصول النقد الادبي للشايب

(٢) ٩٠ وما بعدها مقدمة لدراسة بلاغة العرب

(٣) أصول للنقد الادبي

(٤) ١٠٠ مقدمة لدراسة بلاغة العرب ،

(٥) راجع : مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، وأصول النقد الادبي للشايب،

لتكون منهمجا للشعراء لاحتركة العقول والأفكار (١) ، وأكبرهم مظاهره عندهم هو علم البلاغة (٢)

النقد في العصر الجاهلي :

نشأ النقد في الجاهلية مرتجلا ، وكان هينا يسيرا ملائما لروح العصر وللشعر العربي نفسه (٣) ، عربي النشأة كالشعر ، لم يتأثرا بمؤثرات أجنبية ولم يقم إلا على الذوق العربي السليم (٤)

وجد في أطول تمهيد الشعر ، وفي اختيار المعلقات وتعليقها في الكعبة (٥) وفي حكومة أم جندب بين امرئ القيس وعاتمة (٦) ، وحكومة النابغة على الشعراء ، وكان تضرب له قبة حمراء بعكاظ ويأتيه الشعراء فتشده أشعارها ، (٧) ، وفي حكم ربيعة بن حذافر الأسدي على الزبرقان والمخبل السعدي وعبد بن الطبيب وعمرو بن الأهتم (٨) . ووجد في نقد الشعراء للشعر ، مرمرؤ القيس بكعب

(١) ١٥٩ مقدمة لدراسة بلاغة العرب .

(٢) ١٦٨ المرجع

(٣) ٢٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب

(٤) ٢٥ المرجع .

(٥) راجع ٣٧٩ ج ٣ العقد .

(٦) راجع ١٢٨ ج ٧ الاغانى ، وقد نقد الرافعى هذه الحكومة ورأى أنها

جائرة (٢٢٥ — ٢٢٤ ج ٢ آداب العرب للرافعى) وتابعه في ذلك محمد هاشم

(١٨٤ الادب العربي في العصر الجاهلي) ويرتاب باحث في صحة هذه القصة ،

ويرى أن امرؤ القيس غير مقصر ويقول : ولعل ذلك ما حمل ابن المعتز على أن

ينسكرك هذه القصيدة فيما أنكره من شعر امرؤ القيس (٢١ ، ٢٢ تاريخ النقد الأدبي

عند العرب) .

(٧) ١٢٣ الشعر والشعراء

(٨) ١٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب

وأخويه : الضبان والقعقاع فأنشدوه فقال : إني لأعجب كيف لا تمتلي عليكم نارا جودة شعركم ، فسموا بـ النار ^(١) ؛ ويقول النابغة : أشعر الناس من استجيد كذبه واضحك رديته ^(٢) ، وسمى كعب الغزوى كعب الأمثال لكثرة ما في شعره منها ^(٣) ، وطفيل الغزوى طفيل الخيل لكثرة وصفة إياها ، والفربن تولب المحبر لحسن شعره ^(٤) ، وسموا قصيدة سويد بن أبي كاهل بسطت رابعة الحبل لنا ، اليتيمة ، كما سموا بعد ذلك خطبة لسحبان الشوهاة لحسنها ^(٥) ويقول زهير ويروى لحسان :

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ورأى لبيد بعد شيخوخته أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طرفه ثم نفسه ^(٦) الى غير ذلك من مظاهر النقد في الجاهلية .

- ٣ -

النقد في صدر الاسلام :

وأخذ النقد في القرن الأول يسير في طريق النضوج والوضوح مع الفطرة الخالصة والذوق السليم ، وكان كثير من الخلفاء والصحابة نقادا بفطرتهم وذوقهم ، فأبوبكره يقدم النابغة ويقول هو أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبعدهم قعرا ^(٧) ، وكان عمر يتذوق الشعر وينقده ^(٨) ، وقدم زهير ولم يحكم بذلك فحسب بل شرح

(١) ٧٠ من المؤلف للأمدى

(٢) ٢٥٦ سر الفصاحة و ٨٠٥٠ ، ج ٢ العمدة

(٣) ٣٤١ معجم الشعراء

(٤) ١٨٤ المؤلف و ١١٢ ج ١ العمدة

(٥) ٢٢٥ ج ١ البيان

(٦) ٢٠ جمهرة أشعار العرب .

(٧) ١ / ٧٨ العمدة .

(٨) راجع : ٩٩ إعجاز القرآن ، ١٦٩ و ١ / ١٧٠ و ٢٢٤ و ٢ / ٢٢٥

البيان والتبيين ، ٢٨ و ٥٩ و ٦٠ و ١ / ٧٦ العمدة .

سبب حكومته بأنه كان لا يعاقل في الكلام وكان يتجنب وحشى الشعر ولم يمدح أحداً إلا بما فيه (١) ، وكان يرى أنه أشعر الناس (٢) ، وكان يجلس هو وأصحابه فيتذاكرون الشعر والشعراء وأبيهم أشعر (٣) ، وقال لوفد غطفان عن النابغة إنه أشعر شعرائهم (٤) . وكذلك على بن أبى طالب وكان يقدم امرأ القيس على الشعراء لأنه أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة (٥) ، وكان معاوية يفضل مزينة في الشعر ويشيد بذكر شاعرها في الجاهلية زهير وشاعرها في الاسلام ابنه كعب .

وأنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول طرفة :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالآخبار من لم تزود

فقال : هذا من كلام النبوة .

وذكر امرؤ القيس والشعراء عند رسول الله فقال : هو قائدهم وصاحب لوائهم .

وقال عمر بن الخطاب :

أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجاته ، يستعطف بها قلب الكريم ، ويستميل بها قلب اللئيم .

وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غطفان : من الذى يقول :

خلفت فلم أترك لنفسك ربة وليس وراء الله للمرء مطلب

قالوا : نابغة بنى ذبيان قال لهم : فمن الذى يقول :

(١) ١٢٥ الموازنة ، ٨٠ / ١ العمدة ، ٣٢ جمهرة أشعار العرب . والمعاظلة

وتفسيرها في الموازنة وسر الفصاحة و ٣٢ الجمهرة وص ١٠٥ نقد الشعر .

(٢) ٣٧٩ / ٣ العقد وما بعدها .

(٣) ٣٢ الجمهرة .

(٤) ٣٤ الجمهرة .

(٥) ٢٧ و ٢٨ / ١ العمدة .

أنتك عاريا خلة . أ ثيابي على وجل تظن بي الظنون
فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

قالوا . هو النابغة : قال هو أشعر شعرائكم . ولا بدع فعمركم يعرف قدر
الشعر ويستمتع لأراء الشعراء .

سئل مالك بن أنس من أين شاطر ابن الخطاب عماله فقال . أموال كثيرة
ظهرت عليهم وأن شاعراً كتب إليه يقول

نحج ونغزو اذا غزوا فاني لهم وفر ولسنا بنى وقر
اذا التاجر الهندي جاء بفارة من المسك راحت في مفارقهم تجرى
فـونك مال الله حيث وجدته سيرضون أن شاطرهم منك بالشطر
قال : فشاطرهم عمر أموالهم .

وقال ابن عباس . قال عمر بن الخطاب ، أنشدني قول زهير فأنشدته قوله
في هرم بن سنان حيث يقول .

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابو وظاب من الأفلاذما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم باولهم أو مجدهم قعدوا
فقال له عمر . ما كان أحب إلى لو كان هذا الشعر في أهـ لو بيت
رسول الله .

ودخل ابن هرم بن سنان على عمر بن الخطاب فقال له من أنت قال : أنا بن
هرم بن سنان قال : صاحب زهير قال : نعم قال : أما أنه كان يقول فيكم فيحسن
قال : كذلك كنا نعطيه فنجزل قال : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم .

وقيل للحطيئة . هن أشعر الناس ، فاخرج لسانه وقال . هذا إذا طمع .
وقيل : بنو هذيل من أشعر قبائل العرب وأشعرهم أبو ذؤيب وأمير شعره
وغرة كلامه قصيدته التي أولها د أمن المنون وربها تتوجع ، (١) .

إلى ما سوى ذلك من مظاهر النقد في هذا العصر بما لا داعي للافاضة فيه .

أشهر الشعراء المخضرمين

مزد بن ضرار الديباني .
المخبل السعدي مات في خلافة عمر .
عمرو بن الأهتم المنقري .
لبيد بن ربيعة العامري .
ربيعة بن مقروم .
سويد بن أبي كاهل اليشكري وتوفي بعد عام ٦٠ هـ .
عوف بن عطية بن الخرج التيمي من يتم الرباب — عبد الله بن عنمة الضبي .
قيس بن الخطيم لاقى رسول الله ولم يسلم زيد الخيل وفد على الرسول عام ٩ هـ
وترفى في هذا العام .

شعراء الحامدة المخضرمون

عمر بن الأهتم — الخنساء — عمرو بن أحر — زرعة بن عمرو — عامر بن
الطفيل وفد على رسول الله — قيس بن الخطيم أدرك النبي — الحارث بن هشام
توفي عام ١٥ هـ — الضرار السلمي — عمرو بن شاس — سلم بن دارة — غسان
ابن وهلة — عبد الله بن عنمة الضبي — قبيصة بن جابر — عاتكة بنت عبد المطلب
أمية بن أبي — الصلت — أبو خراش الهذلي — عبده بن الطبيب — دريد
ابن الصمة — الأسود بن يغوث — قتيلة — النابغة الجعدي — سامة الجعفي
الشمخ — عمرة بنت الخنساء — معن بن أوس — حسان —
أبو الطمحان القيني .

شعراء الجماعة الاسلاميون

أدرك بعضهم الرسول والآخرون عاشوا في عصرى

صدر الإسلام وبني أمية

أبو الأسود ، خنزر ، مالك بن أسماء ، مدرك الفقعسى ، عمرو بن الهذيل ،
عمرو بن كميل ، حميد بن ثور ، قريظ بن أنيف ، ربيعة ابن مقروم
الضبي وشهد القادسية ، أبو كبير الهزلى صحابى ، الحريش القرينى
صحابى ، الأشتر النخعى صحابى ، عبد الله بن الحشرج الجعدى ، الفضل بن العباس
هاشمى ، جرير بن كليب الفقعسى ، الراعى ، أسحاق بن خلف ، حطان بن المعلى ،
يحيى بن منصور الحنفى ، جزء بن ضرار أخو الشماخ ، القطامى ، موسى بن جابر ،
بشامة بن حزن ، مساور بن هند ، عباس بن مرداس صحابى ، غلاق بن مروان ،
عبد الله بن مبرة ، إياس بن مالك ، أدهم بن أبي الزبراء ، خفاف بن ندبة صحابى ،
معبد بن علقمة صحابى ، شبيب بن عمر ، الكروس بن زيد ، حسان بن الجعد ،
أوس بن حنناء ، عمرو الخارجى ، سالم بن واصة ، تابعى ، هشام أخو ذى الرمة ،
متمم بن نويرة صحابى ، نهشل بن حرى ، عبد الملك الحارثى ، خلف بن خليفة ،
فاطمة الخزاعية (صحابية) - نهار بن - توسعة شبيب بن عوانه - سليمان
العدوى - شيعى - زينب الطثرية - يزيد بن الطثرية قتل فى خلافة بنى العباس
منظور بن سحيم - توبة بن الحخير الحفاجى - أبو بكر الزهرى - ابن الطثرية
أبو الأسود الدؤلى

الحياة الادبية

في العصر الأموي

٤١ - ١٢٢ هـ

تمهيد:

بدأت دولة بني أمية عام ٤١ هـ، على يد معاوية بن أبي سفيان بعد أن تنازل الحسن بن علي له عن الخلافة .

وتولى الخلافة عدة خلفاء كان لهم أثرهم الكبير في تشجيع اللغة والأدب والعلم وإعزاز شأن الأدباء والشعراء .

وهؤلاء الخلفاء هم :

معاوية بن أبي سفيان مؤسس دولة بني أمية ^(١) (٤١ - ٦٠ هـ) .

يزيد بن معاوية (٤٠ - ٦٤ هـ) .

معاوية بن يزيد (٦٤ - ٦٤ هـ)

مروان بن الحكم ^(٢) (٦٤ - ٦٥ هـ)

عبد الملك بن مروان ^(٣) (٦٥ - ٦٦ هـ)

الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ)

سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ)

عمر بن عبد العزيز بن مروان (٩٩ - ١٠١ هـ)

يزيد بن عبد الملك بن مروان (١٠١ - ١٠٥ هـ)

(١) كان من أعظم ولاته وأشهرهم زياد بن أبيه المتوفى عام ٥٣ هـ

(٢) وقد بدأ في عهده حكم عبد الله بن الزبير في الحجاز من عام ٦٤ هـ

واستمر حتى قضى عبد الملك بن مروان على ثورته عام ٧٣ هـ

(٣) وأشهر ولاته الحجاج بن يوسف الثقفي (٤١ - ٩٥ هـ)

هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) .

الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ - ١٢٦ هـ) .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦ - ١٢٦ هـ)

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (١٢٦ - ١٣٢ هـ) .

ومروان هو آخر بني أمية قتله بنو العباس وتولى السفاح الخلافة باسم العباسيين في الكوفة عام ١٣٢ هـ .

كانت دمشق مقر دولة بني أمية ، وبنوا فيها القصور والمساجد والدواوين والمتنزهات والقلاع والحصون فاتسع عمرانها وزادت حضارتها وكثرت مجالس الأدب ودور العلم فيها ، ووفد إليها الناس في مختلف أمورهم ومصالحهم وكانت درله بني أمية تعتز بالعرب وترفع من شأنهم ولا تنظر إلى الموالي نظرة رعاية أو تقدير ، وهكذا كانت دولة بني العباس أعجمية خرسانية ودولة بني أمية عربية أعرابية ^(١) وكانت بنو أمية . لا تستخلف بين الأمام ^(٢) ولا تبائع لبني أميات الأولاد ^(٣) ،

كما حافظ الخلفاء الأمويون على الصبغة والثقافة العربية ، فنشأوا أبناءهم بالبادية يتعلمون فيها الشعر والأدب واللغة ، ويكتبون المصاحف والفطرة والطبع ، ويعتقدون المجالس الأدبية ويستدعون الرواة والأدباء والشعراء ويكافئونهم بجزيل العطاء وسنى المواهب فوق عطفهم وبرهم بالعرب ، وقصر وظائف الدولة عليهم وحدهم من ولاية وقيادة جيوش وتنظيم دواوين إلى غير ذلك من كبرى المناصب في السياسة والقضاء والإدارة .

(١) ٢/٢٠٦ البيان والتبيين .

(٢) ١٨٠ / ٤ العقد

(٣) ١٨١ / ٤ العقد .

وهكذا شجعت دولة بني أمية الجنس العربي والقت في يده زمام أمور الدولة بعكس بني العباس .
وقد تمت الحواضر الإسلامية الكبرى كالكوفة والبصرة والفسطاط ومكة والمدينة وسواها من الأمصار
وستنكم بعون الله عن حياة الأدب واللغة والعلم والنقد في هذا العصر
الزاهر وما توفيقى إلا بالله .

سياسة الدلة الجديدة

١ — كان معاوية رأس الدولة الأموية ومنشؤها داهية أرييا حصيفا ؛ وكان يعتز بأسرته الأموية اعتزازا كبيرا لتأييد دولته الجديدة وملكه الناشئ الفتى .
وكان أظهر أعماله أنه نقل الحكم الإسلامي من خلافة شوربة الى ملك مستبد يحرص على تثبيتته ودعمه وإعلاء صرحه ، ولو فوق جثث الضحايا وأشلائهم .
واستعان معاوية في هذا بأسرته من بني أمية وبني عبد شمس ، كما استعان بالقبائل العربية المقيمة في بلاد الشام وحواليها والتي أغدق عليها العطاء .
وهو وال لعمر وعثمان على الشام ، ثم وهو يتقارع على بن أبي طالب ويحالده بالسيوف في سبيل الملك ، ثم وهو خليفة وأمير للمسلمين بعد تنازل الحسن بن علي لة عن الخلافة .

وعمل معاوية على إيقاع الخلاف بين القبائل المختلفة وضرب بعضها ببعض ، وتحريض بعضها على الآخرين ، وبذلك أحييا العصبية القديمة التي حاربها الإسلام ورسوله وكتابه الكريم ، كما حاربها أبو بكر وعمر طول عهد خلافتها رضوان الله عليهما .

لم يكن معاوية يثق بأهل مكة والمدينة لانحياز زعمائها إلى أهل بيت الرسول ، ولا بالعرب المقيمين في الكوفة والبصرة لان الكثير منهم شيعيون ، ولكنه جهد في استئالة العرب القاطنين في بلاد الشام وعلى مشارفها : كما جهد في استئالة القبائل

البنية ، وتزوج من إحدى بطونها ، من قبيلة كلب ، أم ابنه يزيد ، كما جهد في استئالة القبائل القيسية وبعض القبائل المضرية إليه .

وفي سبيل ذلك أكثر من الوعد والوعيد ، وبذل الأموال و فرق العظام ، وأكثر من الاغداق على أهل الحجاز وخاصة مكة والمدينة لأنهم أصحاب الرأي النافذ بين المسلمين ، وضاعف عطاء الحسن والحسين أضعافا كثيرة فجعله ألف ألف درهم وكان على عهد عمر خمسة آلاف .

وبذلك استتب الأمر لمعاوية الداهية العبقري ، وكان معاوية رضى الله عنه يقول تصويرا لدهائه وسياسته . والله لو كان بنى وبين الناس شعرة ما انقطعت إن شدوا أرخيت وإن أرخوا شددت .

٢ — ولما مات معاوية لم يخلفه أحد في الملك يشبهه في الدهاء والسياسة ، فافترق المسلمون وشبت الثورات وكثرت الأحزاب : من شيعة أنصار بيت علي في الحجاز والعراق ، وزبيريين يشايعون آل الزبير في الحجاز وغيرها ، وخوارج خرجوا على الاستبداد والملك العضوض ، وأمويين يدافعون عن ملكهم ونفوذهم .

ووجد ملوك بني أمية أن لا شيء يعيد إلى دولتهم هيبتها واطمئنانها إلا الاستبداد والسف والطغيان ، فوكلوا بالعراق الحجاج بن يوسف الثقفي يملأ الأرض رعباً وخوفاً وجوراً ، ووكلوا بالبلاد الأخرى ولادة بأمروهم باليقظة والحزم والدهاء والمكر والطغيان

وهكذا ظلت الدولة تموج بالعصبيات إلى عهد انتقضائها ، بل إنها كانت السبب الأخير في القضاء عليها وتمهيد الأمر لبني العباس .

وكان الشعراء يغذون العصبيات ويلقون القصائد الجيدة مشيدة بذكر الأحزاب التي ينتمون إليها ومنندة بمثالب الأحزاب الأخرى ، ومن ذلك أن الهاشميين أخذوا يحرضون الكهيت الشاعر على إثارة العصبية بشعره ، جاء في مروج الذهب للمسعودي أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال

للحكيم ، إني قد رأيت أن تقول شيئاً تغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث
فيخرج من بين أصابعها بعض ما نحب ، فأنشد قصيدة ذكر فيها مناقب بني نزار
من ربيعة ومضر وأطنب في وصفهم وفضلهم على بني قحطان وعرض بما كان من
شأنهم مع الأحباش وغيرهم من هذه القصيدة قوله

لنا قمر السماء وكل نجم تشير إليه أبلق المهدينا
وجدت الله إذ سمي نزارا وأسكنهم بمكة قاطنيننا
لنا جعل المكارم خالصات وللناس القفا ولنا الجبيننا
وما ضربت هجائن من نزار فوالح من فحول الأعجميننا
وما وجدت بنات بني نزار حلائل أسودين وأحمريننا

وقد نرى هذا القول في النزارية واليمينية فافتخر كل قبيل بما له من مآثر . وفي
العصر العباسي قال دعلج بن علي الخزاعي ينقض على للحكيم قصيدته ويذكر مناقب
اليمن ويعرض بل ويصرح بنقائص غيرهم في قصيدته التي أولها :

أفبق من ملامك يا ظعينا كفاك اللوم مر الأربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالي يشين الذوائب والقرونا
أحى الغرم من سروات قرى لقد حيدت عنا يا مدينة
فان يك آل إسرائيل منكم وكنتم بالآعاجم فاخرينا
فلا تنس الخنازير اللواتي مسخن مع القرود الخاسئينا
بأيلة والخليج لهم رسوم وآثار قدمن وما محينا
وما طلب الحكيم جلاب وتر ولكننا لنصرتنا هجيننا
لقد علمت نزار أن قومي إلى نصر النبوة فاخرينا

ونشأ عن إحياء هذه العصبية الممقوتة آثار كثيرة بعضها سياسي وبعضها اجتماعي
وبعضها أدبي

أما الآثار السياسية فقد كثرت الخلافات والثورات والحروب بين العرب
بعضهم وبعض وبين العرب والموالي وبين أبناء وفروع الأمويين أنفسهم

وأما الآثار الاجتماعية فانك تعلم أن إحياء العصبية معناه سيطرة التفكير الجاهلي على الناس والساسة ، وبذلك انحرف الأمويون بل الناس كلهم عن منهج الإسلام الذي يجعل الناس إخوة متحابين ويفرض على الحاكم العدل والمساواة والحرص على حريات الناس جميعاً

وأما الآثار الأدبية فقد عادت الفنون الأدبية الجاهلية القديمة إلى الظهور ، من انقحر الكاذب والمنافرات والمفاخرات المرة بين العرب في مجتمعاتهم الأدبية وعلى الأخص في « المربد » بظاهر البصرة وفي الكناسة حوالى الكوفة . وبعد فعناصر سياسة الدولة الجديدة هي :

١ — دعم الملك الأموى بأى ثمن كان ؛ والقضاء على الأحزاب المنافسة لهم من شيعة وزبيريين وخوارج

٢ — إحياء العصبية العربية محافظة على مجد بنى أمية وسلطانهم

٣ — رفع شأن العرب كافة والاعتزاز بالعنصر العربى وعدم إدخال أحد من الموالى فى مناصب الدولة وخاصة كبارها إلا للضرورة الملحة

٤ — إحياء الآداب العربية القديمة وخاصة الشعر الجاهلى وتشجيع الثقافة والعلوم على وجه عام .

٥ — تشجيع العمران والحضارة والاقتباس من مدنيات الأمم القديمة كل ما هو صالح ومفيد

٦ — وأكبر ماثرة للأمويين هى إتمام سلسلة الفتوحات الإسلامية العظيمة فى الشرق والغرب والشمال والجنوب

إلى غير ذلك من العناصر البارزة فى سياسة هذه الدولة الجديدة وأهم الآثار الكبيرة لهذه السياسة :

١ — كثرة ألوان الاضطهاد والعسف فى سياسة الدولة ومعاملة الناس وما يتبع ذلك من خنق للحريات واستهانة بالأرواح والدماء

٢ — تدمير الموالى وانضمامهم لأعداء بنى أمية وعلى الأخص الشيعة مما كان سبباً للقضاء على الدولة نفسها

- ٣ — انتشار الترف واللهو في الشمام وحيث الاموال الكثيرة والعطاء الضخم في الحجاز وعلى الاخص مكة والمدينة
- ٤ — عودة عادات وألوان التفكير والشعور ومظاهر المعيشة الجاهلية إلى الحياة في هذا العهد
- ٥ — انتشار اللغة العربية في شتى أرجاء العالم
- ٦ — سير الحياة الاسلامية إلى الحضارة والمدنية والعمران
- ٧ — ظهور الموالى في ميادين الثقافة والأدب والعلم لا في ميدان السياسة إلى غير ذلك من هذه الآثار

الموالي

في الدولة الأموية

١ — اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد بني أمية ، فشملت الأندلس وشمال افريقية والشام وجزيرة العرب والعراق وفارس وجزءا من الهند ، كما وصلت الفتوحات الإسلامية إلى سوى ذلك من النواحي والبلاد

وخضعت هذه الأمم كلها للحكم العربي ، سواء منها الدول ذات الحضارة والدول التي لم تصطبغ بصبغتها ، فوجدوا في الإسلام العدل والأمن والسلام ، وأخذوا يتعلمون اللغة العربية لأنها لغة الدين والقرآن ولحاجتهم إليها في التفاهم مع الولاة والحكام والعمال ، وهي فوق ذلك اللغة الأولى في العالم كله آنذاك فهي لغة الثقافة والآداب والعلوم والفنون والسياسة .

٢ — وكان لبعث الموالى عن سياسة الدولة وشؤونها العامة بأقصاء الأمويين لهم كما كان لانحذارهم من عناصر متحضرة أخذت بقسط من الثقافة والمدنية والمعرفة ، أثر كبير في تفوقهم في ميدان العلم والآداب .

فجلسوا في مجالس الصحابة يدرسون القرآن وعلومه والحديث وروايته والتاريخ وأيامه ومفاخر العرب وما أثرهم . كما جلسوا في مجالس الأدباء والشعراء والرواة يثقفون أنفسهم بالشعر ويتأدبون بروايته وينظمه أحيانا

فكان من الموالى الشعراء كزياد الأعجم واسماعيل بن سيار وأخيه موسى شهوات .

وكان منهم العلماء في علوم الدين والشريعة كنافع وربيعه الراى شيخ الامام مالك وسليمان بن يسار وكان من أعلم الناس وفقهم وكانوا بالمدينة ومنهم مجاهد وعكرمة وعطاء بمكة

والحسن بن يسار والحسن البصرى وابن سيرين بالبصرة . يزيد بن حبيب شيخ الليث بن سعد في مصر . مكحول بن عبد الله في الشام .

إلى غير هؤلاء من الأعلام في الدين والشريعة والحديث والتفسير واللغة من الموالي في عصر بتي أمية

٣ - ولما كانت اللغة القبطية ولغة الروم وآدابهما وثقافتهما مازال باقية في مصر والشام . واللغة الفارسية مازال ذائعة في بلاد فارس وبعض جهات من العراق .

فقد كانت دواوين الدولة ومصالحها الحكومية واعمالها تكتب في مصر باللغة القبطية وفي الشام باللغة الرومية وفي العراق وفارس بالفارسية . وكان لابد من الاستعانة بالموالي في هذه الدواوين للكتابة فيها وظل الأمر على ذلك مدة حتى حوالت دواوين (١) العراق إلى اللغة العربية بأمر الحجاج ودواوين الشام في عهد عبد الملك ودواوين مصر في عهد الوليد بن عبد الملك وبذلك انفسح المجال للعرب في هذه الناحية أيضا .

وكان الذي نقل دواوين الخراج في العراق إلى العربية صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان صالح من الموالي . أما دواوين الشام فكانت بالرومية وكان يتولى أمورها سرجون بن منصور من عهد معاوية إلى أيام عبد الملك ثم نقلت إلى العربية على يد سليمان بن منصور أماديوان مصر فقد كان بالقبطية وحول في عهد الوليد بن عبد الملك إلى العربية على يد عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر وبذلك خلصت أعمال الدولة للعرب إذ كان ديوان الخند والرسائل وجمع مرافق الدولة عربية ماعدا ديوان الخراج فلما حول صارت سائر أعمال الدولة مصطبغة بالصيغة العربية الخالصة .

٣ - ومن المعلوم أن الموالي كانوا من عناصر مختلفة واجناس متباينة

(١) الديوان الكتاب الذي يكتب فيه أهل العطية والمراتب ، ثم نقل الى المكان الذي يجتمع فيه الكتاب لذلك وأول من وضعه عمر فهو أول من دون الدواوين في الاسلام وكانت مقصورة على الضروري منها لمكان البداوة من الامة

فمنهم الفارسيون ومنهم من هو من عنصر رومى أو قبلى أو ترعى أو سوى ذلك ذلك وكان بعضهم يحدرون من أمم متحضرة ذات مدنية وثقافة والبعض الآخر ليسوا كذلك الأولون هم الذين أفادوا الأمة العربية بما حملوه معهم من ذكاء ومعرفة وثقافة ونظام ومدنية .

وكان من أفذاذ الموالى فى العصر الأموى سـ المولى هشام بن عبد الملك وعبد الحميد الكاتب الذى كان أصله من الأنبار .

٤ - على أن من الثابت أن الموالى لم يكونوا موضع تقدير فى العصر الأموى لبعدهم عن سياسة الدولة وتصريف شئونها وتولى مناصبها وكانوا يعملون فى حقل الثقافة والأدب أو فى بيوت العظماء والأثرياء أو فى الحرف الصغيرة المهمة

انتشار اللغة

وقيامها بمقتضيات الملك والسياسة

١ - علمت مما سبق أن الفتوحات الإسلامية كثرت فى العصر الأموى حتى وصلت جيوش المسلمين إلى الهند والأندلس وحكم العرب هذا البلاد المفتوحة وأخضعوها لنفوذهم وسلطانهم وصاروا حكامها وأمرائها ونشروا فيها دينهم ولغتهم وآدابهم ونزح العرب إلى هذه البلاد المفتوحة فأقاموا فيها وعمروها وخالطوا أهلها ونشروا اللغة العربية فى كل مكان .

وأخذ أهل هذه البلاد المفتوحة يتعلمون العربية ويدرسونها ويتخذونها لغة لهم يتفاهمون بها مع حكامهم وولاتهم من العرب ولم يقفوا عند هذا الحد من التخاطب باللغة والتفاهم بها بل أجادوا العربية ودرسوا آدابها ونظموا الشعر وتفقهوا فى شتى العلوم سواء منها العلوم الإسلامية الأصلية أم علوم ومعارف أممهم القديمة المتمدينة التى أذاعوها ونشروها فى البيئة العربية الإسلامية الجديدة .

يقول ابن خلدون : ولما هجر الدين اللغات الأجنبية وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيا هجرت كلها فى جميع مما لكها ، لأن الناس تبع للسلطان وعلى وعلى دينه ، قصار استعمال اللسان العربى من شعائر الإسلام وطاعة العرب ،

وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأقطار والممالك ، وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم وصارت الألسنة دخيلة فيها وغريبة .

٢ - ولا ضير على اللغة إذا كان قد دخلها بعض اللحن وأصاب ملكاتها شيء من العي والعجز والقصور فإن القرآن الخالد قد حفظ اللغة العربية وخلدها إلى ما شاء الله .

نعم لقد كان من آثار الفتوحات الإسلامية وانتشار اللغة العربية في كل مكان أن :

أ - خالط العربي أهل هذه البلاد المفتوحة وسمع لمكتهم وعيهم وتحريفهم في ألفاظ اللغة فأصاب ملكته العربية الأصلية شيء من العدوى واعتراها بعض القصور .

ب - وتزوج العربي من الموالى كما تزوج بعض الموالى من العربيات وإن كان ذلك قليلاً نادراً فنشأت ذرية ملقحة بعضها من الأولاد الهجن الذين أبأؤهم من العرب وأمهاتهم من الموالى وبعضها الآخر من المقرفين وهم الذين كان آبأؤهم من الموالى وأمهاتهم من العرب ومن غير شك أن لغة هذه السلالات لا تصل إلى لغة العرب الخالص الأحرار .

ج - كما كثرت الجوارى والقيان والمرييات الروميات والفارسيات والقبطييات في قصور الخلفاء والأمراء والأثرياء فنشأ أبناؤهم ضعاف الملكة مضطربى اللهجة واللغة كثيرى اللحن والتحريف .

ولكن جد الخلفاء والعلماء في المحافظة على اللغة العربية ، دفع عادية هذا الفساد وأضعف من شأن هذه العدوى

٣ - ولقد قامت اللغة العربية في العصر الأموى بمقتضيات الدين والمملك والسياسة إلى حد بعيد مما يتجلى لك فيما يأتى :

أ - حولت دواوين الخراج إلى اللغة العربية في شتى البلاد الإسلامية ، وكانت من قبل تكتب بلغة الأقليم التى هى فيه ، فهى فى العراق بالفارسية ؛ وفى

الشام بالرومية ، وفي مصر بالقبطية ، فحوت دواوين العراق إلى العربية في عهد الحجاج وعبد الملك ، كما حوت دواوين الشام من الرومية إلى العربية في عهد عبد الملك أيضا بعد أن رأى من إدلال كاتبه سرجون ، وكان الذي حولها له في الشام إلى العربية هو سليمان بن مسرور فذب الحزن إلى قلب سرجون حتى قال لمن معه من كتاب الروم :

اطلبوا الرزق من غير هذه الصناعة ، فقد قطعها الله عنكم . ولما حول صالح ابن عبد الرحمن السجستاني للحجاج دواوين العراق إلى العربية ^(١) ، أراد الكتاب الفرس أن يحولوا بالمال بينه وبين ذلك ، فبدلوا له مئتا ألف درهم على ألا يفعل فإني فقالوا :

قطع الله أصلك من الدنيا بعد أن قطعت أصل الفارسية . وتم منذ ذلك الحين نقل ديوان العراق ، وكان الذي يتولى الكتابة فيه الفارسية زادان فزوج بن يدي

وأما ديوان مصر فقد حوله عبد الله بن عبد الله ابن مروان أمير مصر من قبل الوليد بن عبد الملك وكان يقوم بالكتابة فيه بالقبطية انتشاش القبطي فصرفه عبد الله وأقام مكانه ابن يربوع الفزارى

ب -- كما قامت اللغة بالتعبير عن ألوان الحياة الجديدة الناشئة على العرب في دولة بني أمية فالقصور الباذخة والجيش العديدة والغلمان والعبيد والحجاب والقهارم والموسيقى والغناء والجيش والاساطيل والقلاع والبريد وسك النقود وديوان الخاتم وديوان الرسائل وديوان الجند غير ذلك من مظاهر الملك والوان المدنية الجديدة ومشاهد العمران والترف ، قد راض العرب لغتهم على التعبير عنها وعمما تتطلبه شتى ألوان الحياة ، فلم تعجز اللغة بل نهضت بكل ذلك دون وناة أو فتور ، سواء بما فيها من الفاظ ومفردات وأساليب وثروة لغوية

(١) وفي العقد الفريد : أن قحذم جد الوليد بن همام القحذمي هو الذي قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية (١١ - ٣ العقد)

ضخمة أم بما عربه العرب من الألفاظ الأعجمية. فوضعوا أسماءاً للمسميات الجديدة: بنقل بعض الألفاظ العربية عن معانيها الأصلية إلى معانٍ أخرى؛ أو بالتعبير عنها بالألفاظ المعربة؛ فمن الألفاظ في تمييز الجند وأنواع أسلحتهم إلى مصطلحات الدواوين وما تقتضيه الحضارة والعمران والثقافة

ومن الألفاظ المعربة: الطست والطبق والبلور واللوز والطنبور والفرسخ والبريد والمارستان وسواها

ج - ونهضت اللغة بشتى ألوان العلوم والثقافات وتدوينها دون تقصير أو عجز، فبدأت النهضة العلمية والفكرية وقام العلماء بتدوين آرائهم فى شتى علوم الدين والدنيا تساعدهم على ذلك لغة طيبة مرنة واسعة الجوانب

د - كما عبرت اللغة عن شتى نظم الملك والسياسة والقضاء والإدارة والأدب وافن حتى ورثنا ثروة ضخمة من آثار هذا العصر الأدبية الرائعة وحسبنا ذلك الآن

طرق اللحن ووضع النحو والنقط والشكل

اللحن ونشوء العامية

١ - علمت أن العرب فتحوا كثيراً من البلاد والأمصار ودخل أهلها فى دين الله أفواجا وتعلموا القرآن ودرسوا اللغة العربية وتكلموا بها فبدأت اللكنة تظهر فى كلامهم كما بدأ اللحن واضحا فى نطقهم ولا شك أن العربى بمخالطة للدخلاء على العربية ولسانها قد أصابته عدواهم وانتقلت إليه آثار من لكنتهم ولحنهم

كما أن نشأة أولاد الأمراء والخلفاء والأثرياء بين أمهات أو مربيات أعجميات كان له أثره فى إفساد طباعهم وفطرتهم الأدبية الموروثة

كما أن الذين أسلموا من الموالى والعجم وتعلموا اللغة العربية ونطقوا بها لم يخل كلامهم من لكنة ولحن مما بدأ فى الظهور فى عهد الدولة الأموية متمثلاً فى اللحن

والعى وفساد الملكات وظهور اللكنة حتى كان الخلفاء والأمراء يدفعون هذه العدوى بتربية أولادهم في البادية وتثقيفهم على يد الأسانذة والمعلمين حتى يتعودوا البلاغة والفصاحة من صغرهم

وكان اللحن عيباً كبيراً وهجئة للرجل ووصمة شديدة

وكان اللحن يقع في محادثتهم وحوارهم ومعتاد كلامهم وقد أسرعوا بوضع اللحن ثم الشكل ثم الاعجام حفظاً للألسنة من الفساد وللملكات من العى
٢ — واللحن لم يقع في العصر الجاهلي لأن الإعراب جزء من لهجة العربي الفصيح لا ينفصم عنها.

كما أنه لم يقع في عصر النبوة وما بعده من العرب إلا نادراً وذلك لسلامة الملكات وقلة اختلاط العرب بغيرهم وقرب عهدهم بالبداءة. روى أن كاتب أبي موسى الأشعري كتب عنه كتاباً إلى عمر فلمحن فأرسل إليه عمر أن قنع كاتبك صوتاً وكان ما لحن فيه قوله في أول الكتاب: «من أبو موسى الأشعري». ولحن رجل في مجلس النبي «ص»، فقال: «أرشدوا أخاكم فقد ضل».

نعم وقع لحن من الموالى المسلمين في عهد النبوة كما وقع من سلدان الفارسي وكان يرتضخ لكنة فارسية وبلال وكان يرتضخ لكنة حبشية وصهيب وكان يرتضخ لكنة رومية ولكن عذر هؤلاء واضح لأنهم حديثو عهد بالاسلام واللغة وشتان بين هذا وبين ما وقع في العصر الأموي

٣ — ومن اللحنين خالد القسري وكان متقدماً في الخطابة ومتأهياً في البلاغة فخرج عليه المغيرة بن سعيّد بالكوفة ودعوا على المنبر فقال: «أطعموني ماء»^(١) وكانت أمه نصرانية

ومن اللحنين أيضاً الوليد بن عبد الملك أشفق عليه أبوه فلم يرسله إلى البادية فتربى في دمشق وتعلم المربية صناعة فعرض لكلامه اللحن فهو مع بلاغته يقول لأبيه: «اقتل ابني فديك ويقول لغلّامه: «رد الفرسان الصادان وبقراً: يا ليتها

كانت القاصية برفع القاضية ، ويقول عبد الملك : أضر بالوليد حبنا له فلم نوجهه إلى البادية^(١)

ومن اللحنين أيضاً عبيد الله بن زيادو كانت فيه لكنة لأنه نشأ بالاساور مع أمه مرجانة . قال مرة : افتحوا سيوفكم فقتال : يزيد بن مفرغ
ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكان أمرك للضياع

٤ — ويقول عبد الملك بن مروان : اللحن هجنة على الشريف ، وقال غيره : تعلموا النحو كما تعلمون السنن والفرائض ، ويقول أيوب السخيتاني : تعلموا النحو فانه جمال للوضيع وتركه هجنة للشريف .

وأول لحن سمع بالبادية : هذه عصاتي ، وأول لحن سمع بالعراق : حى على الفلاح .

وقد وقع اللحن الكثير في هذا العصر يقول رؤبة وأبو عمر بن العلاء إنهما لم يربا قرويين أفصح من الحسن البصرى والحجاج ، وغلط الحسن في حرفين من القرآن ، كما نسب للحجاج لحن في بعض المواطن ،

وأما اللحن واللكنة كثيرة ، ويقول المبرد في اللكنة هي أن تعترض على الكلام اللغة الأعجمية^(٢) وتكون من العجم ، ومن نشأ من العرب مع العجم كما يقول الجاحظ^(٣) ، ويقال في لسانه لكنة ، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب ، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول^(٤) ، فهي العجز عن وضوح اللمجة وصحة مخارج الحروف .

(١) ١٥٤ ج ٢ البيان والتبيين

(٢) ٣٦٩ ج ١ الكامل

(٣) ٦٩ ج ١ البيان

(٤) ٤٨ ج ١ البيان

٥ - وبعد فآثار اختلاط العرب بالعجم والموالي ظهرت في الالاسنة في مظاهر كثيرة هي : اللحن واللكنة وضعف الملكة والطبع .

وللاحتراز عنه وضعوا كما قلنا النحو والشكل والاعجام .

وكان الخلفاء يكرهون اللحن ويحذرونه للغاية حتى قال عبد الملك بن مروان : شديني صعود المنابر والخوف من اللحن .

وضع النحو :

١ - والنحو هو العلم الذي يرشد الى معرفة حركة آخر الكلمة . وقد كان ذلك ضروريا للسان العربي بعد أن دب اللحن الى الملكات والالاسنة ، ولقد كان العرب في جاهليتهم يعتمدون على سليقتهم السليمة وفطرتهم العربية الصادقة ، فلم يقع منهم لحن ، ولكن اختلاط العرب بالعجم والموالي بعد الفتوحات الاسلامية جعل وضع النحو ضرورة لا بد منها للمحافظة على القرآن الكريم ولغته الشريفة . والناس يختلفون في الداعي الذي حفز القدماء الى وضع النحو ، وفيمن وضعه اختلافا كثيرا ، مما سنفصل القول فيه .

٢ - أما سبب وضع النحو ففيه روايات كثيرة :

١ - قيل إن معاوية كتب إلى زياد يطلب عبد الله ابنه فلما قدم عليه وجده يلحن فردّه إلى زياد وكتب إليه كتابا يلومه فيه على ذلك فبعث زياد إلى أبي الأسود وطلب منه أن يضع شيئا يصلح الناس به كلامهم ويعرفون كلام الله تعالى فأبى ذلك أبو الأسود فوجه زياد رجلا وقال له اقعد في طريق أبي الأسود فاذا مر بك فاقرأ شيئا من القرآن وتعمد اللحن فلما مر أبو الأسود رفع الرجل صوته وقال إن الله برىء من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله ثم رجع من فوره إلى زياد وقال له قد أجبتك إلى ما سألت

ب - وقيل إن أبا الأسود كان يعلم أولاد زياد وهو والى العراقيين يومئذ فجاءه يوما وقال له : أصاح الله الأمير إني أرى العرب قد خالطت الاعاجم

وتغيرت ألسنتهم أفأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون أو يقيمون به كلامهم؟ قال : لا ، فجاء رجل إلى زياد وقال : أصلح الله الأمير توفي أبانا وترك بنون ، فقال زياد : ادع لي أبا الاسود ، فلما حضر قال : ضع للناس الذي نهيتك عنه .

ج - وقيل إن ابنة لآبي الاسود تحدثت إليه فقالت : يا أبت ما أحسن السماء فقال نجومها . فقالت إنما أردت أن السماء حسنة فقال لها قولي : ما أحسن السماء ! ثم غدا على علي رضي الله عنه فحدثه حديث ابنته وقال إنني أخاف أن يفسد لسان العرب بمخالطة هذه الحمراء ، فأملى على رضي الله عنه بعض قواعد الكلام وقال له انح هذا النحو ، فكان أبو الاسود كلما عتمد فصلا راجعه فيه أمير المؤمنين فأقره أو هذبه .

د - وقيل إن أبا الاسود دخل على علي رضي الله عنه فوجد في يده رقعة حمراء فقال له ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال : إنني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه ثم ألقى الرقعة إلى أبي الاسود فاذا فيها : الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى الفعل ما أنبأ به والحرف ما أفاد معنى . ثم قال لآبي الاسود : انح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك ، واعلم يا أبا الاسود أن الاسماء كلها ثمثة : ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر ، وإمما يتفاضل الناس يا أبا الاسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر وأراد بذلك المهمات . قال أبو الاسود ثم وضعت بابي العطف والنعت ثم بابي التجب والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب إن وأخواتها فلم أذكر لكن فلما عرضتها على علي عليه السلام أمرني بضم لكن إليها . وكنت كلما وضعت بابا عرضته عليه إلى أن حصت ما فيه الكفاية فقال لي ما أحسن هذا النحو الذي نحوت .

وقيل إن أبا الاسود هو الذي ابتكر التقسيم الأول للكلام وأراه عليا عليه السلام فأقره .

هـ - ويروى أيضا أنه قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

فقال من يقرئني شيئاً مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فأقرأه رجل سورة براءة فقال إن الله برىء من المشركين ورسوله بالجر فقال الأعرابي أو قد برىء الله من رسوله أن يكن الله تعالى برىء من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر عليه السلام مقالة الأعرابي فدعاه فقال يا أعرابي أبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال يا أمير المسلمين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن فسألت من يقرئني ؟ فأقرأني هذا سورة براءة فقال إن الله برىء من المشركين ورسوله فقلت له أو قد برىء الله تعالى من رسوله إإن يكن الله تعالى برىء من رسوله فأنا أبرأ منه ، فقال عمر رضى الله عنه ليس هكذا يا أعرابي فقال كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال ان الله برىء من المشركين ورسوله فقال الأعرابي وأنا والله أبرأ ممن برىء الله ورسوله منهم ، فأمر عمر رضى الله عنه أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود الدؤلى أن يضع النحو (١)

٣ — وأما واضع النحو ، فأغلب الروايات متضافرة على أنه أبو الأسود الدؤلى العالم الخالد المتوفى عام ٦٩ هـ سواء كان هو الذى ابتكره من نفسه أم أن الامام على بن أبى طالب أرشده إلى الاساس الذى يبنى عليه ويقول عبد القادر البغدادى : وهو واضع علم النحو بتعليم على رضى الله عنه (٢)

وكان أبو الأسود غاية فى الذكاء والحدق والعبقريّة وكان من سادات التابعين وصحب على بن أبى طالب وشهد معه صفين ثم أقام فى البصرة واتصل بزياد فكان أثيراً لديه وتوفى عام ٦٩ هـ

٤ وبعد فبإزاء كان أبو الأسود وضع النحو بنفسه أم أن علياً وضع له الاساس فبنى هو عليه ، فان لأبى الأسود فضلاء عظاماً خالداً فى هذا المجال ، وكان أبو الأسود يقيم بالبصرة ، فأخذ عنه تلاميذ كثيرون منهم : نصر بن عاصم ، وعبد

(١) نزهة الالباب ص ٧ وما بعدها .

(٢) خزنة الادب ج ١ ص ٢٥٦

الرحمن بن هرمز ، ويحيى بن يعمر ، وعبسة الفيل . وميمون الأقرن . وكلهم من البصرة . وعن هذه الطبقة أخذ الخليل ثم سيوبه الذي كان من أساتذته الخليل وعيسى بن عمر والاختفش الأكبر ، ولما كانت نشأة النحو في البصرة على يد أبي الأسود وتلاميذه فقد نشأ بصريا ودرس في مساجدها ورجع علماؤه إلى اللهجات العربية حول البصرة ، ولم تنبع الكوفة في النحو إلا بعد العصر الأموي فظهرت فيه طبقة اليكسائي والفراء ويونس من أخذوا عن أبي عمرو بن العلاء ومعاصريه من البصريين : ويتمد البصريون اعتمادا كبيرا على القواعد المستنبطة من القرآن والحديث وفصح الشعر وماخالف ذلك يعتبر بساقطا ، أما الكوفيون فكانوا يدنون كل ماخالف لغة قریش من لغات القبائل الأخرى ويعتبرون ذلك فرعا من اللغة وكانوا يعتبرون ماخالف الفصح شواذ لا تقبح في الاستعمال

هـ — ومهما يكن من شيء فإن بدء تدوين النحو والكتابة فيه وانتشار مذهب البصريين النحويين ودراسته إنما كان في عهد بني أمية .

وضع الشكل :

ونريد بالشكل : الحركات وهي علامات الضم والفتح والكسر ، والسكون . ولم يكن في اللغة العربية في العصر الجاهلي ولا في صدر الاسلام شكل .

فلما انتشرا الاسلام واتسعت الفتوحات واختلط العرب بالعجم وخيف على القرآن الكريم واللسان العربي من آثار اللحن وضع النحو ، فكان عملا جليلا من أبي الأسود .

ولكن النحو لم يصد هذا السيل المتدفق وتلك العدوى المفسدة ، لأن فائدته اقتصر على الدارسين والباحثين والمتعلمين فقط ، أما أكثر الناس وجمهورهم فلم يكن يعصمهم من اللحن عاصم واحتيج إلى أمر أكثر من النحو فائدا وأسرع حفظا لالسان الناس من الخطأ في قراءة القرآن الكريم

لذلك كلف زياد والي البصرة من قبل معاوية أبا الأسود الدؤلي أن يضع طريقة

لأصلاح اللسان لأن الحرام^(١) قد كثرت وأفسدت من ألسنة العرب، قال زياد لأبي الأسود: فلو وضعت إذا شيئاً يصلح به الناس كلاً، هم ويعربون به كتاب الله فقال أبو الأسود أو أزيد على المصحف شيئاً لم يزد الساف!! فقال زياد لقد كتب عثمان المصاحف وما كانت مكتوبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من شيء تعلمه وفيه صلاح للمسلمين إلا وهو خير كله، أباي أبو الأسود وقال أولى بذلك غيري. وأحب زياد أن يحمل أبا الأسود وأن يحفره إلى العمل فأرصد له في طريقه من يرفع صوته بالقرآن ويلحن فيه ففعل الرجل وقرأ وأذن من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله (بكسر اللام) فحزن لذلك أبو الأسود وعاد من فوره إلى زياد وقال له لقد نظرت فرأيت أن من الخير أن أجيبك إلى ما تطلب فابغى كاتباً فأرسل إليه زياد ثلاثين كاتباً اختارهم فاختر منهم أبو الأسود أفضلهم وقل له خذ صبغاً أحمر فاذا رأيتني فتجت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه وإذا كسرت فانقط واحدة أسفله وإذا ضمنت فاجعل النقط بين يدي الحرف فاذا أتبعته شيئاً من هذه الحركات بغنة فانقط نقطتين وأخذ يملئ، والكاتب يكتب وهو يتفقده حتى أتم المصحف

ولم يضع أبو الأسود علامة للسكون مكتفياً بأن إهمال الشكل هو السكون وانتشرت طريقة أبي الأسود وزاد فيها الناس علامة للتثوين فوضعوا عليه نقطتين واحدة فوق واحدة وزاد أهل المدينة علامة التشديد فجعلوا قوساً ووضعوه فوق المشدد المفتوح وتحت المسكور وعن يسار المضموم ووضعوا نقطة الفتحة داخل القوس والكسرة تحت حديثه، والضمة على شماله ثم استغنوا عن النقطة وقبلوا القوس مع الضمة والكسرة وأبقوه على أصله مع الفتحة.

وزاد أهل البصرة السكون فجعلوا السكون جرة أفقيه فوق الحرف منفصلة عنه هكذا [—]

ولم تتداول طريقة أبي الأسود إلا في المصحف الشريف ، فلم تتجاوزه إلى غيره ثم جاء الخليل بن أحمد في عهد الدولة العباسية فغير صور الشكل وجعله على هيئة قريبة مما هو عليه الآن .

وضع النقط

كانت الحروف العربية خالية من النقط فالصاد والضاد ، والذال ، والراء والزاي كل منها تكتب على صورة واحدة من النقط والأعجام

فاحتيج إلى تمييز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض فجعل بعضها منقوطة بنقطة أو نقطتين أو ثلاث والبعض الآخر خاليا من النقط وذلك هو الأعجام ، فهو تمييز الحروف المتشابهة بالنقط منعاً للبس بينها ، ، والأعجام من أعجمت الحرف إذا أزالت عجمته وبينته ولهذا تسمى حروف الهجاء العربية حروف المعجم ، وقد يخصص الأعجام بالحرف المنقوط إذا شاركه في صورته الخطية حرف آخر مهمل فيقال خاء معجمه وحاء مهملة

واختلف في الزمن الذي وضع فيه الأعجام ، فالبعض يقولون إنه كان في الجاهلية للأدلة الآتية .

١ - عثر على كتب قبل زمن عبد الملك بن مروان فيها إعجام بعض الحروف

٢ - روى عن ابن عباس أن عامر بن جذرة هو الذي وضع الأعجام

٣ - على أنه لا يعقل أن تبقى الحروف العربية على صورة التباسها هذا إلى عهد بني أمية فان ذلك يؤدي إلى الإفساد واللبس في الكلام

ويقول آخرون إنه وضع في عهد معاوية

ويقول سواهم إنه وضع في عهد عبد الملك بن مروان ، ويروى أن الذي

وضع الأعجام نصر بن عاصم وتبعه غيره فاتمه وانتشر بأمر الحجاج

فيل أزعج الحجاج ما كان يحدث من لبس في تمييز حروف القرآن (١)

(١) كانوا يقرأون دختار كفور ، دجبار كفور ، ، ويحرفون أشياء إلى

أساء ، وعزة إلى غرة ، و د إياه ، فيجعلونها أباه =

ففزع إلى كتابه ليضعوا علامات تميز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض ، وندب لذلك نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر تلميذى أبي الأسود ، فنقطوا المصحف بصبغ من لون المداد الذى استعمل فى كتابة المصحف ، أما نقط الشكل فبقيت بالمداد الأحمر كما صنع أبو الأسود الدؤلى رحمه الله

ويقال إن النقط كان موجودا من قديم ولكن الناس أهملوه فظهر التصحيف فى القرآن حتى فزع الحجاج إلى نصر بن عاصم فوضع الإعجام

بدء تدوين العلوم

تمهيد :

١ - فى العصر الجاهلى لم تدون علوم ولا ثقافات لامية العرب وبدأوتهم وبعدهم عن الحضارة والعلوم والمعرفة

وفى عصر صدر الاسلام جمع القرآن الكريم أول مرة فى عهد أبى بكر ، فكان أول كتاب يكتب فى تاريخ العرب ، وشغلتهم الفتوحات وحرصهم على المحافظة على القرآن الكريم ودفع اللبس عنه عن التدوين كما صرفهم عنه قرب عهدهم من البداوة

فلما جاء العصر الأموى دعا المسلمين إلى تدوين العلوم دواع كثيرة وساعدهم على ذلك :

١ - بدء محضرهم والحضارة تستلزم العلم دائما

== وفى ابن خلدان :

د ففزع الحجاج إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الأحرف المختلفة علامات تميزها بعضها عن بعض فيقال إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفرادا وأزواجا وخالف بين أماكنها فعبّر الناس بذلك أزمانا لا يكتبون إلا منقوطا ،

٢ - قريهم من الأمم المتحضرة ذات الثقافات القديمة كالفرس والروم ووصول بعض آثار حكمتهم وفلسفتهم وتاريخهم إلى المسلمين مكتوبة

٣ - وجود عناصر كثيرة - تعرف نظام التدوين - داخل الدولة الإسلامية ، كالسريان والفرس وسراهما من العناصر الرومانية والأغريقية

٤ - انتشار الكتابة بينهم

وكان من أهم الأسباب في تدوين العلوم المختلفة مايلي :

١ - حاجتهم إلى حفظ الشريعة وكتابتها وعلومها

٢ - حاجتهم إلى المعارف القديمة سواء في الطب أم في الفلك أم في غير ذلك من ألوان المعرفة

٣ - حاجتهم إلى العلوم المختلفة في حفظ نظام الملك وسياسته ، ولرغبتهم في الوصول بدولهم إلى حد بعيد ، من الحضارة والرقى والثقافة ، يحفزهم على ذلك القرآن الكريم ودينهم المجيد

ب - وكانت مراكز الثقافة الإسلامية في هذا العصر كثيرة وأهمها المدينة ومكة والبصرة والكوفة ودمشق والفسطاط -

وكان بظاهر الكوفة الكناسة ، وبظاهر البصرة المربد ، وهما سوقان أدبيان وعلميان رائجان ، وكان المربد مآلف الإشراف ^(١) وسنتكلم عليه بعد قليل

العلوم المدونة في العصر الأموي :

سنحدثك عن أهم مادون في العصر الأموي من العلوم وهي .

١ - التفسير ، وقد رويت فيه روايات كثيرة عن رسول الله والصحابة

(١) ٢١٠ / العقد - وروى عن الجارود قال : عليكم بالمربد فانه يطرد

الفكر ويجلو البصر ويجلب الخبر ويجمع بين ربيع سنة ومضر [٢٢٣ / ١ البيان والتبيين للجاحظ]

رضوان الله عليه وكانوا يتناقلون ذلك ، وأول تفسير ذون هو تفسير ابن عباس
رحمه الله المتوفى عام ٦٨ هـ في الطائف وطبع في مصر في المطبعة الأميرية عام ١٢٩٠
في سفر واحد ، وهو مجموع روايات دونها ابن عباس

ويتصل بالتفسير قراءات القرآن وقد كثرت العناية بها في العصر الأموي الذي
عاش فيه كثير من القراء كابن كثير م ١٢٠ هـ وعاصم م ١٢٨ هـ ويزيد
ابن القعقاع م ١٢٢ هـ .

هذا وللشيعة تفسير قديم ينسبونه إلى محمد الباقر بن علي بن الحسين ، ويقال إن
أول من دونه في التفسير مجاهد م ١٠٤ هـ وهو غير موجود .

ولم ينضج هذا العلم إلا في العصر العباسي .

٢ - الحديث : لم تكن تدون أحاديث رسول الله في عهده ولا في
عهد أصحابه .

فلما كثرت الفتوحات والحروب الإسلامية وكثرت الثورات والأحزاب
السياسية والفرق الدينية ووضع بعض الناس أحاديث على رسول الله ويقال
إن المهلب بن أبي صفرة كان يضع الأحاديث ليشد بها أمر المسلمين ويضعف
أمر الخوارج (١) .

أخذ المسلمون في التمييز بين الأحاديث الصحيحة والموضوعة ، واشتهر من
المحدثين في عصر بني أمية : عاصم بن سليمان م ١٤٩ بالكوفة ، وخالد الحذاء مولى
قريش المتوفى عام ١٤٩ هـ ، وشعبة بن الحجاج م ١٦١ ، وسواهم .

وأمر عمر بن عبد العزيز — بعد أن استخار الله أربعين يوما — ابن شهاب
الزهري أو ابن جريج أو أبا بكر بن حزم بجمع الحديث وتدينه ، فقم ذلك وبعث
بنسخ منها إلى الأمصار .

٣ — النحو وقد سبق ذكر أمر وضعه وتدوينه وقد وضع الحضرمي كتابا في الهمز .

٤ — الشعر الجاهلي ، أخذ الرواة والمؤدبون في رواية الشعر الجاهلي وتدوين آثار منه ويقال إن أول من جمعه حماد الراوية ، ثم ألف فيه بعد ذلك المفضل كتابة المفضليات .

٥ — التاريخ ويقال إن معاوية استكتب رجلا من أهل اليمن اسمه عبيد ابن شربة الجرهمي . بعض أخبار الأوائل فكتبها له . فكان هذا أول كتاب دون في التاريخ . وعنى الأمويون كذلك بعلم الأنساب .

٦ — الفقه وقد اشتغل به في العصر الأموي جلة الصحابة والتابعين ، ويقال إن زيد بن علي بن الحسين أملى كتابا في الفقه وأنه أقدم كتاب في هذا العلم في الإسلام .

٧ — أول أصول الدين فيقال إن واصل بن عطاء ألف كتابا في المرجئة وآخر في التوبة وآخر في معاني القرآن

٨ — وألف يونس بن حبيب كتابا في الأغاني دون فيها أصول الألحان عن معبد وابن سريج .

٩ — وترجموا في الطب والكيمياء ، فقد رأى عبد الملك بن مروان وهو أعلم الأمويين بالأدب وأفقههم في الدين أوراقا في الكيمياء بقلم خالد بن يزيد فقال له أف لك أنسب الملوك وهمة الموالى ؟ وكان خالد قد عنى بالكيمياء والطب وقيل أنه درس كتبهما عن رجل من السريان يدعى مريانوس وأنه أمر اسطفان القديم بترجمة هذه الكتب إلى العربية .

وبعد فلم تكن العلوم المدونة في هذا العصر إلا مجموعة روايات لا أثر للتحقيق والدرس والبحث فيها ، ولكن لا ضير من ذلك ، فقد كانت النواة الأولى لتدوين العلوم في الإسلام .

وعلى الجملة ، فقد كان العرب ينظرون إلى تدوين العلوم نظرهم إلى صناعة الحضر والموالى الصغيرة التي لا يصح لهم أن يحترفوها ، ويأنفون من الاشتغال بالكتب والأخذ بالتأليف والتدوين لأنه صناعة الموالى في أيامهم .

أشهر مجامع العلم والأدب :

١ - كانت أهم مجامع العلم والثقافة في الدولة الأموية هي : المدينة ومكة والبصرة والكوفة والفسطاط ودمشق .

أما المدينة فهي البلد الحرام وهو وطن رسول الله ومكان نشأته ومقر القرشيين وأبنائهم ، ولقد كانت في العصر الأموي حافلة بالعلماء كعاذ بن جبل وعبد الله ابن عباس وسفيان بن عيينة الذي أخذ عنه الشافعي قبل أن يتحول إلى المدينة . وكانت من أهم مراكز الثقافة العربية الإسلامية منذ الهجرة ، فقد هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم وعلم بها أكثر تعاليم الإسلام ، وكانت مقام كثير من الصحابة الذين تلقوا عن النبي ورووا أحاديثه ، وكان بها كثير من الموالى الذين أتى بهم أسرى من الممالك المفتوحة وأسلموا وتلقوا العلم من الصحابة ، وقد اشتهرت المدينة بالعلوم الدينية من تفسير للقرآن ومدارس للحديث واستنباط الأحكام منها ، واشتهر من علمائها زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر بن الخطاب من الصحابة ، ثم سميد بن المسيب وعروة بن الزبير بن العوام من التابعين ، ومن بعدهم كان الامام مالك بن أنس صاحب المذهب المشهور .

ولم تقتصر المدينة على الشهرة في المسائل الدينية بل نبغ فيها كثير من رجال التاريخ كمحمد بن اسحاق والواقدي ، وهما يعدان من أشهر المصادر الأولى للتاريخ والمغازي . وقد ساعد المدينة على بلوغها هذه المنزلة أنها كانت مقر الخلافة في عهد الراشدين ومجتمع الموالى الذين سبوا من مختلف البلاد الإسلامية وأغلبهم من عناصر متحضرة .

وأما البصرة والكوفة : فهما أشهر مدن العراق ، والعراق قطر شهر من قديم الحضارة ! تداولت عليه أمم كثيرة متمدنة وتركت فيه آثارها العلمية والفنية

وهو إلى ذلك قطر غنى خصب كثرت مياهه وخيراتاه ؛ وقد أسست هاتان المدينتان في عهد عمر بن الخطاب ونزل بهما كثير من الصحابة ، واختلط فيها العرب بالموالي بالتزواج والسكنى ، وأصبحتا بعد قليل من أكبر مراكز الحياة العلمية ؛ فكان في الكوفة عبد الله بن مسعود من الصحابة ، وشريح والشعبي وسعيد بن جبير من التابعين ، ثم أبو حنيفة النعمان إمام المذهب المنسوب إليه ، واشتهر من علماء البصرة أبو موسى الأشعري وأنس بن مالك من الصحابة ، ثم الحسن البصري وابن سيرين من التابعين ، واشتهرت هاتان المدينتان أيضا بالنبوغ في علوم النحو واللغة ، وتفوقت البصرة في ذلك فكان من علمائها أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، والأصمعي ، واشتهر من الكوفيين الكسائي ، وكان بين المدينتين تنافس في اللغة والأدب والصرف وعلم الكلام ، ولكل علماء يتعصبون لمذهبهم وينصرونه بحججهم ، وكان الكوفيون ، على الجملة ، أكثر استعمالا للقياس ، والبصريون أكثر إشاراً للسمع .

وأما الفسطاط : فكانت في مقدمة المدن الإسلامية التي أزهرت فيها علوم العرب الدينية واللغوية ، وأول من اشتهر بها من العلماء عبد الله بن عمرو بن العاص أحد كبار الصحابة ، ثم عبد الله بن لهيعة وهو من أكبر المصادر الذين يروى عنهم كثير من الأحداث التاريخية في فتح العرب لمصر ، ثم الليث بن سعد أحد الأئمة الذين يقرنون بمالك وأبي حنيفة لولا أن تلاميذه أضاعوا مذهبه ، ثم نزل بها الإمام الشافعي ودرس فيها ووضع مذهبه الجديد . هذا وقد وفد على الفسطاط من الشعراء : جميل وكثير ونصيب وسواهم من الشعراء .

وأما دمشق فهي عاصمة الأمويين ومنارة العلم والثقافة ومقصد الناس من كل حذب وصوب ، وبها كثير من العلماء والأدباء والشعراء فوق من كانوا يقدون إليها من كل صوب رغبة في الثقافة أو حرصا على مال الخلفاء والأمراء

وكان في الشام معاذ وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وعمر بن عبد العزيز
والأوزاعي ورجاء بن حيوة وسواهم .

. . .

وقد امتازت العراق بنشاط الأحزاب السياسية فيه وكثرة الفرق
الدينية الناشئة .

واشتهرت مجامع العراق بتبريزها في علوم اللغة وذلك :

١ — لشدة الاحتياج اليها في العراق لفساد المملكات فيه بالاختلاط وكثرة
عناصر الموالي بين ربوعه .

٢ — ولأنه موطن السريانية وكان للسريان قواعد منظمة في اللغة والنحو .
وكان بين البصرة والكوفة منافسة شديدة في الأدب والعلم ، ولكن شهرة
البصرة كانت باللغة وعلومها من نحو وغيره وذلك لتبحرها في العمران ولقربها
من البادية التي عرف أهلها بالفصاحة وصدق اللهجة أما الكوفة فقد ذهبت شهرتها
بعلوم الشعر وروايته .

وكانت مجامع المدينة أرق المجامع وأحفليها بالنرف والغناء واللهو :

ب — وأما مجامع الأدب فكانت هي مجالس الخلفاء والأمراء والشعراء
والآدباء ، واشتهر من بين ذلك كناسة الكوفة ومربد البصرة خاصة ، وسنحدثك
عن مربد البصرة .

مربد البصرة :

ولمربد ^(١) البصرة أثر غير قليل في اللغة والأدب والشعر في العصر الأموي
ولا بأس بالأطالة في حديثه .

(١) هو على وزن منبر .

هو ضاحية من ضواحي البصرة ، في الجهة الغربية منها ممالي البادية ، بينه وبين البصرة نحو ثلاثة أميال . كان سوقا للابل ، قال الاصمعي : « المربد كل شيء حبست به الابل والغنم ... وبه سميت مربد البصرة ، وانما كان موضع سوق الابل وهو واقع على طريق من ورد البصرة من البادية ومن خرج من البصرة اليها . ويظهر أنه نشأ سوقا للابل ، أنشأه العرب على طرف البادية يقضون فيه شؤونهم قبل أن يدخلوا الحضر او يخرجوا منه .

وفي اللسان ... في مادة ب ص ر - وقال ابن شميل : البصرة ارض كأنها جبل من جص وهي التي بنيت بالمربد وانما سميت البصرة بصرة بها ، فكأن المربد كان موجودا في الجاهلية

ولكن أخباره في الجاهلية معدومة مما يدل على قلة خطره إذ ذاك ، إنما كان له الخطر بعد ان فتح العرب العراق وسكنوه وخططوا البصرة ، فقد أنشئت فيه المساكن بعد ان كان مربداً للابل فقط . وأصلت العمارة بينه وبين البصرة حتى قالوا فيه : « العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة ، وقد كان المربد في الاسلام كما يقول أحمد أمين صورة معدلة لمعكاظ ، كان سوقا للتجارة ، وكان سوقا للدعوات السياسية . وكان سوقا للأدب جاء في كتاب « ما يعول عليه » : المربد كل موضع حبست فيه الابل ... ومنه سمي مربد البصرة لاجتماع الناس وحبسهم النعم فيه — كان يجتمع العرب من الاقطار ، يتناشدون فيه الأشعار : ويبيعون ويشتررون وهو « كسوق عكاظ » . وقال العيني : « مربد البصرة ... محلة عظيمة فيها (أى في البصرة) من جهة البرية في ، كان يجتمع العرب فيها من الاقطار ويتناشدوا الأشعار ويبيعون ويشتررون ،

كانت أهم أخبار المربد ما كان بعد قتل عثمان بن عفان من سير عائشة أم المؤمنين الى البصرة ، فانها نزلت بفناء البصرة ورأت أن تبقى خارجها حتى ترسل الى أهلها تدعوهم بدعوتها ؛ وهي المطالبة بدم عثمان وكان معها طلحة والزبير ، ثم سارت الى المربد مهنما وخرج اليها من قبل دعوتها ، وخرج الى المربد كذلك عامل على البصرة ، وهو عثمان بن حنيف ومن يؤيده ، وأصبح المربد وهو يموج بمن أتى

الحجاز ومن خرج من البصرة ، حتى ضاق المربد بمن فيه ، ورأينا المربد مجالا للخطباء ممن يؤيد عائشة ومن معها ، ومن يؤيد عليا وعامله . أصحاب عائشة في ميمنة المربد وأصحاب علي في ميسرته : ويخطب في المربد طلحة ويمدح عثمان بن عفان ويعظم ماجنى عليه ويدعو الى الطلب بدمه ، ويخطب الزبير كذلك وتخطب عائشة أم المؤمنين بصوتها الجمهوري ويؤيدهم من في ميمنة المربد ، ويقولون صدقوا وبروا وقالوا الحق وأمروا بالحق ، ويؤثر قول عائشة في أهل الميسرة فينحاز بعضهم اليها ويبقى الآخرون على رأيهم وعلى رأسهم عثمان بن حنيف ، ويخطبون كذلك يبينون خطأ هذه الدعوة وأن طلحة والزبير بايعا عليا فلا حق لهما في الخروج عليه ، ويؤيدهم أبو الاسود الدؤلى وأمثاله

وهكذا انتقل المربد الى مجمع حافل ، كبير

وكان العصر الاموى ازهى عصور المربد ، ، ذلك لان العرب كانوا قد هدموا من الفتح واستقرت الممالك في ايديهم ، واصبح العراق مقصد العرب يؤمه من اراد الغنى وخاصة البصرة جاء في الطبرى ، ان عمر بن الخطاب سأل أنس بن حجة ركات رسولا الى عمر من العراق فقال له عمر كيف رأيت المسلمين ؟ فقال اثنالك عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة ، فرغب الناس في البصرة فأتوها ، وكان المربد باب البصرة يمر به من أرادها من البادية . ويمر به من خرج من البصرة الى البادية ، ويقطنه قري من العرب كرهوا معيشة المدن ويقصده سكان البصرة يعتقدون منه هواء البادية ، فكان ملتقى العرب ، وكانوا يحبون فيه حياة تشبه حياة الجاهلية من مفاخرة بالانساب وتعظيم بالكرم والشجاعة ، وذكر لما كان بين القبائل من أحن ، فالفرزدق يقف في المربد ينهب أمواله فعل كرماء الجاهلية وحكى في النقائض أن زياد بن أبي سفيان كان ينهى أن ينهب أحد مال نفسه ، وأن انفرزدق أنهب أمواله بالمربد ، وذلك أن أباه بعث معه ابلا ليبيعها فباعها وأخذ ثمنها فعقد عليه مطرف خز كان عليه ، فقال قائل لشدة ما عقدت على دراهمك هذه ، أما والله لو كان غالب ما فعل هذا الفعل لخلها ثم أنهبها . وقال من أخذ شيئا فهو له وبلغ ذلك زيادا فبالغ في طلبه فهرب ... فلم يزل في هربه يطوف في القبائل والبلاد حتى مات زياد .

وأراد عرب البصرة أن يكون لهم من مربد البصرة ما كان لهم في سوق عكاظ في الحجاز فبلغوا غايتهم ، وأحيوا العصبية الجاهلية ، وساعد الخلفاء الأمويين أنفسهم على إحيائها لما كانوا يستفيدون منها سياسيا ، فرأينا ظل ذلك في الأدب والشعر ، ورأينا المربد في العصر الأموي يزخر بالشعراء يتهاجون ويتفاخرون ، ويعلى كل شاعر من شأن قبيلته ومذهبه السياسي ، ويضع من شأن غيره من الشعراء ومذاهبهم السياسية .

ومن أجل هذا خلف المربد أجل شعر أموى من هذا النوع ، فكثير من نقائص جرير والفرزدق والاختل كانت أثرا من آثار المربد قيلت فيه وصدرت عما كان بينهم من منافرة وخصومة ، يروى الأغاني أن جريرا والفرزدق اجتمعا في المربد فتنافرا وتهاجيا وحضرهما العجاج والاختل وكعب بن جعيل .

كان كل من جرير والفرزدق يلبس لباسا خاصا ويخرج الى المربد ويقول قصائده في الفخر والهجاء ، والرواة يحملون إلى كليهما ما قاله الآخر فيرد عليه . قال أبو عبيدة : « وقب جرير بالمربد وقد لبس درعا وسلاحا تاما ، وركب فرسا أعاره إياه أبو جهضم عباد بن حصين . فبلغ ذلك الفرزدق فلبس ثياب رشي وسوارا وقام في مقبرة بنى حصن بنشد بجرير والناس يسعون فيما بينهما بأشعارهما فلما بلغ الفرزدق لباس جرير السلاح والدرع قال :

عجبت لرأى الضأن في حطمية وفي الدرع عبد قد أصيبت مقاتله
ولما بلغ جرير أن الفرزدق في ثياب رشي قال :

لبست سلاحى والفرزدق لعبة عليه وشاحا كرج وجسلا جله^(١)

وما زالا كذلك يتهاجيا ويقولان القصائد الطويلة الكثيرة حتى ضج والى البصرة فهدم منازلها بالمربد فقال جرير :

فما في كتاب الله تهديم دارنا بتهديم ماخور خبيث مداخله

وكان لكل شاعر من شعراء المربد حلقة ينشد فيها شعره وحوله الناس يسمعون منه ، جاء في الأغاني « وكان لراعى الابل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة .

وكان الناس يخرجون كل يوم الى المربد ، يعرف كل فريق مكانه فيجلس فيه ينتظر شاعره ، فقد روى الاغانى أيضا أن جريرا بات يشرب باطية من نبيذ ويهمهم بالشعر وهجاء الفرزدق والراعى ، فما زال كذلك حتى كان السحر وقد قالها ثمانين بيتا فى بنى نمر فلما ختمها بقوله :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كبر ثم أصبح حتى عرف أن الناس قد جلسوا فى مجالسهم بالمربد - وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعاهن ولف رأسه ودعا غلامه فأسرج له حصانا وقصد مجلسهم وأنشدها فنكس الفرزدق وراعى الابل .

ونرى بجانب هؤلاء الفحول أعنى جريرا والفرزدق والأخطل طائفة أخرى من كبار الرجاز يقصدون المربد وينشدون رجزهم ، فالهجاج الراجز يخرج الى المربد عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها ويقف بالمربد على الناس مجتمعين ، يقول رجزه المشهور :

« قد جبر الدين الاله فجبر ،

ويهجو شاعر ربيعة فيأتى رجل من بكر بن وائل الى أبى النجم ويستحثه على الرد عليه فيخرج أبو النجم الى المربد ويقول رجزه :

« تذكر القلب وجهلا ما ذكر ،

ورؤبة الرجاز ينشد رجزه :

« وقاتم الاعماق خاوى المخرق ،

ويجمع حوله فتیان تميم فيرد عليه أبو النجم فى رجزه :

« اذا اصطبحت أربعا عرفتني ،

كذلك نرى ذا الرمة يقف بالمربد وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمة

ما يتادى نار ، وينشد دموعه تجرى على لحيته .

و ما بال عينك هنما الماء ينسكب ،

وينشد كذلك بعض قصائده فيقف خياط فينقد شعره نقدا شديدا ويسخف بعض أشيائه ، فيمتنع ذو الرمة عن الذهاب الى المربد حتى يموت الخياط .
والأمراء والولاة قد يتدخلون فيسكتون بعض الشعراء . وقديهيجون بعضهم على بعض خدمة لأغراض حزبية أو سياسية فعبد الملك بن مروان يأمر أبا النجم بالمفاخرة مع الفرزدق وعباد بن حصين ويعين جريرا على الفرزدق ويعير جريرا الدرع والفرس والسلاح .

وهكذا كان المربد في العهد الأموي معهدا كبيرا أنتج أدبا غزيرا من جنس خاص . وكان هذا الشعر امتدادا للشعر الجاهلي . لاتحاد الأسباب والبواعث فأما الشعر الغزلي كشعر عمر بن أبي ربيعة وأمثاله فليس له كبير أثر في المربد لأنه فوق والمهاجاة والمفاخرة . فليس مجاله حياة المربد التي وصفناها .

وبقى المربد في العصر العباسي . ولكنه كان يؤدي غرضا آخر غير الذي كان يؤدي في العهد الأموي . ذلك أن العصبية القبلية ضعفت في العصر العباسي بمهاجمة الفرس للعرب . وأحس العرب بما هم فيه جميعا من خطر من حيث هم أمة لا فرق بين عدنانهم وقحطانهم ، فقوى نفوذ الفرس وغلبوا العرب على أمرهم . وبدأ الناس في المدن كالبصرة يحبون حياة اجتماعية هي أقرب الى حياة الفرس من حياة العرب ؛ وانصرف الخلفاء والأمراء عن مثل النزاع الذي كان يتنازعه جرير والفرزدق والاختل وظهرت العلوم تزاخم الأدب والشعر ، وفشا اللحن بين الموالي الذين دخلوا في الاسلام ، وأفسدوا حتى على العرب الخالصة لغتهم ، فتحول المربد يؤدي غرضا يتفق وهذه الحياة الجديدة . كما يقول أحمد أمين

أصبح المربد غرضا يقصده الشعراء لاليتهاجوا ، ولكن ليأخذوا عن أعراب المربد المملكة العربية ، يحتذونهم ويسيرون على منوالهم ، فيخرج الى المربد بشار وأبونواس وأمثالها ، ويخرج الى المربد اللغويون يأخذون اللغة عن أهله ويدونون ما يسمعون ، روى القالي في الامالي عن الاصمعي ، قال : و جئت الى أبي عمرو

ابن العلاء فقال لى من أين أقبلت يا أصمعى ؟ قال جئت من المربد ، قال هات ما معك ، فقرأت عليه ما كتبت فى الواحى ، ففرت به ستة أحرف لم يعرفها ، فخرج يعدو فى الدرجة وقال : شمرت فى الغرب - أى غلبتنى . .

والنحويين يخرجون إلى المربد يستمعون من أهله ما يصحح قواعدهم ويؤيد مذاهبهم ، فقد أشد الخلف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة فى النحو وتعصب كل لمذهبه ، وكان أهم مدد لمدرسة البصرة هو المربد وفى تراجم النحاة تجد كثيرا منهم كان يذهب إلى المربد يأخذ عن أهله . ويخرج الآدباء إلى المربد يأخذون الآدب من جل بليغة وشعر بليغ وأمثال وحكم ، مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن آبائهم ، كما فعل الجاحظ ، يقول ياقوت ، أن الجاحظ أخذ النحو عن الاخفش وأخذ الكلام عن النظام وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد (٦/٥٦ ياقوت) وبذلك كان المربد مدرسة من نوع آخر تغير برنامجها فى العصر العباسى عن برنامجها فى العهد الأموى وأدت رسالة فى هذا العصر تخالف رسالتها فى العصر السابق .

وفى ثورات الزنج التى ظهرت فى فرات البصرة التى بدأت سنة ٢٥٥ هـ حدث قتال بالمربد بين الزنج وجيش الخليفة ، فاحترق المربد

ويقول ياقوت ، إن المربد كان سوقا للابل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها

الناس وهو الآن : بائن عن البصرة ، بينها نحو ثلاثة أميال ، وكان ما بين ذلك كله عامراً وهو الآن خراب ، فصار المربد كالبدة المفردة فى وسط البرية ، :

ثم عفا أثر المربد ، ولم نعد نجد له ذكرا ذا قيمة ، وأخنى عليه الذى أخنى على عكاظ ، كما يقول الأستاذ أحمد أمين .

عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب

ولقد اشتدت في هذا العصر عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب وتجلت في مظاهر شتى .

١ - إحياء الأدب الجاهلي . إحياء للعصية وبعثها أو بدافع منها ، وإرواء لغاتهم الأدبية . وبذل الأموال لعلماء اللغة والأدب في سبيل ذلك .

٢ - عقد المجالس الأدبية الدامة التي تمس الأدب والشعر والنقد ، ويكون خط كل ذلك من رعايتهم موفوراً .

٣ - كما بذلوا الكثير من عنايتهم في سبيل المحافظة على اللغة وتدوين النحو ووضع النقط والشكل ونقل دواوين الخراج إلى العربية .

٤ - إتخاذ الخليفة شاعراً له يقربه منه ويصطفيه .

٥ - رعاية الكتابة واتخاذ أعلامها كتاباً في ديوان رسائل الخلفاء .

٦ - تسامحهم مع الشعراء وإطلاق الحرية لهم .

٧ - تشجيع الشعراء ورعايتهم ، جلباً لمدهم ، ونشراً لمناقهم ، وتوطيداً للملكهم وإحياء لمفاخرهم ومآثر آبائهم .

٨ - إغداق العطاء على الشعراء دون حساب

فقد أعطى عبد الملك اعرابياً وصف ناقته مائة بعير وأعطى آخر وصف المطر ألف درهم وأعطى الوليد بن عبد الملك امرأة وصفت الغيم بعد الحبل مائة دينار ، وأعطى سليمان فرسه وميحملة ويتجمل به لرجل أحسن وصف الفرس وأشباه ذلك كثير .

وكان للشعراء النصيب الأول من عناية هؤلاء الخلفاء لأنهم كانوا أشد الناس إذكاء للعصية وتأليفاً لقلوب العرب وسيوفهم على نصرة بني أمية فكان لهم أعطيات في بيت المال كل حسب طبقة ومنزلة وأثره في مدح الدولة والذود عنها . كل ذلك بينما شعراء بني هاشم وشيعتهم يستأهون وحى الشعر من حب أبناء الرسول صلى

الله عليه وسلم أكثر مما كانوا يستمدونه من أموالهم وأفعالهم ومن هذين المدينين :
المال والمودة ازدهر هذا العهد بالشعر أكثر مما ازدهر به أى عهد سواه
كان خلفاء بنى أمية يذكرون العصبية العربية بكل مالديهم من قوة ومال
وكان من أكبر وسائل الازكاء احياء ما خلفه العرب من شعر وحكمة وخطب
وكان أكثر هؤلاء الخلفاء من أقطاب العلم والادب فكانوا يستقبلون فى كل آونة
رؤساء العشائر وخطباءها وشعراءها ومن إلى هؤلاء ممن يؤيدون بهم الملك ،
ويؤازرون بهم الجماعة ، ويشدون بهم الاعضاء وكانوا يستمعون لما يلقى هؤلاء
وما ينقلونه من اسلافهم من مآثور القول ، ويثبون عليه ثوابا كريما .

كما كان من الأمراء والرؤساء والقادة والولاة من كانوا يغالون فى هبات
الشعراء والخطباء إلى أبعد حد عرفت من كرم العطاء .

ومن هؤلاء عبيد الله بن العباس ، وعرابة الأوسى وطالحة الخزاعى ، والحجاج
التقى ، وخالد القسرى ، والمهلب بن أبى صفرة الأزدي . وسواهم
ولابدع فى ذلك فهم عرب يهزم البيان وتسحرهم البلاغة ، ومنهم من كان
يتذوق الشعر ويفهمه وينقده كعبد الملك بن مروان ، فوق البواعث السياسية
والاجتماعية والدينية ، التى كانت تدعوهم الى العناية بالادب والشعر واللغة
وقد كان الخلفاء والأمراء وغيرهم يحثون الناس على طلب الادب
والشعر واللغة .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الادب فانكم إن احتجتم إليه
كان لكم مالا وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا وقال شبيب بن شيبه : اطلبوا
الادب فانه مادة العقل ودليل عن المروءة . وقل معاوية . اجعلوا الشعر أكبر
همكم وأكثر آدابكم ٤١ / ٢ وفيان الاعيان
نماذج لعنايتهم فى الادب .

١ — قال هشام بن عبد الملك لشبة بن عقال ، وعنده جرير والفرزدق والأخطل
وهو يومئذ أمير : ألا تخبرنى عن هؤلاء الذين قدمزقوا أعراضهم ، وهتكوا
أستارهم ، وأغروا بين عشائرتهم فى غير خير ولا بر ولا نفع ، أيهم أشعر ؟

فقال ه شبة : أما جرير فيغرف من بحر ، وأما الفرزدق فينحت من صخر ،
وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر .

فقال هشام : ما فسرنا لنا شيئاً نحصله ! فقال ه ما عندي غير ما قلت !

فقال لخالد ^(١) بن صفوان : صفهم لنا يا ابن الأهت ، فقال : أما أعظمهم
فخرأ ، وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عذراً : وأسيرهم مثلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلامهم
عللاً ، الطامى ^(٢) إذا زخر ، والحامى إذا زأر ، والسامى إذا خطر ، الذى إن
هدر ^(٣) قال وإن خطر صال : الفصييح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق .
وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم فوناً الذى إن هجا وضع ^(٤) ،
وإن مدح رفع ، فالأخطل .

وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأمتكهم لعدوه سترأ ، الاغر الأبلق ،
الذى إن طنب لم يسبق ، وإن طلب لم يلاحق ، فجرير . وكلهم ذكى الفؤاد ، رفيع
العماد ، وارى الزناد .

فقال له مسلمة بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالد فى الأولين ، ولا رأينا
فى الآخرين ، وأشهد أنك أحسنهم وصفاً ، وألينهم عطفاً ، وأعفهم مقالا ،
وأكرمهم فعلا .

فقال خالد : أتم الله عليكم نعمه ؛ وأجزل لديكم قسمه ^(٥) ، وآنس بكم

ه الأغاني ص ٨١ ج ٨ ، معجم الأدباء ص ٢٥ ج ١١

(١) أحد فصحاء العرب وخطبائهم ، وهو مشهور برواية الأخبار ، وكان

يجالس هشام بن عبد الملك ولكنه كان بخيلاً ، وتوفى سنة ١٣٥ هـ

(٢) الطامى : من طمى الماء إذا ارتفع وملا النهر ، وزخر البحر : امتلأ

(٣) هدر البعير : ردد صوته فى حنجرتة ، وهدر الحمام : كرر صوته

(٤) خفض

(٥) القسم : جمع قسمة ، وهى الرزق وما قسم

الغربة ، وفرج بكم الكربة . وأنت ، والله - ما علمت أيها الأمير - كريم الغراس ، عالم بالناس ، جواد في المحل ، بسام عند البذل ، حلیم عند الطيش ، في ذروة ^(١) قريش ولباب ^(٢) عبد شمس ، ويومك خير من أمس .

فضحك هشام وقال : ما رأيت كتخالصك يابن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت منهم !

٢ - وقبضت ^(٣) البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، فقدمت العرب من أحياء القبائل ، فجلس هشام لرؤسائهم فدخلوا عليه ، وفيهم درواس بن حبيب وله أربع عشرة سنة ، عليه شملتان وله ذؤابة . فأحجم القوم وهابوا هشاماً ووقعت عين هشام على درواس فاستصره ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يصل إلى إلا وصل حتى الصبيان ؟ !

فعلم درواس أنه يريد به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن دخولي لم يخل بك شيئاً ولقد شرفني ، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه ، وإن الكلام نشر ، والسكوت طي ، ولا يعرف الكلام إلا بنشره . فقال هشام : فانشروا أبا لك !! وأعجبه كلامه .

فقال : أصابتنا ثلاث سنين ، سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة نقت ^(٤) العظم ، وفي أيديكم فضول أموال : إن كانت لله ففرقوها على عباد المستحقين لها : وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجزي المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، وأعلم يا أمير المؤمنين أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد ، لا حياة للجسد إلا به .

فقال هشام : ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً . وأمر أن يقسم في باديته مائة ألف درهم ، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم . فقال : يا أمير المؤمنين ،

(١) ذروة : أعلى (٢) لباب : خلاصة .

(٣) لباب الآداب ص ٣٥٣

(٤) النقي : مخ العظام وشحمها ، ونقي العظم : استخراج نقيه .

أرردها إلى أدوية أهل بادي، فإني أكره أن يعجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن كفايتهم. قال : فما لك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : مالي من حاجة دون عامة المسلمين !!

ولما عاد درواس إلى منزله بعث إليه هشام بمائة ألف درهم ، ففرقها في تسعة أبطن من العرب ، لكل بطن عشرة آلاف ، وأخذ هو عشرة آلاف ، فقال هشام : إن الصنعة عند درواس لتضعف على سائر الصنائع (١) !

٣ - وسأل (٢) يوماً عبد الملك (٣) بن مروان : من أشجع الناس شعراً ؟ فقيل : عمرو بن معد يكرب . فقال : كيف ! وهو الذي يقول :

جاشت (٤) إلى النفس أول مرة فردت على مبكروها فاستقرت
قالوا : فعمرو بن الاطابة . فقال : كيف ! وهو الذي يقول :

وقولى كلما جشأت (٥) وجاشت مكانك تجمدى أو تستريحى
قالوا : فعامر بن الطفيل . قال كيف ! وهو الذي يقول :

أقول لنفسي لا يجحد بمثلها أقلى . مراحاً إننى غير مدبر
قالوا : فن أشجعهم عند أمير المؤمنين ؟ قال : أربعة ، عباس بن مرداس السلى ، وقيس بن الخطيم الأوسى ، وعنترة بن شداد العبسى ، ورجل من بنى مزينة ، أما عباس فلقوله :

أشد على الكنية لا أبالى أفيها كان حتى أم سواها

(١) جمع صنعة ، وهى المعروف والإحسان .

(٢) مجمع الأمثال ص ٢٢ ج ٢

(٣) كان عبد الملك بن مروان ليلاً عاقلاً جباراً ، قوى الهبة ، شديد السياسة حسن التدبير تولى الخلافة سنة ٦٥ هـ فوطد أركانها ، وقتل ابن الزبير وأخاه مصعباً ، وكافح حتى استقرت له الأمور ومات سنة ٨٦ هـ

(٤) جاشت النفس : اضطربت من الفزع وأصل جاشت : غثت وفاضت

(٥) ارتفعت من حزن أو فزع .

وأما قيس بن الخطيم فلقوله :
 وإني لدى الحرب العوان موكل بتقديم نفس لا أريد بقاءها
 وأما عنتر بن شداد فلقوله :
 إذ تتقون بي الأسنة لم أخم^(١) عنها وليكن قد تضايق مقدمي^(٢)
 وأما المزني فلقوله :

دعوت بني قحافة فاستجابوا . فقلت : ردوا فقد طاب الورود
 ٤ — وحدث أحد الرواة فقال^(٣) :

دخل علينا كثير^(٤) يوماً وقد أخذ بطرف رباطه^(٥) ، وألقى طرفها الآخر
 وهو يقول : هو والله أشعر الناس حيث يقول :
 وخبر نمانى أن تيماء^(٦) منزل لليل إذا ما الصيف ألقى المراسميا
 فهذهى شهر الصيف عنى قد انقضت فما للنوى ترمى بليلي المراميا ؟
 ويجر رباطه حتى يبلغ إلينا ، ثم يولى عنا ويجرها ويقول : هو والله أشعر
 الناس حيث يقول :

وأنت التي إن شئت كدرت عيشي وإن شئت بعد الله أنعمت باليا
 وأنت التي مامن صديق ولا عدأ يرى نضوما أبقيت إلا رثى ليا
 ثم يرجع إلينا ويقول : هو والله أشعر الناس ، فقلنا : من تعنى يا أبا صخر ؟
 فقال : ومن أعنى سوى جميل ! هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا !

(١) أخم : أجبن

(٢) تضايق مقدمي : تضايق الموضع الذي هو قدامى من أن يدنوه أحد .

(٣) الأغاني ص ١٢٥ ج ٨

(٤) كثير بن عبد الرحمن شاعر من أهل الحجاز ، أخبره مع عزة كثيرة ،

توفي سنة ١٠٥ هـ

(٥) الربطة : كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة

(٦) تيماء : منزل لبني عذرة .

ه — وقال ^(١) عبد الملك بن مسلم : كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : إنه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ، ولم يبق لي إلا مناقلة ^(٢) الإخوان الأحاديث ، وقبلك عامر الشعبي ^(٣) ، فابعث به إلى محدثي .

فدعا الحجاج بالشعبي وجهره ، وبعث به إليه ، وأطراه في كتابه .
فخرج الشعبي ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب : استأذن لي ، فقال : ومن أنت ؟ قال : عامر الشعبي ، قال : حياك الله ! ثم نهض ، وأجلسه على كرسيه ، فلم يلبث أن خرج الحاجب إليه فقال : أدخل .

قال الشعبي : فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسي ، وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسي ، فسلمت فرد السلام ، ثم أومأ لي ، فقمعت عن يساره ثم أقبل على الذي بين يديه فقال : ويحك ! من أشعر الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ! فأظلم على ما بيني وبين عبد الملك ، ولم أصبر أن قلت : ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس ! فهيجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي ، ثم قال : هذا الأخطل ! فقلت : يا أخطل أشعر منك الذي يقول ^(٤) :

هذا غلام حسن وجهه مقبل الخير سريع التمام
للحارث الأكبر والحارث الأصغر والحارث خير الأنام
ثم لهند ولهند ، فقد أسرع في الخيرات منه إمام

(١) أمالي المرتضى ص ١٠١ ج ٢ ، خزانه الادب ص ١١٨ ج ٢ ، الأغاني

ص ١٦٢ ج ٩

(٢) المناقلة في المنطق : أن تحدثه ويحدثك

(٣) هو عامر بن شراحيل كوفي المنشأ ، تابعي جليل القدر وافر العلم ، يقال

أنه أدرك خمسمائة من الصحابة توفي سنة ١٠٣ هـ

(٤) قال النابغة — هذا الشعر حين نظر إلى النعمان بن الحارث أخى عمرو بن

الحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر ابن أبي شمر (مذهب

الأغاني ص ٢٣٠ ج ٢) .

خمسة آباء هم ما هم هم خير من يشرب صوب الغمام
فقال عبد الملك : ردها على ، فردتها حتى حفظها ، فقال الاخطل : من
هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا الشعبي ، قال : صدق ، والله النابغة
أشعر مني !

قال الشعبي : ثم أقبل على عبد الملك فقال : كيف أنت يا شعبي ؟ قلت : بخير -
لا زلت به - ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع
عبد الرحمن بن محمد الأشعث .

فقال : مه ! فانا لا نحتاج إلى هذا المنطق ، ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى
تفارقنا ، ثم أقبل على فقال : مات قول في النابغة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، قد فضله
عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء ؛ وذلك أنه خرج يوماً ويأبه
وفد غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، أي شعرائكم الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك رية	وليس وراء الله للمرء مذهب ،
ألم تر أن الله أعطاك سورة	تري كل هلك دونها يتذبذب
كأنك شمس والملوك كواكب	إذا طلعت لم يبد منها كوكب
لئن كنت قد بلغت عنى خيانة	لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولست بمستبق أخا لا تلمه	على شعث ، أي الرجال المهذب !

قالوا : النابغة ، قال ، فأيكم الذي يقول :

فأنك كالليل الذي هو مدركي	وإن خلت أن المتأى عنك واسع
خطاطيف ^(١) حجن في حبال متينة	تمد بها أيد إليك نوازع

قالوا : النابغة ، قال : أيكم الذي يقول

إلى ابن محرق أعملت نفسي	وراحلتى وقد هدت العيون
أنيتك عارياً خلقاً ثيابي	على خوف تظن بي الظنون
فألفيت الأمانة لم تخنها	كذلك كان نوح لا يخون

(١) الخطاف : حديدة حجناء تعقل بها البكرة والحجن . الاعوجاج (اللسان

قالوا : النابغة ، قال . هذا أشعر شعرائكم . ثم أقبل عبد الملك تلى الأخطل فقال : أنحب أن لك قياضاً ^(١) بشعرك شعر أحد من العرب ، أو تحب أنك قلته فقال . لا والله ، إلا أنى وددت أنى كنت قلت أيبانا قالاها رجل منا ، كان والله مغدف ^(٢) القناع ، قليل السماع ، قصير الذراع ، قال وما قال ؟ فأنشده .

لنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت ^(٣) بك الطول
ليس الجديد به تبقى بشاشته إلا قليلا ولا ذو خلة يضل
والعيش لا عيش إلا ما تقر به عين ولا حال إلا سوف تنتقل
والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهى ولام الخطى الهبل
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
قال الشعبي : قد قال القطامي أفضل من هذا ، قال . وما قال ؟ قلت : قال .

طرفت جنوب رحالنا من مطرق ما كنت أحسبه قريب المعنق
حتى أتيت على آخرها ، فقال عبد الملك : ثكلت القطامي أمه ، هذا والله
الشعر ، ثم قال : يا شعبي ، أى شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء ؟ قلت : خنساء
قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت . اقولها :

وقائلة والنعمش قد فات خطوها لتدركه يالهف بنفسى على صخر
ألا ثكلت أم الذين غدوا به إلى القبر ، ماذا يحملون إلى القبر !
فقال عبد الملك : أشعر والله منها ليلي الأخيلىة حيث تقول :
مهف الكشح والسربال منخرق عنه القميص لسير الليل محقر
لا يأمن الناس بمساه ومصبحه فى كل حى وإن لم يغز ينتظر
ثم قال عبد الملك : يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته ، فقلت : أى والله يا أمير
المؤمنين أشد المشقة ، إنى قد حدثتك فلم أفدك إلا أبيات النابغة فى الغلام .

(١) المقايضة . المبادلة والمعارضة

(٢) أغدف قناعه . أرسله على وجهه

(٣) يقال . طال طولك ، أى عمرك .

ثم قال عبد الملك : يا شعبي ! إنما أعلنناك هذا ، لأنه بلغني أن أهل العراق يتطلعون على أهل الشام ويقولون . إن كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق . ثم ردد على أبيات ليلي حتى حفظتها ، وأذن لي فأنصرفت ، فكنت أول داخل وآخر خارج .

٦ - وقال * الشعبي . دخلت على عبد الملك بن مروان في علقته التي مات فيها فقلت : كيف تجددك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا شعبي : أصبحت كما قال عمرو بن قبيصة (١) :

كأني وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها عني عنان (٢) للجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بهن يرمى وليس برام
فلو أنني أرمى بنبل رميتها ولوكني أرمى بغير سهام
وأهلكني تأميل يوم وليلة وتأميل عام بعد ذاك وعام
على الراحتين تارة وعلى العصا أنه ثلثاً بعدهن قيامي
فقلت : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لبيد ، وقد بلغ
سبعين حجة :

كأني - وقد جاوزت سبعين حجة - خلعت بها عن منكبى ردائياً
فلما بلغ سبعا وسبعين قال :

باتت تشككي إلى النفس مجهشة (٣) وقد حملتك سبعا بعد سبعينا .

* الأغانى ص ١٥٩ ج ١٦ ، مذهب الأغاني ص ٦٢ ج ٢ ، العقد الفريد ص ١٤٨ ج ١ طبعة المطبعة الأميرية .

(١) في العقد الفريد «زهير» .

(٢) عنان اللجام . السير الذي يشد به

(٣) الجهش والاجهاش : أن يفزع الإنسان إلى غيره ، وهو مع ذلك

كأنه يريد البكاء

فان تزدى ثلاثا تباغى أملا وفي الثـلاث وفاء للثانـيا
فلما بلغ مائة سنة قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الخلق كيف ليبد ؟
فلما بلغ مائة سنة وعشرا قال :

أليس ورائى إن تراخت منيتى لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التى خلت أدب كاتى كلما قت راكم
فلما بلغ ثلاثين ومائة سنة ، وقد حضرته الوفاء قال .

تمنى ابتغى أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فان حان يوما أن يموت أبوكا فلا تخمشا وجهها ولا تحلقا الشعر
وقولا . هو المرء الذى لا صديقه أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
إلى الحول ثم أسمى السلام عليه . ومن يبك - ولا كاملا فقد اعتذر^(١)

قال الشعبي . فتبسم عبد الملك وقال . لقد قويت من نفسى بقولك يا عامر ، وإنى
لأجد خفا وما بى من يأس ، وأمر لى بصلة . وقال لى اجلس يا شعبي فحدثنى
ما بينك وبين الليل . فجلست فحدثته حتى أمسيت وخرجت من عنده ، فما أصبحت
حتى سمعت الواعية^(٢) فى داره .

٧ وقال^(٣) حماد^(٤) الراوية . كان انقطاعى إلى يزيد بن عبد الملك . فكان
هشام يحففونى لذلك دون سائر أهله من بنى أمية فى أيام يزيد ، فلما مات

(١) اعتذر . أتى بعذر (٢) الواعية . الصراخ والصوت .

(٣) ثمرات الأوراق ص ١٨٢ ج ١ ، الأغاني ص ٧٥ ج ٦

(٤) هو حماد بن ميسرة ، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها
وأنسابها ولغاتها . كانت ملوك بنى أمية تقدمه وتؤثره ، وتستزيره ، فيسألونه
ويحزلون صلته .

يزيد ، وأفضت الخلافة إلى هشام خفته ، فحكمت في بيتي سنة ، لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرّاً .

فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنة أمنت فخرجت فصليت الجمعة ، ثم جلست عند باب الفيل . فاذا شرطيان قد وقفا على فقالا لي يا حماد ، أجب الأمير يوسف ^(١) بن عمر . فقلت في نفسي . من هذا كنت أحذر ، ثم قلت للشرطيين . هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا . ما إلى ذلك من سبيل .

فاستسلمت في أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان ^(٢) الآخر . فسلمت عليه فرد علي السلام : ورمى إلى كتابا فيه . . بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غيرا مروع ولا متعنع ^(٣) ، وأدفع إليه خمسمائة دينار وجهلا مهربا ^(٤) يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق . .

فأخذت الخمسمائة الدينار ونظرت فاذا جمل مرحول ^(٥) ، فوضعت رجلي في الغرز ^(٦) ، وسرت اثنتي عشرة ليلة ، حتى وافيت باب هشام ، قاستأذنت فأذن لي ، قد خلت عليه في دار قوراء ^(٧) مفروشة بالرخام ، وهو في مجلس مفروش

(١) لم يكن يوسف بن عمر والياً على العراق بعد ولاية هشام بسنة ، وإنما كان والياً عليها خالد القسري حتى سنة ١٢٠ هـ ثم ولي يوسف بعده

(٢) الإيوان : البيت يبني طولاً .

(٣) غير متعنع . من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويرعجه .

(٤) مهرة بن حيدان . أو قبيلة زهم حى عظيم ، وإبل مهربية . منسوبة إليهم .

(٥) مرحول . الرجل (١) الغرز . ركاب الرجل من جلد ، فاذا كان من

خشب أو حديد فهو ركاب

(٧) دار قوراء . واسعة .

بالرخام ، وبين كل رخامتين قضيب ذهب ، وحيطان كذالك ، وهشام جالس على
طنفسة حمراء ، وعاليه ثياب خز حر ، وقد تضح بالمسك والعنبر ، وبين يديه
مسك مفتوت في أواني ذهب يقلبه بيده فتفوح روائحها ، فسلمت فرد على ،
واستدانى فدنوت حتى قبلت رجله ؛ وإذا جاريتان لم أر قبلهما ، مثلهما ، في أذن
كل واحدة منهما حلقتان من ذهب ، فيها لؤلؤتان تتوقدان .

فقال لى . كيف أنت يا حماد ؟ وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين ،
قال أندرى فيم بعثت إليك لبيت خطر ببالي لم أدر من قاله . قلت . وما هو ؟ فقال .

فدعوا بالصبح يوماً فجاءت قينة في يمينها إبريق
قلت . هذا يقوله عدى بن زيد في قصيدة له . قال : فأنشدنيها ، فأنشدته .

يكر العاذلون في في وضع الصبح يقولون لى . ألا تستفيق

ويلومون فيك يابنة عبد الله والقلب عندكم موهوق^(١)

لست أدرى إذا كثروا العذل عندي أعدو يلومنى أم صديق

فطرب ، ثم قال أحسنت والله يا حماد ، أعد ، فأعدت فاستخفه الطرب حتى

نزل عن فرشه ، فقال : سل حوائجك ، فقلت : كائنة ما كانت ؟ قال نعم ، قلت :

إحد الجاريتين ، فقال لى ؛ هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما .

ثم قال للاولى اسقيه فسقتنى شربة سقطت معها فلم أعقل حتى أصبحت فاذا

بالجاريتين عند رأسى وإذا عدة من الخدم مع كل واحد منهم بدرة ، فقال لى أحدهم

أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول لك خذ هذه فاتفغ بها فأخذتها

والجاريتين وانصرفت .

٨ — ودخل رجل من بنى ضنة على عبد الملك بن مروان فقال :

والله ما ندرى إذا ما فاتنا طلب اليك من الذى نتطلب ؟

فلقد ضربنا^(٢) في البلاد فلم نجد أحدا سواك الى المسكارم ينسب

(١) الموهوق . المشدود بالوهق ، وهو الجبل

(٢) ضرب في الارض . سافر .

فأصبر لعادتنا التي عودتنا أولا فأرشدنا إلى من نذهب
فقال عبد الملك . إلى ! إلى ! وأمر له بألف دينار ، ثم أناه في العام المقبل فقال
يرب (١) الذي يأتي من الخير أنه إذا فعل المعروف زاد وتمما
وليس ككبان حين تم بناؤه تتبعه بالنقض حتى تهدما
فأعطاه أثنى دينار ، ثم أناه في العام الثالث فقال
إذا استمطروا كانوا مغاير (٢) في الدى يجوزون بالمعروف عودا على بدء
فأعطاه ثلاثة آلاف دينار .

٩ - وقال عامر الشعبي . وفدت سودة بنت عمار بن الأشتر الهمدانية
على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت ، فقال
لها كيف أنت يا ابنة الأشتر ؟ قالت ؛ بخير يا أمير المؤمنين ، قال لها : أنت
القائلة لأخيك .

شمر لفعل أبيك يا ابن عمار يوم الطعان وملقي الأقران
وانصر عليا والحسين ورهطه واقصد لهند (٣) وابنها بهوان
إن الامام أخا النبي محمد علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه قدماً بأبيض صارم وسانان
قالت . يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب ، فدع عنك تذكاري ما قد نسي
قال . هيات ، ليس مثل مقام أخيك نسي . قالت صدقت والله يا أمير المؤمنين
ما كان أخى خفى المقام ذليل الميكان ، ولكن كما قالت الخنساء

(١) رب . زاد وأصلح .

(٢) أغزر المعروف . جعله غزيرا . والمغاير لا يكون إلا جمعا لمغزار
أو مغزير من صيغ المبالغة ولم أجدهما في اللسان والقاموس وفي النحوص : سحابة
مغزار . غزير فيكون جمعا لمغزار حتما
(٣) هند هي أم معاوية .

وإن صخرنا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
وبالله أسألك يا أمير المؤمنين إعفائي عما استعفيت به ، قال قد فعلت ، فقولى
حاجتك قالت :

يا أمير المؤمنين انك للناس سيد ولأمورهم مقلد . والله . انك عما افترض
عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسطائك فيحصدنا
حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويسر منا الخسيسة (١) ويسألنا الجليلة . وهذا
ابن أرطاة قدم بلادى وقتل رجالى وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لكان فينا عزومنة ،
فقال معاوية : أإياى تهددين بقومك ؟ والله هممت أن أردك اليه على قتب
أشرس (٢) فينفذ حكمه فيك . فسكتت ثم قالت .

صلى الاله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العبدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به ثمنا فصار بالحق والايمان مقرونا
قال : ومن ذلك ؟ قالت . على بن أبى طالب رحمه الله . قال . ما أرى عليك
له أثرا ، قالت . بلى ، أتيت يومى فى رجل ولاء صدقتنا فكان يبتنا ويدينه ما بين
الغث والسمين . فوجدته قائما يصلى فانقتل (٣) عن الصلاة ثم قال برأفة وتعطف :
ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه إلى السماء فقال : اللهم إني لم
آمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك . ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب
فيه . بسم الله الرحمن الرحيم . قد جاءكم بينه من ربكم فأوفوا السكيل والميزان
ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعشوا فى الأرض مفسدين . بقية الله خير لكم إن
كنتم مؤمنين . وما أنا عليكم بحفيظ . إذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك
حتى يأتى من يقبضه منك والسلام ، فعزله يا أمير المؤمنين ما خزمه بخزام ولا
ختمه بختام بختام . فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها .
فقال : ألى خاصة أم لقومى عامة ؟ قال . وما أنت وغيرك ؟ قالت : هى والله

(١) سامه الامر : كلفه إياه . تقول ، يحشمننا دنايا الامور

(٢) القتب . الرحل الصغير . والأشرس . الحشن الغليظ . (٣) انقتل . انصرف

إذن الفحشاء واللؤم ، إن كان عدلاً شاملاً ، والا يسعنى ما يسع قومي . قال هيهات ، لمظكم^(١) ابن أبي طالب الجرأة وغركم قوله .

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام .
وقوله .

ناديت همدان والأبواب مغلقة ومثل همدان سنى فتحه الباب
كالهندوانى لم تغفل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب
اكتبوا لها بحاجتها .

١٠ — وحبس مروان وهو والى المدينة غلاماً من بنى ليث فى جناية جناها
فأتهه جد الغلام وهى أم سنان بنت جشمه المذحجية فكلمته فى الغلام فأغاظ
مروان لها ، فخرجت إلى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفها فقال لها : مرحبا
بأبنة جشمه ما أقدمك أرضنا وقد عهدتكم تشتميننا وتحصين علينا عدونا ؟ قالت :
إن لبنى عبد مناف أخلاقاً طاهرة ، وأحلاماً وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا
يسفهون بعد حلم ، ولا يفتقمون بعد عفو ؛ وإن أولى الناس باتباع ما سن
آبأؤه لأنت . قال . صدقت نحن كذلك . فكيف قولك .

عزب الرقاد فمقلنى لا ترقد والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا على كالهلال تحفه وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائى وابن عم محمد إن يهدكم بالور منه تهتدوا
ما زال مذشهد الحروب مظفرا والنصر فوق لوائه ما يعقد ؟^(٢)
قالت . كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجو : أن تكون لنا خلفا . فقال رجل من
جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ؟ وهى القائلة .

إما هلكت أبا الحسين فلم تزل بالحق تعرف هادياً مهدياً

(١) لمظه الشيء : منحه إياه

(٢) ما مصدرية ظرفية ، تقول . إن النصر لا يفارق لواءه ما دام معقودا .

فاذهب عليك صلاة ربك مادعت فوق الغصون حمامة قريبا
قد كنت بعد محمد خلفا كما أوصى إليك بنا فكنت وفيها
واليوم لا خلف يؤمل بعده هيات تأمل بعده إنسيا

قالت : يا أمير المؤمنين لسان نطق وقول صدق . ولئن تحقق ما ظننا فخطك
الأوفر . والله ما ورثك الشنآن ^(١) في قلوب المسلمين إلا هؤلاء فأدحض ^(٢)
مقاتلهم وأبعد منزلتهم ، فانك ان فعلت ذلك تزد من الله قربا ومن المؤمنين حبا
قال . وانك لتقولين ذلك . قالت : سبحان الله ! والله ما مثلك مدح بباطل ولا
اعتذر اليه بكذب ، وانك لتعلم ذلك من رأينا وضيير قلوبنا . كان والله على أحب
الينا منك وأنت أحب الينا من غيرك . قال : من ؟ قالت : من مروان بن الحكم
وسعيد بن العاصي . قال . وبم استحققت ذلك عندك قالت بسعة حلمك وكريم
عفوك قال . فما حاجتك قالت . يا أمير المؤمنين ان مروان تبئك ^(٣) بالمدينة تبئك
من لا يريد منها البراح ، لا يحكم بعدل ولا يقضى بسنة ، يتتبع عثرات المسلمين
ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن ابني فأتيته فقال ، كنت وكنت ، فأسمعته
أخشن من الحजर وألصقته أمر من الصاب ^(٤) ثم رجعب الى نفسه باللائمة وقلت
لم لا أصرف ذلك الى من هو أولى بالعفو منه فأتيته يا أمير المؤمنين لتكون في
أمرى ناظرا وعليه معديا ^(٥) قال ، صدقت لا أسالك عن ذنبه والقيام بحجته .
اكتبوا لها بأطلاقه ، قالت ، يا أمير المؤمنين وأنى لي بالرجعة وقد نفذزادى وكلت
راحلى ؟ فأمر لها براحلة ومنجة .

(١) الشنآن . العداوة .

(٢) أدحض حجة : أبطلها

(٣) تبئك بالمكان : أقام .

(٤) الصاب : شجر مر

(٥) أعداه عليه : نصره وأعانه

١١ - وكانه لبید^(١) بن ربيعة جوادا شريفا في الجاهلية والإسلام، وكان آلى في الجاهلية أن يطعم ما هبت الصبا. ثم أدام ذلك في إسلامه، وكان له جفتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم، ونزل لبید الكوفة، وأميرها الوليد بن عقبة، فبينما هو يخاطب الناس إذ هبت الصبا، فقال الوليد في خطبته على المنبر: قد علمتم حال أخيكم أبي عقيل، وما جعل على نفسه: أن يطعم ما هبت الصبا، وهذا يوم من أيامه، وقد هبت ريحها: فأعينوه، وأنا أول من فعل.

ثم انصرف الوليد، فبعث إليه بمائة من الجزر وبهذه الأبيات:

أرى الجزار يشحد شفرته	إذا هبت رياح أبي عقيل
أشم الأنف أصيد ^(٢) عامرى	طويل الباع كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفرى بما نواه	على العلات ^(٣) والمال القليل
بنحر الكوم ^(٤) لادسجت إليه	ذيول صبا تجاذب بالأضيل

فلما وصلت الهدية إلى لبید شكره، وقال: لاني تركت الشعر منذ قرأت القرآن، ثم قال لابنته: أجيبه، فلعمري لقد عشت دهراً وما أعيد بجواب شاعر،

* الجهرة ص ٣٩، المستطرف ص ٥٠ ج ٢، الأغاني ص ٩٣ ج ١٤، بلوغ

الأرب ص ٩٢ ج ٣

(١) لبید بن ربيعة العامرى. أحد أشراف الشعراء المجيدين والقواد الفرسان المعمرين وهو من أصحاب المعلقات، ولما ظهر الإسلام أسلم وحسن إسلامه، ومات سنة ٤١ هـ

(٢) الاصيد رافع رأسه كبيرا

(٣) على العلات. على كل حال

(٤) الكوم: القطعة من الابل

١٢ — وكان أسيد بن عنقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه وأشدّهم عارضة
ولساناً وطال عمره ونكبه دهره واختلت حاله ، فخرج عشية يتقبل (١) لأهله فمر به
عميلة الفزاري فسلم عليه وقال : يا عم ما أصرارك الى ما أرى ؟ قال . بخل مثلك بماله
وصون وجهي عن أموال الناس . فقال . لئن بقيت الى غد لأغيرن ما أرى
من حالك . فرجع ابن عنقاء الى أهله فأخبرها بما قال له عميلة . فقالت له : لقد
غرك كلام غلام جنح ظلام (٢) . فكأما ألقيت فاه حجراً ، فبات تملأ بين
رجاء ويأس ، فلما كان السحر سمع رغاء الأبل وثغاء الشاه وصهيل الخيل ولجب
الأموال (٣) فقال ، ما هذا ؟ فقالوا : هذا عميلة ساق اليك ماله ؛ فخرج ابن عنقاء
له فتمس عميلة ماله شطرين وسأله (٤) عليه ، فأنشأ ابن عنقاء يقول

رأني على مابي عميلة فاشتكي	الى ماله حالي أسرى كما جهر
دعاني فأساني ولو ضن لم يلم	على حين لا بد ويرجى ولا حضر
فقلت له خيراً وأثيت فعمله	وأوفاك ما أليت من ذم أو شكر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه	ترى رداء سبائغ الذيل وانزر
غلام رماه الله بالخير مقبلاً	له سيمياء (٥) لا تشق على البصر
إذا قلت العوراء (٦) أغضى كأنه	ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر

(١) تبقل ، خرج يطلب البقل

(٢) جنح الليل أو الظلام ، الطائفة منه

(٣) اللجب : الجلبة والصياح واضطراب موج البحر .

(٤) سأله . قارعه أى ضرب القرعة .

(٥) السيماء والسياء والسيمياء والعلامية : يقول : يفرح به من

يراه للعنف عيانه .

(٦) العوراء : الكلمة القبيحة

١٣ - ووفدت بكاره الهلالية على معاوية :

فاستأذنت فأذن لها وهو يومئذ بالمدينة فدخلت عليه وكانت أسنت (١) وعشى بصرها (٢)
وضعفت قوتها ترعش بين خادمين لها (٣) فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام وقال
كيف أنت يا خالة فقالت بخير يا أمير المؤمنين قال غيرك الدهر قالت كذلك هو ذو
غير (٤) من عاش كبر ومن مات قبر فقال عمرو بن العاص هي والله القائلة يا أمير المؤمنين

يا زيد دونك فاحتفر (٥) من دارنا سيفاً حساماً في الزراب دفينا
قد كنت أذخره (٦) ليوم كريمة فالآن أبرزه الزمان مصونا
قال مروان وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين

أترقى ابن هند للخلافة مالكا هيات ذاك وان أراد بعيد
متك نفسك في الخلاء ضلالة أغراك عمرو للشقا وسعيد
قال سعيد بن العاص هي والله القائلة

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أمية خاطبا
فالله آخر مدتي فتناولت حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم لا يزال خطيبهم بين الجميع لآل أحد عائبا
ثم سلكوا فقالت يا معاوية كلامك أعشى بصرى وقصر حجتي (٧) أنا والله
قائلة ما قالوا وما خفي عليك مني أكثر فضحك وقال ليس يمنعنا ذلك من برك
أذكرى حاجتك قالت أما الآن فلا

(١) طغنت في السن (٢) ضعف نظرها

(٣) أي تمشي مستندة على خادمين وهي ترتعش لكبر السن

(٤) أي صاحب أحوال متغيرة

(٥) أي احفر الأرض في دارنا لتخرج منها السيف المدفون

(٦) في رواية (قد كان مذخورا)

(٧) أعشى بصرى أضعفه وقصر حجتي أضعفها

١٤ - ودخل حمزة ^(١) بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب ، فوعده أن يصنع به خيراً ، ثم شغل عنه ، فاختلف عليه مراراً ثم لم يصل إليه ، وأبطأت عليه عدته ، فقال ابن بيض :

أخلد ^(٢) إن الله ما شاء يصنع	يجود فيعطى ما يشاء ويمنع .
وإني قد أمات منك سحابة	فجادت سراياً فوق يدياء تلمع
فأجمعت صرماً ثم قلت لعله	يثوب إلى أمر جميل ويرجع
فأبأيني من خير مخلد أنه	على كل حال ليس لي فيه مطعم
يجود لأقوام يودون أنه	من البغض والشنان أمسى يقطع
ويخل بالمعروف عمن يوده	فوالله ما أدرى به كيف أصنع
أأصرمه ؟ فالصرم شر مغبة	ونفسي إليه بالوصال تطلع
وشتان بيني والوصال وبينه	على كل حال أستقيم ويظلع ^(٣)
فأعقبنى صرماً على غير إحنة	وبخلاً وقدماً كان لي يتبرع
وغيره ما غير الناس قبله	فنفسي بما يأتي به ليس تقنع

ثم كتبها في قرطاس ، وختمه ، وبعث به مع رجل ، فدفعه إلى غلامه ، فدفعه الغلام إليه .

(١) الأغاني ص ٢٣ ج ١٥

وحمزة بن بيض . شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كوفي خليع ماجن وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة ووالده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبي بردة واكتسب بالشعر من هؤلاء ما لا عظميا ، ولم يدرك الدولة العباسية توفي سنة ١٢٠ هـ

(٢) أمير من بيت إمارة ورياسة وبطولة ، ولي إمارة خراسان على عهد عمر بن عبد العزيز نائباً عن أبيه ثم رحل إلى الشام وافداً على الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فأعجب به ، مات سنة ١٠٠ هـ

(٣) الظلع : العرج .

فلما قرأه سائل الغلام : من صاحب الكتاب ؟ قال لا أعرفه ، فأدخل إليه الرجل ، فقال : من أعطاك الكتاب ؟ ومن بعث به معك ؟ قال : لا أدري ، ولكن من صفته كذا وكذا ، ووصف صفة ابن بيض . فأمر به فضرب عشرين سوطاً على رأسه ، وأمر له بخمسة مئة درهم وكساه ، وقال : إنما ضربتك أدباً لك ، لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه لمن لا تعرفه ، فاياك أن تعود لمنهلاً . فقال الرجل . لا والله ، أصلحك الله لا أحمل كتاباً لمن أعرفه ولا لمن لا أعرف ، قال : أحذر فليس كل أحد يصنع بك صنيعي .

وبعث إلى ابن بيض ، فقال له : أتعرف مالحق صاحبك الرجل ؟ قال . لا ؛ فحدثه مخلد بقصته ، فقال ابن بيض : والله — أصلحك الله — لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين سوطاً مع الخمسة مئة أبدأ ؛ فضحك مخلد ، وأمر له بخمسة آلاف درهم وخمسة أثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبدأ ، قال أجل والله ، ولكن من لي بمثلك يعتبني ^(١) إذا استعتبته ، ويفعل بي مثل فعلك ثم قال :

وأبيض بهلول إذا جئت داره كفاني وأعطاني الذي جئت أسأل
ويعتبنني يوماً إذا كنت غائباً وإن قلت زدني قال حقاً سأفعل
تراه إذا ما جئته تطلب الودي كأنك تعطيه الذي جئت تسأل
فامر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب

١٥ — وأقبل على سليمان ^(٢) بن عبد الملك فتي من بني عباس ، وسيم ، فأعجبه

(١) يقال . أعتبني فلان ، إذا ترك ما كنت أجد عليه ، ورجع إلى ما أَرْضاني عنه ، بعد إسقاطه إياي عليه .

(٢) ابن أبي الحديد ص ٣٢٢ ج ١

وكان سليمان ملكاً غيوراً ، نهماً يحب الطعام ، كما كان فصيحاً لساً ، توفي

فقال ما اسمك ؟ قال : سليمان ، قال ابن من ؟ قال ، ابن عبد الملك ، فأعرض عنه ؛ وجعل يفرض « ٢ » لمن دونه ، فعلم الفتي أن كره موافقة اسمه واسم أبيه . فقال : يا أمير المؤمنين ، لا عدمت اسمك ، ولا شقي اسم يوافق اسمك ، فأرض ، فانما أنا سيف بيدك ، إن ضربت به قطعت ، وإن امرتني أطعت ، وسهم في كيناتك أشتد إن أرسلت ، وأنفذ حيث وجهت . فقال له سليمان وهو يختبره ، ما قولك يا فتى لو لقيت عدوا ؟ قال ، أقول : حسبي الله ونعم الوكيل ! قال سليمان . أكنت مكثفياً بهذا لو لقيت عدوك دون ضرب شديد

قال الفتي : إنما سألتني يا أمير المؤمنين ، ما أنت قائل ؟ فأخبرتك ، ولو سألتني ، ما أنت فاعل ! لأنبأك ، إنه لو كان ذلك ، لضربت بالسيف حتى يتعقف (٢) ، ولطعنت بالرمح حتى يتقصف ! فأعجب سليمان به ، وألحقه في العطاء بالأشراف وتمثل إذا ما اتقى الله الفتي ثم لم يكن على قومه كلا فقد كمل الفتي

(١) يقال أفرض له ، ، إذ جعل له فريضة ، والفريضة ، البعير المأخوذ في البركة ، ثم اتسع فيه حتى سمي البعير فريضة من غير الزكاة
(٢) التعقيف ، التعويج

تأثر الادب بالحياة الجديدة

في عصر بنى أمية

١ - وبعد فقد نهض الادب نهضة عظيمة في هذا العصر ، الذى نبغ فيه كثير من أشهر أعلام الادباء والكتابة والشعراء فى اللغة العربية فالشعر والخطابة والكتابة وسائر ألوان الادب قد أدت رسالتها الادبية فى هذا المعترك الحافل بأسباب النشاط

ومجامع العلم والادب قد تعددت وكثرت وأثمرت وخدمت التراث الإسلامى والادب العربى خدمات جلى

وأغدق الخلفاء على الشعراء والادباء والرواء والعلماء إغداقا كبيرا وساعد على بلوغ الادب هذه المنزلة اسباب كثيرة .

١ - فالخلفاء والأمراء والولاة كلهم من عنصر عربى وهم يحبون البلاغة ويطربون للادب ويمتزون لسماع الشعر الجيد

ب - والنبواعت السياسية كان لها أثرها البعيد فى هذه النهضة الادبية الجليلة

ج - وإحياء بنى أمية للعصية كان باعنا على نهضة الادب والشعر

د - فوق تأثير بلاغة القرآن والحديث فى نفوس القوم من حكام

ومحكومين وممدوحين وممادحين

الى غير ذلك من شتى الاسباب :

٢ - والادب على أى حال قد تأثر تأثرا بعيدا بهذه الحياة الجديدة فى العصر

الأموى ، مما يمكن تلخيصه فيما يأتى

١ - نهضة الشعر والادب واللغة نهضة كبيرة

٢ - ذبوع الخطابة ورقى الكتابة والرسائل بتأثير الحياة السياسية الجديدة

٣ - تأثر الادب عند أهل الامصار بصورة حياتهم ، فكان لكل حزب

سياسي أو طائفة مذهبية بين الخوارج والشيعة والزييرية والمروانية والمضرية والقحطانية والشعوبية شعراء وخطباء ينظمون الشعر ويخطبون في تأييد نحلتهن وخلف مريد البصرة وكناسة الكوفة عكاظ في اجتماع الشعراء والخطباء بهما كما تآثر الأدب في الحجاز بحياة المترفين من شبانه ، فنشأ فيه نوع من الغزل الرقيق ومقطعات الغناء ، وما زال يستفحل أمره حتى تحول على لسان بعض مجان الشعراء إلى مجون ولهو

وتأثر في البوادي بحياة أهلها من أصحاب الجد والتوقر والجفاء منهم فبرز في ثوب الفجر والتباهي والتهاجي والتناقض والمدح والثناء ونحو ذلك وتأثر عند العذريين بنزعة نفوسهم فخطر في حلة الشعر العفيف الذي يعتبر من أجمل ما قيل من الشعر العربي .

٤ — ذيوع فنون أدبية جديدة كالتوقيعات وفن القصص التاريخي الذي كُتبت به السيرة

٥ — انتشار الأدب العرب في كثير من الحواضر الإسلامية البعيدة عن الجزيرة العربية كمصر والعراق وشمال أفريقية والأندلس إلى غير ذلك من مظاهر التأثير بهذه الحياة الجديدة مما سنتكلم عنه بكثير من الأفاضة والتحليل

على أنه قد حدث في النصف الأول للقرن الثاني الهجري أن الحياة الاجتماعية والعقلية للعرب ، وخاصة حياة العرب في العراق ، كان يعثورها التغيير في كل ناحية من نواحيها ، فسياسة الشدة التي كان يتبعها حكام الدولة الأموية كانت ، بقضائها على الروح الحربي لأهل القبائل ، قد مهدت السبيل إلى الانقلاب بتأسيس حياة مستقرة ونمو جماعة متحضرة ، تشتغل بأعمال سلمية ، وتعنى في طبقاتها العليا بالبحوث العقلية ، ولم يجد مثل هذا المجتمع في الأفكار القديمة وأساليب البيان السابقة ما كان يجده فيها من القوة والسلطان فقد أصبح هذا المجتمع يبحث عن مواد وصور للتعبير جديدة ، تكون أكثر ملاءمة لأحواله الجديدة وما فيها من مجالات عقلية أبعد شأوا ، وقد زاد هذه الميل قوة زيادة امتزاج

العناصر الفارسية والآرامية وغيرها بالحياة العربية ، الاجتماعية والأدبية .
والواقع أن الأدب العربي كان يدنو من عصر انتقالى شبيه بتلك العصور الانتقالية
التي مرت بها أمم أخرى في مراحلها الأدبية الأولى . غير أن قيام الخلافة
العباسية منع الحركة نشاطا قويا لأنه جلب معه تحولا نهائيا في النفوذ السياسى
والاجتماعى من عناصر الحياة البدوية إلى عناصر الحياة الحضرية .

وقد سلك ممثلو التيارات الجديدة للتفكير العربى ، فى تلك الظروف ، نفس
المسلك ، كما انتحلوا نفس الخطى ، التى سلكتها وانتحلتها من قبلهم ومن بعدهم
الأمم التى اجتازت مثل تلك الظروف فى أزل الأمر فقد سدوا حاجتهم بالاستعارة
أو الترجمة من الآداب السابقة ومن أشهر المترجمين ابن المقفع الفرسى الأصل
المتوفى عام ١٤٣ هـ

* * *

النثر الفنى

فى عصر بنى أمية

نماذج له :

١ - صفة الإمام العادل :

كتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه - لما ولى الخلافة - إلى الحسن (١) البصرى ، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن رحمه الله : اعلم يا أمير المؤمنين ان الله جعل الإمام العام قوام (٢) كل مائل ، وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفه كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله الرفيق الذى يرتاد (٣) لها أطيب المرعى وينودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكشفها من أذى الحر والقر . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالاب الحانى على ولده يسعى لهم صفارا ؛ ويعلمهم كبارا ، يكتسب لهم فى حياته ويؤخر لهم بعد مماته ، والامام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرقيقة بولدها ، حملته كرها وربته طفلا ، تسهر بسهره وتسكن بسكونه ؛ ترضعه تارة ؛ وتفظمه أخرى ، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته . والامام العدل يا أمير المؤمنين كالفاب بين

(١) هو أبو سعيد بن يسار مولى زيد بن ثابت الانصارى ، وكان الحسن من سادات التابعين ركبرائهم وكان نسيج وحده فى الفصاحة والعلم والعبادة والورع وتوفى بالبصرة سنة ١١٠ هـ .

(٢) قوام الأمر : عماده ونظامه .

(٣) الارتياذ : طلب الكلاء فى مواضعه .

الجوارح ؛ تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده . والامام العادل يا أمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر إليه ويرىهم وينقاد إلى الله ويقودهم .

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما مأكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد^(١) العيال فافتقر أهله وفرق ماله . واعلم يا أمير المؤمنين ان الله أنزل الحدود^(٢) ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من بابها ، وان الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم .

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفرع الأكبر . واعلم يا أمير المؤمنين ان لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه ، يطول فيه ثوابك^(٣) ويفارقك أحباؤك ويسلمونك في قعره فريدا وحيدا ، فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه . واذكر يا أمير المؤمنين اذا بعث^(٤) ما في القبور وحصل^(٥) ما في الصدور ، فالأسرار ظاهرة والكتب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . فالآن يا أمير المؤمنين - وأنت في مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل - لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ، فانهم لا يرقبون في مؤمن إلا^(٦) ولا ذمة ، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك . ولا يغرنك الذين يتعمون بما فيه بؤسك وبأكلون الطيبات في دنياهم باذهب طيباتك في آخرتك ، فلا تنظر الى قدرتك اليوم ولكن انظر الى قدرتك غدا وأنت مأسور

(١) التشريد : التفريق والطرده .

(٢) الحدود : العقوبات الرادعة .

(٣) الثواء : الإقامة أو طولها . (٤) بعث : أثير وأخرج .

(٥) حصل : جمع . (٦) الإل : العهد .

في حبال الموت وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبیین والمرسلین وقد عزت (١) الوجوه للحي القيوم .

إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظمتي ما بلغه ألو النهي من قبلي فلم آلك (٢) شفقة ونصحا، فأزل كتابي اليك كدأوى حبيبته يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجوه في ذلك من العافية والصحة . والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

٢ - لطارق بن زياد المتوفى سنة ٩٢ هـ

خطبة يخطب بها جيشه على الجهاد ويرغبهم في فتح الاندلس

حمد الله وأثنى عليه ثم قال

أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم (٣) والعدو أما مكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللثام (٤) وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة (٥) وأنتم لاوزر لكم إلا سيوفكم (٦) ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهب ربحكم (٧) وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم (٨) فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية (٩) فقد ألفت به إليكم مدينته الحصينة

(١) عزت : خضع .

(٢) اني لا آلوك نصحا : أي لا أفتر ولا أقصر .

(٣) وذلك لأنه أحرقت السفن التي وصلوا بها إلى بلاد اسبانيا

(٤) لا ينالون شيئا إلا إذا قاتلوا عليه

(٥) كثيرة

(٦) لا ناصر لكم غيرها

(٧) ضاعت قوتكم وغلبتكم

(٨) تجاسرت عليكم بدل خوفها منكم

(٩) بمقاتلة ذلك الجبار

وإن انتهز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ^(١) ولا حملتكم دوني على خطة أرخص متاع فيها النفوس ، أبدأ بنفسى واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالآخرة ^(٢) الألد طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظكم فيه ^(٣) بأوفر من حظى وقد بلغكم ما أنشأت ^(٤)، هذه الجزيرة من الخيرات العميمة وقد انتخبكم الوايد ابن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا ورضيكم للملك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ^(٥) ثقة منه بارتياحكم للطعان وسماحكم بمجالد الأبطال والفرسان ^(٦)، ليكون حظه منكم ثواب الله على إيداء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم ^(٧) من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولى انجادكم ^(٨) على ما يكون لكم ذكرا فى الدارين واعلموا أنى أول يجيب إلى ما دعوتكم إليه وأنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معى فإن هلك بعدة فقد كفيتم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل ^(٩)، تسندون أموركم إليه وإن هلكت قبل وصولى إليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكنفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله

(١) أنا منه بمكان حصين بمعنى أنا منه خالص

(٢) الأردغ الآلين

(٣) فيه أى الأمر الأشق

(٤) ما أخرجت

(٥) الصبر القريب المحرم للزوج أو الزوجة كالأب والاخت والعمة والختن

القريب المحرم للزوجة

(٦) وتكرمكم بمقاتلة الشجعان

(٧) وليكون غنمها لكم حالة كونها خالصة لكم

(٨) نصركم واعانتكم

(٩) لا تجدون عوزا وحاجة فى وجود بطل عاقل بمعنى أنكم تجدون كثيرا

من الأبطال الذين تولونهم أموركم

٣ - وللأحنف بن قيس المتوفى سنة ٦٧ هـ :

آفة الملوك سوء السيرة ^(١) وآفة الوزراء خبث السريرة ^(٢) وآفة الجند مخالفة القادة ^(٣) وآفة الرعية مخالفة السادة ، وآفة الرؤساء ضعف السياسة ، وآفة العلماء حب الرياسة ، وآفة القضاة شدة الطمع ، وآفة العدول قلة الورع ، وآفة القوى استضعاف الخصم ، وآفة الجري إضاعة الحزم ^(٤) ، وآفة المنعم قبح المن ^(٥) ، وآفة المذنب حسن الظن ^(٦) .

٤ - ولعمرو بن العاص المتوفى سنة ٦٣ هـ في وصف مصر :

مصر تربة غبراء ^(٧) وشجرة خضراء ^(٨) طولها شهر وعرضها عشر ^(٩) يكتنفها جبل أغبر ^(١٠) ، ورمل أعقر ^(١١) يخط وسطها نهر ميمون الغدوات مبارك الروحات ^(١٢) يجرى بالزيادة النقصان كجرى الشمس والقمر له أوان ^(١٣) تظهر به عيون الأرض وينابيعها حتى إذا أصلح عجابه ^(١٤) ، وتعظمت أمواجه ^(١٥) ، لم يكن وصول بعض أهل القرى إلى بعض إلا في خفاف القوارب وصغار المراكب ، فإذا تكاملت تلك كذلك نكص ^(١٦) على عقبه كأول ما بدأ في شدته وطما في حدته ^(١٧) فعند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون أوديته ورواياه ^(١٨) يبدرون الحب ويرجون

(١) قبح السلوك (٢) رداءة النية

(٣) القواد (٤) عدم التدبر في الأمور

(٥) المن الامتنان وذكر المعروف (٦) حسن الظن فيمن بيده العقاب

فيتمادى في الذنوب (٧) سهلة الانبات (٨) بمعنى أنها كثيرة الشجر الأخضر .

(٩) لعله يريد أن الماشى يقطعها طولا في شهر وعرضا في عشرة أيام

(١٠) يحيط بها جبل ضارب إلى السواد (١١) أبيض مائل إلى الحمرة أو الصفرة

(١٢) محمود الذهاب والاياب (١٣) يزيد وينقص في أزمنة معينة .

(١٤) معظم مائه (١٥) تقطعت وتسربت في الأراضي .

(١٦) رجع وذهب (١٧) أى نقص بشدة كما زاد بقوة

(١٨) أعالي الأرض وأمافلها .

الثمار من الرب حتى إذا أشرق وأشرف (١) سقاه من فوقه الذى وغذاه من تحته
الثرى فعند ذلك يدر حلابه (٢) ويغنى ذبابه (٣) فيبينا هي يا أمير المؤمنين درة بيضاء
إذا هي عنبرة سوداء ، وإذا هي زبرجدة خضراء فتعالى الله الفعالم لما يشاء .

وصف النثر الفنى

فى العصر الأموى

١ ظهر فى هذا العصر أثر الثقافة الأدبية فى النثر الفنى ظهورا واضحا
لاخفاء فيه ؛ وهذه الثقافة متنوعة تشمل :

أ - القرآن الكريم الذى أثر فى ملكات العرب وهذب من ألسنتهم ورقق
من مشاعرهم وطباعهم وملكاتهم فى البيان فى عصر صدر الاسلام
ثم زاد هذا التأثير فى العصر الأموى : بحفظ العرب له ، وقرأتهم إياه بعد
أن انتشرت مصاحف عثمان فى الأمصار ، وللغراغ الذى وجدوه بعد الفتوحات
الاسلامية ، وللفترة الطويلة التى قضوها فى الاستفادة من بلاغة القرآن

ب - حديث رسول الله ، وكانوا يحفظون منه الكثير ، ثم دون ووزع
على الأمصار فى عهد عمر بن عبد العزيز ، فأتسعت إفادة الناس منه وتأثرهم ببلاغته
ج - الشعر والأدب الجاهلى ، وقد علمت ما كان من إحياء بنى أمية له ،
وتقريبهم الرواة والأدباء منهم

د - مجالس القصص والوعظ ، وقد كان فيها البليغ والخطيب والأديب الذى
يسحر القوم بلاغة وبيانا

هـ - أدب البلغاء والفصحاء فى العصر الأموى ، وهو كثير جدا ، وكان له
أثره فى تقويم الألسنة وتهذيب الملكة ، وكانت خطب الوفود التى تفد على قعصور
الحلفاء والأمراء دروسا كبيرة فى البلاغة والبيان ، ويروى أن شباب الكناب

(١) ظهر وبان (٢) يعظم محضوله (٣) يكثر عليه

كانوا إذا حضر وفد لهشام حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم^(١) ومجالس المؤدبين والرواة والشعراء والنقاد وكانت حافلة بالكثير من ألوان الأدب والشعر والقصة لها أثر كبير في تقويم الأذواق وإرهاف المشاعر وتهذيب الملكات .

٢ - وقد أفاد العرب من اختلاطهم بالموالى والناصر الأجنبية ، فسمعوا عن ثقافات الأمم القديمة ، ورويت لهم ، وتحدثوا بها في مجالس سمرهم مما أكسب العقول عمقا وفهما ومعرفة وعلمًا وثقافة ومدنية ، وظهر أثر ذلك في تقدم العلوم ونهضة الفنون والآداب وأخذ العرب بقسط من الحضارة ، وبمضى الزمن ترجوا هذه العلوم والفنون إلى العربية .

ولا يضير ما كان للاحتياط من أثر في الألسنة بما دخل عليها من اللحن واللكنة والعي ، فقد قاوموا هذه التيارات الجديدة بوضع العلوم ونشر الأدب وتقويم الألسنة والطباع .

٣ - وبإحياء الآداب الجاهلية ظهر أثرها في الأدب والنثر الأموى ، فعادوا إلى جزالة الجاهلية وصلابتها وشدة أسرها ، وكثر في أسلوبهم الأدبي في النثر الفنى ظهور خصائص غلبت على أسلوب النثر الأموى يمكن أن نلخصها فيما يلي :

(١) إثارة خيال السامع باستعمال المجازات القوية ،

(٢) السيطرة على وجدان السامع وعواطفه وميلهم إلى الموسيقى الصوتية باستعمال الالفاظ الطنانة البالغة التأثير .

(٣) التحدث إلى عقل السامع ، لا عن طريق الدقة في التعبير فحسب ، بل كذلك عن طريق التعبيرات والمجازات ومزجها ببعضها ببعض .

(٤) تفريع الصور العنقائية والمعاني وتنويعها باستخدام الازدواج في الفواصل استخداما قد يزيد قوة استعمال السجع أو ما يشبه السجع من الفواصل . غير أن التزام السجع في الكلام كان متجنباً . إما لأنه كان يشعر بشيء من التكلف ،

ولما لأن النقفية كانت كانت ميزة خاصة بالشعر ، وسجع الكهان وما أشبه ذلك من الانتاج الادبي .

ونجد في خطبة الحجاج أنه بينما يتجنب السجع ، يستخدم التليجات الشعرية والاقبياسات ويكثر من استعمال المجاز كما ترى في الجملة الآتية مثلا .

« إني والله يا أهل العراق ، ما يقع لي بالشنان ، ولا يغمز جانبي كتغماز التين ، ولقد فررت عن ذكاه ، وفتشت عن تجرية ، وإن أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - نثر كنياته بين يديه ، فوجم عيد انها ، فوجدني أمرها عودا ، وأصلبها مكسرا ، فرماكم بي لأزكم طالما أوضعتم في الفتنة ، واضطجتم في مرقد الضلال :

ولنقارن الآن بين تلك الجملة والجملة الآتية من رسالة عبد الحميد الكاتب .
« وأعلم أن كل أعدائك لك عدو يحاول هلاكك ، ويترض غفلتك ، لأنها خدع إبليس ، وحبائل مكره ، ومصايد مكيدة ، فاحذرها بجانبها ، توقها محترسا منها ، واستعد بالله من شرها وجاهدها إذا تناصرت عليك بعزم صادق لاونية فيه ، وحزم نافذ لا مشوية لأربك بعد إصداره عليك ، وصدق غالب لا مطمع في تكذيبه ، ومضادة صارمة لا أناة معها ، ونية صحيحة لا خلجة شك فيها . فمن المؤكد أن ليس ثمة صعوبة في أن ندرك أن في القطعة السابقة نفس الخصائص الأساسية التي في خطبة الحجاج ؛ ولكنها ذلتها وعبدتها الطلاقة التي يمتاز بها الكاتب وهي في الحقيقة تلك الصفة التي وصف بها مؤلف كتاب « الفهرست » عبد الحميد حينما قال : « هو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسيل »

(٥) ظهور الروح الديني في كثير من الوان النثر في هذا العصر

ألوان النثر الفنى

أولا - الخطابة

نماذج للخطابة فى العصر الأموى .

١ - خطبة معاوية بالمدينة عام الجاعة

وقدم معاوية عام الجاعة (سنة ٤١ هـ) فتلقاه رجال قريش فقالوا : الحمد لله الذى أعز نصرك ، وأعلى كعبك ، فارد عليهم شيئا حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال .

« أما بعد ، فانى والله ما وليتها ^(١) بمحبة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتي ، ولكنى جالدتكم بسيفي هذا بجالدة ، ولقد رضت ^(٢) لكم نفسى على عمل ابن ^(٣) أبى قحافة وأردتها على عمل عمر ، فنفرت من ذلك نفارا شديدا ، وأردتها على سنيات ^(٤) عثمان ، فأبت على ، فسلكت بها طريقا لى ولكم فيه منفعة : مؤاكلة حسنة ، ومشاركة جميلة ، فان لم تجدونى خيركم فانى خير لكم ولاية ، والله لا أحمل السيف على من لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه ، فقد جعلت ذلك له دبراذنى ^(٥) وتحت قدمي ، وإن لم تجدونى أقوم بحكمكم كله ، فاقبلوا مني

(١) أى الخلافة .

(٢) من راض المهر : إذا ذلله .

(٣) هو أبو بكر الصديق .

(٤) سنبة : مصغر سنة ، والمراد حكم عثمان .

(٥) جعل كلامك دبرا أذنه ، لم يصنع اليه ولم يعرج عليه .

بعضه ، فان أتاكم منى خير فاقبلوه ، فان لاسيل إذا جاد يثرى ، وإذا قل أغنى ،
ولما كنم والفتنة ، فانها تفسد المعيشة ، وتكدر النعمة ، .
ثم نزل .

٢ — وصيته لابنه يزيد

ولما حضرت معاوية الوفاة ؟ ويزيد غائب ، دعا معاوية مسلم بن عقبة المري
والضحاك بن قيس الفهري ، فقال : أبلغا عنى يزيد وقولا له :
« يا بنى إني قد كيفيتك الشد والرحال ، ووطأت ^(١) لك الامور ، وذلت لك
الاعداء ، وأخضعت لك رقاب العرب ، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد :
فانظر أهل الحجاز ، فانهم أصلك وعترتك ^(٢) ، فمن أتاك منهم فأكرمه ،
ومن قعد عنك فتمده .

وأنظّل أهل العراق ، فان سألوك أن تزل عنهم كل يوم عاملا فافعل ، فان
عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ، ثم لا تدري علام أنت
عليه منهم ؟

ثم انظر أهل الشام ، فأجعلهم الشعار ^(٣) دون الدثار ، فان رأبك من عدوك
ريب فارمهم ^(٤) بهم ، فان أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم ،
ولا يقيموا في غير بلادهم ، فيتأدبوا بغير أدبهم .

وإني لست أخاف عليك أن ينازعك هذا الامر إلا أربعة نفر من قريش :
الحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر .
فأما عبد الله بن عمر . فرجل قد وقذه ^(٥) الورع ، وإذا لم يبق أحد
غيره بايعك .

(١) وطأ : مهد . (٢) عترة الرجل : عشيرته الادنون .

(٣) الشعار : الثوب يلبس على شعر الجسد ، والدثار : الذى يلبس فوق الشعار .

(٤) الضمير للعدو ؛ وهو للواحد والجمع ، والذكر والانثى ، وقد يثنى

ويجمع ويؤنث . (٥) وقذه : صرعه وتركه عليلا كواقذه .

وأما الحسين بن علي : فإنه رجل غفيل ، وأرجو أن يكفيكم الله بمن قُتل أباه ، وخذل أخاه ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فإن خرج وظفرت به ، فأصفح عنه ، فإن له رحماً (١) مامة ، وحقاً عظيماً ، وقرابة من محمد صلوات الله عليه وسلامه .

وأما ابن أبي بكر : فإن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم ، ليست له همة إلا في النساء واللهم .

وأما ابن الزبير : فإنه خب ضب (٢) فإن ظفرت به فقطعه إرباً (٣) وأو قال : « وأما الذي يحثم لك جثوم الاسد ، ويراوغك مرواوعة الثعلب . فإن أمكنته فرصة وثب . فذاك ابن الزبير . فإن هو وثب عليك . فظفرت به . فقطعه إرباً إرباً ، واحقن دماء قومك ما استطعت . »

٣ — خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مصعب :

رما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير (سنة ٧١ هـ) وانتهى خبر مقتله إلى عبد الله بن الزبير ، أضرب عن ذكره أياماً . حتى تحدث به إمام مكة في الطريق . ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم . والكأبة على وجهه . وجبينه يرشح عرقاً . فقال رجل من قريش لرجل إلى جانبه : ماله لا يتكلم ؟ أترأه يهاب المنطق ؟ فوالله إنه للبيب الخطباء ، قال : لعله يريد أن يذكر مقتل مصعب سيد العرب ، فيشتد ذلك عليه ، وغير ملوم ، ثم تكلم فقال :

« الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، وملك الدنيا والآخرة ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك من يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء .

أما بعد : فإنه لم يعز الله من كان الباطل معه ، وإن كان معه الأنعام طراً (٤) ولم يذل من كان الحق معه ، وإن كان مفرداً ضعيفاً ، ألا وإنه قد أتناخبر من

(١) الرحم : القرابة.

(٢) رجل خب ضب : خداع مراوغ . (٣) أى عضوا عضوا .

(٤) طرا جميعاً .

العراق ، بلد الغدر والشقاق ، فساءنا وسرنا : أتانا أن مصعباً قتل رحمة الله عليه ومغفرته ، فأما الذى أحزننا من ذلك ، فإن لفراق الحميم لذعة ولوعة يجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوى من بعد ذو الرأى والدين إلى جميل الصبر ، وكريم العزاء ، وأما الذى سرنا منه فإنا قد علمنا أن قتله شهادة له ، وأنه عز وجل جاعل لنا وله فى ذلك الخيرة إن شاء الله تعالى .

أسلمه الطغام ^(١) ، انصم الآذان ، أهل العراق ، إسلام النعم المخطمة ^(٢) ، وباعوه بأقل من الثن الذى كانوا يأخذون منه . فان يقتل فقد قتل أبوه وعمه وأخوه ^(٣) . وكانوا الخيار الصالحين .

إنا والله لا نموت حتف آنا فإنا ^(٤) ، ولكن قعصا ^(٥) بالرماح ، وموتنا تحت

(١) الطغام : الاوغاد .

(٢) خطم البعير بالخطام : جعله على أنفه ، والخطام ككتاب : ما وضع فى أنف البعير ليقناده به .

(٣) بعد أن اعتزل الزبير بن العوام أصحاب الجمل . انصرف إلى وادى السباع ، وقد تبعه عمرو بن جرموز فقتله فى الصلاة .

ويعنى بعمه عبد الرحمن بن العوام بن خويلد . وقد استشهد يوم اليرموك . وفى رواية : وابن عمه ، ويعنى به عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام . وقد قتل يوم الدار . وأما أخوه فهو المنذر بن الزبير . وذلك أن جيش يزيد بعد أن أوقع باهل المدينة فى وقعة الحرة ، سار إلى مكة لغزو عبد الله بن الزبير ، فقال لآخيه المنذر : ما لهذا الامر ولدفع هؤلاء القوم غيرى وغيرك — وكان أخوه المنذر بمن شهد الحرة ثم لحق به — فجرد اليهم أخاه فى الناس ؛ فقاتلهم ساعة قتالا شديدا ؛ ثم إن رجلا من أهل الشام دعا المنذر إلى المبارزة ؛ فخرج إليه ؛ فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة خر صاحبه لها ميتا ؛ وكان مقتله سنة ٦٤ هـ .

(٤) الحنف : الموت ، ويقال : مات حتف أنفه : أى على فراشه من غير قتل

ولا ضرب ، ولا غرق ، ولا حرق ، وخص الأنف لأنه أراد أن روحه تخرج =

ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قتل منهم رجل في زحف في جاهلية ولا إسلام قط ، ألا وإنما الدنيا عارية ^(١) من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، فان تقبل الدنيا على لم آخذها أخذ الأشر ^(٢) البطر ، وإن تدبر عني لم أبك عليها بكاء الخرق المهين ^(٣) ، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ، ثم نزل .

٤ — خطبة عبد الملك بن مروان لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب :

ودخل عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :
« أيها الناس : إن الحرب صعبة مرة ، وإن السلم أمن ومسرة ، وقد زبنتنا الحرب وزبناها ^(٤) ، فمرفئها وألفئها ، فتحن بنوها وهي أمانا .

== من أنفه بتتابع نفسه ، أو لأنهم كانوا يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه والجريح من جراحته .

(٥) القمص : الموت السريع ، ومات قمصا : أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه ، وفي رواية : « إنا والله ما نموت حبجا كميتة آل أبي العاص ، والحبيج كسبب انتفاخ بطن البعير من أكل لحاء العرفج » كجهمفر ، وربما قتله ذلك ، يعرض بنى مروان ، لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة .

(١) العارية ويخفف : الشيء المستعار (٢) الأشر : البطر

(٣) الخرق وصف من الخرق كسبب : وهو الدهش من خوف أو حياء ، أو أن يبهت فاتحا عينيه ينظر . والمهين : الحقير . ويروى : « بكاء الخرف المهتر ، والخرف بفتح فكسر : من فسد عقله في الكبر ، والمهتر : من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن ، من الهتر بضم الهاء ، وقد اهتر فهو مهتر بضم الميم وفتح اللام ، شاذ ، وقد قيل اهتر بالبناء للجهول

(٤) أي دفعتنا ودفعناها ، والزبن : الدفع ومنه اشتقاق الزبانية « جمع زبينة أو زبني بكسر الزاي وسكون الباء ، لأنهم يدفعون أهل النار إلى النار ، ومنه أيضا : حرب زبون بفتح الزاي .

أيها الناس : فاستقيموا على سبل الهدى ، ودعوا الأهواء المردية وتجنبوا
فراق جماعات المسلمين ، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين ، وأنتم لا تعملون
أعمالهم ، ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة إلا شرا ، ولن نزداد بعد الإيعاز
إليكم والحجة عليكم إلا عقوبة ، فمن شاء منكم أن يعود بعد لمثلها فليعد ، فانما
مثلي رمثلكم كما قال قيس بن رفاعه الأنصاري :

من يصل ناري بلا ذنب ولا ترة	يصل بنار كريم غير غدار ^(١)
أنا النذير لكم منى مجاهرة	كى لا ألام على نهى وإنذار
فان عصيتكم مقالى اليوم فاعترفوا	أن سوف تلقون خزيا ظاهرا عارا
لترجعن أحاديثا ملعنة	لهو المقيم والهو المدلج السارى ^(٢)
من كان فى نفسه حوجاء يطلبها	عندى فانى له رهن باصهار ^(٣)
أقيم عوجته إن كان ذا عوج	كما يقوم قدح النبعة البارى ^(٤)
وصاحب الوتر ليس الدهر مدركه	عندى ، وإنى لدراك بأوتار

٥ - خطبة عمرو بن سعيد فى مجلس معاوية يوم عقد البيعة ليزيد :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد :

١ - الترة والوتر : الثأر .

٢ - أدلج : سار من أول الليل : فان سار من آخره فقد ادلج بالثديد ،

والسارى . السائر بالليل .

٣ - الحوجاء : الحاجة ، وقوله : باصهار أى لا أستترعنه ولا أمتنع فى

الأماكن الحصينة ، من أصحر القوم . برزوا إلى الصحراء .

٤ - العوج بفتح العين . فى كل ما كان منتصباً مثل الإنسان والعصا

والعود وشبهه ، والعوج بالكسر : ما كان فى بساط أو أرض أو معاش أو

دين ، وقيل بالفتح مصدر ، وبالكسر اسم منه . والقـدح : السهم قبل

أن يراش وينصل وجمعه قداح ، والنبعة واحدة النبع وهو شجر القسي والسهم .

فان يزيد بن معاوية أمل ، تأملونه وأجل تأملونه ، إن استضيفتم الى حمله
وسمكم وإن احتجتم الى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم الى ذات يده أغناكم ، جزع
قارح ، سوبق فسبق ، وموجد فمجد ، وقورع ففاز سهمه ، فهو خلف أمير المؤمنين
ولا خلف منه ^(١)

٦ — وصية عبد الملك بن مروان لولده عند وفاته :

ونظر عبد الملك عند وفاته الى ابنه الوليد وهو يبكي عليه عند رأسه فقال :
« يا هذا : أحنين الحمامة ؟ إذا أنا مت فشمروا وترى ، والبس جلد نمر : وضع
سيفك على عاتقك . فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه : ومن ساكت
مات بدائه . »

ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا . فقال : « إن طويلك لقصير ، وإن كثيرك
لقليل ، وإن كنا منك لفي غرور ، »

ثم أقبل على جميع ولده فقال : « أوصيكم بتقوى الله . فانها عصمة باقية . وجنة
واقية . فالتقوى خير زاد ؛ وأفضل في المعاد . وهي أحسن كهف . وليعطف
الكبير منكم على الصغير . وليعرف الصغير حق الكبير . مع سلامة الصدور .
والاخذ بجميل الأمور . وإيائكم والبنى والتجاسد . فبهما هلك الملوك الماضون
وذوو العزم المكين :

يابنى : أخوكم مسلمة . نابكم الذى تفرون ^(٢) عنه . ومجنكم ^(٣) الذى
تستجنون به ، اصددروا عن رأيه ، وأكرموا الحجاج ، فانه الذى وطأ لكم
هذا الأمر :

كونوا أولادا أبرارا ، وفي الحروب أحرارا وللمعروف منارا وعليكم السلام

(١) ٢ / ٧١ الأمالى

(٢) فر الدابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سنها والمعنى أنه أخوكم المجرب

المحنك الذى تستفيدون بتجربته ويكشف لكم الأمور بحذقه وبصيرته .

(٣) المجن : النرس

٧ - وضيهِ غثبة بن أبي سفيان المؤدب ولده :

وقال غثبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده :

« ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم المستحسن ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعامهم كتاب الله ، ولا تكررهم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، ثم زوهم من الشعر أعفه ، ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحسبكموه ، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم ، وتهديم بي ، وأدبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروهم سير الحكماء ، واستزدني بزيادتك إياهم أزدك ، وإياك أن تتكل على عذر مني لك ، فقد اتكأت على كفاية منك ، وزد في تأديبهم أزدك في برى إن شاء الله تعالى »

٨ - خطبة زياد البتراء :

وقدم زياد ابن أبيه البصرة سنة ٤٥ هـ ، واليا لمعاوية بن أبي سفيان ، والفسق بها كثير فاش ظاهر ، فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها ، وقيل بل قال .
« الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه ، اللهم كما زدتنا نعماً ، فألهمنا شكراً »

وأما بعد . فإن الجهالة الجهلاء ^(١) ، والضلالة العمياء ، والغى الموفى بأهله على الأثر ، مافيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم ^(٢) ، من الأمور العظام ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ؛ كأ نكم لم تقرأوا كتاب الله . ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته . والعذاب الأليم لأهل معصيته . في الزمن السرمدي ^(٣) الذي لا يزول .

أتكونون كمن طرفت ^(٤) عينيه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات . واختار

١ ، هذا الوصف تأكيد للمبالغة . كقولهم . ليلة ليلاء .

٢ ، الخلاء . العقلاء .

(٣) السرمدي : الدائم .

(٤) طرف بصره : أطبق أحد حفيه على الآخر ، وطرفه عنه كضربه :

صرفه ورده .

الفائية على الباقية . ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه ، من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله ، هذه المواخير ^(١) المنصوبة ؛ والضعيفة المسلوقة في النهار المبصر . والعدد غير قليل . ألم يكن منكم نهاية ^(٢) تمنع الغواة عن دلج ^(٣) الليل وغارة النهار ؟ قربتم القرابة . وباعدتم الدين . تعتذرون بغير العذر . وتغضون على المختلس . كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنييع من لا يخاف عاقبة . ولا يرجو معادا . ما أنتم بالحلما . ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم ذونهم . حتى انتهكوا حرم ^(٤) الإسلام ثم أطرقوا وراكم . كنوسا ^(٥) في مكاس الرب . حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماء وإحراقا .

إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله . لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف ، وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى ^(٦) ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدير ، والمطيع بالعاصي ، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم ، حتى

(١) المواخير جمع ماخور : وهو بيت الرية .

(٢) نهاية جمع ناه ، وغواة جمع غاو .

(٣) الدلج : السير من أول الليل .

(٤) الحرم جمع حرمة : وهي مالا يحل انتهاكه ، روى الشعبي قال . ولما خطب

زياد خطبته البترام بالبصرة ونزل ، سمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون ،

فقال : ما هذا ؟ قالوا : إن البلد مفتون ، وإن المرأة من أهل المصر لتأخذها

الفتيان الفساق ؛ فيقال لها . نادى ثلاثة أصوات ، فان أجابك أحد ، وإلا فلا

لوم علينا فيما نصنع !

(٥) كنوس جمع كنس . أى مستتر كجلوس جمع جالس ، وأصله من كنس

الظبي كضرب : دخل في كناسه (ككتاب) وهو مستتره من الشجر ، ومكانس

الرب : مكانها المستتر جمع مكنس كيجلس .

(٦) الولي . السيد والمولى هنا : العبد

يلقى الرجل منكم أخاه ، فيقول : « انج سعد فقد هلك سعيد »^(١) ، أو تستقيم لي قناتكم .

إن كذبة المنبر ببلقاء^(٢) مشهورة . فإذا تعلقت على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي^(٣) فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها^(٤) في . واعلموا أن عندي أمثالها . من نقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب منه^(٥) . فإياي ودج الليل . فاني لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه . وقد أجلكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم . وإياي ودعوى^(٦) الجاهلية ، فاني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه .

وقد أحدثتم أحداثا لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة : فمن غرق قوما غرقناه ، ومن أحرق قوما أحرقناه ، ومن نقب بيتنا نقبنا عن قلبه ، ومن

(١) سعد وسعيد هما ابنا ضبة بن أد، خرجا في طلب إبل لأبيهما فوجدهما سعد فردها وقتل سعيد فكان ضبة إذا رأى سواذا تحت الليل قال سعد أم سعيد ؟
(٢) من البلق بالتحريك وهو ارتفاع التحجيل في الفرس إلى الفخذين والتحجيل : بياض في قوائم الفرس ، والفرس البلقاء مشهورة لتميزها عما سواها بيلقها .

(٣) في تاريخ الطبري ، « قال الشعبي فوالله ما تعلقتنا عليه بكذبة ولا وعدنا خيرا ولا شرا إلا أنفذه ،

(٤) أي عدوها من عيوني واغتمزه طعن عليه .

(٥) في تاريخ الطبري « وكان زياد أول من شد أمر السلطان ؛ وأكد الملك لمعاوية ، وألزم الناس الطاعة ، وتقدم في العقوبة وجرد السيف بالظنة وعاقب على الشبهة وخافه الناس في سلطانه خوفا شديدا حتى أمن الناس بعضهم بعضا حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها وكان يقول لو ضاع حبل بني وبني خراسان علمت من أخذه ،

(٦) قولهم . بالفلان ، والغرض : مناصرة العصية .

نبش قبراً دفناه حياً فيه . فكفوا عن أيديكم وألسنتكم ، أكفف عنكم يدي
ولساني ، ولا تظهر من أحد منكم رية بخلاف (١) ما عليه عامتكم ، إلا
ضربت عنقه .

وقد كانت بيني وبين أقوام إحن (٢) لحملت ذلك دبراً (٣) أذن وتحت قدمي ،
فمن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً ، ومن كان منكم مسيئاً فليزدد عن إساءته .
إني لو علمت أن أحكم قد قتلته السل من بغضي لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك
له سترًا ، حتى يبدى لي صفحته (٤) ؛ فإذا فعل ذلك لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم ،
وأعينوا على أنفسكم ، قرب مبتئس بقدمنا سيئس ؛ ومسرور بقدمنا سيبتئس .
أيها الناس : إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة (٥) ، نسوسكم بسلطان
الله الذي أعطانا ونزود عنكم بنى الله الذي خولنا (٦) ، فلنا عليكم السمع والطاعة
فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستجبوا عدلنا وفيئنا بما صحتكم إنا ،
واعلموا أني مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة
منكم ولو أتاني طارقاً بليل ، ولا حابساً عطاء ولا رزقاً عن إبانة (٧) ، ولا
بجراً (٨) لكم بعثاً .

(١) أى تخالف ما اجتمع عليه عامة القوم .

(٢) جمع إحنة . وهى الحقد والضغينة .

(٣) أى خلف أذن ، وقد اقتبسها من كلام معاوية

(٤) أى حتى يجاهرني بالعداوة

(٥) جمع ذائد أى مدافع

(٦) خولنا ، ملكنا ، والقيء : ما كان شمساً فينسخه الظل ، والخراج ، أى

ندفع عنكم بظل الله ونعمته التى وهبنا ، أو ندفع عنكم بما صار فى أيدينا من
أموال الخراج

(٧) أى وقته وموعده

(٨) جمر الجند حبسهم فى أرض العدو ولم يرجعهم

فادعوا الله بالصالح لا تمتكنكم ، فانهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكفكم الذى
إليه تأوون ، ومتى يصلحوا تصلحوا ، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم ، فيشتد لذلك
غيظكم ، ويطول له حزنكم ، ولا تدركوا له حاجتكم ، مع أنه لو استجيب
لكم فبهم لكان شر الهم ، أسأل الله أن يعين كلا على كل ، وإذا رأيتهم أنفذ
فيكم الأمر فانفذوه على أذلاله (١) ، وأبهم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة ،
فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعى .

فقال لإليه عبد الله بن الأهم فقال : « أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة
وفصل الخطاب » فقال له « كذبت ، ذاك نبي الله داود صلوات الله عليه ، فقام
الاحنف بن قيس فقال : « إنما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وإنما لن نثنى
حتى نبلى ، فقال له زياد . صدقت . فقام أبو بلال مرداس (٢) بن أدية وهو
يهمس ويقول . أنبأنا الله بغير ما قلت ، قال الله تعالى « وإبراهيم الذى وفى ، ألا
تزر وازرة وزرى أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأنت تزعم أنك
تأخذ البرى . بالسقيم ، والمطيع بالعاصى ، والمقبل بالمدبر ، فسمعها زياد فقال .
« إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفى أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوفا » .

٩ - خطبة الحجاج وقد قدم البصرة

وخطب الحجاج بن يوسف الثقفى لما قدم البصرة يتهدد أهل العراق
ويتوعدهم فقال .

أيها الناس . من أعياه دأؤه ، فعندي دواؤه ، ومن استطال أجله فعلى أن
أعجله ، ومن ثقل عليه رأسه ، وضعت عنه ثقله ، ومن استطال ماضى عمره ، قصرت
عليه باقيه ، إن للشيطان طيفا ، وللسلطان سيفا ، فمن سقمت سريرته ، صحت

(١) أى على وجوه وطرقه جمع ذل بالكسر ، وذل الطريق محجته ،
وأمر الله جارية على أذلالها ، أى مجاريها
(٢) هو من رؤساء الخوارج

عقوبته ، ومن وضعه ذنبه ، رفعه صلبه ، ومن لم تسعه العافية ، لم تضيق عنه الهلكة
ومن سبقته بادرة ^(١) فقه ، سبق بدنه بسفك دمه .

لانى أنذر مم لا أنظر ^(٢) . وأحذر ثم لا أعذر . وأنوعد ثم لا أعفو . إنما
أفسدكم ترنيق ^(٣) ولا تكلم . ومن استرخى لبيه ^(٤) . ساء أدبه . إن الحزم
والعزم سلبانى سوطى . وأبدلانى به سبى ^(٥) فقائمى فى يدى . ونجاده ^(٦) فى عنقى
وذبابه ^(٧) قلادة لمن عصانى . والله لا أسر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب
المسجد فيخرج من الباب الذى يابه . إلا ضربت عنقه

١٠ — من خطبة لآبى حمزة الشارى

وبلغ أبا حمزة ^(٨) الشارى أن أهل المدينة يعيرون أصحابه ، بحداثة أسنانهم ،
وخفة أحلامهم ، فصعد المنبر وخطبهم خطبة منها :

(١) بدرت منه بادرة سبقت منه سقطة

(٢) أنظره : أمهله

(٣) الترنيق : الضعف فى الأمر .

(٤) اللبب . ما يشد فى صدر الدابة لينع استئخار الرحل ، والمراد أن الهوادة

أو اللين تفسد أدب الرعية .

(٥) أى أنه رأى من الحزم والعزم المبالغة فى استعمال الشدة والقوة فى التأديب

فطرح السوط واستبدل به ما هو أشد منه وهو السيف .

(٦) النجاد : علاقة السيف .

(٧) ذباب السيف : حده

(٨) هو أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي السلى من أهل البصرة ، وهو من

رؤساء الخوارج (ويسمون الشراة كقضاة جميع شار كقاض ، من شرى يشرى

كرمى أى باع ، سموا بذلك لقولهم شرينا أنفسنا فى طاعة الله أى بعناها ووهبناها

أخذنا من قوله تعالى : ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، أو لقولهم

شرينا الآخرة بالدنيا ، أى اشتريناها . وقد قاتل أهل المدينة ودخلها سنة ١٣٠ هـ

« وقد بلغنى أنكم تنقصون أصحابي أقانم هم شباب أحداث وأعراب جفاة ،
ويحكم ي أهل المدينة ! وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله
المذكورون في الخير إلا شبابا أحداثا ؟ أما والله إني لعالم بتتابعكم فيما يضركم
في مآدمكم ، ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم .

شباب والله مكتهلون (١) في شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيالة عن
الباطل أرجلهم ، أنضاء (٢) ، عبادة ، وأطلاح (٣) سهر ، باعوا أنفسهم غدا
بأنفس لا تموت أبدا ، قد نظر الله إليهم في جوف الليل ، منحنية أصلاهم على
أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، وإذا مر
بآية من ذكر النار شق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه ، قد أكلت الأرض
ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ، ووصلوا كلال (٤) الليل بكلال النهار ،
مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم . من طول القيام : وكثرة الصيام . مستقلون
لذلك في جنب الله ، وفوق بعهد الله منجزون لوعد الله

حتى إذا رآهم السهام العدو وقد فوقت (٥) ، ورماحهم وقد أشرعت (٦) ،
وسيوفهم وقد انتضيت (٧) ، وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت ،

(١) أي قد أحرزوا رزانة الكهول وسداد رأيهم

(٢) أنضاء جمع نضو بكسر النون : وهو المهزول

(٣) أطلاح جمع طالح وهو كنضو وزنا ومعنى

(٤) الكلال ، التعب والاعياء

(٥) فوق السهم جعل له فوقا (بالضم) وهو موضع الوتر من السهم أي

أعدت للرماية

(٦) أشرعت : سددت

(٧) انتضيت : استلبت

استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله؛ ولم يستخفوا بوعيد الله لوعيد الكتيبة ،
ولقوا شبا (١) الاسنة، وشائك السهام، وظبات السيوف ، بنحورهم ووجوههم
وصدورهم ، فضى الشاب منهم قدما ، حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ،
واختضبت محاسن وجهه بالدماء ، وعفر (٢) جبينه بالثرى ، وانحطت عليه طير
السماء ، وتمرقته سباع الارض . فطوبى لهم وحسن مآب .

فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله ،
وكم من يد قد أبيزت (٣) عن ساعدها ، طالما اعتد عليها صاحبها راكعا وساجدا ،
وكم من وجه رقيق ، وجبين عتيق (٤) ، قد فلق بعمد الحديد . ثم بكى وقال :
آه على فراق الإخوان ، رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحهم الجنان .

١١ — خطبة قطرى (٥) بن الفجاءة في ذم الدنيا

صعد قطرى بن الفجاءة منبر الأزارقة (٦) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد فاني أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل

(١) الشبا جمع شباة؛ وهي حد كل شيء؛ والظبات جمع ظبة؛ وهي حد السيف
(٢) أصابه العفر بالتحريك وهو التراب .
(٢) أبيزت : فصلت .

(٤) عتيق : كريم .

(٥) هو أبو نعامة قطرى بن الفجاءة التميمي كان رئيس الخوارج مدة طويلة
ولذلك يقول الحريري في المقام السادسة : فقلدوه في هذا الامر الزعامة . تقليد
الخوارج أبا نعامة . وكان مقداما قوى النفس من الخطباء المشهورين وهو القائل .
وما المرء خيز في حياة اذا ماعد من سقط المتاع

قتل سنة ٧٨ هـ ♦

(٦) الازارقة : طائفة من الخوارج ينسبون الى صاحب مذهبهم (عبيد الله

بن الازرق) .

وتحبت بالعاجلة وعمرت بالآمال وتحلت بالآمانى وازينت بالغرور ، لاتدوم (١)
 خبرتها ولا تؤمن بجمعها ، غدارة ضلالة ، وحائلة زائلة ، ونافذة بائدة ، أكالة
 غوالة ، بدالة نقالة . لانعدوا اذا هي تناعت الى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها
 أن تكون كما قال الله تعالى : كما أنزلناه من السماء فاختمط به نبات الأرض فأصبح
 هشيما تذروه الرياح وكانت الله على كل شيء مقتدرا) مع أن امرأ لم يكن منها
 في حبرة ، إلا أعقبته بعدها عبرة ، ولم يلق من سراها بطنا ، إلا منجته من ضراتها
 ظهرا . ولم تطله (٢) فيها ديمة رخاء إلا هطلت عليه مزنة بلاء . وحرى اذا أصبحت
 له منتصرة ، أن تمسى له خاذلة متنكرة . وإن جانب منها اعذوذ وب واحلولى أمر
 عليه جانب وأوبى ، وإن لبس امرؤ من غضارتها (٣) ورفاهيتها (٤) نعا ، أرهقته
 من نوائبها نعا . ولم يمس امرؤ منها فى جناح أمن ، إلا أصبح منها على قوادم
 خوف ، غرارة غرور مافيا ، فان ما عليها . لاخير فى شيء من زادها إلا التقوى .
 من أقل منها استكثرت مما يؤمنه ومن استكثرت منها استكثرت مما يوبقه (٥) : كم واثق
 بها قد فجعته وذى طمانينة اليها قد صرعه وذى احتيال فيها قد خدعته ، وكم ذى
 ذى أبهة فيها قد صيرته حقيرا : وذى نخوة فيها قد ردته ذليلا ؛ وذى تاج قد كبته
 للبدن وللغم . سلطانها دول ؛ وعيشها رنق (٦) ؛ وعذبا أجاج ، وحلوها مر
 وغذاؤها سم (٧) ، وأسبابها رمام ، وقطافها سلع (٨) . حياها بعرض موت ،

(١) الحبرة : النعمة

(٢) طل المطر الأرض . نزل عليها ، والديمة . مطر يدوم فى سكون بلا رعد
 ولا برق . والمزنة . المطرة أو انسحابة ذات الماء .

(٣) الغضارة . النعمة والسعة والخصب .

(٤) الرفاهة والرفاهية . لين العيش .

(٥) أوبقه . أهله . (٦) الرنق . الكدر .

(٧) السم . جمع سم . الرمام . البالى من الحبال

(٨) السلع : بقله خبيثة الطعم أو شجر مر أو سم

وصحيحها بعرض سقم ، ومنيعها بعرض اهتضام . مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب . وسليمها منكوب . وجامعها محروب (١) . مع أن من ورأه ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدي الحكم العدل . ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، ألتئم في مساكن من كان أطول منكم أعماراً ، وأوضح آثاراً ، وأعد عديداً . وأكثف جنوداً . وأعتد عتاداً^٢ وأطول عماداً ؟ تعبدوا (٣) للدنيا أى تعبد وآثروها أى إيثار وظعنوا عنها بالكره والصغار . فهل باغىكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية وأغنت عنهم فيما قد أصلتهم بحيلة ؟ بل قد أرهقهم (٤) بالفواحش . وضععتهم بالنوائب . وعقرتهم بالمصائب . وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها وأخلد (٥) إليها حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد . الى آخر الأمد . هل زودتهم إلا الشقاء وأحلتهم إلا الضنك أو نورت لهم إلا الظلمة أو أعقبهم إلا الندامة ؟

١٢ - نصيحة رجل لهشام

وخرج الزهرى يوماً من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا سمعت كاربعة كلمات تكلم بهن رجل عند هشام . دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح لمسكك واستقامة رعيتك . قال : ما هن ؟ قال : لا تعد عدة لا تثق من نفسك بانجازها ؛ ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلاً إذا كان المنحدر وعراً ، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب ، وأن للآمر بغيات (٦) فكن على حذر . قال عيسى بن دأب : فحدثت بها الحديث المهدي وفي

(١) المحروب . المسلوب المال

(٢) العتاد : العدة وعدة : صار عتاداً حاضراً .

(٣) يريد . خضعوا

(٤) أرهقه . حمله مالا يطيق (٥) أخلد اليه . مال

(٦) البغيات : جمع بغية وهي الفجأة .

يده لقمه قد رفعها الى فيه فأمسكها : وقال وبحك ! أعد على فقات : يا أمير المؤمنين أسغ (١) لقمته . فقال : حديثك أعجب الى .

١٣ - نصيحة أعرابي لسليمان بن عبد الملك

قال أعرابي لسليمان بن عبد الملك . انى أكلتك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله فان وراءه إن قبلته ما تحبه . قال . هاته يا أعرابي فنحن نجود بسعة الاحتمال على من لا نأمن غيبته ولا نرجو نصيحته وأنت المأمون غيبا الناصح جيبا (٢) . قال فانى سأطلق لسانى بما خرسيت عنه الألسن تأدية لحق الله تعالى ، إنه قد اكتفلك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا (٣) دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم وخافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للآخرة وسلم للدنيا . فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه

١٤ - وخطب الحسين لما عزم على الخروج إلى العراق :

الحمد لله . وما شاء الله ولا قوة إلا بالله . وصلى الله على رسوله ، خط الموت على ولد آدم ، فخط القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهنى على اسلافى اشتياق يعقوب الى يوسف . وخير لى مصرع أنا لاقيه . كائننى بأوصالى بتقطعها عسلان الفلوان بين النواويس وكر بلا فتملان منى أكر اشأ جوفاً . وأجربة شعنا . لا يحيص عن يوم خط بالقلم رضا الله . ورضانا أهل البيت فنصبر على بلائه . ويوفينا أجور الصابرين لن يشذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمة هى مجموعة له فى حظيرة القدس تقر بهم عينه . وينجز لهم وعده ، ومن كان باذلاً فينا مهجته ، وموطناً على لقائنا نفسه فليرحل فانى راحل مصباحاً إن شاء الله

(١) أساغ اللقمة . ابتلعها .

(٢) فلان ناصح الجيب : يراد به قلبه وصدره أى أمين ، قال الشاعر .

وخشنت صدرا جيبه لك ناصح

(٣) ابتاع . اشترى .

وخطب غداة اليوم الذي استشهد فيه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا لو بقيت على أحد
أو بقي عليه أحد لكانت الأنبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالرضا ، وأرضى بالقضاء ،
غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء فجديدها بال ، ونعيمها مضجحل وسرورها
مكفهر ، والمنزل تلة ؛ رالدار قلعة ، فتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقوا الله
لعلكم تفلحون

وصف الخطابة

في العصر الأموي

- ١ — كانت كل الظروف السياسية والاجتماعية والأدبية تساعد إلى حد بعيد على ازدهار الخطابه ورقبها في العصر الأموي
- ١ — فالثورات السياسية والحروب والخلافات بين الأحزاب^(١) والمبادئ والعقائد كل ذلك عمل عمله في نهضة الخطابة وسموها
- ٢ — وقربهم من العصر الجاهلي أمدهم بسلامة الملكات وبلاغته القول وحصافة الرأي مما كان له أثره في الخطابة الأموية، وساعد على ذلك أثر القرآن وبلاغته في نفوسهم وأستهم
- ٣ — وغلبة الشعور الديني، وكثرة مجالس الوعظ وقوة العصبية؛ مما دعا إلى الخطابة واستلزمها
- ٤ — وكثرة الفتوحات الإسلامية في خراسان وشمال أفريقيا والاندلس كانت عاملا من عوامل رفعة شأن الخطابة وكثرتها ونهضتها
- ٥ — وكثرة الوفود على الخلفاء والأمراء والولاة جعل الخطابة أداة القول ووسيلة البيان في هذه المقامات والأحوال، وبعث فيها روح الفتوة والقوة والحصافة إلى غير ذلك من الأسباب التي حفزت على الخطابة وساعدت على نموها وبلوغها هذه المنزلة العالية بين ألوان الأدب في العصر الأموي الحافل
- ب — وموضوعات الخطابة أو أغراضها في هذا العصر كانت كثيرة متشعبة، ولقد زادت موضوعاتها بما استجد في شئون الدين والسياسة والاجتماع، ومن أهمها :

(١) وقد تعددت الأحزاب في العصر الأموي فمن شيعة وأمويين وخوارج

- ١ - استعمال الخطابة في الدعاية السياسية عند الفرق والأحزاب
- ٢ - استعمالها في الجدل الديني عند الخوارج والشيعة وسواهم
- ٣ - استعمالها عند الخلفاء والولاة والأمراء أداة للوعيد والانذار
- ٤ - استعمالها في المناقضات والمفاخرات والمحاورات التي كانت تدور بين العصبية المختلفة في السياسة والاجتماع والآداب
- ٥ - استعمالها فوق ذلك في أغراض الجاهلية وصدر الاسلام من وصية بمعروف ونصيحة بخير وتحريض على القتال وتهمة بنصر وفي صلاة الجمعة والعبيد والحج إلى غير ذلك من المواقف

ج - وتمتاز الخطابة في العصر الأموي بما يأتي :

- ١ - ظهور النزعة الدينية في الكثير منها كما في خطبة قطري من الفجاءة وأبي حمزة الشامي وسواهما
- ٢ - كثرة أساليب التهديد والتوبيخ والوعيد والانذار في الخطابة
- ٣ - اقتباسها من القرآن الكريم ثارة ومن الشعر الجاهلي أحيانا أخرى
- ٤ - التزامهم سب آل علي في خطب الأمويين السياسية والدينية ماعدا عمر بن عبد العزيز الذي أبدل ذلك وجعل مكان تنقص علي وآل بيته قوله تعالى « إن الله يأمر بالعدل والإحسان »
- ٥ - ظهور أثر البلاغة الجاهلية بما فيها من إغراب وشدة وصلابة في خطابة هذا العصر (١)

(١) وكانت الخطب في هذا العهد تفتتح دائماً بحمد الله والصلاة والسلام على نبيه وعابوا على زياد بن أبيه تجريد خطبته التي خطبها أول دخوله البصرة والبا عليها من حمد الله والصلاة على نبيه وسموها : « البتر » ، لذلك .
ثم يفيض الخطيب في موضعه ثم يختتمها بقوله : « أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم » وربما أعاد بعد ذلك الحمد لله والصلاة على النبي والدعاء للخليفة في الجمع والمواسم .

د - وقد بقيت هيئة الخطيب وعادات الخطابة كما هي ومكانت في العصر الجاهلي وصدر الاسلام وكان من سنة الخلفاء والولاة أن يخطبوا الناس بأنفسهم يوم الجمعة حتى جاء الوليد وكان كثير اللحن عي اللسان فأناوب عنه من يخطب الناس ومن ذلك الحين أخذت الخطابة تنزل عن مكانتها العالية وبدأت الكتابة تحتل مكانها الضخم وكانوا يحرصون في خطابهم على التزيين بزي العرب والخطبة من قيام والاعتماد على قوس أوقائم سيف أو مخضرة ، وخطب الوليد بن عبد الملك جالسا فلم تستحسن منه ولا من حاكاه من بني أمية

هـ - وعلى الجملة فقد بلغت الخطابة في هذا العصر منزلة عالية وحفلت بها النوادي والمجامع وقصور الخلفاء والأمراء وأما كن القضاء وميادين الحروب وذلك كله يرجع إلى سلامة المملكة وكثرة دواعي الخطابة وانتشار العصبية وما يشعر به العربي من أنفة وكبرياء

ونبغ في الخطابة الكثير من البلغاء والفصحاء والمقاول المصاقع من بني هاشم وفصحاء القواد والبلغاء كالحسين بن علي ، وحفيده زيد ، وكمعاوية وعبد الملك وسليمان وعمر بن عبد العزيز ، وكالحجاج ، وقتيبة بن سلم وخالد القسري والمهلب بن أبي صفرة من ولاتهم ، وكعبد الله بن الزبير والمختار وابن الأشعث من الخارجين عليهم ، وكعمران بن حطان وقطري بن الفجامة وأبي حمزة الاباضي من الخوارج ، وكصعصعة بن ضوحان وسحبان بن وائل من رؤساء القبائل ، ومن خطباء الأمصار ممن أدرك الدولتين الأموية والعباسية كخالد بن صفوان وعقال ابن شبة .

ثانياً - الكتابة

في عصر بنى أمية

نماذج للكتابة .

١ - كتب معاوية بن أبى سفيان الى ابنه يزيد وقد بلغه مقارفته ^(١) للذات وانهماكه فى الشهوات .

أما بعد فقد أدت ألسنة التصريح الى أذن العناية بك ، ما فجع الأمل فيك ، وباعد الرجا منك ؛ إذ ملأت العيون بهجة ، والقلوب هيبة ، وترامت ^(٢) إليك آمال الراغبين ، وهمم المنافسين ، فسخت بك فتیان قريش وكهول أهلك ، فما يسوغ لهم ذكرك إلا على الجرة المهوعة ^(٣) ، والكظ الجشء ^(٤) ، اقتحمت البوائق ^(٥) ، وانقادت إلى المعايير ، واعتضتها من سمو الفضل ، ورفيع القدر ، فليتك - يزيد - إذا كنت لم تكن ، سررت يافعا ناشئا ؛ وأنقلت كهلا ضائعا ^(٦) . فواحزنه عليك يزيد ! وياحرصدر المشكل بك ، ما أشمت فتیان بنى هاشم ! وأذل فتیان بنى عبد شمس عند تفاوض المفاخر ودراسة المناقب ! فن

(١) قارف الذنوب ، قاربها وخالطها .

(٢) ترامت إليه العيون تطلعت

(٣) الجرة ما يفيض به البعير فيأكله ثانية وكذا غيره من النعم والمهوعة

من هوعه أى قيأه وهذا تمثيل يقول إنهم يستنقلون ذكرك

(٤) الكظ الاملاء من الطعام والجشء الكثير وهذا تمثيل أيضا

(٥) البوائق جمع بائقة وهى الداهية

(٦) الضائع والضليع القوى

لصلاح ما أفسدت ، ورتق ما فتقت ؟ هيات ، خشت (١) الدربة (٢) وجهه التصبر بك ، وأبت الجناية إلا تحذرا على الألسن وحلاوة على المناطق ، ما أربح فائدة نالوها ، وفرصة انتهزوها ! انتبه ، يزيد ، للعظة ، وشاور الفكرة ، ولا تكن الى سمعك أسرع من معناها إلى عقلك ، واعلم أن الذى وطأك وسوسة الشيطان ، وزخرفة السلطان ، بما حسن قبجه واحلولى عندك مره ، أمر شركك فيه السواد (٣) ونافسكه الاعد ، فاضعت به من قدرك وأمكنك به من نفسك فمن لهذا كله :

اعلم يا يزيد أنك طربد الموت وأسير الحياة . بلغنى أنك اتخذت المصانع والمجالس للدهى والمزامير كما قال تعالى . أتبنون بكل ربيع آية تعشون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (٤) وأجهرت الفاحشة حتى اتخذت سريرتها عندك جهرا اعلم يا يزيد أن أول ما سلبكه السكر معرفة مواطن الشكر لله تعالى على نعمه المتظاهرة وآلائه المتواترة ، وهى الجراحة العظمى ، والفجعة الكبرى ترك الصلوات المفروضة فى أوقاتها ؛ وهى من أعظم ما يحدث من آفاتنا ، ثم استحسان العيوب ، وركوب الذنوب ، وإظهار العورة ، وإباحة السر . فلا تأمن نفسك على سر ، ولا تعقد (٥) على فعلك فما خير لذة تعقب الندم ؛ وتعنى (٦) الكرم ؟ وقد توقف أمير المؤمنين بين شطرين من أمرك لما يتوقعه من غلبة الآفة واستهلاك الشهوة فكن الحاكم على نفسك ، واجعل المحكوم عليه ذهنك ، ترشد إن شاء الله تعالى وليبلغ أمير المؤمنين ما يرد شاردنا من نومه فقد أصبح نصب (٧) الاعتزال من كل مؤانس ، ودريئة (٨) الألسن الشامتة . وفقك الله فأحسن

(١) خمش لطم (٢) الدربة التجربة

(٣) السواد العامة

(٤) تقدم شرح غريب الآية فى خطبة قطرى

(٥) يقول تفقد بالشراب الارادة والعزيمة

(٦) تعفى تذهب (٧) النصب هنا الغرض والهدف

(٨) الدريئة الحلقة التى يتعلم الرامى الطعن والرمى عليها

٢ - كتاب الحجاج إلى المهلب بن أبي صفرة

ولما ولي الحجاج العراق ، استنفر الناس لقتال الخوارج مع المهلب بن أبي صفرة ، وخرج المهلب في آثارهم ، ونشب بينه وبينهم القتال فانكشفوا وقد كثر فيهم القتل والجراح .

وكتب الحجاج إلى المهلب من قبل الرقعة :

« أما بعد : فإنه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج ، وتركت قتال العدو ، وإني وليتك وأنا أرى مكان عبدالله بن حكيم المجاشعي ، وعباد بن حصين الحبطي ، واخترتك وأنت من أهل عمان ^(١) ، ثم رجل من الأزد ، فالفهم يوم كذا في مكان كذا ، وإلا أشرعت ^(٢) إليك صدر الرمح . »

فشاور بنيه ، فقالوا : إنه أمير ، فلا تغلظ عليه في الجواب .

فكتب إليه المهلب :

« ورد على كتابك تزعم أني أقبلت على جباية الخراج ، وتركت قتال العدو ، ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز ، وزعمت أنك وليتني ترى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي ، وعباد بن حصين الحبطي ، ولو وليتهما لبكنا مستحقين لذلك ، في فضلهما وغنائهما ^(٣) وبطشهما ، واخترتني وأنا رجل من الأزد ، ولعمري إن شرا من الأزد لقبيلة ^(٤) تازعها ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهن ، وزعمت أني إن لم ألفهم في يوم كذا في مكان كذا ، أشرعت إلى صدر الرمح ، فلو فعلت لقلبت إليك ظهر المجن ^(٥) ، والسلام . »

(١) عمان : بلد باليمن .

(٢) أشرعت : سددت .

(٣) أي كفايتهما .

(٤) يعني قبيلة ثقيف . قبيلة الحجاج ، فهي متنازعة بين هوازن وإياد وشمود .

(٥) المجن : الترس ، وقلب له ظهر المجن : كلمة تضرب مثلا لمن كان لصاحبه

على مودة أو رعاية ثم حال عن ذلك ، أي أسقط الحياء وفعل ماشاء .

٣ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان

وكان عروة بن الزبير عاملاً على اليمن لعبد الملك بن مروان ، فاتصل به أن الحجاج يجمع على مطالبة بالأموال التي بيده وعزله عن عمله ، ففر إلى عبد الملك وعاذ به خوفاً من الحجاج ، واستدفاعاً لضرره وشره ، فلما بلغ ذلك الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان :

« أما بعد : فإن لواء^(١) المعترضين بك ، وحلول الجانحين إلى المسكت بساحتك واستلاتهم دمت^(٢) أخلاقك ، وسعة عفوك ، كالعارض^(٣) المبرق لأعدائه لا يعدم له شائماً^(٤) ، رجاء استمالة عفوك ، وإذا أدنى الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمريناً لهم على إضاعة الحقوق مع كل ضال ، والناس عبيد العصا ، هم على الشدة أشد استباقاً منهم على اللين ، ولذا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله ، وفي استخراجه منه قطع لطمع غيره ، فليبعث به أمير المؤمنين إن رأى ذلك والسلام فلما قرأ الكتاب بعث إلى عروة ثم قال له ، إن كتاب الحجاج قد ورد فيك وقد أبى إلا إشخاصك^(٥) إليه ، ثم قال لرسول الحجاج : شأنك به ، فالتفت إليه عروة مقبلاً عليه وقال ،

« أما والله ما ذل وخزى من مات ، ولكن ذل وخزى من ملكتموه ! والله لئن كان الملك بجواز الأمر ونفاذ النهي إن الحجاج لسلطان عليك ، ينفذ أموره دون

(١) لاذ به لوزا ولواذا ولياذا : لجأ إليه وعاذ به ، وفي الأصل «لوزان» ، ولم نجده في كتب اللغة مصدراً ؛ وإنما الذي فيها « ويقال هو بلوزان كذا بفتح اللام وسكون الواو أى بناحية كذا ، ومعناه هنا غير مناسب ، ولذا جعلناه (لواذا) .

(٢) دمت دمتاً كفرح فهو دمت : لان وسهل ، والدماثة : سهولة الخلق .

(٣) العارض . السحاب المعترض في الأفق .

(٤) شام البرق نظر إليه أين يقصد وأين يخطر

(٥) أى إرسالك .

أمورك ! إنك لتريد الأمرين منك عاجله ، ويبقى لك أكرومة (١) آجله ، فيجذبك عنه ، ويلقاه دونك ، ليتولى من ذلك الحكم فيه ، فيحظى بشرف عفو إن كان ، أو بجرم عقوبة إن كانت ، وما حاربك من حاربك إلا على أمر هذا بعضه ، فنظر في كتاب الحجاج مرة ، ورفع بصره الى عروة تارة ، ثم دعا بدواة وقرطاس ، فكتب اليه :

وأما بعد فإن أمير المؤمنين رآك - مع ثقته بنصيحتك - خابطا في السياسة خبط عشواء (٢) الليل ، فإن رأيك الذي يسول لك ان الناس عبيد العصا ، هو الذي أخرج رجالا ل الحرب إلى الوثوب عليك ، وإذا أخرجت العامة بعنف السياسة كانوا أوشك (٣) وثوبا عليك عند الفرصة ، ثم لا يلتفتون الى ضلال الداعي ولا هداه ، إذا رجوا بذلك ادراك النار منك ، وقد وليت العراق قبلك ساسة ، وهم يومئذ أحى أنوفا ، وأقرب من عمياء الجاهلية ، وكانوا عليهم أصلح منك عليهم ، وللشدة واللين أهلون ، والأفراط في العفو أفضل من الأفراط في العقوبة ، والسلام ؟

٤ - وكتب بشر إلى عبد العزيز بن مروان يعتذر عن كتاب
بسم الله الرحمن الرحيم :

لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر ولم يكن لك في قبوله مني الفضل ولو احتمل الكتاب أكثر مما ضمته لذت فيه وبقيّة الإصاغر على الأكبر من شيم الأكارم ولقد أحسن مسكين الدرامي حين قال

أخاك أخاك أن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهص البازي بغير جناح

(١) الأكرومة أفعل الكرم ، أفعولة من الكرم كالعجوبة من العجب

(٢) العشواء ، الناقة التي لا تبصر أمامها ، فهي تخبط بيديها كل شيء

(٣) أي أسرع

وصف الكتابة في العصر الأموي

١ - علمتم أن العرب في الجاهلية لم يكن لهم الف بالكتابة ولا معرفة لها وفي^(١) صدر الاسلام انتشرت الكتابة بتشجيع الرسول وخلفائه للحاجة إليها في تصريف شئون الدولة ومرافقها وتنظيم الدواوين المختلفة وأول من عنى بالكتابة في أعمال الخلافة والدولة عمر بن الخطاب فاتخذ ديوان الجيش يدون فيه أسماء الجند وأنسابهم وأعطيانهم فكان أول من دون الدواوين من الخلفاء وكان يقول لكتابه : « إن القوة على العمل لا تؤخروا عمل اليوم لغد فانكم إذا فلتتم ذلك تذايت عليكم لأعمال فلا تدرون بأبها تبدءون أو أبها تؤخرون » . كما أنشأ عمر ديوان الخراج ويشبه وزارة المالية الآن وكان كل عمله حساب إيراد الدولة أو الأقليم ومصرفاتها وليس فيه عناية بأسلوب الكتابة ويلاغتها

وكانت الكتابة في عهدها في عصر صدر الإسلام بسيطة يغلب عليها عدم الصنعة أو التكلف وتشيع فيها السهولة ويغلب عليها الإيجاز . لا أثر فيها للتنويق وتهذيب الأساليب والحرص على الصنعة . وقد سبق تفضيل ذلك

٢ - وجاء العصر الأموي والكتابة على ما علمت فأنشأ معاوية ديوان الخاتم لتسجيل رسائل الخلافة حتى لا يطلع عليها أحد سوى المرسل إليه كما أنشأ ديوان الرسائل ويشبه نظام الديوان الملكي الآن وكان خاصاً بكتابة رسائل الخليفة وكان يكتب له على الرسائل عبيد الله بن أوس الغساني ويكتب له على ديوان الخراج سرجون الرومي بالخط الرومي إلى أن نقلت دواوين الخراج من الفارسية إلى العربية على يد صالح بن عبد الرحمن في أيام الحجاج ، ومن الروميه

(١) وفي الأعاني ١٦٤ / ٢ : كان الرجل في الجاهلية اذا كان شاعرا شجاعا كاتباً ساجحاً رامياً سموه الكامل ، وأظن أن هذه الرواية مختلفة لندرة الكتابة في العصر الجاهلي .

إلى العربية على يد سليمان أيام عبد الملك ثم نقلت في مصر من القبطية إلى العربية زمن الوليد فأصبحت لغة الدواوين كلها عربية وبعد فـلا يعنينا هنا الكتابة في ديوان الخراج أو ديوان الخاتم لأن الكتابة فيهما ليست موضع بحث الأدب وعنايته لأنها لا تعتمد على الأسلوب الفني البليغ . وإنما الذى يعنينا من الكتابة هو :

١ — ما كان يصدر عن ديوان الرسائل من الكتب البليغة الصادرة عن قصر الخلافة أو الامارة إلى الولاة والقواد ورجال الدولة والعمال .
٢ — ما كان يكتبه الكتاب والأدباء من الرسائل البليغة المختلفة في الأدب والاجتماع والسياسة والرسائل الاخوانية .

٣ — ما كان يصدر من الخلفاء والولاة من توقععات أدبية بليغة .
فهذه الألوان هي من أهم مظاهر الكتابة الفنية التى يعنى الأدب بالحديث عنها .
والكتابة في العصر الاموى تنقسم إلى عهدين .

١ — العهد الاول من قيام الدولة إلى أيام الوليد بن عبد الملك وكان الكتابة فيه تسير على نمط صدر الاسلام من الایجاز وأوضوح والسهولة والبساطة وقلة التكلف أو الصنعة . وكانت تصدر غالباً عن ديوان رسائل الخليفة ودواوين رسائل الولاة .

ب — العهد الثانى من أيام الوليد إلى آخر حياة الدولة وقد أخذت الكتابة في هذا العهد تتدرج في التألق وأساليب البيان والصنعة . والاطناب وكان زمام الكتابة بأيدي الموالى وأولهم سالم مولى هشام بن عبد الملك وآخرهم عبد الحميد بن يحيى الكاتب وابن المقفع فاحتفلوا بالكتابة وتأنقوا فيها وظهرت عليها الصنعة وغلب عليها الاطناب وأخذت الكتابة تحتل المنزلة الرفيعة التى كانت للخطابة والفضل في ذلك راجع إلى ما يأتى :

أولاً . اتساع أعمال الدولة وديوان الرسائل مما استدعى العناية بالكتابة والكتاب .

ثانيا : ضعف المملكات من أثر الاختلاط فقل الحرص على الخطابة وأخذت الكتابة في الظهور والذيع :

ثالثا : عناية الكتاب بالكتابة وجعلها صناعة فنية عتيده مع تعدد ثقافتهم الدينية والعربية والأدبية والأجنبية .

رابعا : ذيع الكتابة والثقافة وألوان من المدنية .

٥ - وأنواع الكتابة في هذا العصر هي كتابة الرسائل السياسية التي تصدر عن ديوان الرسائل ، والرسائل الاخوانية في العتاب والشوق والشكر والتهنئة وسواها ، والتوقيعات .

تحول الكتابة إلى صناعة فنية .

كان كثير من الكتاب والموالي يعرفون اللغة الفارسية وبعضهم كان يعرف الرومية أو اليونانية أو السريانية عما كان له أثره في النثر ، من عهد الرسول صلوات الله عليه . فزيد بن ثابت تعلم كما يقال الفارسية من رسول كسرى والرومية من صاحب النبي والحبشية من خادم النبي والقبطية من خادمه ^(١) ، وتعلم السريانية بأمر الرسول ^(٢) ، وأبو العلاء سالم كاتب هشام بن عبد الملك وأستاذ عبد الحميد الكاتب وأحد الواضعين لنظام الرسائل ونقل رسائل أرسطو إلى الاسكندر ^(٣) مما يدل على معرفته باغة غير اللغة العربية ، وكان جبلة بن سالم كاتب هشام أحد النقلة من الفارس إلى العربي ^(٤) ، وكذلك كان عبد الحميد الكاتب يعرف الفارسية فقد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان

(١) ٦ > ٣ العقيد

(٢) ٧٣ الادب الاسلامي لمحمود مصطفى

(٤) ٣٤٢ فهرست

(٢) ١٧١ فهرست

العربي ، (١) ، وهو أول من نقل تقاليد الفرس إلى الكتابة العربية ، (٢) ؛ وكذلك كان ابن المقفع وهو من سلالة فارسية عريقة . ومن ذلك يظهر بوضوح أثر الثقافات والأدب الفارسي على الخصوص في تطوّر الكتابة والنثر الفني في أدب لغتنا العربية .

وعبد الحميد الكاتب هو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسّل وعنه أخذ المترسلون (٣) ، وهو أحد كتاب القرن الثاني الذين فهموا (العصول) كما كان يفهمها علماء البيان من اليونان (٤) ، وهو أول من فتح أكام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر (٥) ، وآلت إليه زعامة الكتابة فهد سبلها ووضح معالمها ورسم لها رسوما خاصة في بدئها وختامها والأطواب فيها مرة والايجاز أخرى فكان بذلك شيخ الكتاب (٦) وبحق لقد بدأ فن الكتابة بعبد الحميد كما يقولون (٧) ثم ازداد أثر الفارسية في النثر الأدبي فنقل الفرس إلى العربية القصص الغرامي والغزل بالمثل (٨)

(١) ٦٩ صناعتين ، ٢/ ٨٩ ديوان المعاني

(٢) ١/ ٥٧ النثر الفني وما بعدها (٣) ٧٠ : فهرست

(٤) ص ١٠ مقدمة نقد النثر (٥) ٣/ العقد

(٦) ٢٩ العصر العباسي للألكندري ، راجع في ذلك ١١٢ تاريخ الأدب

العربي للزيات ، وقد توفي عبد الحميد عام ١٣٢ هـ ، وله من الآثار الأدبية : رسالة

إلى الكتاب [١٧٢ — ١٧٥ رسائل البلغاء] ، ورساله في الشطرنج [١٦٤ —

١٦٦ المرجع ، ورسالة في نصيحة ولي العهد [١٣٩ — ١٦٤ المرجع] ، وكلمات

ورسائل أخرى [١٦٦ — ١٧٢ المرجع]

(٧) راجع ٢٩٤ التوجيه الأدبي ، والنقاد يقولون فتحت الكتابة بعبد الحميد

وختمت بابن العميد

(٨) راجع ١٤٧ — ١/ ١٦٢ النثر الفني والغزل بالمثل أظهر في الشعر منه

في النثر

ثم ظهر ابن المقفع م ١٤٣ هـ ، وأحدث أثره في النثر الأدبي وفي تطوره
كان ابن المقفع من عنصر فارسي ، وهو أحد النقلة من الفارسية ^(١) إلى العربية
وذاع أنه ترجم كتب أرسطو من الفارسية ^(٢) إلى العربية ، والصحيح أن الذي
قام بذلك هو ابنه محمد بن عبد الله بن المقفع وهو الذي كان كاتب المنصور لأبوه ^(٣)
وابن المقفع هو إمام المنشئين في آخر الدولة الأموية وأول الدولة العباسية ،
وكان إمام الكتاب بعد عبد الحميد : وقد آخى ابن المقفع في طريقته بين التفكير
الفارسي والبلاغة العربية ، وكان مقدما في بلاغة اللسان واللم والترجمة واختراع
المعاني وإبداع السير : فأدبه وإن كان عربي اللفظ والاسلوب فهو أعجمي الفكر والتأليف
فقد استخلص من الاسلوب الفارسي والعربي طريقة عرفت به وأخذت عنه ^(٤)
وتظهر مزيته في ترتيب أفكاره وحسن تقسيمها ، ويغلب على أسلوبه القياس
المنطقي وتصوير الأفكار الدقيقة ، في حين يغلب على أسلوب عبد الحميد الصبغة
العربية كما تشيع في آثاره الحكمة يروضها بعذوبة ألاماظه وسلاسة أسلوبه ، وحقا
لقد كان أمة في البلاغة ورجانة القول وشرف المعاني مع وضوح الغرض وسمو
الأسلوب وهو أكثر كتاب عصره تأنقا في صوغ الجملة ، وكان يقوم في
النثر بما كان يقوم به زهير في الشعر ، وهو أحد الكتاب الذي لم يلتزموا
السجع ^(٥) فكان في كلامهم قليلا ولكنهم لا يكادون يخلون بالمناسبة بين الألفاظ

(١) ٧٢ فهرست

(٢) ويقول ابن النديم : وكتاب المقولات لأرسطو فسرّه ابن المقفع (٣٤٨
فهرست) ، ويقول : وكتاب العبارة لأرسطو اختصره ابن المقفع (٣٤٨ فهرست ،
١٠ ابن المقفع لمردم بك) ، ويقولون : وابن المقفع أول من أعنى في المسئلة
الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية للمنصور (٣٨ ابن المقفع لمردم بك)

(٣) ١٠٥ - ١٢٠ التراث اليوناني لعبد الرحمن البديوي

(٤) ٢٢٢ الزيات

(٥) ١/٧١ النثر الفني

في الفصول والمقاطع إلا في مواضع يسيرة (١)، وقد اهتموا ببسط المعاني وتأكيدها وتركوا مذهب الأيجاز الذي كان شائنا في القرن الأول إلى الاطناب والأيضاح وتنويع العبارة وتقطيع الجملة والمزاوجة بين الكلمات وتوخى الإفهام، وابن المقفع أول من أفسح مجال الأدب العربي بالترجمة، فهو الذي ترجم كلية ودمنه ترجمة، ثم عن جهد بذله المترجم في تحرير الخصائص الهندية الصميعة التي للكتاب الأصلي (بنشأ تنترا) ليجمعه ملائما للذوق العربي وأضاف إليه فصولا جديدة في مواضع مختلفة (٢)

ومع أن ابن المقفع فارسي الأصل إلا أنه كان ابلغ البلغاء وكان معدودا من أساطين الفصاحة العربية. على أن هناك فوارق واضحة بين أسلوبه وأسلوب من قبله من الخطباء لغته وتركيب جملة كلاهما أدنى إلى البساطة، وأسلوبه أكثر مباشرة واستقامة وأقل تليجا وإشارة، والاتجاه إلى ما في الفارسي من القوة الخيالية والمقدرة اللغوية يصل في كتابته إلى ما يقرب من العدم، كما أن ازدواج الفواصل يكاد يكون ليس له عنده وجود. وبدلا من التصوير اللفظي القوى والالفاظ الطنانة؛ يعتمد ابن المقفع في استحداث روعة أسلوبه على استخدام العبارات المصقولة الجلية

وعلى الرغم من أن ابن المقفع كان يبنى على الأساس الذي وضعه الكتاب، لم يكن أسلوب النثر العربي قد تطور بعد تطورا كاملا، حينما كان يعالج

(١) ١٦٧ سر الفصاحة. ولا تكاد تجد كتابا في القرن الأول والثاني وأوائل الثالث يتخذ السجع طابعا ملازما لنثره، وقد كان السجع كثيرا في الجاهلية وغلب على النثر في عصر النبوة ثم أخذ سلطانه يضعف قليلا في العصر الأموي ولكنه عاد يسترد قوته في أوائل القرن الثالث

(٢) ولابن المقفع آراء كثيرة متفرقة في البلاغة (راجع: ١/٩١ البيان، ١٥ - ١٧ صناعتين، ويروى له: البلاغة كشف ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صور الحق (٥٣ ضاعتين) والضحيج أن ذلك للعتابي (٩٠. البيان)

موضوعات جديدة ويعبر عن المعاني المجردة التي لم يكن لها بعد اصطلاحات ثابتة في اللغة المتداولة كان مضطرا إلى ابتكار ألفاظ ومصطلحات من عنده لتؤدي تلك المعاني . على مثال مايفعل كثير من كتابنا المعاصرين إذ يحاولون التعبير عن الأفكار الحديثة باستخدام تراكييب جديدة . ويدل تاريخ جمع الآدب على أن ابتكار أسلوب نثرى متصرف قوى التعبير أصعب بكثير من ابتكار أسلوب شعري وان الاول يحتاج الى وقت طويل وبعد فان الموالى من أبناء الفرس والروم ومن ورثة الثقافة الفارسية والاغريقية والارمنية

كان لهم أثرهم البعيد فى تحويل الكتابه إلى صناعة فنية عتيدها منهجها وأسلوبها وطريق أدائها ولها نظامها فى البدء والختام وتكرار التحميد فى فصول الكتاب والتوسع فى الأسلوب والإطناب فيه بالترادف وغيره من ألوان الإطناب وفى عهد سالم وعبد الحميد قلل الكتاب من استعمال الغريب والوحشى من الألفاظ فى كتابة الرسائل ، وتجنبوا التعقيد وتباعد الأفكار ، فاشتدت الصلة بين كل جملة ومايليهها ، فقلل الاقتضاب والاعتراض بين أجزاء الكلام بأجنبي .

ثانياً - التوقيعات

هو لون ألوان الكتابة الأدبية دعت حاجة الدولة والخلافة اليه وكان مظهره هذه التوقيعات الموجزة التي يكتبها الخليفة أو الوالي أو عمالهما على ما يرفع اليهم من شكايات ومظالم أو مطالب وحاجات .

وقد وجد التوقيع في عصر صدر الاسلام وسبق أن ذكرنا لك أمثلة من توقيعات أبي بكر وعمر وعثمان وعلي (١)

ولما زاد عمران الدولة اتساعا وكثرت مطالب العيش والحياة والسياسة في عصر بني أمية كثر ما يرفع إلى الخلفاء والولاة من شكايات ومطالب وكثرت التوقيعات تبعاً لذلك وصار فيها القوم على نهج البلاغة والذوق مع الإيجاز .
نماذج من التوقيعات :

وقع معاوية : نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع

وكتب اليه الحسن بن علي فأغلظ فوقه في كتابه : ليت طول حلينا عنك لا بدعو إلى جهل غيرنا إليك

ووقع سعيد بن العاص في كتاب لزياد يخطب اليه فيه : كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى

(١) ويروى أن أول توقيع عرف كان لعمر حين كتب اليه سعد بن ه ابن ما يكتك من الهواجر وأذى المطر . ووقع لعمر بن العاص : ه كن لرعيتهك كما تحب أن يكون لك أميرك . والصحيح أن لابي بكر توقيعات مروية عنه هذا ومن معاني التوقيع في اللغة : الإصابه ، والرمى لاتباعه ، كأنك تريد أن توقعه على شيء .

والدبر الذي يكون في ظهر الدابة ويقال يعبر موقع . ، ولأقبال الصيفل على السيف بميقته يحلوه . وفي الاصطلاح أن يكتب على حواشي الكتاب أو القصة المرفوعة إلى السلطان ما يفيد الاطلاع عليها وإيراد الرأي فيها

ووقع يزيد في كتاب لعبد الله بن جعفر يستوهم به جماعة من أهل المدينة : من
عرفت فهو آمن

ووقع عبد الملك في كتاب للحجاج شكافيه أهل العراق إلى الخليفة : أرفق بهم
فانه لا يكون مع الرق ما تكره ومع الخرق ما تحب
ووقع في كتاب رجل استنصحه : إن كنت صادقاً أثبتاك وإن كنت كاذباً
عاقبتاك وإن شئت أقتلناك

ووقع معاوية بن أبي سفيان لما كتب إليه ربيعة بن عسل اليربوعي يسأله أن يعينه
في بناء داره بالبصرة باثني عشر ألف جذع : أدراك في البصرة أم البصرة في دارك
ووقع يزيد بن معاوية لما كتب إليه مسلم بن عقبة المري بالذي صنع أهل
الحيرة فوقع في أسفل كتابه : فلا تأس على الفوم الفاسقين

ووقع عبد الملك بن مروان لما كتب إليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل
العراق وما يقاسى منهم ويستأذنه في قتل أشرافهم فوقع له : إن من يمن السائس
أن يتألف به المختلفون ومن شؤمه أن يختلف به المؤتلفون ، وفي كتاب الحجاج
يخبره بقوة ابن الأشعث : بضعفك قوى

ووقع سليمان بن عبد الملك لما كتب قتيبة بن مسلم إليه يتهده بالخلع
فوقع في كتابه

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع
ووقع عمر بن عبد العزيز لما كتب بعض العمال إليه يستأذنه في مرمة مدينته
فوقع أسفل كتابه : ابنها بالعدل ونق طرقها من الظلم ، وإلى بعض عماله
في مثل ذلك : حصنها ونفسك بتقوى الله ، وإلى عامله على الكوفة وكتب إليه
أنه فعل في أمر كما فعل عمر بن الخطاب : أولئك الذين هدى الله فبهم اهدم اقتده .

ووقع زياد في قصة متظلم : كفيت
وفي قصة رجل شكل إليه عقوق ابنه : ربما كان عقوق الولد من سوء
تأديب الوالد

الاجوبة والمخاورات والمفاخرات

نماذج لها :

١ - أبو الأسود الدؤلى وزوجه :

كان أبو الأسود الدؤلى من أكبر الناس عند معاوية بن أبى سفيان ، وأقربهم مجلسا ، وكان لا ينطق إلا بعقل ، ولا يتكلم إلا بعد فهم .

فبينما هو ذات يوم جالس ، وعنده وجوه قریش وأشراف العرب ، إذ أقبلت امرأة أبى الأسود حتى حاذت معاوية وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، إن الله جعلك خليفة فى البلاد ، ورقيباً على العباد ، يستسقى بك المطر ، ويستنبت بك الشجر وتؤلف بك الأهواء ، ويأمن بك الخائف ، ويردع بك الجانف (١) ، فأنت الخليفة المصطفى : والامام المرتضى ، فأسأل الله لك النعمة فى غير تغيير ، والعافية من غير تعذير (٢) ، قد أجبانى إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق على فيه المنهج ، وتفاقم على منه المخرج ، لأمر كرهت عاره (٣) ، لما خشيت إظهاره ، فلينصفنى أمير المؤمنين من الخصم ، فانى أعوذ بعقوته (٤) من العار الويل ، والأمر الجليل ، الذى يشتد على الحرائر ، ذات البعول الأجائر (٥) .

فقال لها معاوية : ومن بعلك هذا الذى تصفين من أمره المنكر ، ومن فعله المشهر (٦) ؟ فقالت أبو الأسود الدؤلى .

(١) الجانف : المائل . (٢) تعذير : نقص .

(٣) تكنى بذلك عن طلاقها .

(٤) العقوة : ما حول الدار .

(٥) للبعول . جمع بعل وهو الزوج والأجائر . جمع أجور تفضيل من جار .

(٦) شهره كمنعه وشهره : أظهره فى شناعة .

فالتفت إليه وقال : يا أبا الأسود ، ما تقول هذه المرأة ؟ فقال أبو الأسود :
هي تقول من الحق بعضاً ، ولن يستطيع أحد عليها نقضاً ، أما ما ذكرت من
طلاقها فهو حق ، وأنا نخبر عنه أمير المؤمنين بالصدق ، والله يا أمير المؤمنين
ما طلقتهما عن ريبة ظهرت ، ولا لآى هفوة حضرت ، ولكن كرهت شمائلها ،
فقطعت عنى حباثلها .

. فقال معاوية : وأى شمائلها يا أبا الأسود كرهت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،
إنك مهبجها على بجواب عتيد ^(١) ، ولسان شديد .

فقال معاوية : لا بد لك من محاورتها ، فاردد عليها قولها عند مراجعتها ، فقال
أبو الأسود يا أمير المؤمنين ، إنها كثيرة الصخب ، دائمة الذرب ^(٢) مهينة للاهل
مؤذية للبعل ، مسيئة إلى الجار ، مظهرة للعار ، إن رأيت خيراً كتمته ، وأن رأيت
شراً أذاعته .

فقالت : والله لولا مكان أمير المؤمنين ، وحضور من حضره من المسلمين ،
لرددت عليك بوادركلامك ، بنوافذ أقرع بها كل ^(٣) سهامك ، وإن كان لا يحمل
بالمرأة الحرة أن تثشم بعلا ، ولا أن تظهر لأحد جهلاً

فقال معاوية : عزمت عليك لما أجبته ، فقالت : يا أمير المؤمنين ما علمته إلا
سئولاً جهولاً ، ملحاً بخيلاً ^(٤) ، إن قال فشر قائل ، وإن سكنت فذو دغائل ^(٥)
ليث حين يأمن ، وثعلب حين يخاف ؛ شحيح حين يضاف ، إذا ذكر الجود انقمع
لما يعرف من قصر رشائه : ولؤم آبائه ، ضيفه جائع ، وجاره ضائع ؛ لا يحفظ

(١) عتيد : حاضر .

(٢) الذرب : حدة اللسان .

(٣) يقال كل السيف إذا لم يقطع ، فهو كل وكليل .

(٤) اشتهر أبو الأسود بالبخل ، وله في ذلك نوادر .

(٥) الدغائل : جمع دغيلة ، والدغيلة دخل في الأمر مفسد .

جاراً ، ولا يحى ذماراً ، ولا يدرك ثاراً ، أكرم الناس عليه من أهانه ، واهونهم عليه من أكرمه .^١

فقال معاوية : سبحان الله لما تأتي به هذه المرأة من السجع ! فقال أبو الأسود أصلح الله ألبير المؤمنين ، إنها مطلقة ، ومن أكثر كلاماً من مطلقة ؟ ثم قال لها معاوية : إذا كان رواحاً^(١) فتعالى أفعل بينك وبينه بالقضاء .

فلما كان الرواح جاءت ومعها ابنتها قد احتضنته ، فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينزع ابنه منها ، فقال له معاوية . يا أبا الأسود ، لاتعجل المرأة أن تنطق بحجتها .

قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحق بحمل ابني منها ، فقال له معاوية . يا أبا الأسود دعها تقبل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، حملته قبل أن تحمله . فقالت . صدق والله يا أمير المؤمنين ، حمله خفاً ، وحملته ثقلاً ، إن بطني لوعاؤه ، وإن ثدي لسقاؤه وإن حجري لفناؤه . فقال معاوية . سبحان الله لما تأتي به ، ثم قال لأبي الأسود إنها قد غلبتك في الكلام ، فتكف لها أحياناً لعلك تغلبها ، فأنشأ يقول .

مرحباً بالتي تجور علينا ثم سهلاً بالحامل المحمول
أغلقت بابها على وقالت : إن خير النساء ذات البعول
شغلت نفسها على فراغاً هل سمعتم بالفارغ المشغول !
فأجابته .

ليس من قال بالصواب وبالحق كمن جار عن منار السبيل
كان ثدي سقاؤه حين يضحى ثم حجري فناؤه بالأصيل
لست أبغى بواحدى يا بن حرب بدلاً ما علمته والخليل^(٢)
فقضى لها معاوية عليه ، واحتملت ابنها وانصرفت .

(١) الرواح : العشى .

(٢) نريد بالخليل محمد رسول الله .

٢- ودخل ^(١) صمصعة ^(٢) بن صوحان على معاوية رضى الله عنه أول ما دخل عليه ، وقد كان يبلغ معاوية عنه ، فقال له معاوية : ممن الرجل ؟ قال من نزار . قال : وما نزار ؟ قال : إذا غزا احترش ^(٣) ، وإذا انصرف انكمش ، وإذا لقي افترش .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالخيـل ، ويغير بالليل ، ويجود بالنيل .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أسد . قال : وما أسد ؟ قال : كان إذا طلب أفضى ^(٤) ، وإذا أدرك أرمى ، وإذا أنضى ^(٥) .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من جديلة . قال : وما جديلة ؟ قال : كان يطيل النجاد ^(٦) ، ويعد الجياد ، ويحمي الجلابد .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من دعي . قال : وما دعي ؟ قال : كان ناراً ساطعاً ، وشرافاً طاعماً ، وخيراً نافعاً .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أفصى ؟ قال : وما أفصى ؟ قال : كان ينزل الفارات ^(٧) ، ويكثر الغارات ، ويحمي الجارات .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من عبد القيس ، قال : وما عبد القيس ؟ قال : أبطال ذادة ، حجاججة ^(٨) قادة ، صناديد سادة .

(١) بلوغ الأرب ص ٢٠٥ ج ٣ ، صبح الأعشى ص ٢٥٤ ج ١ ، مروج الذهب ص ٧٧ ج ٢ ، الأمل ص ٢٢٠ ج ٢

(٢) صمصعة بن صوحان . كان خطيباً بليغاً عاقلاً له شعر ، شهد صفين مع علي وله مع معاوية مواقف ، ومات نحو سنة ٦٠ هـ

(٣) احترش . جمع وكسب

(٤) أفضى إلى الشيء . وصل

(٥) أنضى بغيره . هزله ، وثوبه أبلاه

(٦) النجاد . حائل السيف .

(٧) الفارات ، جمع قارة ، وهى الجبل الصغير

(٨) حجاججة . جمع جحجج . السيد

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال من أفصى . قال : وما أفصى ؟ قال . كان ذا رماح مشرعة ، وقذور مترعة ^(١) ، وجفان ، وفرغة .

قال . فمن أى ولده أنت ؟ قال . من لكيز . قال . وما لكيز ! قال : كان يباشر القتال ، ويعانق الأبطال ، ويبدد الأموال

قال : فمن أى ولده أنت . قال . من عجل قال . وما عجل ! قال . الليوث الضراغمة ^(٢) ، الملوك ^(٣) القهاقة ، القروم القشاعمة ^(٤)

قال . فمن أى ولده أنت ؟ قال من كعب ، قال . وما كعب ؟ قال . كان يسعر ^(٥) الحرب ، ويجيد الضرب ، ويكشف الكرب

قال . فمن أى ولده أنت ، قال . من مالك . قال . وما مالك ؟ قال الهمام للهمام ، والقمقام للقمقام .

قال معاوية . والله ما تركت لهذا الحى من قريش شيئاً ! قال . بل تركت أكثره وأحبه . قال . وما هو ؟ قال . تركت لهم الوبر والمدر ^(٦) والأبيض والأصفر ، والصفاء والمشعر ^(٧) والقبة والفخر ، والسرير والمنبر ، والمملك إلى المحشر .

فقال . أما والله لقد كان يسوءنى أن أراك أسيراً . فقال ، وأنا والله لقد كان يسوءنى أن أراك أميراً ، ثم خرج ، فبعث إليه فرده ، ووصله وأكرمه

(١) مترعة . مملوءة

(٢) جمع ضرغام . الأسد

(٣) جمع ققام . السيد

(٤) القرم السيد ، والقشعم . الأسد أو الرجل المسن (ويقصد المجرب)

(٥) سحر الحرب . أو قدها

(٦) كناية عن البادية والمدن

(٧) المشعر . موضع مناسك الحج

وقال: عبد الملك (١) بن مروان يوماً لجلسائه . خبروني عن حى من أحياء العرب فيهم أشد الناس ، وأسخى الناس ، وأخطب الناس ، وأطوع الناس فى قومه ، وأحلم الناس ، وأحضرهم جواباً .

قالوا : يا أمير المؤمنين ؛ ما نعرف هذه القبيلة ، ولكن ينبغى أن تكون فى قریش ! قال : لا ! قالوا : فى حمير وملوكها ! قال : لا . قالوا : فى مضر ! قال : لا .

قال مصقلة بن رقيه العبدى . فهى إذن فى ربيعة ؛ ونحن هم . قال . نعم . قال جلساؤه . ما نعرف هذا فى عبد القيس ، إلا أن نخبرنا به يا أمير المؤمنين .

قال . نعم ! أما أشد الناس لحكيم (٢) بن جبلة ؛ كان مع على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقطعت ساقه ، فضمها إليه ، حتى ربه الذى قطعها فرماه بها ، فألقاه عن دابته ، ثم جثا إليه فقتله ، واتبكا عليه ، فربه الناس ، فقالوا . يا حكيم ، من قطع ساقك ؟ قال . وسادى هذا ! وأنشأ يقول :

يا ساق لا تراعى ابن معى ذراعى

أحمى بها كراعى (٣)

وأما أسخى الناس فعبد الله بن سوار ، استعمله معاوية على السند فسار إليها فى أربعة آلاف من الجند ، وكانت توقد معه نار حيثما سار فيطعم الناس ، فبينما هو ذات يوم ، إذا أبصر ناراً ، فقال : ما هذه ؟ قالوا . أصلح الله الأمير

العقد ص ٢٣٢ ج ٢

(١) عبد الملك بن مروان من أعظم الخلفاء ودهاتهم ، استعمله معاوية على المدينة ، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٨٦ هـ

(٢) حكيم بن جبلة صحابى ، اشترك فى الفتنة أيام عثمان ، ولما كان يوم الجمل قاتل مع أصحاب على وقتل فى هذه الواقعة سنة ٣٦ هـ

(٣) الكراع : اسم يجمع الخيل والسلاح .

اعتل بعض أصحابنا ، فاشتبهى خبيصاً ^(١) ، فعلمنا له : فأمر خبازه ألا يطعم الناس إلا الخبيص ، حتى صاحوا ، وقالوا : أصالح الله الأمير ، ردنا إلى الخبز واللحم ، فسمى مطعم الخبيص !

وأما أطوع الناس في قومه فالجارود ^(٢) بن بشر بن العلاء ، لأنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتدت العرب ، خطب قومه فقال : أيها الناس ، إن كان محمد قد مات فإن الله حي لا يموت ؛ فاستمسكوا بدينكم ، فنذهب له في هذه الردة دينار أو درهم ، أو بعير أو شاة ، فله على مثله ، فما خالفه منهم رجل .

وأما أحضر الناس جواباً فصعصعة بن صوحان ، دخل على معاوية في وفد أهل العراق ، فقال معاوية . مرحباً بكم يا أهل العراق ، قدمتم أرض الله المقدسة ، منها المنشر وإليها المحشر . قدمتم على خير أمير يبر كبيركم . ويرحم صغيركم . ولو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلياء عقلاء .

فأشار الناس إلى صعصعة ، فقام ، فحمد الله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما قولك يا معاوية : إنا قدمنا الأرض المقدسة ، فلعمري ما الأرض تقديس الناس ، ولا يقديس الناس إلا أعمالهم ، وأما قولك : منها المنشر وإليها المحشر فلعمري ما ينفع قربها ، ولا يضر بعدها مؤمنها ، وأما قولك : لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلياء عقلاء ، فقد ولد لهم خير من أبي سفيان آدم صلوات الله عليه ، فمنهم الحليم والسفيه ، والجاهل والعالم !

وأما أحلم الناس فأن وفد عبد القيس قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم بصدقاتهم ، وفيهم الأشج ، ففرقه رسول الله ، وهو أول عطاء فرقه في أصحابه ،

(١) الخبيص : الطعام من التمر والسمن

(٢) هو ابن بشر بن عمرو سيد عبد القيس ، كان شريفاً في الجاهلية وأدرك

الإسلام فأسلم وقتل شهيداً سنة ٢٠ هـ

ثم قال : يا أشج ، أدن مني ؛ فدنا منه ، فقال : إن فيك خلتين يحبهما الله :
الأنانة والحلم ، وكفى برسول الله شاهداً !

٤ وروى (٩) أن عبد الملك بن مروان لما قدم الكوفة بعد قتله مصعب بن
الزبير جلس لمرض أحياء الحرب ، فقام إليه معبد بن خالد الجدي وكان قصيراً
دهيماً . فتقدمه إليه رجل حسن الهيئة .

قال معبد : فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال : ممن أنت ؟ فسكت ولم يقل
شيئاً . وكان منا ، فقلت من خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جديلة ، فأقبل على
الرجل وتركني فقال : من أيكم ذو الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدري ، قلت : كان
عائوانياً ، فأقبل على الرجل وتركني وقال : لم سمى ذا الإصبع ؟ قال الرجل :
لا أدري ، فقلت : نهشته حية في إصبعه فبست فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : وبم
كان يسمى قبل ذلك ؟ قال الرجل : لا أدري ، قلت كان يسمى حرثان ، فأقبل على
الرجل وتركني ، فقال : من أي عدوان كان ؟ فقلت من خلفه : من بني ناج الذين
يقول فيهم الشاعر :

وأما بنو ناج فلا تذكرهم ولا تتبع عينيكَ ما كان هالكاً

إذا قلت معروفاً لأصلح بينهم يقول وهيب لا أسالم ذلكا

فأضحى كظهر الفجل جب سنامه يدب إلى الأعداء أحذب باركا

فأقبل على الرجل وتركني وقال : أنشدني قوله : عذير الحى من عدوان .

قال الرجل : لست أروها ، قلت : يا أمير المؤمنين : إن شئت أنشدتك . قال :

أدن مني ، فاني أراك بقومك عالماً . فأنشدته :

وليس المرء في شيء من الإبرام والنقض

إذا أبرم أمراً خال له يقضى وما يقضى

يقول اليوم أمضيه ولا يملك ما يمضى

عذير الحى من عدوا ن كانوا حية الارض

بغى بعضهم بعضاً فلم يبقوا على بعض
فقد صاروا أحاديث برفع القول والخفض
ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقرض
ومنهم حكم يقضى فلا ينقض ما يقضى
ومنهم من يجيز لنا ^(١) س بالسنة والقرض
وهم من ولدوا اشبوا ^(٢) بسر الحسب المحض
ومن ولدوا عامر ذو الطول وذو العرض
وهم بووا ^(٣) ثقيفاً ذا ر لا ذل ولا خفض

فأقبل على الرجل وتركنى وقال . كم عطاؤك ؟ فقال . ألفان . فأقبل على كاتبه وقال . اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا . فانصرفت بها !

هـ - ودخل ^(٤) رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان ، فقال له : ممن الرجل ؟ قال : من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضاباً
فقال . فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل .

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها
قال . فمن أيهم أنت قال . من الذين يقول لهم الشاعر .

ثياب بني عوف طهارى نقيه وأوجههم بيض المشافر غران ^(٥)
قال . فمن أيهم أنت ؟ قال . من الذين يقول لهم الشاعر .

(١) كانت إجازة الحج لخزاعة . ثم انتقلت إلى عدوان . يقف وئيسهم في أيام الحج يخطب في الناس . ثم ينفر ويتبعونه بعد ذلك

(٢) يقال . أشي فلان إذا ولد له ولد كيس

(٣) بووا . أنزلوا .

(٤) نهاية الأرب ص ٣٠٠ ج ٢

(٥) يقال . رجل أغر الوجه إذا كان أبيض الوجه ، من قوم غر وجران .

والبيت لامرئ القيس (اللسان مادة غر)

فلا وأبيك ما ظلمت قريع بأن يذنوا المكارم حيث شاءوا
قال . فمن أيهم أنت ؟ قال . من الذين يقول لهم الشاعر .
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا ؟
قال . أجلس لأجلس ! والله لقد خفت أن تفخر على !

٦ — بين معاوية وعقيل بن أبي طالب .

لما اعتزل عقيل بن أبي طالب أخاه عليا كرم الله وجهه ، إلى معاوية يطلب
هذه الدنيا ، قال له معاوية . أنا خير لك من أخيك علي ، فقال عقيل . صدقت ،
إن أخى أثر دينه على دنياه ، وأنت قد آثرت دنياك على دينك ، فأنت خير لي من
أخى ، وأخى خير لنفسه منك .

٧ — بين معاوية وعبد الله بن عباس

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية يوما وفيهم عبد الله بن عباس فقال
رحم الله أبا سفيان والعباس ، كانا صفيين دون الناس ، حفظت الميت في
الحى ، والحى في الميت ، استعملك على يابن عباس على البصرة ، واستعمل عبيد
الله أخاك على اليمن ؛ واستعمل أخاك على المدينة (١) فلما كان من الأمر ما كان
هناكم (٢) ما فى أيديكم ، ولم أكشفكم عما وعث غرائركم (٣) ، وقلت آخذ اليوم
وأعطى غدا مثله ، وعلمت أن بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم ، ولو شئت لأخذت
بمخلاقكم وقيادتكم ما أكلتم ، لا يزال يبلغنى عنكم ما تبرك له الابل ، وذنوبكم إلينا
أكثر من ذنوبنا إليكم ، خذناكم عثمان بالمدينة ؛ وقلنا أنصاره يوم الجمل ، وحاربتموني
بصفيين ، ولعمري لبو تيم وعدى (٤) أعظم ذنوبا منا إليكم ، إذ صرفوا عنكم

(١) هو تمام ، كما استعمل أخاه قثم على مكة

(٢) هنا كذا من بابى منع وضرب ، أطعمه إياه

(٣) جمع غرائره بالكسر وهى الحقيقة .

(٤) يعنى بنى تيم آل أبى بكر فهو من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، ويعنى

بنى عدى آل عمر فهو من عدى بن كعب بن لؤى

هذا الأمر ، وسنوافيكم هذه السنة ، فحتى متى أغضى الجفون على القذى ^(١)
 وأسحب الذبول على الأذى ^(٢) وأقول لعل الله وعسى ، ماتقول يا بن عباس ؟
 فتكلم ابن عباس فقال

رحم الله أبانا وأباك ، كنا صفيين متفاوضين ^(٣) لم يكن لأبي من مال إلا
 ما فضل لأبيك ، وكان أبوك كذلك لأبي ، ولكن من هنا أباك باخاء أبي أكثر
 من هنا أبي باخاء أبيك ، نصر أبي أباك في الجاهلية ، وحقن دمه في الإسلام ^(٤)
 وأما استعمال على إيانا فلنفسه دون دواه ، وقد استعملت أنت رجلا لهما
 لا لنفسك . منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل ، وبسر بن أرطاة على اليمن فخان
 وحبيب بن مر على الحجاز فرد ، والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فحصب ،
 ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا ، وليس الذي يبلغك عنا بأعظم من الذي يبلغنا
 عنك ، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقها ، ولو وضع أدنى
 عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسناها ، وأما خذلنا عثمان فلو لمنا نصره لنصرناه ^(٥) ،
 وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه ، وأما حربنا إياك بصفيين
 فعلى تركك الحق وادعائك الباطل ، وأما إغراؤك إيانا بتم وعدى فلو أردناها ما
 غلبونا عليها ^(٦) وسكت ^(٧)

(١) القذى ما يقع في العين وفي الشراب فيعكرهما

(٢) الأذى المكروه اليسير وما بالطريق من قدر

(٣) التفاوض الاشتراك في كل شيء والمساواة

(٤) يشير إلى ما كان من خروج العباس مع أبي سفيان يوم بدر ، ثم إلى ما كان

من شفاعته له يوم فتح مكة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) يعرض بمعاوية إذ كان أولى من بني هاشم بنصرة عثمان لأنهما أمويان .

(٦) الضمير للخلافة . (٧) في هذه المحاورة يقول ابن أبي لهب :

كان ابن حرب عظيم القدر في الناس حتى رماه بما فيه ابن عباس
 ما زال يهبطه طورا ويصعده حتى استقاد وما بالحق من باس
 لم يترك خطة بما يذله إلا كواه بها في فروة الرأس

٨ — بين خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان

جاء عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى أخيه خالد في أيام عبد الملك فقال : لقد هممت اليوم يا أخى أن أفتك بالوليد بن عبد الملك ؛ فقال له خالد : بشئ والله ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين ، فما ذاك ؟

قال : إن خيلي مرت به فعبث بها وأصغرنى ، فقال له خالد : أنا أكفيك ؛ فدخل على عبد الملك والوليد عنده فقال : يا أمير المؤمنين إن الوليد ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين ، مرت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبث بها وأصغره ، وكان عبد الملك مطرقا ، فرفع رأسه وقال : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » ، فقال خالد : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » ؛ فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ، فقال عبد الملك : أفى عبد الله تكلمنى ؟ والله لقد دخل أمس على ، فما أقام لسانه لنا ، فقال خالد : أفعلى الوليد تقول يا أمير المؤمنين ؟

قال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان ، فقال خالد : وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد ؛ فالتفت الوليد إلى خالد وقال له : اسكت يا خالد فوالله ما تعد فى العير ولا فى النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ، ثم التفت إلى الوليد فقال له : ويحك فمن صاحب العير والنفير غير جدى أبو سفيان صاحب العير ، وجدى عتبة صاحب النفير ^(١) ؟ ولكن لو قلت غنيات وحبيلات ، والطائف ، ورحم الله عثمان ، لقلنا صدقت ^(٢) .

٩ — بين عبد الملك وخالد بن عبد الله بن أسيد

(١) العير : الأبل تحمل الميرة ، والمراد هنا عير قریش النى كان يقودها أبو سفيان ، وترصدها رسول الله ف ساحل بها أبو سفيان وترك بدرا يسارا . والنفير القوم ينفرون للحرب ، وهم هنا مشركو مكة الذين خرجوا يستنقذون العير تحت رئاسة عتبة بن ربيعة جد معاوية لأمه ولم يتخاف إلا بنو زهرة ، فقيل فيهم المثل « لافى العير ولا فى النفير » .

(٢) يشير إلى ما كان من طرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسك بن =

جلس عبد الملك بن مروان يوماً وعند رأسه خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ، وعند رجله أمية أخو خالد ، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج فوضعت بين يديه فقال :

هذا والله التوفير وهذه الأمانة ، لا مافعل هذا ، وأشار إلى خالد ، استعملته على العراق فاستعمل كل ملأ فابق^(١) ، فأدوا إليه العشرة واحداً ، وأدى إلى من العشرة واحداً . واستعملت هذا على خرسان ، وأشار إلى أمية فأهدى إلى بردونين حطمين^(٢) فان استعملتكم ضيعتم ، وإن عزلتكم قلتم استخف بنا وقطع أرحامنا . فقال خالد :

استعملني على العراق وأهله رجلاً ، سامع مطيع مناصح ، وعدو مبغض مكاشح^(٣) فأبى السامع المطيع المناصح فانا جزياؤه ليزداد وداً إلى وده ، وأما المبغض المكاشح فانا دأريناه ضغنه ، وسلمنا حقه ، وكثرنا لك المودة في صدور رعيتك ، وإن هذا^(٤) ، جبي الأموال ، وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال ، فيوشك أن تنبت البغضاء فلا أموال ولا رجال .

فلما خرج ابن الأشعث على عبد الملك قال عبد الملك : هذا والله ما قال خالد .

١٠ — بين عبد الملك وأحد عماله :

بلغ عبد الملك أن عاملاً من عماله قبل هدية فأمر بأشخاصه إليه ، فلما دخل

== العاص جد عبد الملك بن مروان بن الحكم إلى الطائف ، وإقامته هناك طريداً يأوى إلى حبيلات أى كريمات يستظل بها ويرعى غنيمات يشرب لبنها إلى أن آلت الخلافة إلى عثمان فرده للرحم بينهما ، وقيل بأمر كان قد حصل عليه من رسول الله لو آلت إليه الخلافة .

(١) اط حقه وأظه جرده .

(٢) يقال فرس حطم كفرح إذا هزل وأسن فضعف وتهدم .

(٣) المكاشح الذى يضر لك العداوة بين كشحيه ومثله المكاشح .

(٤) يعنى الحجاج .

عليه قال له : أقبلك هدية منذ وليتك ؟ قال يا أمير المؤمنين ، بلادك عامرة ، وخراجك موفور ، ورعيتك على أفضل حال ، قال ، أجب فيما سألتك عنه ، أقبلك هدية منذ وليتك ؟ قال . نعم فقال له .

لئن كنت قبلت ولم تعوض إنك للثيم ، ولئن أنلت مهديك لا من مالك أو استكفيته ما لم يكن يستكفاه ، إنك لجائر خائن ، ولئن كان مذهبك أن تعوض المهدي إليك من مالك وقبلت ما اتهمك به عند من استكفاك وبسط لسان عائبك وأطمع فيك أهل عملك ، إنك لجاهل ، وما فيمن أتى أمرا لم يحل فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع ، ثم نحاه عن عمله .

١١ - بين عبد الملك والعجاج الراجز

دخل العجاج بن روبة على عبد الملك مروان فقال عبد الملك ، يا عجاج بلغني أنك لا تقدر على الهجاء ، فقال . يا أمير المؤمنين . من قدر على تشيد الأبنية أمكنه إخراج الأخييه قال . فلما يمنعك من ذلك ؟ قال إن لنا عزا يمنعنا من أن نظلم . وإن لنا حلمنا يمنعنا من أن نظلم ، فعلام الهجاء ؟ فقال . لكلماتك أشعر من شعرك ، فاني لك عز يمنعك من أن تظلم ؟ قال . الأدب البارع والفهم الناصع . قال . فما الحلم الذي يمنعك من أن تظلم ؟ قال . الأدب المستطرف والطبع التالذ . قال . يا عجاج لقد أصبحت حكيمًا . قال . وما يمنعني وأنا نجي أمير المؤمنين .

١٢ - بين الحجاج وكعب الأشقرى .

لما هزم المهلب بن أبي صفرة الأزراقة وقتل خليفته عبد ربه الصغير أو فد بذلك إلى الحجاج كعب بن معدان الأشقرى ، فلما دخل عليه قال له الحجاج . أخبرني عن بني المهلب ، فقال . المغيرة فارسهم وسيدهم ، نار ذاكية ، وصعدة عالية ^(١) ، وكفى بيزيد فارسا شجاعا ، ليث غاب ، وبحر جم عباب ، وجوادهم وسخيمهم قبيصة ، ليث المغار ^(٢) ، وحامى الذمار ، ولا يستحي الشجاع أن يفر

(١) الصعدة القناة تنبت مستوية مثقفة .

(٢) المغار مصدر ميمى أى الاغارة .

من مدرك ، وكيف لا يفر من الموت الحاضر ، والأسد الخادر ، وعبد الملك سم
 نافع ؛ وسيف قاطع ؛ وحبيب الموت الزعاف (١) ، إنما هو طود شامخ ، وفخر
 باذخ ، وأبو عينة البطل الهام ، والسيف الحسام (٢) ؛ وكفالك بالفضل نجدة ،
 ليث هدار ، وبحر موار (٣) ، ومحمد ليث غاب ؛ وحسام ضراب . قال . فكيف
 كانوا فيكم ؟ قال . كانوا حماة السرح نهارا فاذا ألبوا ففرسان البيات (٤) . قال .
 فأيهم كان أنجد ، قال . كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها ، قال . فكيف
 كان لكم المهاب وكنتم له ؟ قال : كان لنا منه شفقة الوالد وله منا بر الولد . قال .
 فكيف كان جماعة الناس ؟ قال . على أحسن حال ، أدركوا مارجوا ، وأمنوا بما
 خافوا ، وأرضاهم العدل وأغناهم النفل ، قال : فكيف كنتم أنتم وعدوكم ؟ قال
 كنا إذا أخذنا عفونا ، وإذا أخذوا يئسنا منهم ، وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا
 فيهم ، فقال الحجاج : إن العاقبة للمتقين ، كيف أفلتكم قطري ؟ قال كدناه
 ببعض ما كادنا به فصرنا منه إلى الذي نحب ، قال : فهلا اتبعوه اقال : كان الحد
 عندنا أثر من الفل . قال : أكنت أعددت لي بعض هذا الجواب ؟ قال : لا يعلم
 الغيب إلا الله ، فقال الحجاج : هكذا تكون والله الرجال ، المهلب كان أعلم بك
 حيث وجهك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده إلى
 عبد الملك ، فأمر له بعشرة آلاف أخرى .

١٣ - وقال سفيان القرشي (٥) :

كنا عند هشام (٦) بن عبد الملك ، وقد وفد عليه وفد أهل الحجاز - وكان

(١) الزعاف وبالدال أيضا السم القاتل لساعته .

(٢) الحسام القاطع من حسم الشيء قطعه .

(٣) الموار المضطرب بامواجه .

(٤) السرح السائمة تسرح المرعى ، وألبوا دخلوا في الليل .

(٥) العقد ص ٧٦ : ج ٣ ، الأمل ص ١٤٧ ج ١ ، صبح الأعشى ص ٢٦٤ ج ١

(٦) تولى الخلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ، وكان غزير العقل حليما

عفيفا ، امتدت أيامه ، وجرى فيها كثير من الوقائع توفي سنة ١٢٥ هـ .

شباب الكتاب إذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم - لحضرت كلامهم
وكان محمد بن أبي الجهم أعظم أعظم القوم قدراً ، واكبرهم سناً وافضلهم
رأياً وحلماً ، فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، إن خطباء قريش قد قالت فيك
ما قالت ، وأكثرت وأطابت ، والله ما يبلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى خطيبهم
فضلك ، وإن أذنت في القول قلت . قال : تكلم ، قال . أفأوجز أم اطلب ؟ قال .
بل أوجز .

قال . تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالقوى ، وجمع لك خير
الآخرة والأولى ، إن لى حوائج أفأذكرها ؟ هاتما ، قال . كبرت سنى ، ونال
الدهر منى ، فان رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى ، وينفى فقرى فعل !
قال : وما الذى ينفى فقرك ، ويجبر كسرك ؟ قال . ألف دينار ، وألف دينار ،
وألف دينار !

فأطرق فأهشام طويلاً ، ثم قال . هيهات يا بن أبي الجهم ، بيت المال لا يحتمل ما ذكرت
فقال . إن الله آثرك لجلسك ، فان تعطينا خفماً أديت ، وإن تمنعنا فنسأل الذى بيده
ما حويت . يا أمير المؤمنين ، إن الله جعل الدطاء محبة ، والمنع مبغضة ، والله لأن
أحبك أحب إلى من أن أبغضك !

قال : فألف دينار لماذا ؟ قال . أقضى بها ديناً فدحنى ^(١) قضاؤه ، وقد عنانى
حملة ، وأضربنى أهله . قال . فلا بأس ، تنفس كربة ، وتودى أمانة . وألف دينار
لماذا ؟ قال . أزوج بها من أدرك من ولدى . قال نعم المسلك سلكك ، أغضضت
بصرى ، وأعففت ولداً ، ورفعت نسلاً . وألف دينار لماذا ؟ قال . أشترى بها
أرضاً يعيش بها ولدى ، واستعين بفضلها على نوائب دهري ، وتكون ذخراً
لمن بقى .

قال . فانا قد أمرنا لك بما سالت . قال . فالحمود الله على ذلك ، وجزاك
الله يا أمير المؤمنين والرحم خيراً ، ثم خرج

فأنبئه هشام بصره ، وقال : تالله ما رأيت رجلاً ألطف في سؤال ، ولا أرفق في مقال من هذا ، هكذا فليكن القرشي . أما والله إنا لنعرف الحق إذا نزل ، ونذكره الإسراف والبخل ، وما نعطى تذكيراً ولا نمنع تقثيراً ، وما نحن إلا خزان الله في بلاده ، وأمانؤه على عباده ؛ فإذا أذن أعطينا ، وإذا منع أبينا ، ولو كان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ، ما جبهنا ^(١) قائلًا ، ولا ردونا سائلًا ، ونسال الذي بيده ما استحقظنا أن يحريه على أيدينا ، فانه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ^(٢) ، إنه كان بعباده خبيراً بصيراً . فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لقد تكلمت فأبلغت ، وما بلغ في كلامه ما قصصت . قال إنه مبتلى ؛ وليس المبتلى كالمعتلى .

١٤ - وفد عروة ^(٣) بن أذينة الشاعر على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف عروة ؟ فقال له . أأنت القائل :
لقد علمت وما الإسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيعينني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني

(١) جبهه : لقيه بما يكره (٢) يقدر . يقسم .
* الشعر والشعراء ص ٢٢٥ ، المستطرف ص ٧ جزء أول ، ابن خلكان

ص ٢١٢ ج ١

(٢) عروة بن أذينة : كان من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله شعر في الغزل عفيف رائق ، وقفت عليه سكينه بنت الحسين مرة فقالت له : أنت القائل :
إذا وجدت أوار الحب في كبدي ذهبت نحو سقاء القوم أبرد
هني بردت ببرد الماء ظاهره فن نار على الأحشاء تنقد
فقال لها نعم . فقالت . وأنت القائل .

قالت وأبثتها سري وبحت به قد كنت عندي تحت الستر فاستتر
أأنت تبصر من حولي فقلت لها غطي هوالكوما ألقى على بصري
قال : نعم ، فالتفتت إلى جوارها وقالت : هن حرائر إن كان خرج هذا من
قلب سليم قط

وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق! فقال له : يا أمير المؤمنين، زادك الله بسطة في العلم والجسم، ولا رد وافدك خائباً. والله لقد بالغت في الوعظ ، وأذكرتني ما أنسانيه الدهر !

وخرج من فوره إلى راحلته ، فركبها وتوجه راجعاً إلى الحجاز ، فلما كان في الليل ذكره هشام ، وهو في فراشه ، فقال : رجل من قريش قال حكمة ، ووفد إلى ، فجهته ورددته عن حاجته ، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول .

فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه ، وقال : لا جرم، ليعلم أن الرزق سيأتيه. ثم دعا مولى له ، وأعطاه ألفي دينار ، وقال : الحق بهذه ابن أذنية ، وأعطه إياها ، فأدركه وقد دخل بيته ، ففرع الباب عليه ، فخرج إليه ، فأعطاه المال .

فقال : أبلغ أمير المؤمنين قولي : سمعيت ، فأكديت ، ورجعت إلى بيتي فأتاني رزقي

١٥ — وورد أبو النجم^(٣) على هشام بن عبد الملك في الشعراء ، فقال لهم هشام صفوا لي إبلا فقطروها وأوردوها وأصدروها حتى كائن أنظر إليها ، فأنشدوه ، وأنشده أبو النجم :

« الحمد لله الوهوب المجزل ،

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال : « وهي على الأفق كعين . . . » ، وأراد أن يقول « الاحول » ، ثم ذكر حولة هشام ، فلم يتم البيت ، وأرتج عليه . فقال هشام : أجز البيت ، فقال : « كعين الاحول ، وأتم القصيدة » ، فأمر هشام فوجي^(٣) عنقه ، وأخرج من الرصافة ، وقال لصاحب شرطته : ياربيع إياك وأن أرى هذا ! فكلم وجوه الناس صاحب الشرطة أن يقره ففعل .

(١) السكامل ص ٣٩ ج ٢ ، الأغاني ص ١٤٥ ج ١٠ ، رعبة الآمل

ص ٢٢٩ ج ٦ .

(٢) اسمه الفضل بن قدامه أحد رخال الاسلام الفحول المتقدمين ، وفي الطبقة

الاولى منهم وتوفي سنة ١٣٠ .

(٣) وجيء . وجاء باليد وبالسكين إذا ضرب به .

قال أبو النجم : ولم يكن أحد بالرصافة بضيف ، إلا سليم بن كيسان الكلبي ، وعمر بن بسطام التغلبي ، فكنت آتي سليما فأتغدى عنده ، وآتي عمرأ فأتعشى عنده ، وآتي المسجد فأبيت فيه .

قال : فاهتم هشام ليلة ، وأمسى لقى النفس ، وأراد محدثاً يحدثه ، فقال لخدم له : ابغني محدثاً أعرابياً يروى الشعر :

فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النجم ، فضربه برجله ، وقال له : قم أجب الأمير . قال : إني رجل غريب : قال : إياك أبغى ، فهل تروى الشعر ؟ قال : نعم ، وأقوله .

فأقبل به حتى أدخله القصر ، وأغلق الباب ، قال : فأيقن بالشر ، ثم مضى به ، فأدخله على هشام في بيت صغير ، والشمع بين يديه تزهو ^(١) .

فلما دخل قال له هشام : أبو النجم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين طريديك ! قال : اجلس ، فسأله وقال له . أين كنت تأوى ، ومن كان ينزلك ، فأخبره الخبر . قال . وكيف اجتمعاً لك ، قال . كنت أتغدى عند هذا ، وأتعشى عند هذا . قال . وأين كنت تبيت ، قال . في المسجد حيث وجدني رسولك . قال . ومالك من الولد والمال ، قال . أما المال فلا مال لي ، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبني يقال له شيبان .

فقال . هل زوجت من بناتك أحدا ، نعم ، زوجت اثنتين ، وبقيت واحدة تجمز ^(٢) في أبياتنا كأنها نعامه . قال . وما وصيت به الأولى ، نعامه .

أوصيت من برة ^(٣) قلبا حرا يالكب خيرا والحماة شرا
لا تسأى ضربا لها وجرا حتى ترى حلو الحياة مرا
وإن كستك ذهباً ودرا والحي عميم بشر طرا

(١) تزهو : تتلألا (٢) تجمز . تعدو وتسرع .

(٣) كان اسمها برة

فضحك هشام ، وقال : فما قلت للآخرى ؟ قال قلت :

سبي الحماة وابنتي^(١) عليها وإن دنت إليها فازدلفي إليها

وأوجمى بالفهر^(٢) ركبتيها ومرفقيها واضربي جنبها

وظاهري النذر لها عليها لا تخبري الدهر به ابنتها

قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذه ، وسقط على قفاه . فقال : ويحك !

ما هذه وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين . قال فما قلت

لثالثة ؟ قال : قلت :

أوصيك يا بنتي فاني ذاهب أوصيك أن تحمدك القرائب

والجار والضيف الكريم الساغب لا يرجع المسكين وهو خائب

ولاتنى أظفارك السلاهب^(٣) ممن في وجه الحماة كاتب

والزوج إن الزوج بشئ الصاحب

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تنزوح ؟ وأي شيء قلت في تأخير تزويجها قال

قلت فيها :

كان ظلامه أخت شيبان يتيمة ووالدها حيوان

الرأس قمل كله وصئبان^(٤) وليس في الرجلين إلا خيطان

فهى التى يذعر منها الشيطان

فقال هشام لحاجبه : ما فعلت الدنانير المختومة التى أمرتك بقبضها ؟ قال :

هى عندى ، ووزنها خمسمائة ! قال : فادفعها إلى أبى النجم ؛ ليجعلها فى رجلى ظلامه

مكان الخيطين !

(١) بهته : قذفه بالباطل ، وقال عليه ما لم يفعل

(٢) الفهر . الحجر يملأ الكف

(٣) السلاهب : اللطويلة .

(٤) الصئبان : الصوابية : بيضة القمل جمعه صئبان .

١٦ - واستودع^(١) رجل رجلاً مالا ثم طلبه به فجحدته، فخاصمه إلى إياس^(٢) بن معاوية القاضي، وقال، دفعت إليه مالا في مكان كذا وكذا ! قال، فأى شيء كان في ذلك الموضع ! قال، شجرة !

قال، فانطلق إلى ذلك الموضع، وانظر إلى تلك الشجرة، فاعمل الله يوضح لك هناك ما تبين به حقك ! أو لعلك دفنت مالك عند الشجرة، ففسدت، فتذكر إذا رأيت الشجرة.

فضى وقال إياس للمطلوب منه: اجلس حتى يرجع صاحبك، فجلس وإياس يفضي وينظر إليه بين كل ساعة. ثم قال. ترى صاحبك بلغ موضع الشجرة؟ قال لا ! فقال: يا عدو الله أنت الخائن ! قال: أقلنى أقالك الله ! فامر بحفظه حتى جاء خصمه، فقال له. خذ منه بحقك فقد أقر !

ومن ذكاء إياس^(٣) أنه استودع رجل أمين إياس مالا، وخرج المودع إلى الحجاز؛ فلما رجع طلبه فجحدته، فأتى إياساً فاخبره، فقال له إياس. أعلمته أنك أتيتنى؟ قال. لا. قال. أفنازعتك عند غيرى. قال لا قال. فانصرف، وأكرم سرك، ثم عد إلى بعد يومين

فضى الرجل؛ ودعا إياس أمينه، فقال. قد حضر عندنا مال كثير، أريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك. قال. نعم ! قال. فاعد موضعاً للمال، وقوماً يحملونه

وعاد الرجل إلى إياس، فقال: انطلق إلى صاحبك، فإن أعطاك المال فذاك، وإن جحد فقل له. إني أخبر القاضي بالقصة

(١) المحاسن والمساوىء ص ٤٣ ج ١

(٢) هو من مزينة، ولواء عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة وكان صادق

الظن لطيفاً في الأمور، ومات سنة ١٢٢ هـ.

(٣) ثمرات الأوراق ١٤٤

فأتى الرجل صاحبه ، فقال ، تعطينى الوديعة أو أشكوك إلى القاضى ! وأخبره
بالحال ، فدفع إليه المال ، فرجع الرجل ، وأخبر إياسا
ثم جاء الأمين إلى إياس ليأخذ المال الموعود به ، فزجره ، وقال له ، لا تقربنى
بعد هذا يا خائن !

أجوبة إياس بن معاوية المتوفى سنة ١٢٢ هجرية

كان إياس بن معاوية المزنى لسنا بليغا يضرب به المثل فى الزكن والفطنة
وصحة الفراسة والأجوبة القاطعة . وىروى أنه دخل الشام وهو فى فقدم
خصما له إلى بعض القضاة ، وكان الخصم شيخا فصلا عليه إياس بالكلام ،
فقال له القاضى : خفض عليك فانه شيخ كبير . فقال إياس : الحق أكبر منه .

فقال له القاضى : اسكت . قال : فمن ينطق بحجى ؟ !

قال القاضى : ما أراك تقول حقاً .

فقال إياس : لا إله إلا الله فأخفم القاضى .

وىروى أن عدى بن أرطاة والى البصرة دخل على إياس وهو قاضىها وكان
عدى أعرابى الطبع .

فقال لإياس : يا هناة أين أنت ؟ قال : بينك وبين الحائط .

قال : فاسمع منى . قال : الاستماع جلاست .

قال أنى تزوجت امرأة . قال : بالرفاء والبنين .

قال : وشرطت لأهلها أن أخرجها من بينهم . قال : أوف لهم بالشرط .

قال : فانى أريد الخروج : قال : فى حفظ الله .

قال : فاقض بيننا . قال ، قد فعلت .

قال . فعلى من حكمت ؟ قال . على ابن أخى عمك .

قال . بشهادة من ؟ قال . بشهادة ابن أخت خالك .

خاتمة الكلام على المحاورات والاجوبة

١ - وبعد فالحوار فن من فنون الأدب عرفه الجاهليون في المنافرات والمفاخرات والمساجلات

وفي عصر صدور الاسلام كان فن الحوار قائما يستعان به في رد حجج المشركين والمخالفين والزائغين وفي إقناع المكابرين من رجال الفرق والأحزاب وكانت قریش في الحوار أحضر جوابا وأسرع بديهة وأكثر إصابة وفي العصر الأموي ازدهر فن الحوار وانتشر ونما وساعد على ذلك

١ - كثرة الخلافات بين الأحزاب السياسية

٢ - كثرة الخصومات بين الفرق الدينية ، بل بين طوائف الفرق الواحدة كالخوارج والشيعة الذين انقسموا طوائف وشيعا كثيرة

٣ - انتشار الحجاج في مسائل اللغة والنحو والعربية وآدابها

٤ - سلامة الملاكات وخصب التفكير وحضور البديهة والقدرة على الارتجال .

٥ - كثرة العصبية وتنافرها وتناحرها إلى حد بعيد وبخاصة في عهد معاوية .

٦ - الجوائز الكثيرة التي كانت يكافأ بها الفائز في مجال هذه المنافسات والخصومات .

ب - وألوان المحاورات كثير :

فمن جدل إلى أجوبة إلى مفاخرة وقد سبق نماذج لهذه الألوان كلها

الشعر في عصر بني أمية

نماذج للشعر :

وقال ابن الدمينه :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد

أقدزاد في مسراك وجد اعلی وجدی^(١)

أ أن هتفت ورقاء في رونق الضحی

علی فن غص النبات من الرند

بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن جليدا وأبدیت الذی لم تمكن تبدی

وقد زعموا أن المحب إذا دنا یمل وأن النأی یشفی من الوجد

بكل تداوينا فلم یشف ما بنا علی ذاك قرب الدار خیر من البعد

علی أن قرب الدار لیس ینافع إذا كان من تهواه لیس بذی عهد

• • •

وقال أبو صخر الهذلي :

أما والذي أبكى واضحك والذي أمات واحيا والذي أمره الأمر

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليغين منها لا يروعهما الذعر

فياحيها زدني جوى كل ليلة وياسلوة الأيام موعذك الحشر

عجيت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وما هو إلا أن أراها فجاءة فاهت لا عرف لدى ولا نكر

(١) الصبا . ریح القبول . هاجت . ثارت .

(٢) الورقاء . الحمامة التي مال سوادها إلى البياض . الرونق الضياء . الرند

نوع من الطيب والفن الغصن الناعم الغض . الطرى .

وقال الصمة القشيري (١) :

حُفَّتْ إِلَى رِيَا وَنَفْسِكَ بَاعَدَتْ مَزَارِكَ مِنْ رِيَا ، وَشَعْبَا كَمَا مَعَا (٢)
فَمَا حَسُنَ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا وَتَجْزِعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعًا (٣)
قِفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حُلَّ بِالْحِمَى وَقُلْ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُوَدِّعَا (٤)
بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضَ مَا أَطْيَبَ الرِّبَا وَمَا أَحْسَنَ الْمُصْطَافَ وَالْمُتْرَبْعَا (٥)

(١) شاعر أموي بدوي مقل بليغ

خطب ابنة عمه فاشتط عليه في مهرها فسأل أباه أن يعاونه وكان كثير المال فلم يعنه بشيء فسأل عشيرته فاعطوه فاني بالآبل عمه فقال له لا أقبل هذه في مهر ابنتي فسل أياك أن يبذلها لك فسأل ذلك أباه فإني عليه فلما رأى ذلك من فعلهما قطع هقلها وخلاها فعاد كل يعبر إلى أهله وسافر الشاعر مرتحلا عن بلاده وقومه فحزنت ابنة عمه حزنا شديدا ، ثم مضى إلى الشام فلما طال مقامه حن إلى أهله وبلاده ومحبوبة فنظم هذه القصيدة .

والقصد تسيل بلاغة وروعة وجزالة لفظ ونخامة معنى ومثانة تركيب وصياغة بدیعة وديباجة حسنة .

(٢) الحنين : شدة الشوق . ریا : اسم محبوبة . باعدت : ابعدت ، والواو في الوضحين للحال ، الشعب الحى

يلوم نفسه في بعده عن محبوبة لأنه كان السبب في ذلك بهجرته عن بلاده وبلاد ریا وقد كان قومه وقومها مجتمعين

(٣) امرئ : يريد الفراق . أن الثانية بتقدير اللام

المعنى : ليس يحسن أن تقاد أولا للحب مختارا فادا سمعك داعي الصباية

نداءه جزعت

(٤) النجد كل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق

(٥) الربا : ما ارتفع من الأرض . المصطاف : مكان الصيف . المتربع :

مكان الربيع . المعنى : أفدى تلك الأرض بنفسى لطيب رياها العجيب وحسن فصيلها صيفا وربيعها

وليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعاً
ولما رأيت البشر أعرض دوننا وجالت بنات الشوق يحزن نزعا^(١)
بكث عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تلفت نحو الحمى حتى وجدتني وجعت من الأصغاء ليتا وأخذعا^(٢)
وأذكر أيام الحمى ثم أنثى على كبدي خشية أن تصدعا^(٣)

وقال يزيد بن الحكم النقفى^(٤) يعظ ابنه بدرأ :

يا بدر والامثال يضر بها لذى اللب الحكيم
دم للخليل بـوده ما خير ود لا يدوم
واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم
وأعلم بان الضيف يوماً سوف يحمد أو يـلوم
وأعلم بـبـنى فانه بالعام ينتفع العليم
إن الامـور دقيقة مما يهيج له العظيم
والبغى يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم
ولقد يكون لك البعيد أخا ويقطـعك الحميم
والمرء يكرم للغنى ويهان للعدم العديم
وتخرب الدنيا فلا يؤس يدوم ولا نعيم

* * *

وقال سالم بن وابصة الأسدى وهو شاعر إسلامى تابعى :

- (١) البشر : جبل بالجزيرة اعرض : ابدى عرضه وجانبه . جالت : تهركت .
بنات الشوق : نوازع الحنين .. نزاع : جمع نازع أى مشتاق
(٢) الليت : صفحة العنق . الأخدع عرق فيها . الأصغاء : الميل
(٣) تصدع : أى تشقق
(٤) شاعر أموى مقل بليغ

أحب الفتى ينفى الفواحش سمعه كان به عن كل فاحشة وقرا
 سليم دواعى الصدر لا باسطا أذى ولا ما نعا خيرا ولا قاتلا هجرا
 إذا شئت أن تدعى كريما مكرما أدبيا ظريفا عاقلا ماجدا حرا
 إذا ما أنت من صاحب لك زلة فكن أنت محتا لزلته عذرا
 غنى النفس ما يكفيك من سد خلة فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

وقال المقنع الكندى وهو شاعر أهوى مقل شريف كريم :

يعاتبنى فى الدين قومى ونما ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا •
 أسد به ما قد أخلوا وضيعوا تغور حقوق ما أطاقوا لها سدا
 وإن الذى بينى وبين أبى وبين بنى عمى لمختلف جدا
 فان أكلوا الحى وفرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
 وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وإن هم هووا غيى هو بت لهم رشدا
 وإن زجروا طيرا بنحس تمرى زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
 ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقد
 لهم جل مالى إن تتابع لى غنى وإن قل مالى لم أكلفهم رفدا
 وإنى لعبد الضيف مادام نازلا وما شيمة لى غيرها تشبه العبد

وقال القطامى (١)

من تكن الحضارة أعجبهته فأى رجال بادية ترانا
 ومن ربط الجحاش فأن فينا قنا سلبا وأفراسا حسانا (٢)

(١) شاعر اسلامى مقل كانا نصرانيا وكان حسن التشبيب بالنساء رقيقه وكان يمدح زفر بن الحرث السكلابى ، وكان القطامى فحلا فى الشعر رقيق الحواشى كثير الامثال

(٢) قنا سلبا : أى تسلب النفوس جمع سلوب . يريد انا لا نرضى الا بالدفاع عن الحرم والاغارة على الاعداء وغيرنا يرضى بالمال والدعة

وكن إذا أغرن على جناب وأعوزهن نهب حيث كانا ^(١)
 أغرن من الضباب على حلول وضبة إنه من حان حانا ^(٢)
 وأحيانا على بكر أختينا إذا مالم نجد إلا أخانا

∴

وقال حطان بن المعلى ^(٣)

أنزلى الدهر على حكمه من شاخ عال إلى خفض ^(٤)
 وغالى الدهر بوفر الغنى فليس لي مال سوى عرضي ^(٥)
 أبكاني الدهر ويا ربما أضحكني الدهر بما يرضى
 لولا بنيات كزغب القطا رددن من بعض إلى بعض ^(٦)

(١) وكن : أى الخيل . أعوزهن : تعسر عليهم . النهب : ما ينتهب يقول :
 وكان أرباب الخيل منا إذا أغاروا على ناحية وتعسر عليهم النهب والغنيمة
 (٢) الضباب : أحياء من العرب . الحلول : الذين يكونون في مكان واحد .
 المعنى أنهم : لا اعتيادهم الغارة لا يصبرون عنها حتى إذا أعوزهم الأبعاد عطفوا على
 الأقارب فأغاروا عليهم : وقوله « حان حانا » أى من هلك بغزونا فقد هلك
 (٣) شاعر إسلامي .

(٤) الشاخ : العالى . الخفض : أى الخفوض

المعنى : كنت قويا فصيرني الدهر ضعيفا وكنت مالكا فجعلني مملوكا
 (٥) غالى : أهلكنى . الوفر : المال وإضافته إلى الغنى من إضافة السبب
 إلى المسبب لأن المال سبب الغنى . والمعنى : غلبني الدهر على كثرة المال فلم
 يبق لي سوى نفسى

(٦) بنيات : تصغير بنات . الزغب : الشعر اللين الصغير ، وكنى بهذا عن
 الضعف والصغر . رددن الخ : أى تنابعن وكثرن كل واحدة جنب الأخرى .
 والمعنى : لولا بنيات لي صغيرات كفراخ القطا التى عليها الزغب لصغرهن اجتمعن
 لي في مدة يسيرة

لكان لي مضطرب واسع في الارض ذات الطول والعرض^(١)
 وإنما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الأرض
 لو هبت الريح على بعضهم لا متعت عيني من الغمض^(٢)

وقال سعد بن ناشب^(٣)

سأغسل عني العار بالسيف جالبا على قضاء الله ما كان جالبا^(٤)
 وأذهل عن داري وأجعل هدمها لعرضي عن باقي المذمة حاجبا^(٥)
 ويصغرفي عيني تلادى إذا انثنت يميني بادراك الذي كنت طالبا^(٦)
 فان تهدموا بالغدر داري فانها تراث كريم لا يبالي العواقبا^(٧)

(١) المضطرب : الاضطراب والحركة. المعنى : لولا خوفي من ضياعهم لكان لي مجال واسع في الارض وانما لزمتم مكاني بسببهم

(٢) المعنى : انه لا يطمئن إلا إذا كانوا سالمين بأجمعهم

(٣) شاعر اسلامي في الدولة المروانية من بني مازن بن مالك من تميم وهذه القصيدة مشهورة في البلاغة وسبب نظمها أنه كان قد اصاب دما فهدم بلال بن أبي بردة داره بالبصرة وحرقها فقال هذه القصيدة

(٤) اغسل : ازيل. العار : كل شيء لزم به عيب

المعنى : سأزيل العار عن نفسي باستعمال السيف في اعدائي مهما جلب علي قضاء الله ما أراد ،

(٥) ذهل عن الشيء : شغل عنه ونسيه

المعنى : سأتناسي داري وأجعل هدمها حاجبا وواقيا لعرضي عن العار الباقي إذ رأيتها دار هوان

(٦) التلاد : المال القديم . اي انه يخف على قلبه إنفاق المال القديم عند إدراك المطلوب

(٧) الهدم : التخريب . الغدر : عدم الوفاء . التراث : الميراث

المعنى : ان تهدموا بالغدر داري وأنا غائب فلا أبالي بذلك ولا أغضب لأنها ملك رجل كريم لا يبالي بالعواقب

فيا لرزام رشحوا بي مقدما الى الموت خواضا اليه الكتائب (١)
إذا هم التي بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانباً (٢)

وقال أبو بكر بن عبد الرحمن الزهرى وهو شاعر إسلامى مقل :
ولما نزلنا منزلاً طله الندى أنيقاً وبستاناً من النور حالياً
أجدلنا طيب المكان وحسنه منى فتمنينا فكنت الأمانيا

وقال آخر : وهو لبعض الحجازيين وهو عمر بن أبى ربيعة كما فى ديوانه :
خبروها بأننى قد تزوجت فظلت تكاتم الغيظ سرا
ثم قالت لاختها ولاخرى جزعا ليته تزوج عشرا
وأشارت إلى نساء لديها لا ترى دونهن للسرا مترا
مالقاي كأنه ليس منى وعظامى كأن فيهن فترا
من حديث نى إلى فظيع خلت فى القلب من تلظيه جمرا

..

وقال خلف بن خليفة وهو شاعر إسلامى مقل عاصر جريراً والفرزدق يمدح :
عدلت إلى نحر العشيرة والهوى إليهم وفى تعداد مجدهم شغل
إلى هضبة من آل شيبان أشرفت لها الذروة العليا والكاهل العبل
إلى النفر البيض الذين كأنهم صفائح يوم الروح أخلصها الصقل
إلى معدن العز المؤيد والندى هناك هناك الفضل والخلق الجزل
أحب بقاء القوم للناس أنهم متى يظعنوا عن مصرهم ساعة يخل
عذاب على الأفواه مالم يذقهم عدو وبالأفواه أسماؤهم تحلو

(١) رزام : حى من تميم . الترشيح : التربية والتأهيل . الكتائب : الجيوش المجتمعة .

(٢) . التنكيب عن الشيء : الانحراف عنه . المعنى : إذا عزم على شيء جعله نصب عينيه ولا يغفل عنه كما أنه لا يميل الى ذكر العواقب بل ينحرف عنها جانباً

عليهم وقار الحلم حتى كأنما
إذا استجهلوا لم يعزب الحلم عنهم
هم الجبل الأعلى إذا ماتنا كرت
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا
لنا منهم حصن ومعقل
مواعيدهم فعل إذا ماتكموا

وليدهم من أجل هيئته كهل
وأن آثروا أن يجهلوا عظم الجهل^(١)
ملوك الرجال أو تخاطرت البزل^(٢)
وإن غضبوا في موطن رخص القتل
إذا حرك الناس المخاوف والأزل
بتلك التي إن سميت وجب الفعل

∴

وقال قطري بن الفجاءة من الحماسة والفخر وهو من رؤساء الخوارج زمن

بنى أمية وتوفي عام ٧٩ هـ

إلى كم تعاديني السيوف ولا أرى
أقارع عن دار الخلود ولا أرى
ولو قرب الموت القراع لقد أنى
أغادى جلال المعلمين كائننى
وأدعو الحكمة للنزال إذا القنا
ولست أرى نفسا تموت إذا دنت
إذا استلب الخوف الرجال قلوبهم

مضار بها تهدى إلى حماميا
بقاء على حال لمن ليس باقيا
لموتى أن يدنو لطول قراعي^(٣)
على العسل المأذى أصبحت غاديا^(٤)
تحطم فيما بيننا من طعانيا^(٥)
من الموت حتى يبعث الله داعيا
حبسنا على الموت النفوس للغوايا

∴ ∴ ∴

(١) الجهل هنا معناه الغضب

(٢) البزل جمع بازل البالغ تسع سنين .

(٣) أنى : حان وقرب .

(٤) المعلمون : الذين يعلمون أنفسهم في الحروب بشارة ظاهرهم ليعرفوا إذ

لا يخافون الأعداء لشجاعتهم .

(٥) الحكمة : جمع كى وهو الشجاع المستتر بالسلاح .

وقال جواس بن القمطل الكلبي من شعراء العصر الأموي :

صبغت أمية بالدماء رماحنا وطوت أمية دوننا دنيها
أأمى رب كتيبة مجهولة صيد (١) الحكاة عليكم دعواها
كنا ولالة طعناها وضراها حتى تجلت عنكم غماها
فالله يحزى لأمية سعيها وعلا شددنا بالرماح عراها
جئتم من الحجز البعيد نياطه والشام تنكر كهلها وفتاها
إذ أقبلت قيس كأن عيونها حديق الكلاب وأظهرت سنيها

ولما عزم معاوية على جمع الناس على البيعة ليزيد ابنه من بعده أنشده مسكين

الدارمي في محفل كبير قصيدة يحثه فيها على البيعة ليزيد ومنها :

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومران أم ما ذا يقول سعيد
بنى خلفاء الله مهلا فأنما يبوئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربي خلاد ربه فان أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد لكل أناس طائر أو جدود
فلا زلت أعلى الناس كعبا ولا تنزل وفود تسامها اليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عاليا تشيد أطناب له وعمود
قدور ابن حرب كالجوابي وتحتها أثاف كأمثال الرئال ركود

فلما انتهى منها قال معاوية ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله

∴

وقال أيضا :

نارى ونار الجمار واحدة وإليه قبلى تنزل القدر
ما ضرا جارا لى أجاوره ألا يكون لبابه ستر

(١) أى كاتها صيد جمع أصيد وهو الأسد أو الرافع رأسه كبيرا.

أعمى إذا ما جارثى خرجت حتى يوارى جارثى الخدر

∴

وقال قطرى بن الفجاءة الخارجي
أقول لها وقد طارت شعاعا
فانك لو طلبت بقاء يوم
فصبرنا في مجال الموت صبرا
وما ثوب البقاء بثوب عز
سبيل الموت غاية كل حي
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم
وما للمرء خير في حياة

من الابطال ويحك ان تراعى (١)
على الأجل الذى لك لن تطاعى
فما نيل الخلود بمستطاع
فيطوى عن أخى الخنع اليراع (٢)
وداعيه لأهل الأرض داع
ويسلمه المنون الى انقطاع (٣)
إذا ما عد من سقط المتاع

∴

وقال نصر بن سيار (٤) يخاطب اليمانية والمضرية من العرب حين اتقدت نار
العداوة في خراسان والفرس لهم بمرصد :

أبلغ ربيعة في مرو واخوتهم
ولينصبوا الحرب إن القوم قد نصبوا
ما بالكم تلحقون الحرب بينكم
وتتركون عدوا قد أظلمكم
ومن يكن سائلا عن أصل دينهم

فليغضبوا قبل ألا ينفع الغضب
حربا تحرق في حافاتها الخطب
كأن أهل الحجاج عن رأيكم غرب
مما تأشب (٥) لادين ولا حسب
فان دينهم أن تقتل العرب

(١) شعاعاً أى متفرقة

(٢) الخنع والخنوع . الذل والضميم ، واليراع الجبان المستطار القلب .

(٣) يعتبط يمت شابا

(٤) أمير خراسان من قبل بنى أمية

(٥) تأشب : اختلط

وقال ابن الدمينه (١)

قنى يا أميم القلب نقض لبانة ونشك الهوى ثم أفعلى ما بدالك
سلى البانة الغناء بالابطح الذى به الماء هل حبيت أطلال دارك
وهل قتت فى أظلاهن عشية مقام أخى البأساء واخترت ذلك
ول ككفكفت عيناى فى الدار عبدة

فرادى كنظم اللؤلؤ المتهالك

لبنك امساكى بكفى على الحشا ورقراق عيني خشية من زبالك
أبني أنى يمنى يدك جعلتني فأفرح أم صيرتني فى شماك
فيابانة الوادى أجيب متبا أبا سقم أنشبتة فى حبالك
تعالت كى أشجى وما بك علة تريدن قتلى قد ظفرت بذلك

وقال الأحوص (٢)

وانى لآتى البيت ما أن أحبه وأكثر هجر البيت وهو حبيب
وأدعى إلى ما سر كم فأجيب وأعصى على أشياء منكم تسومنى
وما زلت من ذكراك حتى كراتنى أبثك ما ألقى وفى النفس حاجة
هينى امرأ إما برىا ظلمته هينى امرأ الله انى واصل ما واصلتى
وآخذ ما أعطيت عفوا واننى فلا تتركى نفسى شعاعا فانها
وأكثر هجر البيت وهو حبيب وأدعى إلى ما سر كم فأجيب
أميم بأفناء الديار سليب لها بين جلدى والعظام ديب
واما مسيئا مذبا فيتوب ومن بما أوليتنى ومثب
لأزور عما تكرهين هيب من الحزن قد كادت عليك تذوب

(١) هو عبد الله بن عبيد الله من بنى عامر بن تيم الله : شاعر غزل من شعراء الدولة الاموية .

(٢) هو عبد الله بن محمد الانصارى شاعر أموى غزل رقيق ، ولقب بالأحوص لحوص فى عينيه : أى ضيق فى مؤخرتهما

∴

وقال الأخطل ^(١) يصف سير الصحراء :

خليلي ليس الرأى أن تذراني بدوية يعوى بها الصديان ^(٢)
وأرقى من يعد ما نمت نومة وعضب جلت عنه القيون يمان ^(٣)
تصاحب ضيفى قفرة يعرفانها غراب وذئب دائم العسلان ^(٤)
إذا حضراتى عند زادى لم أكن بخيلا ولا صبا إذ تركاني
إذا ابتدرا ما تطرح الكف فاته به ذو جناح كيس اللحظان
يباعده منه الجناح وتارة يواوح بين الخطو والحجلان

...

وقل يصف الحر .

وشارب مرئح بالكأس نادمنى لا بالحصور ولا فيها بسوار ^(٥)
نازعت طيب الراح الشمول وقد
صاح الدجاج وحانت وقفة السارى ^(٦)

(١) هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي النصراني شاعر بنى أمية وأمير شعرائهم وثالث ثلاثة كان لهم زعامة الأموى :

(٢) الدوية : الصحراء ، والصديان : مثنى صد ، أى ظمان ، ويريد بهما الذئب والغراب .

(٣) عضب مرفوع على الابتداء ، أى ومعى عضب ، والجملة حال .

(٤) العسلان : سرعة الحركة والسير .

(٥) الحصور . البخيل الضيق ، والسوار . المعربد الوثاب من السكر .

(٦) صياح الدجاج ، ووقفه السارى : كناية عن طلوع الفجر .

صهبا. قد كلفت من طول ما عنست

في مخدع بين جنات وأنهار (١)
عذراء لم يحتل الخطاب بهجتها حتى اجتلاها عبادى بدینار (٢)
كأنما المسك نهي بين أرحلنا مما توضع من ناجودها الجارى (٣)
∴

وقال العرجى وهو من ولد الخليفة عثمان بن عفان ومن شعراء الغزل
إذا حرم المرم الحياء فانه بكل قبیح كان منه جدير
له قبة في كل شيء وسره مباح وخذناه خنا وغرور
يرى الشتم مدحا والدناءة رفعة وللسمع منه في العظات نفور
∴

وقال أبو صخر الهزلى (٤) وقد تقدم بعضها :

أما والذي أبكى واضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر
أفدت ركتنى احسد الوحش أن أرى أليفين منهما لا يروعهما الدهر (٥)
عجبت لسعى الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بينتنا سكن الدهر
فياحبها زدنى جوى كل ليلة وياسلوة الأيام موعداك الحشر
وإني لتعرونى لذكراك روعة كما انتفض العصفور بالله القطر
وإني لآتيها أريد عتابها وأوعدها بالهجر ما برق الفجر

(١) عنست الجارية : أى تأخرت عن الزواج زمنا طويلا ، وكلفت من السكاف ، وهو شدة الحب ، وذلك كناية عن صفرة لونها .

(٢) العبادى . نسبة إلى العباد وهم قبيلة نصرانية في الحيرة تحسن تعتيق الخمر

(٣) الناجود . أول ما يخرج من دن الخمر .

(٤) وهو شاعر إسلامى موال لبني مروان عتصب لهم .

(٥) الذعر : الخوف .

فما هو الا أن أراها فجاءة فأبته لاعرف لدى ولا نكر (١)
 وأنسى الذى قد كنت فيه أتيها كما قد تنسى لب شاربها الخمر
 ويمعنى من بعض إنكار ظلمها إذا ظلمت يوما وإن كان لى عذر
 مخافة أنى قد علمت لمن بدا لى الهجر منها ما على هجرها صبر
 وأنى لا أدري إذا النفس أشرفت على هجرها ما يصنعن بى الهجر
 وقال ذو الرمة أحد شعراء الغزل فى عصر بنى أمية

أرأنى إذا هومت يامى زرتنى فيا نعمتا لو أن رؤياى تصدق (٢)
 لها جيد أم الخشف ريعت فأتلعت ووجه كقرن الشمس ريان مشرق
 وعين كعين الرمم فيها ملاحه هى السحر أو أدهى التباسا وأعلق
 وقال ذو الرمة :

خليلى عدا حاجتى من هواكما ومن ذا يواسى النفس الا خليلها ؟
 ألما بى قبل أن تطرح النوى بنا مطرحا أو قبل بين يزيها
 وإن لم يكن إلا تعلق ساعة قليلا فانى نافع لى قليلها

وقال المخبل القينى (٣)

خليلى قد قست الامور ورضتها بنفى وبالفنيان كل زمان
 فلم أخف سوءا للصديق ولم أجد خليا ولا ذا البث يستويان
 من الناس إنسانان دينى عليهما مليون لو شاما لقد قضيانى
 خليلى أما أم عمرو ففهما وأما عن الاخرى فلا تسلاى
 بلينا بهجران ولم أر مثلنا من الناس إنسانين يهجران
 أشد مصافاة وأبعد من قلى وأعصى لواش حين يكتفیان

(١) أذهل لا أعرف شيئا ولا أنكره

(٢) الألف فى فيا نعمتا منقلبة عن ياء المتكلم كما فى يا حسرتا ، ود يا أسفا ،

(٣) شاعر حجازى اسلامى أحد المتيمين المشهورين بالعشق .

تحدث طرفانا بنا في صدورنا اذا استعجمت بالمنطلق الشفتان
فوالله ما أدرى أكل ذوى الهوى على ما بنا أو نحن مبتليان
فلا تعجبا بما أبى اليوم من هوى فبى كل يوم مثل ماتريان
وكنا كريمى معشر ضم بيننا هوى فحفظناه بحسن صيان
سلاه بأمر العمر من هوى اذ بدا به سقم جم وطول خمان
فما زادنا بعد المدى نقض مرة ولا رجعا من علمنا بيان
خليلى لا والله مالى بالذى تريدان من هجر الحبيب يدان
ولا لى بالبين اعتلاء اذا نأت كما أنتما بالبين معتليان

وقال : ابن الطثرية (١) :

عقيلية أما ملاث إزارها فدعص وأما خصرها فبتيل
تقيظ أكناف الحى ويظلمها بنعمان من وادى الأراك مقبل
أليس قليلا نظرة إن نظرتها إليك وكلا ليس منك قليل
فياخلة النفس التى ليس دونها لنا من أخلاء الصفاء خليل
ويامن كتمنا حبه لم يطع به عدو ولم يؤمن عليه دخيل
أما من مقام أشتكى غربة النوى وخوف العدا فيه إليك سبيل
فديتك أعدائى كثير وشقتى بعيد وأشياعى لديك قليل
وكنيت إذا ماجئت جئت بعلة فأفريت علاقى فكيف أقول
فما كل يوم لى بأرضك حاجة ولا كل يوم لى إليك رسول
صحائف عندى للعتاب طويتها ستشر يوما ، والعتاب طويل
فلا تحملى ذنبى وأنت ضعيفة فحمل دمي يوم الحساب ثقیل

(١) هو يزيد بن الصمة أحد بنى سلمة الخير بن قشير ، والطثرية أمه ، وهو شاعر إسلامى ، وكان جميل الوجه حسن الشعر حلواشمال ، وكان يقول من أخف عند النساء فلينشد من شعرى ، وكان كثيراً ما يتحدث إلى النساء ، وقد قتله بنو حنيفة يوم الفلج ، وكان لبنى عامر على بنى حنيفة . ولاخته زينب شعر جيد ترثيه به

وقال العباس بن مرداس السلى^(١) :

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفى أثوابه أسد مرير^(٢)
 ويعجبك الطير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطير^(٣)
 فما عظم الرجال لهم بفخر ولسكن فخرهم كرم وخير
 بغاث الطير أكثرها فراخا وأم الصقر بمقلات نزور^(٤)
 ضعاف الطير أطولها جسوما ولم تطل البزاة ولا المصقور
 لقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير
 يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الحسف الجرير^(٥)
 وتضربه الوليدة بالهرارى فلا غير لديه ولا نكير^(٦)
 فان أك فى شراركم قليلا فاني فى خياركم كثير

وقال محمد^(٧) بن بشير :

إن الأمور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتق منها كل ما ارتبجا^(٨)
 لانيأسن وإن طالت مطالبة اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

(١) العباس بن مرداس ؛ شاعر من المخضرمين وهو من المؤلفة قلوبهم فى الاسلام وكان فارسا مقداما .

(٢) المرير : القوى الشديد من المرة وهى القوة :

(٣) الطير : الحسن المنظر :

(٤) بغاث الطير : ضعافها ومالا يصيد منها . والمقلات : التى تلد واحدا ثم لاتلد بعده أو التى لا يعيش لها ولد والفعل من ذلك أقمت : والنزور . القليلة الأولاد .

(٥) الجرير . الحبل يجربه البعير .

(٦) الهراوى . جمع هرواة وهى العصا الغليظة .

(٧) محمد بن بشير . من عدوان شاعر فصيح حجازى من شعراء الدولة الاموية

(٨) ارتبج : أغاق والرتاج . الباب الكبير يغلق وفيه باب صغير مفتوح

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومد من القرع للأبواب أن يلجا
قدر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علازلقاً عن غرة زلجا
ولا يغرنك صفو أنت شاربه فربما كان بالتكدير ممتزجا

..

وقال كعب يرثى أخاه أبا المغوار

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا كأنك يحميك الشراب طيب
فقلت نحول من خطوب تتابعت على كبار والزمان يريب
لعمري لئن كانت أصابت منية أخى فالمنايا للرجال شعوب
فانى لباكية وإنى لصادق عاينه وبعض القائلين كذوب
أخى ما أخى لا فاحش عند ريبة ولا ورع عند اللقاء هيوب
أخ كان يكفينى وكان يعيننى على نائبات الدهر حين تنوب
هر العسل الماذى لنا وشيمة وليث إذا لاقى الرجال قطوب
كعالية الرمح الردينى لم يكن إذا ابتدر الخيل الرجال يخيب
وداع دعايا من يحجب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك بحجب
فقلت أدع أخرى وارفع الصوت ثانيا لعل أبا المغوار منك قريب
يجبك كما قد كان يفعل إنه بأمثاله رحب الذراع أريب
وحد ثمانى أنما الموت فى القرى فكيف وهذى هضبة وكثيب
فلو كانت الموتى تباع اشتريته بمالم تكن عنه النفوس تطيب
بعينى أو بمنى يدى وخلتنى أنا الغانم الجذلان حين أموب
لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى على يومه عاق إلى حبيب
أتى دون حلو العيش حتى أمره خطوب على آثاره من نكوب
فوالله لا أنساه ماذر شارق وما اهتز من فرع الأراك قضيب

وقال آخر يرثى قيس بن عاصم المنقرى :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ماشاء ان يترحمها
تحيته من البسته منك نعمة اذا زار عن شحط بلادك سلما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وانشد ابو محمد الليثي في يزيد بن يزيد

أحق أنه أودى يزيد فبين ايها الناعى المشيد
 احامى الملك والاسلام أودى فما للارض ويحك لا تميد
 تأمل هل ترى الاسلام مالت دعائه وهل شاب الوليد
 أما هدت لمصرغه نزار بلى وتقوض المجد المشيد
 وجل ضريحه اذ حل فيه طريف المجد والمجد التليد
 أودى عصمة الباري يزيد وسيف الله والغيث الحميد
 لقد رزئت نزار يوم أودى عميدا ما يقاس به عميد
 فلو قبل الفداء فداه منا بمهجته المسود والمسود
 ابعث يزيد تحتزن البواكى دموعا أو تصان لها خدود
 اما بالله لا تنفك عيني عليه بدمعها ابدًا تجود
 وان تجمد دموع لثيم قوم فليس لدمع ذى حسب جمود
 وان يهلك يزيد فكل حى فريس للمنية أو طريد
 فان يك عن خلود قد دعت مآثره فكان لها الخلود
 فما أودى أمرؤ أودى وأبقى لوارثه مكارم لا تبعد
 ألم تعلم أخى أن المنايا عدون به وهن له جنود
 ليحك شاعر لم يبق دهر له نشأ وقد كسد القصيد
 أصيب المجد والاسلام لما أصابك بالردى سهم شديد
 لقد عزي ربيعة أن يوما عليها مثل يومك لا يعود
 ومثلك من قصدن له المنايا بأسهما وهن له جنود
 فيا للدهر ما صنعت يداه كأن الدهر منها مستفيد
 سقى جدثا أقام به يزيد من الوسمى بسام رعود
 فان أجزع لمهاكة فانى على النكبات اذ أودى جليد

وقال عتبية المازني:

ومستنبح بات الصدى يستتيه (١)
فقلت لا هلى ما بغام مطية
فقالوا غريب طارق طوحت به
فقمتم ولم أجثم مكانى ولم تقم
وناديت شبلا فاستجاب وربما
فقام أبو ضيف كريم كأنه
إلى جذم مال قد نهكنا سوام (٢)
جعلناه دون الذم حتى كأنه
لما حمد أرباب المثين ولا
إلى كل صوت فهو فى الرجل جاح
وسار اضافته البكلاّب النواج
متون الفيافى والخطوب الطوارح
مع النفس علّات البخيل الفواضح
ضمنا قرى عشر لمن لا أنصافح
وقد جد من فرط الفكاهة مازح
واعراضنا فيه بواق صحاح
إذا عد مال المكثرين المنائح (٣)
يرى إلى بيتنا مال مع الليل راح

ولعبد الله بن جعفر الطالبي المتوفى سنة ٨٠ هـ

إذا كنت فى حاجة مرسلا
وإن باب أمر عليك التوى (٥)
وإن ناصح منك يوما دنا
فأرسل حكيميا ولا توصه (٤)
فشاور ليبيبا ولا تعصه
فلا تأ عنه ولا تقصه (٦)

(١) يستتيه يستفعل من تاه يتيه إذا ضل

(٢) الجذم الأصل نهكنا سوامه أى اثرنا فى السائمة من المال بما عودناها
من النحر من قولهم نهكه المرض إذا أضربه

(٣) المنائح جمع منيحة وهى الناقة أو الشاة تدفع إلى الجار لينتفع بلبنها

(٤) الحكيم العاقل الحازم الفاضل ومن رقة الانتقاد ما يروى أن أبا
الأسود الدؤلى سمع رجلا ينشد هذا البيت فقال قد أساء القول أى علم الغيب إذا لم
يوصه كيف يعلم ما فى نفسه

(٥) يعنى إذا صعب عليك أمر من الأمور

(٦) فلا تبعد عنه ولا تبعده

وذا الحق لا تنقص حقه فان القطيعة في نقصه (١)
ولا تذكر الدهر في مجلس حديثا إذا أنت لم تحسه (٢)
ونص الحديث إلى أهله (٣) فان الأمانة في نصه
وكم من فتي عازب له وقد تعجب العين من شخصه (٤)
وأخر تحسبه أنوكا ويأتيك بالامر من فسه (٥)
وقال : شقران مولى سلامان من قضاة :

لو كنت مولى قيس عيلان لم تجد على لانسان من الناس درهما
ولكننى مولى قضاة كلها فلست أبالي ان أدين وتغرما
أولئك قومي بارك الله فيهم على كل حال ما أعف واكرما
ثقال الجفان والحلوم رحام رحا الماء يكتلون كيلا عذمذما
جفافة المحز لا يصيبون مفصلا ولا يأكلون اللحم الا تخذما
وقال النمرى ويقال انها لرجل من باهلة :

وداع دعا بعد الهدو كأنما يقاتل أهوال السرى وتقاتله
دعا بانسأ شبه الجنون وما به جنون ولكن كيد أمر يحاوله
فلما سمعت الصوت ناديت نحوه بصوت كريم الجد حلوا شمائله
فأبرزت نارى ثم أثقت ضوءها

وأخرجت كلبي وهو في البيت داخله
فلما رآنى كبر الله وحده وبشر قلباً كان جمّاً بلا به

-
- (١) لا تنقص حقه لا تنقصه والقطيعة الهجر والعقوق
(٢) إذا كنت لا تستظهره وتعرفه حق المعرفة
(٣) ارفع الكلام إلى المرفوع اليهم ولا تزد فيه ولا تنقص منه
(٤) عازب له غائب عقله وتعجب العين من شخصه أى من حسن منظره
(٥) الأنوك الاحق والأتیان بالامر من فسه معناه الأتيان بالخبر اليقين
المفصول فيه فلا يقبل المعارضة

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا رشدت ولم أقعد اليه أسائله
 وقت الى برك هجان أعده لوجبة حق نازل أنا فاعله
 بأبيض خطت نعله حيث أدركت من الارض لم تخطل على حمائله
 فجال قليلا واتقانى بخيزه سناما وأملاه من النى كاهله
 بقرم هجان مصعب كان فخلها طويل القرى لم يعد ان شق بازله
 فخر وظيف القرم في نصف ساقه وذاك عقال لا ينشط عاقله
 بذلك أوصانى أبى وبمثله كذلك أوصاه قديما أوائله
 ولما مات معاوية بن أبى سفيان ويزيد غائب صلى عليه الضحاك بن قيس
 الفهرى ثم قدم يزيد من يومه ذلك فلم يقدم أحده على تعزيتة حتى دخل عليه
 عبد الله بن همام السلولى فقال :

اصبر يزيد فقد فارقت ذامقة واشكر حباء الذى بالملك حاباكا
 لارز أعظم فى الأقوام قد علموا ممارزئت ولا عقبى كعقباباكا
 أصبحت راعى أهل الارض كلهم فانت ترعاهم والله يرعاكا
 وفى معاوية الباقي لنا خلف إذا زيت فلا نسمع بمنعاكا
 فافتح الخطاب الكلام

وقال العباس بن الوليد بن عبد الملك لمسلمة بن عبد الملك :

ألا تقنى الحياء أبا سعيد وتقصر عن ملاحائى وعذلى
 فلو لا أن أصلك حين تنمى وفرعك منتمى فرعى وأصلى
 وأتى إن رميتك هضت عظمى ونالنى إذا نالك نبلى
 لقد أنكرتى إنكار خوف يضم حشاك عن شتمى وأكلى
 كقول المرء عمرو فى القوافى لقيس^(١) حين خالف كل عدل
 عذيرى من خليلي من مراد أريد حياة ويريد قتلى^(٢)

(١) يريد عمرو بن معدى كرب وقيس بن مكشوح .

(٢) ١ / ١٤ الأمالى .

وقال الأحوص .

قالت وقلت تخرجى وصلى حبلى أمرىء بوصالىكم صب :
صاحب إذا بعلى فقلت لها الغدر شئ ليس من ضربى
ثنان لا أدنو لوصلهما عرس الخليل وجارة الجغب
أما الخليل فليست فاجعه والجار أو صانى به ربى
عوجا كذا نذكر لغانيه بعض الحديث مطيكم صحبى
ونقل لها فيم الصدود ولم نذنب بل أنت بدأت بالذنب
إن تقبلى تقبل ونزلكم منا بدار الود والرحب
أو تدبرى تكدر معيشتنا وتصدعى متلائم الشعب (١)
وقال القطامى يمدح زفر القيسى وكان قد أسره ثم عفا عنه :

ما للكواعب ! ودعن الحياة كما ودعنى واتخذن الشيب ميعادى (٢)
أبصارهن الى الشبان مائلة وقد أراهن عنى غير صداد (٣)
إذ باطلى لم تقشع جاهليته عنى ، ولم يترك الخلان تقوادى (٤)
كنية الحى من ذى الغضبة احتملوا مستحقين أسيراً ماله فادى (٥)
بانوا ، وكانت حياتى فى اجتماعهم وفى تفرقهم قتلى وإقصادى (٦)

(١) ٤٦ ج ١ الأمالى .

(٢) الكواعب : جمع كاعب ، وهى الفتاة الناهدة . ميعادى ، وقت قطيعتى يدعو عليهن بالموت لما دجرنه لخلول شيبه : اتخذن معطوف على ودعنى .

(٣) صداد جمع صادة : المعرصة .

(٤) الباطل : الضلال : تقشع تذهب . جاهليته . سفاهته . الخلان جمع خليل وهو الصديق . تقوادى : قيادتى الى اللهور .

(٥) كنية الحى متعلق بودعنى : أى كما ودعنى حتى كنت به كلفاً ، النية : البعد والقصد . استحقب : ادخر . الأسير هو أو فؤاده . ذو الغضبة مكان .

(٦) بانوا : رحلوا . إقصادى : أهلاكى .

أرمى قصيدهم طرفي ، وقد سلمكوا بطن المجير فالروحاء فالوادي (١)
 محددين لبرق صاب في خيم وبالقرية رادوه بسرود (٢)
 يخفون طوراً وأطواراً اذا طلعا نجداً ، بدالى من أجمالهم بادي (٣)
 وفي الخدور غمامات برقن لنا حتى تصيدنا من كل مصطاد (٤)
 يقتلنا بحديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكثومه بادي (٥)
 فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادي (٦)

من مبلغ زفر القيسى مدحته من القطامي قولاً غير إفناد (٧)

(١) القصيد : الناحية . الطرف النظر . المجير : أرض لفزارة . الروحاء :
 موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة . الوادي : منحرج
 ما بين جبال أو تلال أو آكام وهو اسم لعدة أماكن كوادى القرى وغيره .
 (٢) محددين : ناظرين بحدة . صاب : انصب مطره . خيم : جمع خيمة . القرية
 بضم القاف وفتح الراء وتشديد الياء : موضع لطي . رادوه طلبوه . الرواد :
 جمع رائد وهو الرسول يبعثه القوم لينظر لهم مكاناً ينزلون فيه .
 (٣) طوراً : مرة . النجد . المرتفع من الأرض . بدا : ظهر . أجمال . جمع جمل
 (٤) الخدور جمع خدر . الهودج أو مسكن الجارية . غمامات ، جمع غمامة
 السحابة البيضاء ، والمراد المرأة الجميلة . برقن لنا . أطمعنا . مصطاد . مصيد اسم
 مفعول أو مكان .

(٥) يتقين : يخفنه . باد : ظاهر

(٦) ينبذان . يرمين ويتكلمن . الغلة : حرارة العطش . الصادي : العطشان
 أى يقع كلامهن منكموقع الماء من شديد العطش ، فكلاهما أحسن ما يكون وقعا
 (٧) زفر القيسى رئيس قيس عدوة تغلب قبيلة الشاعر . وكان قد عفا عن
 القطامي وفك أسره لما هزم مع قومه فى إحدى الوقائع فمدحه بهذه القصيدة .
 الإفناد : الكذب .

- أنى وإن كان قومي ليس بينهم
مئن عليك بما استبقيت معرفتى
فلن أثيبك بالنعاء مشتمة
فان هجمه وتك ماتمت مكارمتى
قتلت بكرا وكلبا واشتليت بنا
لولا كتائب من عمرو وصول بها
إذ لا ترى العين إلا كل ساهبة
إذ الفوارس من قيس بشكتهم
إذ يعتريك رجال يسألون دمي
فقد نصيتهم والحرب مقبلة
- وبين قومك الاضرية الهادى (١)
وقد تعرض منى مقتل بادی (٢)
ولن أبذل إحسانا بافساد
وان مدحت لقد أحسنت إصفادى (٣)
وقد أردت بأن يستجمع الوادى (٤)
أرديت ياخير من يندوله النادى (٥)
وسابح مثل سيد الردهة العادى (٦)
حولى شهود وما قومي بشهاد (٧)
ولو أطعتم أبكيت عوادى (٨)
لا ، بل قدحت زنادا غير صلاذ (٩)

(١) الهادى : النصل .

(٢) مئن عليك : مادحك . بما استبقيت أى بابقائك على لمعرفتك إياى .

تعرض : ظهوروا تكشف . مقتل : موضع أقتل منه

(٣) مكارمتى : مفاخرتى لك بالكرم . إصفادى : إعطائى . الصفد القييد

صفده قيده واصعده أعطاه

(٤) بكر وكتب : قبيلتان من عدنان اشتليت : تداركت وأنقذت . يستجمع

الوادى : يتم لك كل ما يسرك قبلنا :

(٥) الكتائب جمع كتيبة : القطعة من الجيش . وصول : تسطو . أرديت هلكت

يندو : يجتمع اليه للحديث والاستشارة . النادى : مجاس القوم :

(٦) ساهبة ؛ فرس طويلة . السيد . الذئب . الردهة : الأكمة الخشنة . العادى

الهاجم يشبه الفرس بالذئب المتدى فى السرعة .

(٧) الشكة : السلاح . قيس : قبيلة الشاعر . شهود وشهاد : حضور .

(٨) يعتريك : يغشاك . يسألون دمي : يطلبون قتلى . عوادى جمع عائد : الزائر :

(٩) قدح الزند : حاول إخراج النار منه . الزناد : جمع زند وهو العود

يقدح به النار . صلاذ لا يورى . والمعنى لقد أكرمت رجلا يحسن تقدير الجميل .

والصيد آل نفيل خير قومهم	عند الشتاء إذا ما ضن بالزاد (١)
المانعون غداة الروح جارهم	بالمشرفية من ماض ومناد (٢)
أيام قومي ، مكاني منصب لهم	ولا يظنون إلا أنني رادي (٣)
فاتناشني لك من غرباء مظلمة	حبيل تضمن لإصداري وإيرادي (٤)
ولا كردك عني بعد ما كربت	تبدى الشنأة أعدائي وحسادي (٥)
فان قدرت على يوم جزيت به	والله يجعل أقواما بمرصاد (٦)
نفسى فداء بنى أم هم خلطوا	يوم العروبة أورادا بأوراد (٧)
بيضا صوارم كالشهبان نعسفها	فى البيض من مستقيمت ومناد (٨)

- (١) الصيد جمع أصيد : الملك أو الرافع رأسه كبرا . آل نفيل : آل الممدوح ضن بالزاد بخل به . فهم كرام وقت الشتاء حين ييخل الناس .
- (٢) المانعون : الحامون ، الروح : الفزع . الجار : المجاور أو المستجير . المشرفية : السيوف المنسوبة إلى مشارف الشام ، وهى قرى عربية تدنو من ريفه . الماضى : السيف المستقيم القاطع . المناد : المعوج .
- (٣) منصب : متعب يشق عليهم بلوغه . راد : هالك .
- (٤) اتناشنى : تداركنى . الغرباء : الداهية . حبيل : عهد وذمة . الإصدار : الإرجاع عن الماء . الأبراد : إحضاره المورد والمعنى أن عهدك قام بحفظى وحراستى
- (٥) كربت : دنت . الشنأة البغض والشناته . أى ليس من الفعال ما يشبه ردك الشر عني وقد كاد يشمت بى الأعداء لقرب ضياعى .
- (٦) قدرت على يوم : أى إذا قدرت عليك يوما عفوت عنك وقالوا : لما سمع زفر هذا قال . لا أقدرك الله . المرصاد : الطريق ومكان الرصد .
- (٧) يوم العروبة : يوم لتغلب على قيس . أوراد : جمع ورد . الجيش أو الجماعة أو السيف .
- (٨) بيضا صوارم . سيوفا قاطعة . الشهبان جمع شهاب : الكوكب أو المنقض منه . نعسف . نضرب على غير هدى ،

نبيت قيساً على الحشاك قد نزلوا ما بجى على الأضياف حشاد (١)
 في المجد والكرم العالى ذوى أمل وفى الحياة وفى الأموال زهاد
 الضاربين عميراً عن بيوتهم بالتل يوم عمير ظالم عادى (٢)

-
- (١) الحشاك : نهر بأرض الجزيرة بين دجلة والفرات . حشاد جمع حاشد : المستعد المتأهب . أى نزلت قيس علينا للحروب فوجدتنا مـ تعمدين للقاءها وشبهه الاحتشاد للحرب بالاجتماع لإكرام الضيف بتنزيل التضاد منزلة التناسب .
- (٢) عمير بن الحباب القيسى ، قتل يوم العروبة ، وهو يوم تغلب على قيس .
- ضربه عن يده : صده عنه .

الشعر

في العصر الأموي

تمهيد :

١ — الشعر لغة الخيال الساحرة ، وأداة التعبير الرائع ؛ وديوان العرب
ويجمع فخرهم ، ومآثرهم الكبيرة الخالدة

نظموه في الجاهلية أناشييد سماوية تصور المشاعر والعواطف وخواطر
القلوب ، وخلجات النفوس ، يحفظون به كما يقول التبريزي : المسكارم والمناسبات
ويقيمون به الأيام والمناسبات ، ويخلدون به معالم الثناء ، ويقيمون به مواسم الهجاء ،
ويضمون به ذكر وقائعهم في أعدائهم ، ويستودعون به حفظ صنائعهم إلى أوليائهم ، ،

كما نظموا بعد الجاهلية حتى الآن قصائد رائعة تخطر في ثوب الخيال البديع
والعاطفة الصادقة والمعنى الجميل والحكمة الرفيعة ، فأضافوا إلى حوليات زهير
واعذاريات النابغة وحماسيات عنترة أهاجي الخطيئة وهاشميات الكميث ونقائض
جرير وغزليات ابن أبي ربيعة وابن الأحنف وخربيات الأخطل وأبي نواس وغزليات
الفرزدق ومراثي أبي تمام ومدائح البحري وروضيات الضويري ولطائف كشاجم

واتخذوه صناعة فنية عالية ، واختاروا لظمه الأوقات المناسبة حتى
قال الفرزدق : « من أسلس ما يكون الشعر في أول الليل قبل الكرى وأول
النهار قبل الغداء وعند مناجاة النفس واجتماع الفكر ، وهذبه كما كان زهير
يذهب حولياته التي كان ينظم القصيدة منها في ستة أشهر وينقحها في ستة أشهر

٢ — ولقد لقي الشعر العربي الكثير من رعاية خلفاء بني أمية وعنايتهم
وإيثارهم ، وعقدوا المجالس لأنشاده ونقده ، وسمعوا الجوارى يغنين به في مجالس
السمر والهوى ، وأثابوا الشعراء عليه بسنى الجوائز وكريم العطاء

ولم لا ؟ وهم عرب يهزم البيان ، وتسحرهم البلاغة ويطربون للشعر ، ويطيرون عند سماع مدحة رائعة أو ثناء محبر

ولإذا كانوا قد شملوا العلم والثقافة واللغة والأدب بالرعاية والبر ، فلم لا يعنون كذلك بالشعر وهو أداة التصوير الساحر ، والتأثير الباهر والتعبير عن كل ما يجيش بالنفس من خواطر وآراء ومعان وأفكار ؟

ولم لا يكرمون الشعراء ، وهم من هم عند العرب ، نباهة شأن ، وجلال مكانة ورفعة منزله ، وعظمة جاه ونفوذ وسلطان ؛ وهم الذى يتصرفون فى الأرواح والقلوب والعواطف ، ويملكون مقادير الجماهير ، ويبدون زمام البيان والبلاغة ؟

وكيف لا نجد منهم ذلك التقدير للشعر ، وهو سبيل لدعم ملكهم ، وتأيد سلطانهم ، ووسيلة لامتلاك زمام القلوب النائرة ، والنفوس الساخطة ؟

وستعلم من البحوث التالية مالى الشعر فى عصر بنى أمية من بر وإيثار وتقدير وحب

مظاهر العناية بالشعر فى العصر الأموى وأسبابها :

١ - عنى الخلفاء والأمراء والولاة بالشعر عناية كبيرة :

١ - فأرسلوا وفودهم للشعراء التماسا للمدح والثناء ، حتى أن سليمان بن عبد الملك بعث إلى ابن أبى ربيعة فأناه ، فقال له : لم تمدحنا ، قال عمر : أنا لا أحسن مدح الخلفاء والأمراء إنما أحسن مدح النساء ، وكان الخلفاء يبعثون للشعراء فى المناسبات الحافلة ، يطلبون منهم إنشاء المدائح والقصائد ،

ب - واتخذ كل خليفة أو أمير لنفسه شاعراً يقربه ويؤثره ويهبه الأموال الجزيلة والعطاء الجهم ، فكان الأخطل شاعر يزيد بن معاوية ثم شاعر مروان بن عبد الملك الخليفة الأموى العظم .

ولم يشذ عن ذلك إلا عمر بن عبد العزيز الذى نقم على الشعراء عيبتهم ولهوهم ومجونهم واتخاذهم الشعر أداة للمدح الكاذب والهجوم الفاحش والغزل الصاخب فجذرهم وأوعدهم وأنذرهم وهددهم بل نفى بعضهم من جزيرة العرب .

روى (١) أنه لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة لم تكن له همة إلا عمر بن أبي
والأحوص . فكتب إلى عامله على المدينة : قد عرفت عمر والأحوص بالحبث
والشر ، فإذا أتاك كتابي هذا فاشددهما وأحملهما إلى .

فلما أتاه الكتاب حملهما إليه : فاقبل على عمر فقال له : هيه !

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كلياى الحج أفلتن ذا هوى
وكم مالى عينيه من شئ غيره إذا راح نحو الجرة البيض كالدمى

فإذا لم يفلت الناس منك فى هذه الأيام فتى يفلتون ، أما والله لو أهتمت
بأمر حجك لم تنظر إلى شئ غيرك ، نعم أمر بنفيه . فقال : يا أمير المؤمنين أو خير
من ذلك ؟ أعاهد الله ألا أعود إلى مثل هذا الشعر أبداً وأجدد توبة على يدك .
قال : أو تفعل ؟ قال نعم . فعاهد الله على توبة وخلاه . ثم دعا بالأحوص فقال : هيه

الله بينى وبين قيمها يهرب منى بها وأتبع

بل الله بين قيمها وبينك ! ثم أمر بنفيه إلى دهلك (٢) فلم يزل بها .

فرحل إلى عمر عدة من الانصار فكلموه فى أمره ، وسألوه أن يقدمه ،
وقالوا له : قد عرفت نسبه وقدمه وموضعه ، وقد أخرج إلى بلاد الشرك ،
فنطلب منك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه : فقال
لهم عمر ، من الذى يقول :

فما هو إلا أن أراها فجماعة فأبته حتى ما أكاد أحير

قالوا : الأحوص . قال فمن الذى يقول .

أدور ولولا أن أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور -
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى إذا لم يزر لا بد أن سيزور

(١) الأغاني ض ٦٤ ج ٩

(٢) دهلك : بلدة ضيقة حارة تجاه مصوع ، كان بنو أمية إذا سخطوا على

على أحد نفوه إليها .

قالوا : الاحوص . قال فمن ذا الذى يقول .

كان لبني صير (١) غادية أو دمية زينت بها البيع
الله بينى وبين قيما يهرب منى بها وأتبع

قالوا الاحوص ، قال . والله لا أردده ما كان لى سلطان .

فكث هناك حتى مات عمر ، وولى الامر من بعده يزيد بن عبد الملك ،
فغنته جميلة يوماً :

كريم قریش حین ينسب والذى أقرت له بالملك كهلا وأمردا
فطرب يزيد وقال : ويحك ، من كريم قریش هذا ، قالت : أنت يا أمير
المؤمنين ومن عسى أن يكون ذلك غيرك . قال . ومن قائل هذا الشعر فى ؟
قالت : الاحوص وهو منى .

فكتب برده وحمله إليه ، وأنفذ إليه صلوات سنية ؛ فلما قدم إليه أدناه وقربه
وأكرمه ، وقال له يوماً فى مجلس حافل . والله لو تمت إلينا بحق ولا صهر ولا
رحم إلا بقولك .

وإنى لأستحييكم أن يقودنى إلى غيركم من سائر الناس مطمع
لكفاك ذلك عندنا .

ولم يزل يناديه حتى مات

ج - وأغدقوا على الشعراء العطاء والأموال الجزيلة والهبات الضخمة ،
وعاش كثير من الشعراء فى ترف ونعمه وثناء

روى عن دكين الراجز قال . (٢) امتدحت عمر بن عبد العزيز وهو والى
المدينة ، فأمر لى بخمسة عشرة ناقة كرائم ، فكرهت أن أرمى بهن الفجاء ، ولم

(١) صير : سحابة بيضاء .

(٢) الأغاني ص ٢٦١ ج ٩ ، العقد الفريد ص ٢٠٢ ج ١

تطب نفسى ببيعهن . فقدمت علينا رفقة من مصر ، فسألهم الصحبة ، فقالوا .
ذاك إليك ، ونحن نخرج الليلة .

فأتيته فودعته ، وعنده شيخان لا أعرفهما ، فقال لى : ياد كين ، إن لى نفسا
تواقة ، فان صرت إلى أكثر مما أنا فيه فأتى ولك الإحسان . قلت . أشهد لى
بذلك ، قال . أشهد الله به . قلت : ومن خلقه ؟ قال . هذين الشيخين ، فأقبلت
على أحدهما فقلت . من أنت أعرفك ؟ قال . سالم بن عبد الله بن عمر . وقلت
للآخر : من أنت ؟ قال . أبو يحيى مولى الأمير .

فخرجت إلى بلدى بهن ، فرمى الله فى أدناهن بالبركة حتى اعتقدت ^(١) منهن
الإبل والعبيد ، فأتى لبصحراء فاج ^(٢) إذا ناع يعنى سليمان قلت : فمن القائم بعده ؟
قال : عمر بن عبد العزيز .

فتوجهت نحوه ، فلقينى جرير منصرفا من عنده ، فقلت : يا أبا حرزة ، من
أين ؟ فقال : من عند من يعطى الفقراء ، ويمنع الشعراء فانطلقت فاذا هو فى عرصة
دار ، وقد أحاط الناس به ، فلم أخلص إليه ، فناديت .

يا عمر الخيرات والمسك كرم وعمر الدسائع ^(٣) العظام
إنى امرؤ من قطن بن درام طلبت دينى من أخى مسك كرم
إذ تنتحى والليل غير نائم عند أبى يحيى وعند سالم

فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ، لهذا البدوى عندى شهادة عليك ،
فقال : أعرفها ، أدن ياد كين ، أنا كما ذكرت لك ، إن نفسى لم تنل شيئا قط إلا
تاقت لما هو فوقه ، وقد نلت غاية الدنيا ، فنفسى تتوق إلى الآخرة ، والله
ما رزأت ^(٤) من أموال الناس شيئا ، ولا عندى إلا ألف درهم ، فخذ نصفها .

قال دكين : فوالله ما رأيت ألفا كان أعظم بركة منه .

(١) اعتقد الشيء ، اشتراه أو اقتناه

(٢) فلج . اسم واد

(٣) الدسائع : العطايا

(٤) رزأ من ماله شيئا إذا أخذ

د - وعقدوا له المجالس الحافلة لأنشاده وسماعه ، وطربوا له واهتزوا أريجياً للشعراء الذين حبروه وأنشدوه

وعفوا عن خصومهم السياسيين لقول بليغ يصدر منهم ؛ أوييت رائع تنطق به ألسنتهم ، وموقف عبد الملك من الكميت مشهور

وروى أن معاوية لما ^(١) استعمل زياداً على العراق كتب إليه . أما بعد فانظر عبد الله ^(٢) بن هاشم بن عتبة ، فشد يده إلى عنقه ، ثم ابعث به إلى

فحملة زياد من البصرة مقيداً مغلولاً إلى دمشق ، فأدخل على معاوية ، وعنده عمرو بن العاص ، فقال معاوية لعمرو . هل تعرف هذا ؟ قال لا ! قال . هذا الذي يقول أبوه ^(٣) يوم صفين .

إني شريت ^(٤) النفس لما اعتلا وأكثرت اللوم وما أقللا
أعور يبغى أهله ^(٥) محلاً قد عالج الحياة حتى ملا
لا بد أن يفلا ^(٦) أو يفلا يتلمم بذى الكعوب ^(٧) تلا

(١) المسعودي نص ٥٧ ج ٢

(٢) كانت في نفس معاوية من يوم صفين إحزن عـلى هاشم بن عتبة وولده عبد الله بن هاشم

(٣) جاء عمار بن ياسر إلى هاشم بن عتبة - وكان هاشم أعور - فقال . يا هاشم ، أعورا وجنباً ؟ اركب ، فركب ومضى معه وهو يرتجز ، إني شريت النفس

(٤) شريت النفس . بعثتها في سبيل الله ، لما اعتل . وماني عمار بالجين .

(٥) يبغى أهله أى . محل أهله ومصيرهم وهم الذين استشهدوا قبله .

(٦) يفلا : يهزم

(٧) تلا : صرعه ، وذو الكعوب : الرمح .

لاخير عندى فى كريم ولى

فقال عمرو متمثلاً :

وقد ينبت المرعى على دمن ^(١) الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا
دونك يا أمير ، الضب ^(٢) الضب ! فاشخب أوداجه ^(٣) على أسباجه ،
فلا ترده إلى العراق ، فانه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدر وشقاق ، وإن له
هوى سيوديه ، ورأيا سيطنيه ، وبطانة ستقويه ، وجزاء سيئة سيئتها .
فقال عبد الله : يا عمرو ، إن أقتل فرجل أسلمه قومه وأدركه يومه ، أفلا كان
هذا منك إذ تحيد عن القتال ، وتحن ندعوك إلى النزال ، فقال عمرو : أما والله
لقد وقعت ، ولا أحسبك منفلاً من مخالف أمير المؤمنين !
فقال عبد الله . أما والله بآبن العاص ، إنك ، لبطر فى الرخاء ، جبان عند
اللقاء ، غشوم إذا وليت . هياب إذا لقيت ، أفلا كان هذا منك ، إذ غمرك
أقوام لم يعنفوا صغاراً ، ولم يزقوا كباراً ، لهم أيد شداد ، وألسنة حداد ..
فقال عمرو . أما والله لقد رأيت أباك يؤمئذ تخفق أحشاؤه ، وتبقى ^(٤)
أعماؤه ! ...

فقال عبد الله : يا عمرو ، إنا قد بلوناك ومقاتلك ، فوجدنا لسانك كذوباً
غادراً ، خلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجند لا يسأمونك ، ولورمت المنطق فى غير
أهل الشام لجحظ ^(٥) إليه عقلك ولتأجلج لسانك ولاضطرب فخذاك اضطرب
القعود الذى أثقله حمله !

(١) الدمن جمع دمنه وهى ما أسود من آثار الدار .

(٢) الضب . حيوان يضرب بخداعه المثل فيقال : أخدع من ضب

(٣) الأودج . عروق فى العنق ، وشخبت أوداج القتل دماً : جرى دمها ،

والأسباج . جمع سبجة وهى من القميص بذيقتة .

(٤) تبقى . تخرج ، بق النبات بقوقاً : طلع .

(٥) جحظت العين ، إذا برزت مقلتها ، والمراد اضطرب عقلك وشرد ، ولم

يسلس لك قياد التفكير

فقال معاوية إنها عنكما ، وأمر بأطلاق عبد الله ! فقال عمرو لمعاوية
أمرتك أمراً حازماً فعصيتني أليس أبوه ، يامعاوية ، الذي
أعان علياً يوم حز الغلاصم ^(١)
بصفين أمثال البحور الخضارم ^(٢)
ويوشك أن يقرع ^(٣) به من نادم
فقال عبد الله يحببه

معاوى إن المرء عمرأ أبت له يرى لك قتلى يابن هند وإنما
ضغينة صدر غشها غير نائم يرى ما يرى عمرو ملوك الأجم
إذا منعت منه عهد المسالم عليك جناها هاشم وابن هاشم
ولا ماجرى إلا كأضغاث حالم وإن تر قتلى تستحل مخارمي
وقد كان منا يوم صفين نعة ^(٤) قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى
فان تعف عني تعف عن ذي قرابة
فقال معاوية

أرى العفو عن علياً قريش وسيلة ولست أرى قتل العداة ابن هاشم
بل العفو عنه بعد ما بان جرمه فكان أبوه يوم صفين جمة
إلى الله في اليوم العصيب القمطار ^(٥) بادراك ثارى فى لوى وعامر
وزلت به إحدى الجدود العواثر علينا فأدته رماح نهابر ^(٦)

(١) الغلاصمة رأس الخلقوم

(٢) الخضرم البحر العظيم ، وبقيت الياء فى « يثنى » للضرورة

(٣) قرع سنه ، حرقه ندماً ؛ أى سحقه حتى سمع له صريف ، وسكن الفعل

للضرورة والسنخ ، الأصل من كل شيء

(٤) نعر القوم ، هاجو واجتمعوا فى الحرب

(٥) يوم قماطر : شديد (٦) النهابر : المهالك

هـ — ولما اتخذوا الشعر وسيلة لأذاعة محامدهم ومآثرهم وآرائهم ، كان لكل حزب سياسى شاعر ينطق بلسانه ، ولكل فرقه أو طائفه دينية ساحر يشيد بزعيمها ويعبر عن آرائها ومبادئها . فكان الاخطل شاعر بنى أميه ، وابن قيس الرقيات شاعر الزبيريين ، والكميت شاعر العلويين ، وعمران بن حطان شاعر الخوارج وهكذا .

٢ — وكذلك غنى به الناس فسمعوه وتأثروا به وأفتخرت كل قبيله بشاعرها واعتزت به اعـ تراز اكبر لانه لسانها المدافع عن أحسابها والناطق بمفاخرها والذائد عنها خصومها وأعداءها ، فكان الاخطل شاعر تغلب ، والفرزدق شاعر قریش وهكذا .

٣ — كما اتخذ منه المغنون الحاناجميلة وأصوانا رائعة وأغانى عذبة ، يملئون بها الدنيا غناء وطربا ومتعة وسرورا .

٤ — وعنى الشعراء كذلك بالشعر ، فأقبلوا عليه يجودونه وينقحونه ويهذبونه ويتنافسون فيه ، وينقد بعضهم البعض الآخر طلبا للكمال وحباً فى التهذيب والتجويد والشواهد على ذلك كثيرة من الأدب الاموى ، دهى من الكثرة بحيث تغنى الإشارة إليها عن الأفاضة فى ذكرها

ولم يكونوا يقدرّون للعمال حسنا ؛ بل لم يكونوا يحسبون أنفسهم أصحاب فضل على الشعراء ، بل الشعراء هم أصحاب الفضل عليهم ، روى أن عبيد الله (١) بن العباس خرج مرة من المدينة يريد معاوية فى الشام ، فأصابته سماء ، فنظر إلى نؤيرة (٢) عن يمينه ، فقال لعلامه ، مل بنا إليها فلما أتياها إذا شيخ ذو هيئة رثة ، فقال له ، أنخ ، انزل ، حيث ! ودخل

(١) عبيد الله بن العباس . كان مشهورا بالجود ؛ معدودا من الأجواد ؛ ، وهو أول من فطر جيرانه فى رمضان ، وأول من وضع موائده فى الطرق توفى سنة ٨٧ هـ (٢) تصغير نار

إلى منزله ، فقال لامراته ، هيئى شاتك أفضى بها ذمام (١) هذا الرجل ، فقد توسمت فيه الخير ، فان يكن من مضر فهو من بنى عبدالمطلب ، وإن يكن من اليمن فهو من بنى آكل المرار (٢) ، فقالت له ، قد عرفت حال صديقتى ، وأن معيشتهم منها ، وأخاف الموت عليهم إن فقدوها ، فقال . موتهم أحب إلى من اللؤم (٣) ؛ ثم قبض على الشاة ؛ فأخذ الشفرة وأنشد

قريبتي (٤) لا توقظى بنيه إن يوقظوا ينسحبوا عليه
وينزعوا الشفرة من يديه أبغض هذا أن يرى لديه

ثم ذبحها وكشط جلدها ، وقطعها أرباعا ، وقذفها فى الذدر حتى إذا استوت ثرد (٥) فى جفنة ، فعشاهم ثم غداهم

وأراد عبيد الله الرحيل ؛ فقال لغلामه ، أرم للشيخ ما معك من نفقة ؛ فقال ؛ ذبح لك الشاة فكافئة بثمان عشرة أمثالها ؛ وهو لا يعرفك ؛ فقال ؛ ويحك ؛ إن هذا لم يكن يملك من الدنيا غير هذه الشاة ، فجاد لما بها ، وإن كان لا يعرفنا فأنا أعرف نفسى ، أرم بها إليه ، فرماها إليه فكانت تسمانة ديناراً

ثم ارتحل عبيد الله ، فأتى معاوية ، ففضى حاجته ، ثم أقبل راجعاً إلى المدينة حتى إذا قرب من ذلك الشيخ قال لغلामه ، مل بنا ننظره فى أى حالة هو ، فانتهيا إليه ، فاذا برجل سرى عنده دخان عال ، ورماد كثير ، وإبل وغنم ، وفرح بذلك ، وقال له الشيخ ، أنزل بالرحب والسعة ؛ فقال له عبيد الله ، أتعرفنى ؟ فقال ؛ لا ، والله ، فمن أنت ؟ فقال أنا نزيلك ليلة كذا وكذا ؛ فقام إليه ، فقبل رأسه ويديه ورجليه ، وقال ؛ قد قلت أبياتا ، أسمعها منى ؟ فقال هات فأنشد :

(١) الذمام . الحرمة

(٢) آكل المرار . جد امرئ القيس ، وبنو آكل المرار . هم ملوك اليمن

(٣) اللؤم . البخل (٤) القرية ذات القرابة

(٥) يقال ثرد الخبز . أي فته

توسمته (١) لما رأيت مهابة عليه وقلت : المرء من آل هاشم
والأف من آل المار فانهم- ملوك عظام من كرام أعظم
فقلت إلى عز بقيّة أعز لأذبحها فعل أمرى غير نادم
فعوضنى عنها غناى ولم تكن تساوى (٢) عزى غير خمس دراهم
فقلت لأهلى فى الخلاء (٣) وصيتى : أحقا أرى أم تلك أحلام نائم
فضحك عبيد الله وقال : أعطيتنا أكثر مما أخذت منا أخذت منا ، يا غلام
أعطه مثلها ! وبلغت فعلته معاوية فقال . لله در عبيد الله : من أى بيضة خرج !
وفى أى عش درج !

..

ولهذه العناية الكبيرة بالشعر والشعراء أسباب كثيرة
١ — فالعصبية التى أحيها بنو أمية فى هذا العصر كانت عاملا كبيرا فى
فى رواج الشعر والعناية به ، واهتمام الخلفاء والولاة بالشعراء
٢ — واهتمام الرواة بالشعر ونقده جعل للشعر سوقا رائجة ، ودعا الشعراء
إلى تهذيبه وتجويده
٣ — والتنافس بين الشعراء له أثر كبير فى نهضة الشعر الفنية التى بلغت فى
العصر الأوى

٤ — وأثر الشعر فى الحياة الاجتماعية وأنه لسان المفاخر والمثالب جعل
للشعر والشعراء مكانا مرموقا فى الحياة العربية فى هذا العصر ، فكان يرفع الوضع
ويضع الشريف ، حتى أن مدحة الشماخ لعرابة التى منها .
رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ماراية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمن

(١) توسمته : تفرسته

(٢) تساوى

بوضع الضمة على الياء للضرورة

(٣) الخلاء . الفضاء

كانت مثلاً سائراً وأثراً باقياً ومفخرة خالدة لعراة وكانت بنو نمير من أعظم العرب مكانة وأنبهم ثأناً فلما هجأهم جرير بقصيدته التي منها
 فعض الطرف إنك من غير فـلا كعبا بلغت ولا كلابا
 صار اسم القبيلة لأفرادها سمة هوان وعيب وعار
 هـ — واتخاذ الشعر أداة للغناء والألحان كذلك كان له أثر كبير في هذه العناية الضخمة

يقول جورجى زيدان فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية. كان لبنى أمية رغبة شديدة فى احياء لسان العرب وآدابه كما قدمنا . وكان الخلفاء انفسهم من اهل الآدب نفوسهم شعرية حساسة . حدث معاوية عن نفسه قال : اجعلوا الشعر اكبر همكم واكثر آدابكم فلقد رأيتنى ليلة الحرير بصفين وقد اتيت بفرس اغر محجل بعيد البطن من الارض وانا ايداهرب لشدة البلوى فما حملنى على الاقامة الا ابيات عمرو بن الاطنابة :

ابت لى همتى وأبى بلائى وأخذى الحمد بالثمن الريح
 واقحامى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيح
 وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى او تستريحى
 لأدفع عن مآثر صالحات واحى بعد عن عرض صحبح
 ويزيد بن عبد الملك رد الاحوص الشاعر من منفاه لبث شعر له غنته فيه جميلة المنية وهو قوله :

كريم قريش حين ينسب والذى اقرت له بالملك كـهـلا وامردا
 فطرت يزيد وقال : ويحك من كريم قريش هذا ؟ ، قالت : انت وقد قاله الاحوص وهو منى ، فكتب برده وانفذ له حللا سنية وادناه وقربه . وقال له يوما : لولم تمت الينا بحق ولا صهر ولا رحم الا بقولك :

وانى لاستحييكم ان يقودنى الى غيركم من سائر الناس مطمع
 لكيفاك ذلك عندنا ،

وقد خابر عبد الملك بن مروان عدوه ابن الزبير بالشعر واجابه ذاك بمثله

وكان عمال الامويين اصحاب شعر وخيال وحساسة مثلهم . فالحجاج وهو اشد هم وطأة جىء بالاسرى بين يديه بعد حرب الاشعت فاخذ في قتلهم بقية ذلك اليوم حتى صاح به رجل : والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا بالذنب فما احسنت بالعفو ولقد خالفت الله فينا وما اطعته ، فقال له : وكيف ويلك ، قال : لان الله تعالى يقول . فاذا لقيتم الدين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموه فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ، وقد قتلت فاثخنتم حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل ثم قال : او من ، فقال الحجاج : ويل لك الا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت ، ثم نادى برفع السيف وامن الناس .

وكان بنو امية يحفظون الشعر ويباخذون الشعراء وينتقدونهم وكثيراً ما كانوا يجمعون طائفة منهم في مجلس يقترون عليهم ان يصفوا شيئاً ويجيزون المجيد كما فعل هشام بن عبد الملك ، او يجمعونهم ليفاخروا بين ايديهم كما فعل سليمان بن عبد الملك اذ جمع اليه الفرزدق وجريراً وكثيراً وابن الرقاع وقال لهم انشدونا من نخر كم شيئاً حسناً ففعلوا في حديث طويل .

وقد يخطر لاحدهم شعر لا يعرف قائله او يحتاج الى تفسير فيكتب الى الشاعر او الراوية فيستقدمه من العراق الى الشام على البريد كما فعل هشام المذكور اذ بعث برسالة من دمشق الى عامله بالبصرة ان يشخص اليه حماداً الراوية على البريد فقضى حماد اثنتي عشرة ليلة في الطريق وهو خائف من تلك الدعوة فاذا هو يقول له : بعثت اليك لبيت خطر بيالى لم ادر من قائله ،

فهدأ روعه وقال : وما هو؟ فقال :

فدعوا بالصبح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريق

فقال حماد : هذا يقوله عدى بن زيد من قصيدة ، وانشده اياها

وكذلك كان يفعل عمالهم اذا علموا بوجود شاعر او اديب بارع بعثوا في

استقدمه مما يطول بنا ذكره

وكان من الخلفاء شعراء كالوليد بن يزيد فقد كان شاعراً بليغاً وينسبون الى
يزيد بن معاوية القصيدة المشهورة التي مطلعها :

نالت على يدها مالم تنله يدي نقشاً على معصم او هت به جلدي
وربما كانت لغيره لكنه كان من اصحاب الشاعرية .

وكان لبعض خلفائهم الدعاة شغف بالادب على الاجمال ونخص منهم ثلاثة
معارية وعبد الملك وهشام حكم كل منهم اكثر من عشرين سنة وكانت لهم عناية
بالادباء وخصوصاً عبد الملك والادب لا ينمو ويورق ويشمر الا في ظل محبيه من
الملوك او الامراء واذ انتدبرت النهضة التي مربها الادب رأيت لكل نهضة اميراً
او ملكاً اخذ بناصرها واحيا الادب بتقديم اهله وتنشيطهم

فلا عجب اذا كان اكثر احاديث الناس في مجتمعاتهم ومنتدياتهم في الشعر
ومن هو اشهر شعراء الجاهلية او الاسلام . وكان المشهورون من شعراء الجاهلية في
عصرهم أمراً القيس وزهيرا والنابعة يفضلوهم على سواهم ويفضلون جريراً
والفرزدق والاختل على سائر الشعراء المسلمين في ايامهم لكنهم كانوا يتناقشون
في اى هؤلاء اشعرو كثيراً ما كانوا يتخاصمون وترتفع اصواتهم . وربما اهتم
الخليفة او الامير فبعث الى بهض العلماء يسأله عن رأيه في اشعر الشعراء كما فعل
الحجاج اذ بعث الى قتيبة يسأله عن ذلك وقد يبعثون من الشام الى العراق لمثل
هذا السؤال .

نهضة الشعر الفنية

في عصر بني أمية

وبعد فقد نهض الشعر نهضة فنية عظيمة في هذا العصر ، وتعددت جوانب تجويده وتهذيبه وعكف عليه الشعراء تنقيحاً وتصنيعاً .

ولذلك أسباب كثيرة منها :

١ - منزلة الشعر والشاعر الضخمة في العصر الأموي التي سبق أن حدثناك عنها بالتفصيل .

٢ - التنافس بين الشعراء على الشعر والحظ عند الأمراء والخلفاء

٣ - إحياء الشعر الجاهلي^(١) واتخاذهُ نموذجاً فنياً عالياً ينسج على منواله الشعراء

٤ - تعدد مجالس النقد والنقاد حول الشعر والشعراء وسلامة ملكة العربية في نفوسهم ، وعناية بني أمية بالشعرورجاله

٥ - اتخاذ الشعر أداة للغناء فقد رققه الشعراء واختاروا له الأساليب العذبة والألفاظ الرقيقة والتجاير السمحة السهلة الواضحة

وسنحدثك بتفصيل عن مظاهر هذه النهضة الفنية العظيمة التي بلغها الشعر في هذا العصر في معاني الشعر وأسلوبه وألفاظه وأخيلته . وبعد فقد طفر الشعر في هذا العصر : رجزه وقصيده في سبيل التفنن فيه والاهتمام بشأنه أو التمسك به طرفة لم يتفهم عنها إلا بعد عدة قرون ، فطالت قصائده وأراجيزه وقلت عيوبه في الوزن والقافية ، وزادت فنونه ، ودقت معانيه ، ورق أسلوبه وألفاظه في الغزل والنسيب والعتاب رقة لم تعهد من قبل

(١) ويروى أن أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها هو حماد الراوية

[٢٣ طبقات الشعراء لابن سلام]

معانى الشعر الاموى :

وتمتاز معانى الشعر فى هذا العصر بما يأتى :

١ — العمق والترتيب والدقة التى تبدر فى الآثار الفنية الشعرية فى هذا العصر

وذلك ناشئ من ثقافتهم الواسعة العربية وغير العربية التى أفادوها وتأثروا بها، وكثرة تجاربهم فى الحياة وخبرتهم بها، وتأثرهم بأداب السابقين ومعانيهم وبالقرآن الكريم والحديث الشريف، ولأن من الشعراء من كانوا من عناصر أجنبية كزياد الأعجم وموسى شهوات وأبى العباس الاعمى الذين كانوا من عناصر فارسية وتأثروا بثقافات الفرس وعلومهم.

٢ — كثرة الحكم والأمثال فى شعرهم كما فى شعر معن والفرزدق وجريز والاخلطل وابن أبى ربيعة وسواهم وذلك لتأثرهم بحكمة القرآن والحكم الفارسية والبرنافية التى ذاعت فى هذا العصر

٣ — وضوح الأفكار والمعانى وخلوها من التعقيد إلا قليلا كما نرى عند الفرزدق وبعض الشعراء

٤ — قلة المبالغة والتكلف والاغراق مما نراه فى الشعر فى العصر العباسى

٥ — إنكأؤهم على معانى الشعراء الجاهليين واعتمادهم عليها وزيادتهم فيها بما اقتضته الحضارة والحياة العربية الجديدة فى العصر الاموى

٦ — كثرة المعانى الجديدة فى شعرهم بتأثير البيئة والعصر والتغيرات السياسية والاجتماعية الجديدة

أخيلة الشعر :

أما أخيلة الشعر فى العصر الاموى فتمتاز غالبا بما يأتى

١ — قرب الخيال من الواقع والحس والعقل فى التعبير

٢ — كثرة صور الخيال البديع من التشبيه الطريف والاستعارة الجميلة

والكناية الدقيقة مما هو أثر للحياة الجديدة

٣ — السحرهم وروعة التأثير في الاخيلة التي ابتكرها شعراء العصر الاموى مما يمكنك معرفتها والاهتمام اليها بالإمعان في الشعر الاموى وقراءته

أسلوب الشعر الاموى :

ويمتاز أسلوب الشعر في هذا العصر بما يأتى .

١ - الحرص على الروعة والقوة وضخامة الأساليب وذلك لاتخاذ الشعر وسيلة للدعاية . السياسية

٢ - خلوه من الحوشية والغرابة النافرة والاسفاف وبقاء بلاغة الجاهلية وفصاحتها في الأسلوب .

٣ - ظهور أثر القرآن والحياة الجديدة في الشعر الاموى واضحا جليا .

٤ - تمثيل الشعر للحياه الاجتماعية والسياسية والادبية تمثيلا واضحا .

٥ - تعدد مناهج الشعراء الفنية في الأسلوب بحسب بيئاتهم ونزعاتهم ، وتفاقاتهم ، فالذين عاشوا في البادية وتأثروا بالحياة فيها كان أسلوبهم قريبا من الأسلوب الجاهلى فى خصائصه وميزاته كذى الرمة والرماح وسواهما ، والذين عاشوا فى الحواضر والامصار وراوا مظاهر العمران والحياة الجديدة كان على أسلوبهم طابع الخفة والعذوبة والرشاقة والسلاسة الممتعة والقوة المؤثرة .

ولا شك أن لاهياء الادب الجاهلى وللقرآن وأثره الادبى وللحياة الجديدة كثير من الأثر فى تعدد مناهج الشعراء فى الأسلوب .

٦ - ظهور الأراجيز وكثرتها فى عصر بنى أمية فقد عنوا بها عناية جعلتها تقرب من القصائد فى أكثر خصائصها ، فبعد أن كان البدوى ينظم منها بضعة مشطورات يحدوها الإبل أو يصفها أو يصف ظييا أو ظليما أو ثور وحش نشأ فى هذا العصر فحول من الرجازين طولوا الأراجيز ونحوها بها منجى القصائد ، فضمنوها اغراضها من المدح والهجاء والفخر والثناء ، وصاروا يمدون لهذه

الأغراض بالنسيب وذكر الديار وآثارها والظعائن وحدودها ، ويقصدون بها الخلفاء والولاة . واشتهر منهم أبو النجم العجلي والعجاج وابنه روبة .

٧ — ظهور الجزالة واضحة في شعر العصر الأموي

والجزل من الكلام هو الذى تعرفه العامة إذا سمعته ولا تستعمله فى محاوراتها ^(١) ، وأجود الكلام ما يكون جزلا سهلا لا يغلط معناه ^(٢) ويقول ابن الأثير : الألفاظ تنقسم فى الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزل منهما يستعمل فى وصف مواقف الحروب وفى قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، وأما الرقيق منها فانه يستعمل فى وصف الاشواق وذكر أيام البعاد وفى استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك ، ولست أعنى بالجزل من الألفاظ أن يكون وحشيا متوعرا عليه عنجبية البداوة بل أعنى به أن يكون متينا على عذوبته فى الفم ولذاذته فى السمع وكذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكا سفسفا وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبى تمام :

ناعمات الأطراف لو أنها تلبس أغنت عن الملاء الرقاق (٣)

ويقول : وأما البداوة فى الألفاظ فذلك أمة قد خلت وقد عيبت على مستعملها فى ذلك الوقت فكيف الآن ^(٤) وقد عرف النقاد أمر الجزالة والركة وشأنهما فى الكلام وبحبها منهم كثيرون فى تقديم ودراستهم فالفرزدق يقول فى جرير ، ما أحوجنى مع قسوتى إلى رقة شعره ، وأحوجه مع عفافه إلى خشونة شعرى ^(٥) فهو يرى أن الجزالة والركة بحسب الشاعر والموضوع الذى ينظم فيه ، ويقول عبد الملك فى الأعشى قاتله الله ما كان أعذب بحره وأصلب صخره ^(٦) ويقول

(٢) ٦٦ المرجع

(٤) ٦٨ المثل السائر

(١) ٦٤ الصناعتين

(٣) ٦٥ المثل السائر

(٥) ١٢٧ الشعر والشعراء

(٦) ٣٨ الجهرة

الأصمعي في شعر النابغة ، إن قلت ألين من الحرير صدقت وإن قلت أشد من الحديد صدقت (١) وقال أبو عبيدة في شعره ، له ديباجة إن شئت قلت شهد إن مستعذاب وإن شئت قلت صخر لو رديت به الجبال لأزالها (٢)

وبحث الجرجاني في وساطته الجزالة والرقعة بتفصيل (٣) وذكر أثر نفس الشاعر وحياته وبيئته وعصره ولون معيشته فيهما ورأى أن الرقعة إنما تأتيك من قبل العاشق المتيم والغزل المتهاك ودعا إلى تنزيل الجزالة والرقعة منازلهما بحسب المعاني و'لاغراض والموضوعات' (٤) . وقد ذكر الجاحظ في البيان الجزالة والرقعة عرضا فراه يقول : ومن الكلام الجزل والسخيف والخفيف والثقيل وكل عربي وبكل قد تكلموا (٥) وذكر أن سخييف الألفاظ مشا كل لسخييف المعاني وأنه قد يحتاج إليه في بعض المواضع وربما أمتع كثيرا .

ويقول : وحاجة الكلام إلى الخلاوة كحاجته إلى الجزالة (٦) ويدعو إلى ترك الوحشي والسوقي في مواضع كثيرة من بيانه (٧) وعرض لهما ابن المدبر عرضا فقال : لا يعتد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظا جزلا (٨) وعرض لهما أرسطو في كتابه الخطابة فذكر أنه لا ينبغي أن تكون الألفاظ سفسافة ولا مجاوزة في المتانة مبلغ الأمر الذي يدل عليه فلا تبلغ درجة العامية ولا تحوج تحوج إلى الكلفة المشنونة ، وذكر أنه لا ينبغي أن يلام بين اللفظ والمعنى فالمعنى الجزل يعبر عنه بالألفاظ جزلة والمعنى الرقيق يعبر عنه بلفظ رقيق (٩)

(١) ٣٨٠ / ٣ العقد

(٢) ٣٢ جمهرة أشعار العرب

(٣) ٢٢ وما بعدها من الوساطة

(٤) ١١٠ ج ١ البيان والتبيين

(٥) ٢٩ المرجع

(٦) ١٠٥ و ١١٠ و ١٧٦ ج ١ المرجع

(٧) ٤٠ ج ١ البيان

(٨) ١١ الرسالة العذراء

(٩) راجع الفن الثامن من الخطابة في الشفاء لابن سينا مخطوط

ألفاظ الشعر .

وألفاظ الشعر في هذا العصر يظهر فيها أثر القرآن الكريم والحياة الجديدة
عذوبة وفصاحة وسلامة من اللحن والخطأ والعجمة والغربة والوحشية والابتذال
فاذا ما فتشت في الشعر الأموي لا تجد ألفاظا تشبه ألفاظ امرئ القيس
أو طرفه أو لييد مثلاً في الغربة . نعم قد تجد لبعض الشعراء كالأخطل وجريـ
والفرزدق في مواطن الفخر والهجاء أو المناقضات بعض الغربة في الألفاظ
ولكنها لا تبلغ هذا المبلغ الذي بلغته في ألفاظ الشعر الجاهلي
أغراض الشعر الأموي :

وأغراض الشعر الأموي كثيرة متعددة وهي لا تقتصر على أغراض شعر
الجاهليين أو شعر صدر الإسلام فحسب بل إن الحياة الجديدة الاجتماعية
والسياسية والأدبية قد أدت إلى خلق أغراض جديدة لم تكن ألوفة من قبل .
فقد احتفظ الشعر الأموي بالفنون القديمة التي كانت في الجاهلية من المدح والهجاء
والفخر والرثاء والوصف وإن كانت هذه الفنون تنهج نهجاً جديداً أو كالجديد
وفق ظروف البيئة والعصر والحياة ، كما أضاف الشعر الأموي إلى هذه الفنون
والموضوعات أغراضاً جديدة لم تكن من قبل

فقد استحدث الشعراء الأمويون الشعر السياسي والغزل العذري والنسيب
القصصي ووصف البلاد المفتوحة والكلام في بيان العقيدة أو في الزهد وتناول الحكمة
كما جاوروا الشعراء الذين سبقوهم في الفخر والرثاء والمدح والهجاء والوصف
وستكلم بتفصيل على أغراض الشعر الأموي الجديدة والقديمة على السواء
١ — الشعر السياسي وهو لون جديد من الشعر نراه في عصر بني أمية وقد
كانت نشأته ظاهرة طبيعية لحياة الأمويين الجديدة

كان الشعر الجاهلي يصف الخلافات القبلية . ووصف شعر صدر الإسلام
ما كان حول الدعوة الجديدة من خلافات وخصومات اشتعلت نارها بين
المشركين . والمسلمين

أما الشعر الأموي أو الشعر السياسي منه فيصف الخصومات السياسية بين

الأحزاب المختلفة في العصر الاموى من أمويين وزبيريين وشيعة وخوارج .
فكان شاعر بني أمية الأخطل وشاعر الشيعة الكميث الاسدى وشاعر الزبيريين عبد
بن قيس الرقيات وشاعر الخوارج وعمران بن حطان والطرماس بن حكيم . وكان كل
واحد من هؤلاء الشعراء يشيد بحزبه ودعائه وأبطاله ويهجو خصومهم السياسيين
ويرثي من يسقط شهيدا في معركة الدفاع عن الرأي والعقيدة وتجد ذلك واضحا في
رأية الأخطل في عبد الملك أو في همزية عبد الله بن قيس الرقيات التي يقول منها .

حبنا العيش حين قومي جميع لم تفرق أمورها الأهواء
قبل أن تطمع القبائل في ملك قريش وتشمت الأعداء
أيها المشتبهى فناء قريش بيد الله عمرها والفناء
إن تودع من السبلاد قريش لا يسكن بعدهم الحى بقاء

..

نحن منا النبي الأمي والصديق منا التقي والخلفاء
وقتل الأحزاب حمزة منا أسد الله والسنا سناء
وعلى وجعفر ذو الجناحين هناك الوصى والشهداء
والزبير الذي أجاب رسول الله في الكرب والبلاء بلاء
والذي نغص ابن دومة مათو حى الشياطين والسيوف ظما
فأباح العراق يضربهم بالسيف صلتنا وفي الضراب غلاء
غلبوا عن مواطن مفضعات ليس فيها إلا السوف رخاء

كما تجده في هاشميات الكميث وفي قصائد عمران وقطرى .

ولعلك لا تجمل رأية الأخطل :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوى في صرفها غير
ومنها في مدح بني أمية .

حشد على الحق عيافوا الخنا أنف إذا أملت بهم مكروهة صبروا
وإن تدجت على الافاق مظلمة كان لهم مخرج منها ومعتصر
أعطاهم الله جدا ينصرون به لا جد إلا صغير بعد مختبر

لم يأشروا فيه إذ كانوا مواليه ولو يكون لقوم غيرهم أشروا
شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا
ومن الشعر السياسي ما قاله مسكين الدارمي وقد أوعز إليه معاوية حينما
عزم على البيعة ليزيد ولكنه تهيب ذلك لكثرة المرشحين ، وكان قد بلغ معاوية
ما كرهه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر فلما اجتمعوا
عنده قال مسكين قصيدة طويلة منها :

ألايت شعري ما يقول ابن عامر	ومروان أم ماذا يقول سعيد
بنى خلفاء الله مهلاً فانما	يؤثها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربي خلاه ربه	فان أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد	لكل أناس طائر وجدود
فلازلت أعلى الناس كعباً ولا تنزل	وفود تسامها اليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عالياً	تشيد أطناب له وعمود
قدور ابن حرب كالجوابي وتحتها	أناف كأمثال الرئال ركود

فلما انتهى منها قال معاوية ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله . فلم يتكلم
أحد بغير الموافقة

وقال كعب بن جعيل شاعر أهل الشام وتمثل به معاوية في رده على
كتاب لعل

أرى الشام تذكره ملك العراق	وأهل العراق لهم كارهينا
وكلا لصاحبه مبغضاً	يرى كل ما كان من ذاك ديناً
إذا ما رمينا رميناهم	ودناهم مثل ما يقرضونا
فقالوا على أمام لنا	فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا له	فقلنا ألا لا نرى أن نديننا
ومن دون ذلك خرط الفتاد	وضرب وطعن يفض الشؤنا

وفي رد على عليه ذكر شعراً للنجاشي أحد بني الحارث بن كعب من شعراء
أهل العراق ، منه :

دعاً يامعاوى ما لن يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا
أناكم على باهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا
وقال جواس بن القعطل الكلبي :

صبغت أمية بالدماء رماحنا وطوت أمية دوننا دنياها
أُمى رب كتيبة مجهولة صيد الحكاة عليكم دعواها
كنا ولاة طعانها وضراها حتى تجلت عنكم غماها
فالله يحزى لا أمية سعيننا وعلا شددنا بالرماح عراها
جثتم من الحجز اليعبد نياطه والشام تنكر كهلها وفتاها
إذ أقبلت قيس كأن عيونها حلق الكلاب وأظهرت سبها

٢ - الغزل العذرى والنسيب القصصى : وأنت تعلم أن الغزل فن جاهلى قديم بدأ نه الشعراء قصائدهم ووصفوا فيه مشاعرهم وأكثروا منه إكثارا شديدا ولكنه غزل كان يمهّد للمقصود من القصيدة ولم تكن القصيدة وقفا عليه ولا كان نظمها من أجله فهو وإن لم يكن غزلا صناعيا إلا أنه كالصناعى فى كثير وقد استمر هذا النوع من الغزل فى عصر صدر الإسلام والعصرى الأموى كما تجده فى شعر جرير والفرزدق والاختل وفى شعر كثير عزة الشاعر المشهور

أما الغزل الذى زبده والذى استحدث فى عصر بنى أمية فهو نوع جديد مستحدث لم يكن مألوفاً من قبل ، ظهر فى هذا اللون من الغزل القصصى الذى نجده فى شعر عمر بن أبى ربيعة وأضرابه ممن وصفوا الجمال وذكريات الهوى والحب والشباب فى قصائد قصصية جميلة طريفة . كما ظهر فى الغزل العذرى العفيف البدوى الذى نجده عند جميل صاحب بثينة وقيس العامرى صاحب ليلي وسواهما

أما الغزل القصصى فقد نشأ فى مكة والمدينة بين المترفين من أبناء المهاجرين والأنصار وأبناء الغزاة الفاتحين الذين امتلات أيديهم بالأموال والنعمة وأقاموا بمكة والمدينة لأسباب

سياسية وغير سياسية ينعمون ويطربون . وكان لهم بطانة من الشعراء والمغنين والمغنيات والمضحكين ، وقلما يعجب أمثال هؤلاء من الشعر غير الغزل الذى يطرب منه ويتغنى به . واشتهر من هؤلاء الاحوص من الانصار وعمر بن أبى ربيعة من قریش ، لكن عمر كان أصرح من الاحوص فى الغزل يذكر أسماء من من يشربهن ، ويقص قصصه معهن أكثرها مكذوب مفتري . وله ديوان كبير كله فى هذا النوع من الغزل .

وأما الغزل العذرى العفيف فقد نشأ فى بادية الحجاز فى بنى عذرة وخزاعة بين الشباب المستضعفين المؤثرين التبدى على الهجرة والجهاد غزلا شريفا نزيها عن الفحش ، وعن الكذب على الحسان بما لا يليق بشرف الفتاة البدوية المسلمة لكن أكثر حبه كان حقيقة غير متصنع

وقد قيل فى هذا الغزل قصائد مطولة بل دواوين من الشعر لم يؤثر لها شبيه لا عن الجاهلية ولا عن صدر الاسلام ، وإنما « نوع نشأ بين شعراء أهل البدو من الاسلاميين . وأشهر هؤلاء الغزليين جميل بن معمر ، وكان يحب بثينة حبا صادقا ، والمجنون العامرى صاحب ليلي وقيس بن ذريح صاحب لبنى وسواهم ، فالغزل العذرى إذن - ريبب العصر الاموى ، غذاه ورباه وسهر على نموه وازدهاره ، قال جميل بثينة :

وإني لأرضى من بثينة بالذى	لو أبصره الواشى لقرت بلابله
بلا ، وبأن لا أستطيع ، وبالمنى	وبالآمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى	وأخيره لا نلتقى وأوثله

ويقول جميل :

إذا قلت مابى يابثينه قاتلى	من الحب قالت ثابت ويزيد
وإن قلت ردى بعض عمتى أعش به	مع الناس قالت ذاك منك بعيد
قلا أنا مردود بما جئت طالبا	ولاحبها فيما يبيد يبيد

ويقول مجنون ليلي :

ألا أيها البيت الذي لا أزوره وإن حله شخص إلى حبيب
هجرتك إشفافاً وزرتك خائفاً وفيك على الدهر منك رقيب
سأستعيب الأيام فيك لعلها بيوم سرور في الزمان تثوب

ويقول وقد أخذه أبوه إلى الكعبة ، وقال له : تعلق بها وقل اللهم أرحنى
من ليلي وحبها ، فلما تعلق بها قال :

يقر يعنى قربها ويزيدنى
وكم قائل قد قال تب فمصيته
فيا نفس صبرا لست والله فاعلى
ويقول قيس بن ذريح فى لبنى :

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها
يحجبوا عيني من دائم البكا
إلى الله أشكو ما ألقى من الهوى
وقال قيس لبنى :

فان تك لبنى قد اتى دون قربها
فان نسيم الجو يجمع بيننا
وأرواحنا بالليل فى الحى تلتقى
وتجمعنا الأرض القرار وفوقنا

ومن ذلك قوله أيضا

فان تكن الدنيا بلبنى تقلبت
لقد كان فيها للامانة موضع
وللحائم العطشان رى بريقها
كأنى لها ارجوحة بين أحبل

ومن جيد شعر قيس قوله :

أتبكي على لبني وأنت تركتها	وكنت كآتي حنقه وهو طائع
فيا قلب صبرا واعترافا بحبها	وياحبها قع بالذي انت واقع
ويا قلب خبرني اذا شطت النوى	بلبني وبانت عنك ماأنت صانع
أتصبر للبين المشت مع الجوى	أم أنت امرؤ ناسى الحياة فيجازع
كأن بلاد الله مالم تكن بها	وان كان فيها الناس وحش يلاقع
أقضى نهاري بالحديث وبالمنى	ويجمعنى والهمل بالليسل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا	لى الليل هزتنى اليك المضاجع
لقد رسخت فى القلب منك مودة	كم رسخت فى الراحتين الاصابع

أما شعر الغزلين القصاص : كابن أبي ربيعة والأحوص وسواهما فهو كثير وقد خلقه الترف واللهو الذى كان عليه شباب الحجاز فى مكة والمدينة .

يقول عمر بن أبى ربيعة . وقد تذكر الثريا يوما وهو نازح الدار مقيم باليمن :

هيهات من أمة الوهاب منزلنا	إذا حملنا بسيف البحر من عدن
واحتمل أهلك أجيادا فليس لنا	إلا التذكر أو حظ من الحزن
لا داركم دارنا يا وهب إن نرحت	نواك عنا ولا أوطانكم وطنى
فلست أملك إلا أن أقول اذا	ذكرت لا يبعدنك الله ياسكنى
يا وهب ان يك قد شط البعاد بكم	وفرقت الشمل منا صرف ذا الزمن
فكم وكم من دلال قد شغقت به	منكم متى يره ذو العقل يفتتن
بل ما نسيت بطن الخيف موقفها	وموقفى وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا يوم ذى خشب	والدمع منها على الخدين ذوسنن
بالله قولى له فى غير معتبة	ما ذا أردت بطول المكث فى يمن
إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها	فما أخذت بترك الحج من ثمن

ويقول :

ثم قالت وسأحت بعد منع وأرتى كفا تزين السوارا

فتناولها فالت كغصن حركته الريح عليه فبارا
وأذاقت بعد العلاج لذيذا كجنى النحل شاب صرفا عقارا
ثم كانت دون اللحاف لمشغو ف معنى بها صبوب شعارا
واشتكت شدة الإزار من البهر وألقت عنها لدى الخمارا
حبذا رجعها إليها يديها فى يدى درعها تحمل الإزارا
ويقول :

فتأهبت لها فى خفية حين مال الليل واجتن القمر
فأذاقتنى لذيذا خلته ذوب نحل شيب بالماء الخصر^(١)
ومدام عتقت فى بابل مثل عين الديك أو خر جدر^(٢)
قتقضت ليلتى فى نعمة مرة ألثمها غير خفر
وأفرى مر مطها عن مخطف ضامر الاحشاء نعم المؤثر
فلهونا ليلنا حتى إذا طرب الديك وهاج المدكر
حركتنى ثم قالت جزعا ودموع العين منها تبندر
قم صنى النفس تفضحنى قد بدا الصبح وذا برد السحر
ورأيت مشهورة وستأتى :

٣ — ومن الأغراض الجديدة الشعر الذى يذكرون فيه مبادئ الدين وشعر
الحكمة ووصف البلاد المفتوحة ، وذلك كثير فى الشعر الأموى

وقال حندج بن حندج المرى يصف ليل صول ؛
فى ليل صول تنهى العرض والطول كأنما ليله بالليل موصول
لافارق الصبح كفى إن ظفرت به وإن بدت غرة منه وتحجبل^(١)
لساهر طال فى صول تملله كأنه حية بالسوط مقتول

(١) الخصر : البارد :

(٢) المدام : الخمر كالمدامة : وسميت كذلك لطول دوامها فى الدن ، جدر : بلدة

بين حمص وسلمية .

متى أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السراويل
ليل تحير ما ينحط في جهة كأنه فوق متن الأرض مشكول
نجومه ركد ليست بزائلة كأنما هن في الجو القاديل
ويقول قطري :

فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخى الخنع البراع
سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داع
ومن لا يعتبط بسأم ويهرم وتسله المنون الى انقطاع
وما للمرء خير في حياة اذا ما عد من سقط المتاع
ويقول مسكين الدارمي :

اصحب الاخيار وارغب فيهم
رب من صاحبه مثل الجرب
واصدق الناس إذا حدثهم
ودع الكذب لمن شاء كذب
رب مهزول سمين عرضه
وسمين الجسم مهزول الحسب

ومن الشعر الدينى هذه الارجوزة الطريفة التى ذكرها صاحب الاغانى قال :
خرج الوليد بن يزيد (١) فقيل له : إن اليوم الجمعة ، فقال : والله لا خطيئهم
اليوم بشعر ، فصعد المنبر فخطب فقال :

الحمد لله والى الحمد
وهو الذى فى الكرب أستعين
أشهد فى الدنيا وما سواها
أحمده فى يسرنا والجهد
وهو الذى ليس له قرين
ان لا إله غيره إلها

ما إن له في خلقه شريك	قد خضعت للملكه الملوك
أشهد أن الدين دين أحمد	فليس من خالفه بمهد
وأنه رسول رب العرش	القادر الفرد الشديد البطش
أرسله في خلقه نذيرا	وبالكتاب واعظا بشيرا
ليظهر الله بذاك الدينا	وقد جعلنا قبل مشركينا
من يطع الله فقد أصابا	أو يعصه أو الرسول خابا
ثم القرآن والهدى السبيل	قد بقيا لما مضى الرسول
كأنه لما بقي لديكم	حي صحيح لا يزال فيكم
إنكم من بعد إن تولوا	عن قصده أو نهجه تضلوا
لا تتركن نصحي فاني ناصح	إن الطريق فاعلمن واضح
من يتق الله يجد غب التقي	يوم الحساب صائرا إلى الهدى
إن التقي أفضل شيء في العمل	أرى جماع البرفيه قد دخل
خافوا الجحيم إخواني لملككم	يوم اللقاء تعرفوا ما سركم
قد قيل في الأمثال لو علمتم	فانتفعوا بذاك أن عقلم
ما يزرع الزارع يوما يحصده	وما يقدم من صلاح يحمده
فاستغفروا ربكم وتوبوا	قالموت منكم فاعلموا قريب

* * *

أما أغراض الشعر الأموى التى كانت موجودة في فنون الشعر قبل عصر بنى أمية فهي :

١ - الفخر ، وهو كثير في الشعر الأموى كشعر الفرزدق وجريـر والأخطل وسواهم .

وقد سبقت نماذج له ومنها قصيدة المقنع الكندى :

يعاتبنى في الدين قومى وإنما ديونى في أشياء تكسبهم حمدا

٢ - شعر الحماسة وهو كثير جدا في هذا العصر كثرة الحروب والثورات قال قطرى بن الفجاءة :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داع
وما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط المتاع

٣ - الرثاء وهو كثير في الشعر الأموى ولا داعى لذكر مثله .

٤ - الوصف وقد تنوع بتنوع الحياة ومشاهدها ومناظرها في
البلاد المفتوحة :

قال الفرزدق يصف ذئبا صادفه أثناء سفره فأطعمه من زاده :

وأطلس عسال وما كان صاحباً دعوت لنارى موهنأ فأناى
فلما أتى قلت ادن دونك إني وإباك في زادى لمشتركان
فبت أقدر الزاد بينى وبينه على ضوء نار مرة ودخان
وقلت له لما تكسر صاحكا وقائم سيفى من يدى بمكان
تعش فان عاهدتى لا تخوننى نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كتما أخين كانا أرضعا بلبان
ولو غيرنا نهت تلتئم القرى رماك يسهم أو شبة سنان

٥ - الهجاء وقد كان الهجاء في العصر الجاهلى صادقا غير لا ذع ولا
مفحش ، وجاء الإسلام فحرم الهجاء إلا ما كان في المشركين .

فلما جاء عصر بنى أمية وكثرت الخلافات السياسية والدينية والأدبية اتسع
الهجاء وامتلاء بالفحش والاقذاع .

وكثرت المهاجاة بين الشعراء . وتشعبت ألوان الهجاء فن هجاء سياسى بين
شعراء الأحزاب إلى هجاء أدبى بين الفرزدق وجريرو والأخطل وسواهم هجاء
بين القبائل والعصيات العربية وبين العرب والشعوبيين، يقول جورجى زيدان :

ولما أفضى الأمر الى معاوية اقتضت سياسته ومصالحته ان يحدد تلك الضغائن لجعل يغري الشعراء على الطعن بالانصار لانهم اصحاب على بن ابي طالب خصمه . وكان يفعل ذلك تحت طي الخفاء - ومن الذى اغراهم على ذلك الطعن الاخطل الشاعر التغلبى المشهور . فعظم ذلك على الانصار خصوصاً لانه نصرانى واستعان به معاوية على المسلمين . فغضب متكلم الانصار وشاعرهم وهو يومئذ النعمان بن بشير ودخل على معاوية وانشده قصيده في الدفاع عن الانصار مطلعها :

معاوى الا تعطينا الحق تعترف لى الازد مشدوداً عليها العمايم
ويشتمنا عبد الاراقم خـلة وما ذا الذى تجدى عليك الاراقم
فمالى ثأر دون قطع لسانه فدونك من يرضيه منك الدراهم
ثم تخلص الى الفخر باعمال الانصار وانسابهم وختم القصيدة بالطعن على خلافة معاوية الى ان قال :

وانى لاغضى عن امور كثيرة سترقى بها يوما الى ك السلام
اصانع فيها عبد شمس وانى لتلك التى فى النفس متى اكاتم
فما انت والامر الذى لست اهله ولكن ولى الحق والامر هاشم
فلما سمع معاوية تهديده اظهر ان الاخطل فعل ذلك من عند نفسه وامر ان يدفع اليه ليقطع لسانه . وأوشك ان يفعل لو لم يستجر الاخطل بيزيد بن معاوية فاجاره وارضى النعمان . وعرف الامويون هذا الفضل للاخطل فجعله عبد الملك ابن مروان شاعر الدولة .

وتحولت المهاجرة بين الانصار والمهاجرين الى المشاتمة بين بنى هاشم وبنى امية وانتشر ذلك فى اطراف المملكة الاسلامية . فكان سديف الشاعر يخرج فى جماعة من موالى بنى هاشم فى مكة وشييب يخرج فى جماعة من موالى بنى امية فيفتخرون ثم يتشائمون ثم يتجادلون بالسيوف وكان يقال لهم السديفية والشيبية وكان اهل مكة منقسمين بينهما فى العصبية .

على ان النهاجى السياسى جر الى التهاجى بين الشعراء بقطع النظر عن الاحزاب السياسية من قبيل المفاخرة أو المعاطلة ويختلف سبب هذه المهاجرة باختلاف

الاحوال وقد يكون الغرض منها المقارنة لبيان المقدرة على الهجوم ثم يتنافر المهاجبان الى من يحكم بينهما . كما تهاجى جميل الشاعر المتيم وجواس بن قطنة العذري وتنافسوا في ايهما افضل اباً وحسباً ثم تنافرا الى يهود تيماء (١)

واشهر ضروب المهاجاة في العصر الاموي المهاجاة بين جرير والفرزدق وبين جرير والاختل وغيره من الشعراء المعاصرين . والبادى في ذلك كله جرير وكان لمهاجاته مع الفرزدق والاختل شهرة كبيرة حتى اصبح حديث القوم في مجالسهم وموضوع مناقشتهم في اى الشعارين افضل . وانقسم الناس في ذلك حزبين نسب احدهما الى جرير وسمى جريريا والآخر الى الفرزدق وسمى فرزدقيا وكثيراً ما احتدم الجدل بين الادباء في المجالس حتى آل الى الخصام .

وهذه بعض نماذج للهجاء :

قال قعنب بن ضمرة :

إن يسمه وارية طاروا بها فرحا	منى وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به	وان ذكرت بشر عندهم أذنوا
جهلا علينا وجبنا عن عدوهم	لبئست الخلتان الجهل والجن
وقال عبد الرحمن بن الحكم :	

لح الله قيسا قيس عيلان إنما	أضاعت ثغور المسلمين وولت
فشاول بقيس في الطعان ولا تكن	أخاها إذا ما المشرفية سلت
وقال مالك بن أسماء في الهجاء :	

لو كنت أحمل خيراً يوم زرتكم	لم ينكر المكب أنى صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يفغمني	وعنبر الهند أذكيه على النار
فأنكر المكب ريحى حين أبصرنى	وكان يعرف ريح الزق والقار
وقال آخر :	

أقول حين أرى كمباً ولحيته	لابارك الله في بضع وستين
---------------------------	--------------------------

من السنين تولاهما بلا حسب ولا حياء ولا قدر ولا دين
وقال الطرماح يهجو بني تميم :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر نملة يكر على صفي تميم لولت
٦ - الطرديات :

وهو وصف الصيد وأدوات صيده وقد كان موجودا قليلا في العصر الجاهلي
ثم جاء الاسلام فامتنع الشعراء عن النظم فيه ثم أحياه شعراء بني أمية ويوجد في
شعر قليل من الشعراء كالعرجي والوليد بن يزيد وعمر بن أبي ربيعة وسواهم
٧ - وصف الخمر : وأنت تعلم أن ذلك الفن وجد في العصر الجاهلي في شعر
الاعشى وعمر بن كلثوم وسواهما ، وإمام هذه الصناعة هو الاعشى ، فلما جاء
الاسلام حرم الخمر ووصفها .

وفي عهد بني أمية أحيوا بعض الشعراء كالاخطل هذا الفن ونظموا فيه
يقول جرجي زيدان :

لم يتقن الشعراء وصف الخمر الا في العصر العباسي لكنهم بداوا بذلك في العصر
الاموي على أثر انغماس الامويين في القصف والسكر باواخر الدولة وأول من
وصفها من المسلمين الوليد بن يزيد الخليفة الخليفة السكيز ، وقد ذكر الخمر في
الجاهلية عدى بن زيد والاعشى ثم ذكرها الاخطل ووصف الزجاجة بقوله .

وتظل تتحفنا بها قروية ابريقها برقاعه ملثوم
فاذا تعاورت الاكف زجاجها نفحت فشم رياحها المزكوم
ثم اجاد في وصفها الوليد بن يزيد بقصيدة قال منها :

من قهوة زانها تقادما فهي عجوز تعلو على الحقب
اشهى الى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب

فقد ثجلت ورق جوهرها حتى ثبثت في منظر هجب
فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب
كانها في زجاجها قبس تذكو ضياء في عين مرتقب

وله في وصف الخمر اشعار اخذها الشعراء في اشعارهم سلخوا ما عانيها ولا سيما
ابو نواس فانه سلخ معاني الوليد كلها وجعلها في شعره واخذ ابو نواس ايضا من
حسين بن الضحاك وكان معاصر آله واخذ من والبة وكان استاذة .

٨ - المدح :

وهو من أغراض الشعر منذ الجاهلية الاولى إلا أنه لم يصر طريقا للتكسب
والمسألة به إلا في أواخرها . ولما جاء الاسلام ترخص النبي صلى الله عليه وسلم
في استماعه والاجازة عليه تأييدا لدعوته إذ كان جل ما يمدح به خاصا بعمل الرسالة
والكنهه صلى الله عليه وسلم نهى عن المدح لمجرد الإطراء والتقريظ وفي غير تأييد
الحق ، وتورع كثير من خلفائه الراشدين عن سماع المدح الباطل ، ففترت
صناعة التكسب بالشعر

وجاء عصر بني أمية فترخص معاوية في استماعه قليلا لتأييد دعوته ، وتوسع
في ذلك بنو مروان فاستمعوا له في حق وفي غير حق ، وأجازوا عليه الجوائز
السنية ولم يقصر عنهم كثير من ولاتهم ورؤساء الاحزاب في زمانهم ، وتسابق
الشعراء إلى أبوابهم يمدحونهم في مبالغة .

وتكسب كثير من الشعراء بالمدح وقصدوا أبواب الخلفاء والأمراء والولاة
بالثناء ، وكان لكل خليفة أو أمير أو وال شاعر من الشعراء يمدحه ويتقرب إليه ويشيد
بمآثره إشادة بالغة ، واصبح التكسب بالشعر عادة مألوفة ، وكان أكثر الشعراء يتجه
نحو بني أمية أصحاب الطول والسلطان . وربما مدح احدهم بني هاشم أو آل الزبير
أو غيرهم من اعداء الامويين ثم رغب عنهم الى هؤلاء التماسا لعطائهم أو خوفا
من غضبهم لأن الامويين كانوا يغضبون على الشعراء اذا مدحوا سواهم وينتظرون الى
الانتقام منهم بكل وسيلة . فلا غرو اذا راينا حتى شعراء الشيعة ينظمون المدائح
في الامويين . ومن الشعراء من مدح بني هاشم وبني أمية او ابن الزبير وبني أمية

وقد كان للدح جوانب سياسية كبيرة ، فشعراء الأحزاب كثيرا ما كانوا يقفون قصائدهم على الاشادة بحق دعوتهم وبطولة دعائهم

وكان من شعراء بنى أمية : الاخل م ٩٩ هـ وجري م ١١١ هـ والفرزدق م ١١٠ هـ ومسكين الدارمي م ٩٠ هـ والراعي وابوالنجم م ١٣٠ هـ الراجز ومن شعراء العلويين : النعمان بن بشير م ٦٥ هـ وأبو الاسود الدؤلي م ٦٩ هـ والكميت م ١٢٦ هـ وأيمن بن خريم

ومن شعراء بنى الزبير عبد الله بن قيس الرقيات م ٧٥ هـ ومن شعراء الخوارج : عمران بن حطان والطرماح بن حكيم م ١٠٠ هـ ومن شعراء بنى المهلب زياد الأعجم م ١٠٠ هـ وحزمة بن بيض م ١٢٠ هـ وبهس الجرمي إلى غير هؤلاء من الشعراء

وقد كان بنو أمية : يبذلون المال بدون حساب على المدح ويقربون الشعراء الذين يمدحونهم إليهم ، ويعفون على من يكون قد فرط منه هفوة في حقهم إلى غير ذلك من مظاهر العناية ، بل كانوا يطلبون من الشعراء المديح

روى أن الفرزدق وأنصبا كانا عند سليمان بن عبد الملك ، فقال سليمان للفرزدق أنشدني (وإنما أراد أن ينشده مدحا له) ، فأنشده :

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم إلى شعب الأكوار من كل جانب
إذا آنسوا نارا يقولون ليها وقد خصرت أيديهم نار غالب

فأعرض سليمان كالمغضب ، فقال نصيب يا أمير المؤمنين ، ألا أنشدك في رويها ما لعله لا يتضع عنها ، فقال هات ، فأنشده :

أقول لركب صادرين لقيتهم قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثبوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الخقائب

وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب كيف تراه ؟ قال : هو أشعر أهل جلده ، ثم قام الفرزدق ، وهو يقول :

وخير الشعر أشرفه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد

:

وبعد فهذا نهاية حديثنا عن أغراض الشعر الأموي وفنونه وموضوعاته
والله ولي التوفيق :

التكسب بالشعر :

وبعد فأنت في غنى عن أن أذكر لك ما تعرف وما سبق أن ذكرته من أن
الشعراء أخذوا في العصر الأموي يتكسبون بالشعر ، طلبا للمال أو طمعا في الجاه
أو رغبة في الانتصار على الخصوم والأعداء
وفتح الخلفاء وأبوابهم للشعراء ، وقربوهم منهم ، وقضوا مطالبهم ، وأغدقوا
عليهم العطاء

وتبعوا لذلك أكثر الشعر من مدحهم وغالوا في الثناء عليهم ، وامتلات قصور
العظماء بمجالس الشعر والثناء
واتخذ كل خليفة أو أمير أو وال أو عظيم شاعرا له يمدحه ويكسوه
حلل الثناء

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا ، وقد سبق ما يغني عن كل بيان
طوائف الشعراء :

والشعراء الأمويون طوائف :

١ - أما الأولى فشعراء الغزل القصصي والعدري وقد علمت رجالها
وقرأت الكثير من شعرهم ومن أشهرهم جميل م ٨٠ هـ وابن أبي ربيعة م ٩٣ هـ
وكانت أم أبي ربيعة نصرانية ^(١)

٢ - والثانية الشعراء السياسيون ومن أشهرهم جرير والفرزدق والاختل
والكميت وعبد الله بن قيس الرقيات ، وكان كل من هؤلاء ينتمي إلى حزب
سياسي يؤيده وينصره ويشيد بمبادئه

٣ — والثالثة الشعراء الهجاءون وقد علمت ما كان من أمر الهجاء في هذا العصر ، والمناقضات التي كانت بين جرير والفرزدق والأخطل وسواهم اتجاهات الشعراء الفنية :

والشعراء الأمويون أيضا ينقسمون بحسب اتجاهاتهم الفنية إلى طوائف الأولى : شعراء البادية الذين لم يتأثروا بالحياة الجديدة تأثرا كبيرا ، فظلوا في نهجهم الفني على نمط الجاهليين في نظم القريض أسلوبا وألفاظا وخيالا ومعاني ومن هؤلاء ذو الرمة والرماح

سمع الفرزدق ذا الرمة ينشد فوقف عليه فقال : كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس ؟ قال : ما أحسن ما تقول ، قال : فما لي لا أذكر مع الفحول ؟ قال : قصر بك عن غاياتهم بكاؤك في الدمن ووصف الأبعاد والعطن

والثانية : شعراء الأمصار كمكة والمدينة ودمشق والبصرة والكوفة ممن كانوا عربا خلصا . وقد تأثر هؤلاء ببيئةهم وعصرهم وبالقرآن الكريم وبالتقافات التي كانت بينهم فأتى شعرهم حضريا رائعا سلسا سهلا ومن هؤلاء أشهر الشعراء المشهورين والثالثة : الشعراء الموالي : كنصيب م . ١٠٠ هـ وعبد بنى الحسحاس وكانوا من عنصر حبشي ، وكزياد الأعجم والبعيث (وأمه أصهبانية وأبي نخيلة وموسى شهوات) (وأصله من أذربيجان) وهم من أصل فارسي ، ولا شك أن عناصرهم الأجنبية كان لها أثر في شعرهم .

طبقات الشعراء الامويين

ويجعل ابن سلام الشعراء الامويين عشر طبقات :

فالأولى : جرير والفرزدق والاختل والراعي

والثانية : البعيث والفطامي وكثير وذو الرمة :

والثالثة : سحيم وكعب بن جعيل وعمرو بن احر وأرس بن معزم .

والرابعة : نهشل وحيد بن ثور وعمرو بن لجأ والاشهب بن رميلة :

والخامسة : أبو زبيد الطائي والعجير السلولى وابن همام السلولى ونفيع بن لقيط

الاسدى :

والسادسة : ابن قيس الرقيات والاحوص وجميل ونصيب

والسابعة : المتوكل الليثى وعدى بن الرقاع وزياد الاعجم وابن مفرغ

والثامنة : عقيل المرى وبشامة المرى وشبيب بن البرصاء وقراد بن حنش

والتاسعة : ابو النجم والاعلم والعجاج ورؤبة وهم من الرجاز

والعاشرة : مزاحم العقيلي وابن الطيرة والقحيف بن سليم العقيلي وابو دؤاد

الرؤاسي .

الرواية والرواة

لم تكن العرب تدرن شعرها فى الجاهلية فى ديوان أو سفر وإنما كان محفوظا فى الصدور ، تعيه جافظتهم وقلوبهم وأذواقهم وملكاتهم الأدبية الفطرية .

وقد تعجب مما تقرأ عن رواة العرب بعد الاسلام وكثرة ما كانوا يحفظون ، ولكن لا عجب ، فملكات الذكاء والحفظ قوية عند العرب وكانت تعينهم على تخليد الشعر العربى حتى لا يضيع .

ولقد كان الأصمعى يقول : ما بلغت الحلم حتى رويت اثنى عشرة ألف أرجوزة ، وكان خلف اروى الناس للشعر واعلمهم بجيد ، وكان خلف مع روايته وحفظه . يقول الشعر فيحسن وينجله الشعراء ويقال إن القصيدة

إن بالشعب الذى دون سلع لقتيلا دمه ما يطل
لخلف الأحمر نحلها ابن أخت تأبط شرا . وكذلك كان يفعل حماد يحقق الشعر
القديم ويقول . ما من شاعر إلا قد حققت فى شعره أبياتا لجازت عنه إلا أعشى
بكر فاني لم أزد فى شعره غير بيت (١) . ويقول المفضل : سلط على الشعر من
حماد ما أفسده .

ورغم هذه الرواية والحفاظة القوية فقد ضاع الكثير من الشعر العربى الجاهلى
وغيره . حتى قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو
جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير (٢) ،

وأصيب الشعر العربى مع الضياع بالافتراء والاختلاق عليه من بعض الرواة
لأسباب كثيرة منها العصبية أو الرغبة فى تفادى الإحراج أو سوى ذلك .
ولكن النقاد اهتموا بتمييز الصحيح من المنحول رنبهوا على الكثير من
المختلق ، وألفوا كتباً كثيرة جمعوا فيها ماصح من الشعر الجاهلى والآثار
الأدبية الأخرى .

وكان لكل شاعر راوية يحفظ شعره وينشده ويأخذ من الشاعر فن
الشعر ومذهبه فى القريض .

فكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الأيادى . وزهير راوية أوس بن حجر
والأعشى راوية المسبب ، كما كان الخطيمه راوية زهير .

هذا وسيأتى ذكر لكثير من رواة الشعر الجاهلى .

وقد اهتم الخلفاء الأمويون بأحياء الأدب الجاهلى اهتماما كبيرا وأولوا
ذلك عنايتهم

وقد عنى الرواة برواية الشعر القديم ومن أشهر هؤلاء حماد الراوية م ١٥٦
وهو أول من جمع أشعار العرب وآدابها وأخبارها

وقرب الخلفاء الرواة إليهم ، واتخذوهم جلساءهم وسمارهم وندمانهم ،
واستمعوا لرواياتهم وقصصهم
وكان لذلك كله أثر بعيد في إحياء الشعر الجاهلي وحفظه

رواة الشعر الجاهلي^(١)

- ١ — أبو عمرو ابن العلاء البصرى م ١٥٤ . ولم يترك مؤلفات^(٢)
- ٢ — حماد الرواية (٧٥ — ١٥٦ هـ) ، كوفي وليس له مؤلفات^(٣)
- ٣ — الخليل بن أحمد بصرى (١٠٠ — ١٧٤ هـ) ، وهو مخترع علم العروض .
- ٤ — خلف الأحمر بصرى م ١٨٠ هـ ، وليس له مؤلفات ، ونقل عن السيوطي أنه ألف كتاب الجبال وما فيها من شعر ، وله ديوان خاص ، وقيل أنه صاحب لامية العرب المنسوبة للشنفرى^(٤)
- ٥ — يونس بن حبيب البصرى م ١٨٢ هـ .
- ٦ — المفضل الفبي م ١٨٩ هـ ، كوفي وهو أقدم من جمع المختار من شعر العرب في كتاب (المفضليات) . وأول من فسر الشعر بيتا بيتا ، ويقال أنه أول من جمع أشعار الجاهليين .
- ٧ — أبو عبيدة بصرى م ٢٠٩ هـ . وله مؤلفات في اللغة ، ومجاز القرآن والنقائض .

(١) راجع بغية الوعاة - طبقات الأدباء لابن الانبارى - معجم الأدباء لياقوت - وفيات الأعيان - فوات الوفيات - الأغاني - الفهرست .

(٢) ٤٢ فهرست .

(٣) ١٣٤ فهرست . ويقول ابن سلام فيه : وكان أول من جمع أشعار العرب ومباقي أحاديثها حماد الرواية وكان غير موثوق به (٢٣ طبقات الشعراء)

(٤) ٤ الصناعتين

المناقضات في العصر الاموى

١ - كان لأحياء العصبية وكثرة الخلافات الدينية والسياسية والاجتماعية والادبية أثر بعيد في احياء المعارضات في الشعر العربي في هذا العصر . وكانت المنافسة الادبية عاملاً كذلك له أثره في هذا الميدان .

بدأ هذا العصر بالخلاف بين علي ومعاوية وظهور الخوارج التي ظلت ناثرة ساخطة ، لا تريد حكماً ، ولا ترضى عن حاكم ، حتى استأصل شأفتها المهلب بن أبي صفرة في خلافة عبد الملك بن مروان . ثم قام ابن الزبير في مكة يدعو الى نفسه ويطلب الخلافة ، فكان له جند مناصرون . وهكذا انتثر العقد وانشقت العصا وانتقض الغزل أنكاثاً ؛ وتفرق المسلمون شيعاً ، وتبددوا أحزاباً مخلصين أو غير مخلصين ، راغبين في عرض الحياة الدنيا أو غسيري راغبين ، فانا نعتقد أن النفس الانسانية في هذا الزمان هي النفس الانسانية في كل زمان ، وأن اتجاه الناس الى الزعماء في ذلك الحين ، لم يكن كله خالصاً عن محض عقيدة أو اقتناع بمذهب وكما يقول القطامي .

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهى ولأم المخطئ الهبيل كان لعلي شعراء ؛ وللمعاوية شعراء ، وللخوارج شعراء ، ثم للزبيريين بعد ذلك شعراء . وأشهر شعراء الشيعة الكمييت ، وبرز من شعراء معاوية الأخطل وجريز وابن جعيل ، ومن شعراء الخوارج عمران بن حطان وأشاد بآل الزبير عبيد الله ابن قيس الرقيات .

وكان الأخطل لا يعنيه من أمر الخلافة الاسلادية شيء إلا ماتدره عليه من أموال . أما شعراء الشيعة فكأنوا شائسين في غضبهم وبكائهم ، ولكن قلوب بعضهم كانت تضعف أمام سيطرة الأمويين ، وترجف فرقا من سيفهم المسلول . فقد كانوا إذا انزلق بهم اللسان مرة أو مرتين باتوا بليلة المسوع ، واعدوا العدة للفرار . وإذا صح ما نسب إلى الكمييت من رعبه من هشام بن عبد الملك ، وهربه من السجن بعد أن لبس ثياب زوجه ، وتركها خلفه

تلاقى من شياطين السجن ما تلاقى ، والتجأه الى قبر معاوية بن هشام ، وابتغاذ نفسه بمدح بنى أمية ؛ ثم استمـاره فى مدحهم إلى آخر أيامه ، علمنا ما يفعل الخوف بالعقائد ، وكيف تستل الغرائز شهامة الرجال . يقولون إنه عمل بمذهب التقية ولكننا لانفهم كيف تستباح هذه التقية إلى آخر انماس الحياة ؟ وقد حدث هذا بعينه لعبيد الله بن قيس الرقيات شاعر آل الزبير حين أهدر عبد الملك بن مروان دمه ، فتنقل مخفياً فى الأ-ياء والقبائل ، حتى استمـاذ ذليلاً بعبد الله بن جعفر فسعى للعفو عنه ، فلما ذفر بالعفو انطلق يهدر بمدح المروانيين كأنما أطلقت سيلاً حديساً !

وكان الفرزدق شيعياً ، ولكنه كان لا يتخذ من عقيدته حلية يعرضها على الناس ولا يجعل من مذهبه شارة حتى يراها كل ناظر ، وله شعر كثير فى مدح بنى أمية ، والقصيدة المنسوبة إليه فى مدح على بن الحسين غير صحيحة النسبة إليه

أما شعراء الخوارج ، فقد زهدوا فى الدنيا وزخرفها ، وسخطوا على الحكم ورجاله ، وانصرفوا إلى عقيدتهم صحيحة أو فاسدة ، يغذونها بأرواحهم ويزودون عنها بسيوفهم وألسنتهم . وسيرة عمران بن حطان رأس شعرائهم سيرة الفوضى المجاهد الذى باع نفسه لمذهبه

وشعر قطرى بن الفجاءة يصور الفدائية والثقة بالنفس والاستهانة بالموت فى أسلوب ساذج رصين :

وضاربة خدا كريما على فتى أغر نجيب الامهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطننا له أرض دولاب ودير حميم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الإله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

٢ - وهكذا كانت حال الأحزاب ، وهكذا كانت حال شعرائها ، ولقد قيل شعر كثير فى نصرة كل حزب ، ولكنه لم يكن شعرا ملتبها متأججا ، حتى إنه لكثيرا ما كان يفر من الحديث عن الحزبية إلى حديث المديح والهجاء . ولم تكن

المناقضات في هذا الشعر السياسي شديدة أو كثيرة ، لتور نفوس الشعراء ، أو لأنهم كانوا مشتتين في الأقطار بين الشام والعراق والحجاز ، ولبعد الشقة بينهم وعسر الاتصال

والذي وعيناه من مناقضات الشعر السياسي ما ذكره المبرد من أن معاوية أرسل إلى علي كتابا كتب في آخره أبياتا لكعب بن جعيل هي :

أرى الشام تنكر ملك العراق وأهل العراق له كارهينا
و كلا لصاحبه مبغضا يرى كل ما كان في ذاك دينا
إذا ما رمونا رميناهم ودناهم مثله يقرضونا
فقالوا على إمام لنا فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا له فقلنا ألا نرى أن نديننا
ومن دون ذلك خرط القتاد وضرب وطعن يقرر العيوننا
فكتب إليه على جواب رسالته ، ثم دعا النجاشي أحد بني الحارث بن كعب فقال له : إن ابن جعيل شاعر أهل الشام ، وأنت شاعر أهل العراق ، فأجب الرجل فقال : يا أمير المؤمنين أسمعني قوله ، قال : إذن أسمعك شعر شاعر ، فقال النجاشي بحجبه :

دعا يا معاوى ما لا يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا
أتاكم على بأهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا ؟

٣ ... لا نجد كثيرا من المناقضات الدوبة السياسية في هذا العهد ، ولكننا نجد نوعا آخر طريفا ، ابتكره معاوية ، وجرى الخلفاء بعده على أثره ، فقد أحيوا العصبية بعد أن أخذ الإسلام نارها ، وأرثوا العداوة بين الشعراء ، وأثاروا بينهم عاصفة من التهاجي والإقذاع ، حتى يصر فوا الناس عما أحدثوه من أحداث ، وحتى يبعثوا روح الجاهلية الأولى ، التي كان لهم فيها مجد عريق ، وشرف ورياسة ، وقد كثرت المناقضات الشعرية في هذا النوع ، وطوى سيلها ، وهي التي نسميها بالمناقضات الهجائية ولا يقصد بها إلا المباراة في فنون الهجاء المقذع ، والتباهى بمجد الجاهلية وأحسابها وأيامها ، ونبش ما دفنه الإسلام من مثالب القبائل في عهودها الأولى .

كما يقول المرحوم الجارم بك *

فقد ثارت حرب الهجاء ضروساطاحنة بين جرير والفرزدق والبعيث المجاشعي
وسبب ذلك أن ناساً من يربوع يقال لهم بنو ذئيل سرقوا إبلاً للبعيث فقتل جرير
قصيدة طويلة يهجو بها البعيث أولها :

طاف الخيال وأين منك لما ما فارجع لزورك بالسلام سلاما
فتار البعيث وعارضه بشعر مر الهجاء أوله :

أجرير أقصر لا تحن بك شقوة إن الشقى ترى له أعلاما
وكان الفرزدق في ذلك الحين ، قد قيد نفسه ، وحلف أن لا يطلق قيده حتى
يحفظ القرآن ، ولكن هجاء جرير للبعيث أقض مضجعه ، وأثار فيه نازعة النجدة
ففك قيوده ، وهب ينتصر للبعيث بقصيدة أولها :

ألا استهزأت مني هنيئة أن رأيت أسيرا يداني خطوة حلق الهجل
وتبعه البعيث بأخرى يهجو جريرا :

أهاج عليك الشوق أطلال دمنة بناصفة الجوين أو جانب الهجل
فانبرى لها جوهر بقصيدة مطلعها :

عوجى علينا واربعى ربة البعل ولا تقتليني لا يحل لكم قتلى
ورماه بأخرى أولها :

ألا حى رهبي ثم حى المطالبا فقد كان مانوساً فأصبح خاليا
ويرى الباحث في هذه المعارضات أو النقائض أنها ابتدأت بيجر الكامل ،
ثم انتقلت إلى بحر الطويل ، والتزمت فيه قافية واحدة ، حتى نقلها الفرزدق إلى
قافية أخرى ، وهو ضرب يعتمد إليه المعتز بفنه في المباراة للبعث بالخصم
وإعجازه وتحديه . كما يقول الجارم بك

وكان من أسباب اشتعال المهاجاة ، وتأجيج المعارضة بين الفرزدق وجرير
مارواه الرواة من أن الاخطل فضل الفرزدق على جرير أمام بشر بن مروان أمير
الكوفة ، وأرسل قصيدة طويلة يعلن فيها هذا التفضيل أولها :

بكر العواذل يتبدرون ملامتي والعالمون فكلهم يلحاني

وفيه يقول :

قبيح الإله بنى كليب لمنهم لا يحفظون محارم الجيران
تاج الملوك ونفخرهم في دارم أيام يربوع مع الرعيان
فأسرع الفرزدق يعاضده في هجاء جرير :

يا ابن المراغة والهجاء إذا التقت أعناقهم وتماحك الخصمان
يا ابن المراغة إن تغلب وال رفعوا عناني فوق كل عنان
فصال عليهما جرير يقول :

لمن الديار ببرقة الروحان إذ لا نبيع زماننا بزمان
وفيه يخاطب الأخطل :

أنسيت ويل أهلك غدر مجاشع ومجر جعثن ليلة السيدان ؟
ونسيت أعين والرباب وجاركم ونوار حيث تملصل الحجلان !

يقول للأخطل : أنسيت غدر مجاشع ، وهي قبيلة الفرزدق ، بالزبير بن العوام
حين استجار بمجاشع بعد وقعة الجمل ، ثم يذكر بعد ذلك حادثة غريبة ، هي أن
غالباً أبا الفرزدق جاور طلبة بن قيس بالسيدان ، وكانت جعثن أخت الفرزدق
صديقة لظمياء وكانت إذا أرادت لقاءها صفت لها بحجل لتجىء إليها ، فاشتبهى
الفرزدق أن يلتقى بظمياء ، وحدث أن شغلت أخته ليلة بأمر نفسها ، فأخذ حجلها
وحركه فجاءت بظمياء كمعادتها ، فارتابت بالفرزدق وصاحت ، وعادت إلى رحلها
فلما علم فتیان الحى من أهلها أسرعوا فأخرجوا جعثن من خباتها ، ثم سبوا
ليشهرها بها .

وكان من ضروب إثارة المنافسة والمعارضة بين الشعراء ، مارواه أهل الأدب
من أن الفرزدق والأخطل وجريراً كانوا في حضرة عبد الملك بن مروان ، فأحضر
بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار ، ثم قال : ليقبل كل منكم بيتاً في مدح نفسه ،
فأيكم غلب فله الكيس ، فبدأ الفرزدق فقال :

أنا القطران والشعراء جربي وفي القطران للجربى شفاء

وقال الأخطل :

فان تك زق زاملة فاني أنا الطاعون ليس له دواء
وقال جرير :

أنا الموت الذي آتى عليكم فليس لهارب مني نجاء
فقال عبد الملك : لعمري إن الموت يأتي على كل شيء ، وقضى له .

ويروون أن الفرزدق قال في هذا المجلس : النوار طالق إن لم أقول شعراً لا
يستطيع ابن المراغة أن ينقضه أبداً ، ولا يجد في الزيادة عليه مذهباً ، فقال عبد
الملك : ما هو ؟ فقال :

فاني أنا الموت الذي هو واقع بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله
وما أحد يا ابن الأتان بوائل من الموت إن الموت لاشك نائله
فأطرق جرير ثم قال : أم حزرة طالق ثالثاً إن لم أكن نقضته ورددت
عليه ، فقال عبد الملك : هات فقد والله طلق أحداً لا محالة ، فقال :

أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس بكيفيك يا ابن القين هل أنت نائله ؟
أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله
فقال عبد الملك ، فضلك والله يا أبا فراس وطلق عليك :

٤ - ومعركة الهجاء التي كانت بين الفرزدق وجرير والأخطل والتي استمرت
مدة كبيرة بتأثير العصبيات والخلافات السياسية والأدبية أبلغ سبب من أسباب
المعارضات فما العصر الأموي .

وقد خلفت لنا هذه المعركة النقائض بين جرير والفرزدق التي جمعها أبو عبيده
المتوفى عام ٢٠٩ هـ في كتاب النقائض .

وكان لمعركة الهجاء هذه أثر في الأدب واللغة والشعر وكانت بواعثها السياسية
متشعبة وكان بعض الولاة الأمويين يذكي من حديثها ، وعلى أي حال فقد خلفت
لنا ميراثاً أدبياً ضخماً ورثناه مع ما ورثناه عن العصر الأموي
وقد سميت القصائد التي تبادلها الشاعران في الهجاء (النقائض) وشاع هذا النوع

من الشعر في العصر الاموي شيوعا شديدا ، وقد كان معروفا من قبل ولكنه لم يكن كثيرا مطردا ، والاصل في ذلك أن يقول الشاعر قصيدة فينفضها عليه خصمه أى يرد عليها ويلتزم في ذلك ، التزمه صاحبه من الوزن والقافية غالبا ، وكثيرا ما يعرض لنفس تلك المعاني التي قصد اليها الشاعر فينفذها أو يفسدها بأى وجه من الوجوه ، وأول قصيدة عرض فيها الفرزدق لجرير بالهجوم بآيته التي أولها :

ألم ترأني يوم جو سويقة بكيت فسادتي هنيئة ماليا
فقلت لها إن البكاء لراحة به يشتفى من ظن أن لاتلاقيا

ثم يمضى الشاعر في ذكر صاحبه ، وما يجد من حب لها ولوعة لفراقها ، حتى اذا فرغ من ذلك في أبيات قصيرة التفت الى البعيث الذي استعان به على جرير فهجاء هجاء مرا ووصفه بالضعف والجبن وسوء النسب ، ثم ينتقل الى جرير نفسه فيشتمه ، ويصفه بالذلة والقلة ويفخر عليه بحسبه ونسبه ، ولا يطيّل في هذه المرة ، فرد عليه جرير ببائته التي أولها :

الأتى رهبا ثم حى المطايا فقد كان مانوسا فأصبح خاليا

وفيها غزل طويل عذب رقيق ، يصلح للغناء ، ثم يعاتب أباه أو جده وأسرته الادنين لكثرة ما يسيئون اليه ويخذلونه ، مع أنه لا يلقاهم الا بالود والمعروف والذود عنهم ، ويفرغ بعد ذلك لاسرة الفرزدق فيهجوها لانها أسرة صنّاع قيون لا شرف لهم ولا بلاء ، ويفخر بقومه قليلا وبنفسه كثيرا ، ويصف خصومه بالغدر واسلام الجار .

والهجوم بين جرير والفرزدق والاخلط وغيرهم من الشعراء كله على هذا النحو ، فيه نخر واشادة بفضائل الشاعر وقبيلته في الجاهلية والاسلام ، ثم فيه ذم وتشهير بالخصم وقبيلته في القديم والحديث ، وفي هذا الشعر جنائيات منكورة على الاخلاق والاعراض والدين ، ولكنه على الرغم من هذا كله من أنفع المصادر التاريخية لحياة العرب في جاهليتهم وإسلامهم ، كما انه مرآة صادقة لاخلق هذه البيئات من العرب في القرن الاول للهجرة ، وبفضل هذا الشعر حفظ أكثر اللغة من الضياع وقد جمع ابو عبيدة م ٢٠٩ هـ النقائض وشرحها في كتاب كبيره ضمنه الكثير من اخبار العرب واياها وما أثرها ومثالبها .

الغناء في العصر الاموى

كان للغناء في العصرى الاموى شأن وأى شأن ، نبغ فيه كثير من المغنين كسعيد بن مسجع وسائب خاسر وجميلة ومعبد وعبد الله بن سريج وعزة الميلاء وسواهم وقد اقتبس هؤلاء كثيرا من الانغام الفارسية والرومية بتأثير الاختلاط وكثرة الموالى وانتشر الغناء وذاع في الحجاز حيث الترف واللهو والاموال الكثيرة المتدفقة

وقد أكرم خلفاء بنى أمية وفادة المغنين عليهم ، وأفسحوا مكاناً رحباً للمغنين في قصورهم ، واتخذوا منهم ندماء وسماراً ، وأكرمهم وأثابوهم وأجزلوا لهم المنح والمكافات ، وكان لهم معهم مواقف ونوادر لطيفة ، ومساجلات ومسامرات طريفة ، وكتب الادب والتاريخ العربى حافلة بأخبارهم ، كالأغاني ، لأبى الفرج الاصفهائى و نهاية الأرب فى فنون العرب ، للنويرى و . العقد الفريد . لابن عبد ربه ، وغيرها ، مما يدل بوضوح على تأصل حب الغناء فى قلوبهم . فقد كان لكل خايقة وأمير ووزير وغنى جوار وقيان فى قصره ، يقضى بينهم أوقات فراغه فى السمر واللهو والشراب والغناء والعبث . وكن يحذقن فضلا عن الغناء والعزف فنون الادب من شعر ورواية وتاريخ .

ويقال إن أول من غنى من الخلفاء عمر بن عبد العزيز ، خلال حكمه بالحجاز إذ غنى بسبع أغان تغزل بها جميعها بسعاد . وكان يتمتع بصوت جميل ، وصنعة محكمة ، وأداء حسن ، وتلحين متقن . ومن غنائه هذا الشعر وهو لجرير ،

ألمأ صاحبي نزر سعاداً لوشك فراقها وذرا البعادا
اعمرك إن نفع سعاد غنى لمصروف ونفعى عن سعادا
إلى الفاروق ينتسب ابن ليلي و مروان الذى رفع العبادا
ومن غنائه فيها

علق القلب سعاداً عادت القلب فعادا

كلما عوتب فيها أو نهى عنها ممدى
وهو مشغوف بسعدى قد عصى فيها وزاد

ومن أغانيه هذا الشعر

باسعاد التي سبتي فؤادى ورقادى هي لعيني رقادى
ثم هذا الغناء

حظ عيني من سعاد أبدأ طول السهاد

ويكذب كثير من الباحثين هذه الرويات المنقولة عن عمر بن عبد العزيز .

ومن الخلفاء الأمويين الذين ولعوا بالغناء وتغوا به ، يزيد بن عبد الملك .
فقد شغف بالمغنية حبابة ذات الصوت الساخر ، وكان ينظم الشعر ويلحنه ويغنيه
ومن أشهر أغانيه تغزلا بحبابة ، هذان البيتان ، ولحناهما ثقيل أول :

أبلغ حبابة أسقى ربعا المطر ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر

إن سار صحبي لم أملل بذكركم أو عرسوا فهموم النفس والفكر

وقد تغنى يزيد بن عبد الملك بحبابة ، بهذين البيتين عندما رآها لأول مرة
وهو نازح عن الحجاز ، فأغرم بها ولكنه لم يجرؤ على ابتلاعها خوفا من أخيه
سليمان بن عبد الملك ، أو من أخيه عمر بن عبد العزيز ، فغناها بعده « معبد »
و « حبابة » ، وغيرهما من مشاهير المغنين والمغنيات . ثم اشترى « حبابة » بعد ذلك
وقضى معها زمنا يستمتع بها وبصوتها الرخيم ، إلى أن كانت ذات يوم معه تقذف
حبة رمان إلى فيها فشرقت وماتت ، فحزن عليها حزنا شديدا .

وكان الوليد بن يزيد شغوفا بالغناء كآبيه ، ذات صوت جميل وصنعة متقنة ،
وله مواقف فنية عديدة تدل على طريقة أهل الحجاز ، ومن أغانيه المشهورة هذان
البيتان وهما من نظمه وتلحينه

وصفراء في الكأس كالزعفران سباهما التجيبي من عسقلان

تريك القذاة وعرض الانا مستر لها دون لمس البنان

أثر الغناء في الشعر

وللغناء في الشعر الأماوى أثر كبير :

- ١ - فقد ساعد الغناء على ذبوع الشعر وانتشاره كما ساعد على رواجه
- ٢ - وقد دفع الغناء الشعراء إلى تهذيب شعرهم حتى يصلح للغناء ويسهل حفظه وإشادته وترديده ، ولذلك كثرت المقطعات الصغيرة والأوزان الخفيفة .
- ٣ - وشاعت الرقة والسهولة والوضوح في الشعر بتأثير الغناء .
- ٤ - وقرب الغناء الشعراء والشعراء إلى قصور الخلفاء والأمراء والولاة والأثرياء إلى غير ذلك من أثار الغناء في الشعر

ألوان من الغناء ومجالسه

— ١ —

وأول المغنين طويس المغنى المشهور فيما يقال :

ولما ولى أبان بن عثمان بن عفان المدينة لمعاوية قعد في بهو له عظيم واصطف له الناس فجاء طويس المغنى وقد خضب يديه واشتمل على دف له وعليه ملاءة مصقولة فسلم ثم قال بأبى وأمى يا أبان الحمد لله الذى أرانيك أميراً على المدينة انى نذرت لله فيك نذرا ان رأيتك أن أخضب يدي واشتمل على دفي وآتى مجلس امارتك واغنيك صوتا قال : يا طويس ليس هذا موضع ذاك قال : بأبى أنت وأمى يا ابن اطييب أبجنى قال : هات يا طويس فخر عن ذراعيه وألقى رداه ومشى بين السباطين وغنى .

ما بال أهلك يا رباب خزرا كأنهم غضاب

فصفق أبان بيديه ثم قام عن مجلسه فاحتضنه وقبله بين عينيه

ويروى أن جميلة م ٢٥ هـ خرجت حاجة، فخرج معها من الرجال المغنين، والنساء والأشراف وغيرهم جماعة، وحجج معها من القيان مشيمات لها ومعظمت لقدرها ولحقها خمسون قينة، وجه بهن مواليهن معها، وأعطوهن الفقات وحملوهن على

الإبل في الهوارج والقباب وغير ذلك ، فأبت جميلة أن تنفق واحدة منهن درهما فما فوقه حتى رجعن . وتخير من خرج معها في اتخاذ أنواع اللباس العجيب الطريف والهوارج والقباب ، فلم ير أهل المدينة مثل ذلك الجمع سفراً طيباً ، وحسناً وملاحة ولما قاربوا مكة تلقاهم سعيد بن مسجع وابن سريج والغريضر وابن محرز والهذليون ، وجماعة من المغنين من أهل مكة وقيان كثير ، ومن غير المغنين عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزومي والعرجي وجماعة من الأشراف فدخلت جميلة مكة وما بالحجاز مغن حاذق ولا مغنية إلا ودو معها وجماعة من الأشراف ممن سمينا وغيرهم من الرجال والنساء . وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون إلى جمعها وحسن هيئتهم .

فلما قضت حبها سألها المكيزون أو تجعل لهم مجلساً . فقالت : للغناء أم للحديث ؟ قالوا : لهما جميعاً . قالت : ما كنت لأخلط جدّاً بهزل ، وأبت أن تجلس للغناء ! فقال عمر بن أبي ربيعة : أقسمت على من كان في قلبه حب لاستماع غنائها إلا خرج معها إلى المدينة فاني خارج ، فعزم القوم كلهم على الخروج فخرجت في جمع أكثر من جمعها بالمدينة .

فلما قدمت المدينة تلقاها أهلها وأشرافهم من الرجال والنساء ، فدخلت بأحسن مما خرجت منها ، وخرج الرجال والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دورهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها . فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع إلى منازلهم ، نزل أهل مكة على أقاربهم وأخوانهم أتاها الناس سلهين . وما استنكف من ذلك كبير ولا صغير .

فلما مضى لمقدمها عشرة أيام جلست للغناء ، فقالت لعمر بن ربيعة . إني جالسه لك ولأصحابك ، وإذا شئت فعد الناس لذلك اليوم ، فغصت الدار بالأشراف من الرجال والنساء ، فابتدأت جميلة فغنت صوتاً بشعر عمر (١)

(١) كان الحارث بن أبي ربيعة ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه فأعطاه ألف دينار على ألا يقول شعراً ، فأخذ المال وخرج إلى أخواله يلحج وأبين مخافة أن يهجه . مقامه بمكة على قول الشعر . فطرب يوماً فقال هذا الشعر

هيات من أمة الوداب منزلنا
وأحتل أهلك أجيادا^(٢) وليس لنا
لو أنها أبصرت بالجزع عبرته
إذن رأت غير ماظنت بصاحبها
مأنس لا أنس يوم الخيف^(٤) موقفها
وقولها للثريا وهي باكية
يا لله قولي له في غير معتبة :
إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها
فما أصبت بترك الحج من ثمن

فكلهم استحسن الغناء وضع القوم من حسن ما سمعوا . ودمعت عين عمر
حتى جرى الدمع على ثيابه ولحيته ؛ ثم أقبلت على ابن سريج فقالت : هات ، فاندفع
يغنى ورفع صوته بشعر عمر :

أليست بالتى قالت لمولاة لها ظهرا
أشيري بالسلام له إذا هو نحونا نظرا
وقولى فى ملاطفة لزنب نولى عمرا
وهذا سحرك النساء ن قد خبر نى الخبرا

فسمع من ابن سريج فى هذا اللحن من الحسن ما يقال إنه ما سمع مثله ثم
قالت اسعيد بن مسجع : هات يا أبا عثمان ، فاندفع فغنى :

قد قلت قبل البين لما خشيته لتعقب ودا أر لتعلم ما عندى
لك الخير هل من مصدر تصدوينه^(٦) يريح كما سهلت لى سبل الورد

(١) سيف البحر : ساحله .

(٢) أجياد : موضع بمكة .

(٣) حج . مخلاف باليمن . (٤) الخيف : موضع بمنى .

(٥) ذو سين . ذو طرائق .

(٦) يقال : صدر هو وصدر غيره وأصدره

فلما شكوت الحب صدت كأنما شكوت الذى ألقى إلى حجر صلد
 فاستحسن ذلك منه وبرع فيه . ثم قالت : يا معبد هات ، فغنى :
 أحارب من حاربت من ذى عداوة وأحبس مالى إن غرمت فأعقل (١)
 وإنى أخوك الدائم العهد لم أحل إن أبزأك (٢) خصم أو نبأ بك منزل
 ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعتنى يمينك فانظر أى كف تبدل
 قالت جميلة : أحسنت يا معبد اختيار الشعر والغناء .

ثم قالت : هات يا بن محرز ، فأنى لم أؤخر ك لخصاسة بك ، ولا جهلا بالذى
 يجب فى الصنعة ، ولكننى رأيتك تحب من الأمور كلها أو سطها وأعد لها ،
 فجعلتك حيث تحب واسطة بين المكيين والمدنيين . فغنى .
 ثم قالت للغريض : هات ، فاندفع يغنى بشعر عمرو بن شأس الأبيات وفى
 آخرها .

فواندمى على الشباب وواندم ندمت وبان اليوم منى بغير ذم
 وإذا إخرتى حولى وإذا أنا شائخ وإذا لأجيب العاذلات من الصمم
 أرادت عراراً (٣) بالهوان ومن يرد عراراً لعمرى بالهوان فقد ظلم
 قالت جميلة . أحسن عمرو بن شأس ولم تحسن ، إذا أفسدت غناءك بالتعريض
 والله ما وضعناك إلا موضعك ولا نقصنا من حظك ! فيها ذا أهناك !
 ثم أقبلت على الجماعة فقالت . يا هؤلاء ، اصدقوه وعرفوه نفسه ليقنع بمكانه
 فأقبل القوم عليه ، وقالوا له : قد أخطأت إن كنت عرضت . فقال : قد كان

(١) يريد فأعقل عنه ، وعقل عنه : اذا غرم ما لزمه من دية

(٢) لم أحل : لم أتغير ، أبزأك خصم : قهرك ، والشعر لمعن بن أوس وهو
 شاعر فحل من مخزى الجاهلية والاسلام .

(٣) هو عرار بن عمرو بن شأس وهو من أمة لعمرو سوداء ، وكان بينه وبين
 زوج أبيه نزاع وخصام ، فقد كانت تؤذيه وتعيده وتشتمه ، وحاول عمرو أن
 يصلح ما بينهما فلم يفلح فطلقها .

ذلك ولست به عُد . وقام إلى جميله فقبل طرف ثوبها واعتذر ، فقبلت عذرة ،
وقالت له . لا تعذ .

ثم أقبلت على ابن عائشة فقالت . يا أبا جعفر هات ، فتغنى بشعر النابغة
الذي فيه .

سقى الغيث قبراً بين بصرى^(١) وجاسم علقته من الوسمي جود ووابل
قالت جميله : حسن ماقلت يا أبا جعفر . ثم أقبلت على نافع وبديع فقالت :
أحب أن تغنياني صوتاً واحداً فغنيا جميعاً بصوت واحد ولحن واحد :

ألا يا من يلوم على التصابي أفق شيئاً لتسمع من جوابي
بكرت تلومني في الحب جهلاً وما في حب مثلي من معاب
أليس من السعادة غير شك هوى متواصلين على اقستراب
كريم نال ودا في عفاف وستر من منعمة كعاب^(٢)

فقالت جميلة . هو اكما والله واحد وغناكما واحد ، وأنتما نعتما من بقية الكرم
وواحد الشرف : عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

ثم أقبلت على الهذليين الثلاثة فقالت . غنوا صوتاً واحداً ، فاندفعوا فغنوا
بشعر عنتره العبسي :

حييت من طلل تقادم عهده أقوى واقفر بعد أم الهيثم
كيف المزار وقد تربع أهلها بعيزتين وأعلمنا بالغـيلم^(٣)
إن كنت أزمعت الفرق فأنما زمت^(٤) ركابكم بليل مظلم
فالت : ما رأيت شيئاً أشبه بغنائكم من اتفاق أرواحكم .

(١) بصرى وجاسم . وضعان بالشام .

(٢) ناهدة الندى .

(٣) عيزتين ووضع والغلم . موضع في ديار بني عبس

(٤) زم البعير . خطمه .

ثم أقبلت على نافع بن طنبورة فقالت . هات يانقش الغضار ^(١) وياحسن اللسان ، فاندفع يغنى .

ياطول ليلي وبت لم أنم وسأدى الهم مبطن سقمي
أن قمت يوماً على البلاط ^(٢) فأب صرت رقاشاً وليت لم أقم
فقلت جميلة . حسن والله .

ثم قالت . يامالك هات ، فاني لم أؤخرك لأنك في طبقة آخرهم ، ولكنني أردت أن أختم بك يومنا تبركاً بك ، وكى يكون أول مجلسنا كآخره ، ووسطه كطرفه ، فانك عندي ومعبداً لى طريقة واحدة ومذهب واحد ، لا يدفع ذلك إلا ظالم ، ولا ينكره إلا عاضل ^(٣) ، الحق أقول ، فن شاء فلينكر ، فسكت القوم كلهم إقراراً لما قالت . واندفع يغنى .

عدو لمن عادت وسلم لسلها ومن قربت سلسي أحب وقربا
هينى امرأ إماماً بريثاً ظلمته وإماماً مسيئاً تاب بعد وأعتبا
أقول - التماس العذر لما ظلمتني وحملتني ذنباً وما كنت مذنباً :
لهم نيك إشمت العدو بهجرنا وقطعك جبل الوصل حتى تقضيا ^(٤)
قالت جميلة . ليت صوتك يامالك قد دام لاودمنا له ! وقطعت المجلس وانصرف عامة الناس وبقي خواصهم .

فلما كان اليوم الثانى حضر القوم جميعاً ، فقالت لطويس . هات ياأبا عبد العيم فابتدأ طويس فغنى .

قد طال ليلي وعاد لى طربي من حب خود ^(٥) كريمة الحسب
غراء مثل الهلال آنسة أو مثل تمشالا صورة الذهب

(١) الغضار : الطين اللازج الاخضر وهو لقب له .

(٢) البلاط . الأرض ، وقيل الأرض المستوية الملساء .

(٣) العضل . المنع . (٤) تقضب : تقطع

(٥) الخود . الحسننة الخلق الشابة .

صادت فؤادى بحبيد مغزلة (١) ترعى رياضاً ملتفة الشعب
فقات جميلة . حسن والله يا أبا عبد النعيم .

ثم قالت للدلال : هات يا أبا يزيد ، فاندفع فغنى .
قد كنت آمل فيكم أملاً والمرء ليس بمدرّك أمله
حتى بدا لي منكم خاف فزجرت قلبي فارعوى جهله
ليس الفتى بمخلد أبداً حيا ، وليس بفات أجهله
قالت : حسن والله يا أبا زيد . ثم قالت لهيت . إنا نملك اليوم لكبر سنك
ورقة عظمك . قال : أجل

ثم قالت لبرد الفؤاد ونومة الضحى . هاتيا جميعاً لحناً واحداً فغنيا .
إني تذكرت فلا تلحنى لؤلؤة مكنونة تنطق
فقات جميلة : أحسنهما .

ثم قالت لفند ورحمة وهبة الله . هاتوا جميعاً صوتاً واحداً فانكم متفقون في
الاصوات والالحان : فاندفعوا فغنوا .

أشاقك من نحو العقيق بروق لوامع تخفى تارة وتشوق
وما لي لا أهوى جوارى بربر وروحي إلى أرواحهن تتوق
لهن جمال فائق وملاحة ودل على النساء يفوق
وكان بربر حاضراً ، فقال . جوارى والله على ما وصفتم ، فن شاء أقر ومن
شاء أنكر . فقات جميلة . صدق ثم غنت جميلة بشعر الأعرشى

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا
واستنكرتنى وما كان الذى نكرت
تقول بنتى وقد قربت مرتحلا
وكان شئ إلى شئ فغيره
واحتلمت الغور فالجدن (٢) فالفرعا
من الحوادث إلا الشيب والصلعا
يارب جنب أبى الأوصاب والوجعا
دهر ملح على تفريق ما جمعا (٣)

(١) المغزلة. الظبية ذات الغزال

(٢) الجدان والفرع . موضعان

(٣) ٢٠٩ / ٨ الأغاني ، ٤٣ / ٥ بلوغ الأدب

فلم يسمع شيء أحسن من ابتدائها بالأمس وختمها في اليوم الثاني ، وقطعت المجلس ، فانصرف قوم وأقام آخرون .

فلما كان اليوم الثالث اجتمع الناس ، فضربت ستارة وأجلست الجوارى كلهن فضربن وضربت ، فضربن على خمسين وترا ، فنزلت الدار ، ثم غنت على عودها ، وهن يضربن على ضربها بهذا الشعر :

فان خفيت كانت لعينك قرة وإن تبد يوما لم يعممك ^(١) عارها
من الخفرات البيض لم تر غلظة وفي الحسب الضخم الرفيع نجارها
فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جشجتها ^(٢) وعرارها
بأطيب من فيها إذا جئت طارقا وقد أوقدت بالمدل الرطب نارها
فدمعت أعين كثير منهم حتى بلوا ثيابهم وتنفسوا الصعداء ، وقالوا بأنفسنا أنت يا جميلة ! ثم قالت للجوارى : اكفنن فكفنن ، وقالت يا عز غنى ، فغنت بشعر لعمري :

تذكرت هندا وأعصارها ^(٣) ولم تقض نفسك أوطارها
تذكرت النفس ما قد مضى وهاجت على العين عوارها ^(٤)
لتمنح رامة منا الهوى وترعى لرامة أسرارها
إذا لم نزرها حذار العدا حسدنا على الزور زوارها
فقلت جميلة : يا عز ، إنك لباقية على الدهر ، فنهيتا لك حسن هذا الصوت مع جودة هذا الغناء .

(١) لم يعممك . لم يلحقك

(٢) الجشجات . من أحرار الشجر له زهرة صفراء طيبة ، والعرار نبت طيب

الريح وهو النرجس البري

(٣) الأعصار . جمع عصر ، يريد الاوقات التي يجتمع معها فيها

(٤) العوار . ما عار في العين من القذى والرمد فأوجعها .

ثم قالت لحبابة وسلامة : هاتيا لحنا واحدا ، فغنتا :

كفى حزنا أنى أغيب رآشهد وما نلتقى والقلب حران مقصد
ومن عجب أنى اذا الليل جنى أقوم من الشوق الشديد وأقعد
أحن اليكم مثل ما حن نائق إلى الورد عطشان الفؤاد مصرد (١)
ولى كبدى حرى يعذبها الهوى ولى جسد يبلى ولا يتجدد
فاستحسن غناؤهما .

ثم أقبلت على خالدة فقالت لها : بنفى أنت غى ، فغنت :

ألا يامن يلوم على التصايب أفق شيئا لتسمع من جوابى
بكرت تلومنى فى الحب جهلا وما فى حب مثلى من معاب
أليس من السعادة غير شك هوى متواصلين على اقتراب
كريم نال ودا فى عفاف وستر من منعمة كعاب

فاستحسن منها ما غنت . ثم قالت لعقيلة والشماسية : هاتيا فغنتا :

هجرت الحبيب اليوم فى غير ما اجترم وقطعت من ذى ودك الحبل فانصرم
أطعت الوشاة الكاشخين ومن يطع مقالة واش يقرع السن من ندم
ثم قالت لفرعة وبليلة ولذة العيش : هاتين فغنين ، فاندفعن بصوت واحد .
لعمرى لئن كان الفؤاد من الهوى بغى سقما إنى لأذن لسقيم
على دماء البدن إن كان حبها على النأى فى طول الزمان يريم
تلم ملات فينسين بعدها ويذكر منها العهد وهو قديم
فأقسم ما صافيت بعدك خلة (٢) ولالك عندى فى الفؤاد قسم
قالت . أحسنين وهو لعمرى حسن .

وقالت لسعدة والزرقاء غنياً فغنتا ، فاستحسن غناؤهما .

ثم قالت للجماعة غنوا جميعاً ، فغنوا ، وانقض المجلس وعاد كل إنسان إلى
وطنه . فما رأتى مجلس ولا جمع أحسن من هذا الأيام الثلاثة !

(١) التصريد سقى دون الرى .

(٢) الخلة . الخلية .

وقال أبو عبد الله : جلست جميلة يوماً ولبست برنسا ^(١) طويلاً ، وألبست من كان عندها برانس دون ذلك ، وكان في القوم ابن سريج ، وكان قبيح الصلح ، قد اتخذ وفرة ^(٢) شعر يضعها على رأسه ، وأحبت جميلة أن ترى صلته ، فلما بلغ البرنس إلى ابن سريج قال : دبرت على ورب الكعبة ، وكشف صلته ووضع القلنسية ^(٣) على رأسه ، وضحك القوم من قبح صلته .

ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل ، وعلى عاتقها بردة يمانية ، وعلى القوم أمثالها ، وقام ابن سريج يرقص ومعبد والغريض وابن عائشة ومالك ، وفي يد كل واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة ورقصها ، فغنت وغنى القوم على غنائها .

ذهب الشباب وليته لم يذهب وعلا المفارق وقع شيب مغرب ^(٤)
والغانيات يردن غيرك صاحباً ويعدنك الهجران بعد تقرب
إني أقول مقالة بتجارب حقاً ولم يخبرك مثل مجرب
صاف الكريم وكن لعرضك صائناً وعن اللثيم ومثله فتتكب
ثم دعت بثياب مصبغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها
ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا ، ثم ضربت بالعود وتمشت وتمشى القوم خلفها ،
وغنت وغنوا بغنائها بصوت واحد :

يمشون مشى قطا البطاح تأودا ^(٥) قب ^(٦) البطون رواجح الآكفال

(١) البرنس قلنسوة طويلة ، أو كل ثوب رأسه منه ، دراعة كان أوجبة أو مطراً .

(٢) الوفرة . الشعر المجتمع على الرأس أو ماسال على الأذنين منه

(٣) القلنسية : القلنسوة : ما يلبس في الرأس .

(٤) مغرب . أبيض (٥) تأرد الشيء : تعوج ، وتثني

(٦) قلب البطون : القباء الضامرة البطن .

فهن آنسة الحديث حية ليست بفاحشة ولا متفال (١)
وتكون ريقتها (٢) إذا نبتها كالمسك فوق سلافة الجريال (٣)
جلست وجلسوا وخلعوا ثيابهم ورجعوا إلى زيمهم ، وأذنت لمن كان يبابها
فدخلوا ، وانصرف المغنون وبقي عندها من يطارحها من الجوارى :

- ٤ -

وفود ابن مسجح على عبد الملك بن مروان (٤)
قال دحمان الأشقر : كنت عالاً لعبد الملك بن مروان بمكة ، فذهى إليه أن
رجلاً أسود يقال له : سعيد بن مسجح (٥) أفسد فتیان قریش وأنفقوا عليه أموالهم
فكتب إلى : أن اقض ماله وسيره ، ففعلت .
فتوجه ابن مسجح إلى الشام فصحبه رجل له جوار مغنيات في طريقه ،
فقال له : أين تريد ؟ فأخبره خبره ، وقال له : أريد الشام ، قال له : فتكون
معي ؟ قال : نعم .
فصحبوه حتى بلغا دمشق ، فدخلوا مسجدها ، فسألوا : من أخص الناس بأمير
المؤمنين ؟ فقالوا : هؤلاء النفر من قریش وبنوعمه ، فوقف ابن مسجح عليهم وسلم
ثم قال : يافتیان هل فيكم من يضيف رجلاً غريباً من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم
إلى بعض - وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قبة يقال لها : برق الأفق ، -
فتشاقلوا به إلا فتي منهم تدمم (٦) . فقال : أنا أضيفك وقال لأصحابه : انطلقوا
أنتم ، وأنا أذهب مع ضيفي ، قالوا : لا ، بل تجي . أنت وضيفك

(١) المتفال : المتغيرة الريح لترك التطيب

(٢) الريق : ماء الفم غدوة قبل الأكل ويؤنث في الشعر

(٣) الجريال : من أسماء الخمر .

(٤) الأغانى ص ٢٨٢ ج ٣ ، وقصص العرب .

(٥) سعيد بن مسجح أحد الموالي ، مكى أسود ، مغن ؛ متقدم ، كان أول

من غنى الغناء العربى بمسكة وهو الذى علم ابن سريج والغريض

(٦) تدمم . خشى الظم واللوم .

فذهبوا جميعاً إلى بيت القمينة ، فلما أتوا بالغداء قال لهم سعيد إني إني رجل أسود ولعل فيكم من يقدرني (١) فأنا أجلس وأكل ناحية وقام . فاستحيوا منه وبعثوا إليه بما أكل ، فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثل ذلك ، ففعلوا به كما فعلوا في المأكل ، وأخرجوا جاريتين جالستا على سرير قد وضع لهما ، فغفنا إلى العشاء ، ثم دخلنا ، وخرجت جارية حسنة الوجه والهيئة ، وهما معها ، فجلست على السرير وجلستا أسفل منها عن يمين السرير وشماله ، قال ابن مسجج . فتمثلت هذا البيت .

فقلت أشمس أم مصاييح بيعة (٢) بدت لك خلف السجف (٣) أم أنت حالم

فغضبت الجارية ، وقالت : أ يضرب هذا الأسود بي الامثال ! فنظروا إلى نظرا منكراً ، ولم يزالوا يسكنونها ، ثم غنت صوتاً . فقلت : أحسنت والله ! فغضب مولايها ، وقال ، أمثل هذا الأسود يقدم على جاريتي ! فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده . قم فانصرف إلى منزلي ، فقد ثقلت على القوم ، فذهبت أقوم فتذمم القوم ، وقالوا لي : بل أقم وأحسن أدبك ، فأقت وغنت . فقلت . أخطأت والله وأسأت ، ثم اندفعت فغنيت الصوت ، فوثبت الجارية وقالت لمولايها . هذا والله أبو عثمان سعيد بن مسجج ، فقلت . إني والله أنا هو ، والله لا أقيم عنديكم ، فوثب القرشيون . فقال هذا : يكون عندي . وقال هذا : يكون عندي . وقال هذا . بل عندي ! فقلت . والله لا أقيم إلا عند سيديكم - يعني الرجل الذي أنزله منهم :

ثم سألوه عما أقدمه ، فأخبرهم الخبر . فقال له صاحبه . إني أسمر الليلة مع أمير المؤمنين ، فهل تحسن أن تحذو ؟ قال . لا ! ولكني أستعمل

(١) قدرت الشيء استقدرته وكزته .

(٢) البيعة كنيسة النصرى

(٣) السجف بالفتح ويكسر . الستر

خداء . قال : فان منزلى بجذاء منزل أمير المؤمنين ، فان وافقت منه طيب نفس أرسلت إليك .

ومضى إلى عبد الملك ، فلما رآه طيب النفس أرسل إلى ابن مسجح ، وأخرج رأسه من وراء شرف القصر ، ثم حدا .

إنك يا معاذا يا بن الفضل إن زلزل الأقدام لم تزلزل
عن دين موسى والكتاب المنزل تقيم أصداع القرون الميل
للحق حتى ينتحوا للأعدل

فقال عبد الملك للقرشي . من هذا ؟ قال . رجل حجازي قدم على ! قال : أحضره فأحضره وقال له . أحد مجداً ، ثم قال له . هل تغنى غناء الركبان ؟ قال . نعم . قال . غنه . فتغنى . فقال له . فهل تغنى الغناء المتقن . قال . نعم ، قال . غنه . فتغنى .

فاهتز عبد الملك طرباً . ثم قال له . أقسم إن لك في القوم لأسماء كثيرة ! من أنت ويلك ! قال له . أنا المظلوم المقبوض ماله المسير عن وطنه سعيد بن مسجح قبض مالى عامل الحجاز ونفانى . فتبسم عبد الملك . ثم قال له . قد وضع عذر فتیان قریش فی أن ینفقوا علیک أموالهم ، وأمنه ووصله ، وكتب إلى عامله برد ماله عليه وألا يعرض له بسوء .

(١) الصدغ . ما بين العين والأذن . والقرنان . جانبا الرأس ، أو الصدغ .
الميل ، ومنه لأقيم صدغك ، أى ميلك .

النقد الادبي

في العصر الاموي

- ١ -

علمت ما كان من أمر النقد الادبي في العصر الجاهلي وصدر الاسلام
أما العصر الاموي فقد كان لآحياء الادب القديم والاهتمام بالشعر والشعراء
أثر بعيد في النقد الادبي في هذا العصر

وكانت مجالس النقد كثيرة متشعبة : في قصور الخلفاء والأمراء والولاة ، وفي
مرابد البصرة وكناسة لسكوفة ، وفي مجالس الشعراء والرواة ، وقد حفظت مصادر
الادب الكثير من أخبار النقد في هذا العصر الحافل

وكان الخلفاء أنفسهم يفهمون الشعر وينقدونه ويهتمون بالنقد الادبي كثيرا
وخاصة عبد الملك بن مروان .

ويقول عبد الملك بن مروان :

إذا أردتم الشعر الجيد فعليكم برهط أعشى بكر وبالآوس والخزرج
وبهذيل^(١)

وكان عبد الملك بن مروان عالما بالشعر ناقدًا له وتفيض بذكر أخباره في ذلك
كتب الادب ، ونقده للشعراء كثير ، كنقده لابن الرقيات^(٢) وللكثير^(٣)
وفي آخر القرن الأول ازدهر الشعر وتعددت مذاهبه الادبية واشتدت
العصية وكثر التنافس بين الشعراء كثرة الموازنة بينهم وأحكام النقد الادبي التي
يصدرونها على الشعر والشعراء الجاهليين والاسلاميين ، فقالوا : أشعر العرب

(١) ٣/٣٨١ العقد

(٢) ١/٤٠٠ العقد

(٣) ٣/٤٣٨ العقد

أمرؤ القيس إذا ركب وزدير إذا رغب والنابعة إذا رهب والاعشى إذا طرب (١) واختلفوا في الجاهلين فقال الفرزدق أمرؤ القيس أشعر الناس وقال جرير : النابعة وقال الأخطل : الاعشى ، وقال ابن مقبل : طرفه ، وقال الكميت : عمرو بن كلثوم وقال أبو عبيدة وأيده صاحب الجهرة : أمرؤ القيس ثم زهير والنابعة والاعشى وليد وعمرو وطرفه (٢) ، وكان جرير يشبه الاعشى (٣) ؛ والفرزدق بزهير (٤) ، والأخطل بالنابعة (٥) ، وقال الفرزدق لما سمع ابن أبي ربيعة : هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فاخطأته وبكت الديار (٦) ، وورد مثل ذلك عن جرير (٧) وقال جميل لعمر ، والله ما خاطب النساء مثل مخاطبتك أحد (٨) ، وفضل ابن أبي عتيق عمر فقال : أشعر قريش من دق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه ، ومن حشوه وتعطفت حواشيه وأنارت معانيه (٩) ؛ وقال بنقده : أنت لم تنسب بالنساء وإنما تنسب بنفسك (١٠) ، وقال نصيب : جميل إما منا وعمر أوصفنا للنساء وكثير أبكنا على الدمن وأمدحنا للبلوك (١١) ، وقال ، أما أصدقنا في شعره فجميل وأما أكذبنا

(١) ١١١ حلبة الكميت ، وتروى بروايات مختلفة [٥١١ خزانة الادب ، ٥٨ ج ٩ الأغاني ، ٣٨٠ و ٤١٣ ج ٣ العقد ، ١٩٣ حضارة الاسلام في دار السلام] ؛ وهذه الرواية تروى عن كثير أو نصيب [٧٨ ج ١ العمدة] ، وعن ابن أبي طرفة مع حذف امرؤ القيس وزيادة وعنترة إذا كلب [٧٨ ج ١ العمدة] وعن الأصمعي [٣٣ جمهرة أشعار العرب]

(٢) ٤٥ الجهرة (٣) ١٨٠ الشعر والشعراء

(٤) ١٨٦ المرجع

(٥) ١٨٩ المرجع وراجع ٣٠ طبقات الشعراء لابن سلام

(٦) ٣٤ و ٦٤ ج ١ الأغاني وراجع ١٦ ج ٤ العقد

(٧) ٤٥ ج ١ الأغاني

(٨) ٤٩ و ١٢٩ ج ١ الأغاني (٩) ٤٦ ج ١ الأغاني

(١٠) ٤٦ ج ١ المرجع (١١) ١٢٧ ج ١ الأغاني

فعمر وأما أوصفنا للنساء فكثير^(١) ، ونقد قول الحكيم : تكامل فيها الدل والشنب^(٢) ، كما نقد كثير عمرا والاحوص ونصيبا^(٣) ، وقال كثير في نصيب جميل : هذا والله هو الشعر المطبوع وما كنت إلا راوية لجميل ولقد أبقى للشعراء مثالا تحتذى عليه^(٤) ، ونقد جرير قول الاحوص : يقر بعيني ما يقر بعينها^(٥) ، وحسد الفرزدق ليلي الأخيلية على شعرها : ومخرق عنه القميص الخ^(٦) ، وقال في جرير : ما أحوجني مع فسوقى إلى رقه شعره وأحوجه مع عفافه إلى صلابه شعري^(٧) ، ونقد الجعدى^(٨) ، وهكذا تناول النقد الشعر ومذاهبه وكثيرا مما يتصل به

ولكن النقد على أى حال لم يكن له مناهج معروفة وكانوا ربما أخطأوا فيه كما أخطأ الفرزدق في نقد بيت جرير^(٩) .

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

فقال . ولو كان ساكنه قردا ، فقال جرير : لو أردت هذا لقلت : ما كانا ، وكان المراد البصرة مقام كبير في حركة النقد في هذه الفترة الحافلة ، وكان مألوف الإشراف^(١٠) ، ويقول الجارود : عليكم بالمربد فإنه يطرد الفكر ويجلو البصر ويجلب الخبر ويجمع بين ربيعة ومضر^(١١)

وابتدأ القرن الثانى فازداد النقد فيه دقة وتحليلا وعمقا ، وكان أئمة اللغة

(١) ١٤١ ج ٢ المرجع (٢) ٣٣٥ ج ١ الكامل للبرد

(٣) ٣٣٢ و ٣٣٣ ج ١ الكامل (٤) ١٦ ج ٤ العقد

(٥) ١١٣ ج ١ الأغاني (٦) ١٢١ الكشكول

(٧) ٢٧ الشعر والشعراء ، ١٠٣ ج ٤ زهر

(٨) ٤٣ طبقات الشعراء لابن سلام (٩) ١٥٥ ج ١ القيمة

(١٠) ٢١٠ ج ٢ العقد

(١١) ٢٢٣ ج ١ البيان والتبيين

وشيوخها يتقدمون الشعر عن صناعة وتثقيف ويحللون نصوصه من جميع نواحيها
طبعا وبنية وتركيبا وفناو أوزانا وقوافي ، ومنهم . أبو عمرو ابن العلاء م ١٥٤ ،
وحمد الرواية م ١٥٦ هـ ، وخلف م ١٨٢ هـ ، والمفضل م ١٨٩ ، ويونس ، وأبو
عمرو الشيباني ، وأبو زيد الأنصاري م ٢٠٦ هـ ، وأبو عبيدة م ٢٠٨ والأصمغني
م ٢١٦ هـ ، وابن الأعرابي م ٢٢١ هـ ، وكانوا جميعا يروون اللغة والغريب والشعر
والنسب والأخبار والنوادر مع تفاوت في الميول ^(١) والاتجاهات

ألوان من النقد

في هذا العصر

— ١ —

وفد أعرابي من شعراء المجانين على نصر بن سيار بشعر تغزل فيه بمائة بيت ومدحه ببيتين . فقال له نصر . والله ما تركت قافية لطيفة ولا معنى إلا شغلت به نسيتك دون مدحك . ثم غدا عليه بعد ذلك بشعر يقول فيه :
هل تعرف الدار لأم العمر دع ذا وحبر مدحة في نصر
فقال له نصر : لا ذاك ولا ذاك (١)

— ٢ —

وسمع عبد الله بن عمر قول الخطيئة .
مَتَى تَأْتَهُ تَمْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مَوْقِدٍ
فقال ، ذاك رسول الله إعجابا بالبيت (٢)
وكان الناس يستحسنون قول الأعشى
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلق
فلما قال الخطيئة .
مَتَى تَأْتَهُ تَمْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مَوْقِدٍ
سقط بيت الأعشى (٣)

— ٣ —

وقال أبو عمرو بن العلاء :

(١) ٢٠٧ ج ٤ العقد الفريد

(٢) ٣٦ ج ٢ البيان

(٣) ٣٨٠ ج ٣ العقد

ختم الشعر بذى الرمة وفتح بامرئ القيس^(١)

وقال الاصمعي : ختم الشعر بالرماح^(٢)

وكان ذو الرمة فصيحاً بليغاً وكان عصمه بن مالك راويته^(٣) . والرماح شاعر فصيح مقدم مخضرم من شعراء الدولتين وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة وقرن به عمر بن لجأ والقحيف العقيلي والعجير السلولى^(٤) وحدث ابو داود قال : سمعت شيخنا عالماً من غطفان يقول ان الرماح أشعر غطفان في الجاهلية والإسلام وكان خيراً لفوموه من النابغة لم يمدح غير قريش وقيس ، وبنو ذبيان تزعم أن الرماح آخر الشعراء^(٥)

وأنشد أبو حاتم شعراً لقطرى وقال : هذا والله الشعر لا ما يتعلمون به من شعر الخنايثك^(٦)

— ٤ —

واجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج ، فقال : من مدحني منكما بشعر يوجز فيه ويحسن صفى فهذه الخلعة له ، فقال الفرزدق :
فمن يأمن الحجاج - والطير تنقى عقوبته - إلا ضعيف العزائم
فقال جرير :

فمن يأمن الحجاج : أما عقابه فمر ، وأما عقده فوثيق
يسر لك البغضاء كل منافق كما كل ذى دين عليك شفيق
فقال الحجاج للفرزدق : ما عملت شيئاً ؛ إن الطير تنقى الصبي والخشبة ، ودفع الخلعة إلى جرير .

(١) ٢/٢٥٥ البيان ، ١/١٥١ البيان ايضاً .

(٢) ٣/١٩٧ المرجع .

(٣) ١٢٤ ذيل الامالى

(٤) ٢/٨٦ الاغانى (٥) ٢/٨٨ الاغانى

(٦) ٤/١٦٢ زهر

واجتمع جرير والفرزدق في مجلس عبد الملك بن مروان فقال الفرزدق :
 النوار بنت مجاشع طالق ثلاثا إن لم أقل بيتا لا يستطيع ابن المراغة ^(١) أن ينقضه
 أبدا ولا يجد في الزيادة عليه مذهبا ، فقال عبد الملك . ما هو ؟ فقال .
 فاني أنا الموت الذي هو واقع بنفسك ، فانظر كيف أنت مزاوله
 وما أحد يابن الاتان بوائل من الموت ، إن الموت لاشك نائله ^(٢)
 فاطرق جرير قليلا ثم قال . أم حزرة طالق منه ثلاثا إن لم أكن نفضته وزدت
 عليه ، فقال عبد الملك . هات ، فقد والله طلق أحدكما لا محالة ، فأشدد .
 أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس بكفيك يابن القين هل أنت نائله ^(٣)
 أنا الد ر يفنى الموت والدهر خالد فجئني بمثل الدهر شيئا يطاوله
 فقال عبد الملك : فضلك والله يا أبا فراس وطلق عليك ، فقال الفرزدق :
 فما يرى أمير المؤمنين ؟ فقال : وايم الله لا تريم ^(٤) حتى تكتب إلى النوار
 بطلاقها ، فتأني ساعة ، فزجره عبد الملك ، فكتب بطلاقها وقال في ذلك :
 ندمت ندامة الكسعى لما غدت منى مـ طلقة نوار ^(٥)

(١) المراغة : لقب أم جرير ، لقبها به الفرزدق ، وهو في الأصل الاتان .

(٢) وأل يئل : التجأ إلى موضع ونجا .

(٣) القين . الحداد والجمع قيون ، جاء في الشعر والشعراء في ترجمة الفرزدق
 وكان لصعصة (جد الفرزدق) قيون ، منهم جبير ووقبان وديسم ، فلذلك جعل
 جرير مجاشعا (قوم الفرزدق) قيونا ، وكان جرير ينسب غالب بن صعصعة
 (والد الفرزدق) إلى جبير .

(٤) رام المكان ، ورام منه . برحه .

(٥) من أمثال العرب : أئدم من الكسعى ، وهو غامدين الحرث الكسعى ،
 وذلك أنه اتخذ قوساً وخمسة أسهم ، وقصد إلى مورد حمر وحشية وكن لها ،
 فر به قطيع فرمى عيراً منها : فنفذ فيه السهم وجازه وأصاب الجبل وأورى =

وكانت جنتي فخرجت منها كما آدم حين أخرجه الضرار (١)
ولو أنى ملكك يدي ونفسي لكان إلى للقدّر الخيار

— ٦ —

واجتمع جرير والفرزدق والاختل في مجلس عبد الملك بن مروان، فأحضر
بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار وقال لهم: ليقل كل منكم بيتاً في مدح نفسه،
فأيكم غلب فله الكيس، فبدر الفرزدق فقال:

أنا القطران والشعراء جربي وفي القطران للجربي شفاء
فقال الاختل:

فان تك زق زاملة فاني أنا الطاعون ليس له دواء (٢)
فقال جرير:

أنا الموت الذي آتى عليكم فليس لهارب مني نجاء
فقال عبد الملك خذ الكيس، فلعمرى إن الموت يأتي على كل شيء.

— ٧ —

وأخذوا على الفرزدق قوله:

إذا ألقت الأبطال أبصرت وجهه مضياً، وأعناق الحكاة خضوع (٣)
فقالوا: أساء القسمة وأخطأ الترتيب، وإنما كان يجب أن يقول: «أبصرته
سامياً وأعناق الملوك خضوع، أو: «أبصرت لونه مضياً وألوان الحكاة كاسفة».

== ناراً، فظن أنه قد أخطأه، فرمى ثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً، وهو في كلها يظن
خطأه فعمد إلى قوسه فكسرها، ثم بات فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطرحة مضروعة
وأسمه بالدم مضرجة، فندم وقطع إبهامه.

(١) ضاره ضرارا ومضارة: خالفه.

(٢) الزق: السقاء، والزاملة: الدابة التي يحمل عليها من الابل وغيرها.

(٣) الحكاة جمع كهي كغنى: وهو الشجاع المتكبر في سلاحه أي المتغطى به.

وعابوا على الأخطل قوله في عبد الملك بن مروان .
وقد جعل الله الخلافة منهم لابيض لا عارى الخوان ولا جذب (١)
فقالوا . لو مدح به حرسيا (٢) لعبد الملك لكان قد قصر به
وقال جرير يهجو الأخطل :
إن الذى حرم المسكارم تغلبا جعل الخلافة والنبوة فينا
مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم يا آل تغلب من أب كأيدنا
هذا بن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا (٣)
فلما بلغ عبد الملك بن مروان قول جرير قال : ما زاد ابن المراغة على أن جعلنى
شرطيا ، أما إنه لو قال . لو شاء ساقكم إلى قطينا ، لسقتم إليه كما قال .

وعابوا على الأحوص قوله لعبد الملك
وأراك تفعل ما تقول و بعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل (٤)
فقالوا . إن الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة ، وإنما تمدح
بالاغراق والتفضيل . بما لا يتسع غيرهم لبذله

ودخل عبيد الله بن قيس الرقيات على عبد الملك بن مروان ، فأنشده قصيدة
يمدحه فيها حتى بلغ قوله :
يأتلق الساج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب (٥)

(١) الخوان . ما يؤكل عليه الطعام .

(٢) الحرسى . واحد حرس السلطان

(٣) القطين . الخدم والأتباع .

(٤) مذق بمنى يمدوق ، من مذاقه كنصر . إذا خلطه .

(٥) أتلق البرق وتألّق . لمع .

فقال له عبد الملك : يا بن قيس ، تمدحني بالتاج كأنى من العجم وتقول فى مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من اللـ له تجلت عن وجهه الظلماء (١)
فأعطيته المدح بكشف الغم ، وجلاء الظلم ، وأعطيتى من المدح ما لا تفر فيه ، وهو اعتدال التاج فوق جبينى الذى هو كالذهب فى النضارة
قال قدامة بن جعفر فى كتابه نقد الشعر : ووجه عتب عبد الملك إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التى هى العقل والعفة والعدل والشجاعة ، إلى ما يلبق بأوصاف الجسم فى البهاء والزينة .

— ١١ —

ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان فأنشده قصيدة مطلعها .
ما بال عينك منها الدمع ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب (٢)
وكان يعين عبد الملك رمش (٣) فهى تدمع أبداً ، فتوهم أنه خاطبه أو عرض به فقال . وما سؤالك عن هذا يا جاهل ؟ فتمته وأمر بإخراجه .

— ١٢ —

وأنشد عبد الملك قول نصيب
أهيم بد عما حيت فان أمت فواحزنا من ذاهيم بها بعدى
فقال بعض من حضر : أساء القول ، أيجزن لمن يهيم بها بعده ؟ فقال عبد الملك
الجيد أن يقول:
أهيم بدعد ما حيت فان أمت فلا صلحت دعدلذى خلة بعدى (١)

-
- (١) الشهاب . شعلة من نار ساطعة ، والماضى فى الأمر .
(٢) كلى جمع كلية أو كلوة بضم الكاف فيهما ، مفرية . مشقوقة ، من فراه يفره إذا شق ، وسرب الماء كقروح . سال ، فهو سرب .
(٣) الرمش تقتل فى الشعر وحررة فى الجفون مع ماء يسيل
(٤) الخلة . الصداقة لا خلل فيها

وقال كثير عزة :

أريد لأنسى ذكرها - فكانا تمثّل لي ليلى بكل سبيل
فقال بعض الناس : إن كان يحبها فلماذا ينسى ذكرها ؟ ألا قال كما قال مجنون

بنى عامر :

فلا خفف الرحمن ما بي من الهوى ولا قطع الرحمن عن حبها حبى
فما سرنى أنى خلى من الهوى ولو أن لى ما بين شرق إلى غرب
وأنشده عدى بن الرقاع الوليد بن عبد الملك قصيدته التى أولها .

عرف الديار توها فاعتادها من بعد ما شمل البلى أبلادها (١)
وعنده كثير - وقد كان يبلغه عن عدى أنه يطعن على شعره ويقول : هذا
شعر حجازى مقرر إذا أصابه قر الشام (٢) جرد وهلك - فأنشده إياها حتى
أتى على قوله

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها (٣)
فقال له كثير : لو كنت مطبوعاً أو فصيحاً أو عالماً لم تأت فيها بميل ولا سناد
فتحتاج إلى أن تقومها ، ثم أنشد :

نظر المتقف فى كـعـوب قناته حتى يقيم ثقافته منادها (٤)
فقال له كثير : لا جرم (٥) إن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء ، ولأن
تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها ، ثم أنشد :

(١) اعتادها . أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها ، حتى عرفها ، وأبلاد
جمع بلد بالتحريك وهو الأثر .

(٢) القر البرد . (٣) السناد عيب من عيوب القافية .

(٤) الثقاف . ما تعدل به الرماح ، وثقف الرمح . عدله ، والكعوب جمع
كعب وهو ما بين الأنبيين من القصب ، والمناد . المعوج .

(٥) لا جرم ، قال الفراء . هى كلمة كانت فى الأصل بمنزلة لا بد ، ولا محالة
فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم وصارت بمنزلة حقاً .

وعلمت حتى ما أسائل واحدا عن علم واحدة لكي أزدادها فقال كثير : كذبت ورب البيت الحرام ، فليمتحنك أمير المؤمنين بان يسالك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك ، وما كنت قط أحق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك ، فضحك الوايد ومن حضر ، وقطع بعدى ابن الرقاع حتى ما نطق .

وقال رجل كان يديم الأسفار ، سافرت مرة إلى الشام على طريق البر ، فجعلت أتمثل بقول القطامي .

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل ومعى أعرابي قد استاجرت منه مركبي ، فقال ، ما زاد قائل هذا الشعر على أن ثبط الناس عن الحزم ، فهلا قالى بعد قوله هذا .

وربما ضر بعض الناس بطؤهم وكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا (١) والقطامي أخذ معنى بيته هذا من قول عدى بن زيد العبادي .
قد يدرك المبطل من حظه والحين قد يسبق جهد الحريص وعدى نظر إلى قول جمانة الجعفي .

مستعجل والمكث أدنى لرشده ولم يدر في استعجاله ما يبادر

وأخذوا على الكميت قوله يمدح النبي صلى الله عليه وسلم .
إلى السراج المنير أحمد ، لا تعدل بي رغبة ولا رهب عنه إلى غيره ، ولو رفع وقيل أفرطت ، بل قصدت ولو غنفي القائلون أو ثلبوا (٢)

(١) وروى .

وربما فات قوما جل أمرهم من التأني وكان الحزم لو عجلوا (٢) ثلبه كضربه : صرح بالعيب فيه وتنقصه .

إليك يا خير من تضمنت الـ أرض ولو عاب قولي العيب (١)
لج بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضججاج والصخب (٢)

فقالوا ، من هذا الذي يقول له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أفرطت أو يعنفه أو يثلمه أو يعيبه حتى يكثر عليه فيه الضججاج والصخب ؟ وهو كله خطأ منه وجهل بموقع المدح ، وهذا لو كان قاله بين المشركين وفي صدر الاسلام لعل العذر كان يتسع له فيه .

وقد اعتذر له معنذر واحتج محتج بأن قال : لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بهذا الخطاب . وإنما أراد أهل بيته ، لأنه قال فيهم من الشعر ما قال ولأن بني أمية كانت تعنف من يمدحهم وتنكر أشد الإنكار على من يغرق في وصفهم والثناء عليهم .

٠

ويقال إن أهجى بيت قاله شاعر قول الأخطل في بني يربوع رهط جرير .
قوم إذا استنبح الاضياف كلهم قالوا لا مهم بولى على النار
لأنه قد جمع فيه ضرباً من الهجاء ، فنسبهم إلى البخل بوقود النيران لئلا يهتدى بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة ، ورماهم بالبخل بالخطب ، وأخبر عن قلمتها ، وإن بولة تطفئها ، وجعلها بولة عجوز وهى أقل من بولة الشابة ، ووصفهم بامتهان أمهم وابتذالها في مثل هذا الحال ، يدل بذلك على العقوق والاستخفاف ، وعلى أن لا خادم لهم ، وأخبر في أضعاف ذلك ببخلهم بالماء .

(١) العيب جمع عيوب كصبور .

(٢) ضاجه مضاجعة وضجاجا بالكسر : جادله وشاره وشاغبه ه ، والاسم

الضججاج بالفتح .

وقال الأصمعي : أغزل بيت قول امرئ القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل^(١)
وحكى عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال : لم تقل العرب بيتا أغزل من

قول جميل بن معمر .

لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد
وفضلته بهذا البيت سكينه بذت الحسين بن علي رضوان الله عليهم ، وأثابته به
دون جماعة من حضر من الشعراء^(٢) ،

وقال بعضهم . الأحوص من أغزل الناس بقوله .

إذا قلت إني مشتف بلقائها وحم التلاقي بيننا زادني سقما^(٣)
وقال غيره . بل جميل بقوله .

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ويحيا إذا فارقتها فيعود
وقال آخر : بل جرير بقوله

فلما التقي الحيان ألقىت بالعصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتلة
والأحوص عندهم أغزلهم في هذه الأبيات الثلاثة لزيادته سقما إذا التقي بالحبوب
وقال الحاتمي : أغزل ما قالته العرب قول أبي صخر الهذلي :

فياحبها زدني جوى كل ليسة ويأسلوة الأيام موعذك الحشر

— ١٥ —

وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده : إذا رويتهم شعراً فلا تروهم إلا

مثل قول العجير السلولى :

(١) ذرفت العين : سال دمعها ، بسهميك . مستعار لعينها ، ويقال قلب أعشار ، وقدر
أعشار : أى مكسرة عشرة جمع عشر بالكسر وهو القطعة التى تنكسر منها ، أراد أرقله
كسر ثم شعب كما تشعب القدر ، وهناك معنى آخر ، وهو : أنه أراد بسهميها هنا
سهمى قدام الميسر وهما المعلى والرقيب ، فللمعلى سبعة أنصباء ، وللرقيب ثلاثة ،
فاذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها وأعشار على هذا جمع عشر
بالضم . والمقتل : المذلل غاية التذليل

(٢) انظر الخبر فى الأغاني ج ١٤ ص ١٦٦ (٣) حم : قدر

يبين الجار حين يبين عنى ولم تأنس إلى كلاب جارى
وتظعن جارتى من جنب بيتى ولم تستر بستر من جدارى
وتأمن أن أطلع حين آتى عليها وهى واضعة الخار
كذلك هدى آبائى قديما توارثه النجار عن النجار

وقال يوما فى مجمع من الشعراء . يامعشر الشعراء ، تشبهوننا بالأسد الابخر ،
والجبل الوعر ، والملح الأجاج ، ألا قلتم كما قال كعب الأشقرى .

فقل للجيم بالبكر بن وائل مقالة من يلحى أخاه ومن يزرى
فـ لو كنتم حيا صميما نفيمم بخيلكم بالرغم منه وبالصغر
ولكنكم يا آل بكر بن وائل يسودكم من كان فى المال ذا وفر
هو المانع الكلب النباج ، وضيفه خيصر الحشاير عى النجوم التى تسرى

وكان عبد الملك إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه ينشده .
لنا إذا مالت دواعى الهوى وأنصت السامع للقاتل
وأصطرع القوم بالباهم نقضى بحكم عادل فاصل
لأنجعل الباطل حقا ولا نلظ دون الحق بالباطل (١)
نخاف أن تسفه أحلامنا فنحمل الدهر مع الخامل

وكان يتمثل فى الحروب عند كل لقاء بقول شبيب بن البرصاء .
دعانى حصن للفرار فساءنى مواطن أن يثنى على فاشتما

فقلت لحسن نح^(١) نفسك إنما يزود الفنى عن حوضه أن يهدما
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
سيكفيك أطراف الأستة فارس إذا ريع نادى بالجوار وبالحمى
إذا المرء لم يغش المكاره أو شكت حبال الهوينى بالفنى أن تجزما^(٢)

— ١٩ —

ولما لاذت به زوجته عاتكة بنت يزيد حين خرج لحرب مصعب تريد منعه
فأبى فبكت وبكت معها جوارياها، جلس وقال: قال الله كثيرا، والله لكانه يرانى
ويراك يا عاتكة حيث يقول.

إذا ما أراد الغزو لم تن هممه حصان عليها عقد در يزينا^(٣)
نهته فلما لم تر النهى عاقه بكت فبكى مما شجاها قطينا^(٤)
ثم نهض، فكان فى خروجه قتل مصعب

وعيب على أبى محجن الثقفى قوله فى وصف قينة^(٥)
وترفع الصوت أحيانا وتخفضه

كما بطن ذباب الروضة الغرد^(٦)

— ٢٠ —

وقال عبد الملك بن مروان: ما هجاني أحد بأوجع من بيت هجاني به الزبير وهو
فان تصبك من الأيام جائحة لم نبك منك على دنيا ولادين
وقال بلال بن جرير: سألت أبى أى شىء هجيت به أشد عليك قال قول البعيث

(١) نح: أبعد.

(٢) تجزم. أصله تتجزم. أى تنقطع.

(٣) الحصان: العفيفة.

(٤) القطين. الخدم، من قطنه بمعنى خدمه.

(٥) الجارية المغنية

(٦) ذباب الروضة هو النحل

وكل كليبى صحيفة وجهه أذل لأقدام الرجال من النعل

- ٢١ -

وقدم عمر بن أبى ربيعة المدينة فأقبل إليه الاحوص ونصيب ، فجعلوا يتحدثون
ثم سألهما عمر عن كثير عزة فقالا : هو ههنا قريب ، فقاموا نحوه فألفوه جالسا
فى خيمة له ؛ فنحدثوا مليا وأفاضوا فى ذكر الشعراء ، فأقبل كثير على عمر فقال له
إنك لشاعر لولا أنك تشبب بالمرأة ثم تدعها وتشبب بنفسك ، أخبرنى يا هذا
عن قولك .

ثم اسبطرت تشتد فى أثرى تسال أهل الطواف عن عمر (١)
أتراك لو وصفت بهذا هرة أهلك ألم تكن قد قبحت وأسات وقلت الهجر (٢) ؟
إنما توصف الحرة بالحياء والاباء والبخل والامتناع ، ألا قلت كما قال هذا يعنى
الاحوص .

أدور ولولا أن أرى أم جعفر باياتكم مادرت حيث أدور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى وإن لم يزر لأبد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر ولانى إلى معروفها الفقير
فانكسرت نحوه عمر بن أبى ربيعة ، ودخلت الاحوص أبهة وعرفت الخيلاء
فيه ، فلما استبان كثير ذلك فيه ، قال : أبطل آخرك أولك ، أخبرنى عن قولك .
فان تصلى أصلك وإن تبنى بهجر بعد وصلك لأبألى
أما والله لو كنت حرا لباليت ولو كسر أنفك ، ألا قلت كما قال هذا الاسود
وأشار إلى نصيب .

بزينب ألم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب
فانكسر الاحوص ودخلت نصيبا زهوة ، فلما نظر أن الكبرياء قد دخلته
التفت إليه وقال . وأنت يا بن السوداء أخبرنى عن قولك .

(١) اسبطرت . أسرع ، تشتد . تعدو .

(٢) الهجر : القبيح من الكلام .

أهيم بدعد ماحيت فان أمت فوا كبدي من ذا يهيم بها بعدى
أهمك - ويحك - من يهيم بها بعدك ؟ فلما أمسك كثير اقبل عليه عمر ،
فقال له : قد أنصتنا لك فاسمع ، أخبرني عن تخيرك لنفسك وتخيرك لمن تحب
- بيت تقول .

ألا ليتنا ياعز من غير ريبة بعيران نرعى في الخلاء ونعزب^(١)
كلانا به عرفن يرنا يقل على حسنهما جرباء تعدى وأجرب^(٢)
إذا ما رردنا منهلا صاح أهله علينا فما تنفك نرمي ونضرب
وددت (وبيت الله) أنك بكرة دجان وأنى مصتب ثم نهرب^(٣)
نكون بعيرى ذى غنى فيضيئنا فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
فقد تمنيت لها ولنفسك الرق والجرب والرمى والطرء والمسوخ ، فأى مكروه
لم تمن لها ولنفسك ؟ لقد أصابها منك قول القائل : معاداة عاقل خير من مودة
أحمق ، فجعل يخلج جسده كله ، وقام القوم يضحكون .

∴

أما الموازنات الأدبية فقد سبق ذكر الكثير منها مما وقع بين الشعراء وفى
مجالس الخلفاء وستأتى موازنات كثيرة بين شعراء الغزل وبين الفرزدق وجريز
والأخطل

ومن أشهر الأدباء النقاد فى هذا العصر : سكينه بنت الحسين ، وعبد الملك بن
مروان ، ولهما مجالس كثيرة فى النقد وتفضيل الشعراء
وسنفرد عبد الملك بالتأليف فى كتاب مستقل سيصدر قريباً إن شاء الله

(١) نعزب : نبعد فى المراعى .

(٢) العر بالفتح والضم : الجرب ، وداء يتمعط منه وبر الابل .

٣، البكر : الناقة الفتية ، وناقة هجان : بيضاء كريهة ، والمصعب . الفحل

الذى يترك فلا يركب

شعراء الحماسة

الأمويون

قعناب — حريث النهاني — شعيب — جواس — عبد الرحمن بن الحكم —
زياد الأعجم — ليلى الأخيلية — الحزين — أعشى بن أبي ربيعة — السكيت — الأخطل
طخيم الأسدي — أبو عطاء السندي — سعد بن ناشب — قطري ابن
الفجاءه — سوار بن المضرب السعدي — زفر بن الحارث الكلابي « تابعي » —
القتال الكلابي — الأحوص — الطرماح — زيادة الحارثي — حريث بن عتاب النهاني —
عويف القوافي الفزارى — بشير بن المغيرة — أبو صخر الهذلي — أرطاة بن سمية —
عقيل بن علفة المري — أبو الأبيض العبسي — هذبة بن الخشرم — قوال الطائي —
وضاح الين — الفرزدق — العديل العجلي — محمد بن بشير — الشمر دل — أرطاة بن
سمية — العجير السلولى — عيد الله بن الزبير — منقذ الهلالي — الأبيرد — شبيب بن
البرصاء — عبد الله بن همام السلولى — المقنع الكندي — عبد الله بن معاوية بن
عبد الله بن جعفر — المتوكل الليثي — يزيد بن الحكم — الصلتان العبدى — الصمة بن
عبد الله — ابن الدمينه الخثعمي — ابن أذينة — العرجي — ابن المسور — عمر بن أبي
ربيعة — الحارث المخزومي — كثير — نصيب — الحكم الخضرى — أبو جميل
راوية هذبة وروى كثير لجميل — عملس — زميل — منقذ الهلالي — أبو الغول
الطهوى — مضر بن ربعي — طريح

أوائل الكتب المؤلفة في الشعر والشعراء

ولقد عنى العلماء منذ مطلع القرن الثالث الهجرى بالتأليف في الشعر والشعراء ، وأخرجوا في ذلك الكثير من المؤلفات ، فقد ألف في الشعر والشعراء ، وطبقاتهم وفي دراسات أشعارهم كثير من العلماء الذين أخرجوا أنفس المؤلفات في هذه الناحية ، ويمكننا أن نعرض عليك أسماء هذه المؤلفات الآن التي لم يحاول أحد معرفتها أو الإلمام بها من قبل وها هي ذى :

١ - كتاب الأربعة في أخبار الشعراء ، وكتاب صناعة الشعر لأبي هفان المهزومي م ١٩٥ هـ (١) .

٢ - كتاب الشعر والشعراء لأبي دعامة العبسي أحد من انقطع إلى البرامكة (٢) .

٣ - كتاب الشعر والشعراء لأبي عبيدة م ٢٠٩ هـ (٣) .

٤ - طبقات الشعراء لأبي المنعم (٤) .

٥ - كتاب الشعراء لعبيد الله بن أبي سعيد الوراق (٤) .

٦ - كتاب الشعر للأصمعي م ٢١٦ هـ (٥) ، وله كتاب معاني الشعر ١ ،

ولابن أخته عبد الرحمن كتاب معاني الشعر (٧) ، والفضل كتاب معاني الشعر (٨) ،

وكذلك لابن كناسة م ٢٠٧ هـ (٩) ، وابن الأعرابي م ٢٣١ هـ (١٠) ،

والأشناداني م ٢٥٧ هـ (١١) ،

(١) ٢٠٧ فهرست ، ٢٨٨ / ٤ معجم الأدباء .

(٢) ٧١ فهرست . (٣) ٧٩ فهرست .

(٤) ١٥٨ فهرست . (٥) ٢٢١ الوسيط .

(٦) ٨٢ فهرست (٧) ٨٣ فهرست (٨) ١٠٢ فهرست :

(٩) ١٠٥ فهرست : (١٠) ١٠٢ فهرست .

(١١) ٨٩ و ١٢٣ فهرست :

- وكذلك ابن السكيت (١) م ٢٤٤ هـ ، وابن قتيبة [١١٥ فهرست] :
 ٧ — أخبار الشعراء للبدائي م ٢٢٥ هـ (٢) .
 ٨ — طبقات الشعراء الجاهليين ، وطبقات الشعراء الاسلاميين لمحمد بن سلام الجعفي م ٢٣١ هـ (٣) :
 ٩ — طبقات الشعراء لاسماعيل بن يحيى بن المبارك اليزيدي (٤) .
 ١٠ — كتاب طبقات الشعراء وكتاب ألقاب الشعراء لأبي حسان الزياتي م ٢٤٣ هـ (٥) :
 ١١ — كتاب الشعراء وأنسابهم وكتاب الشعراء وطبقاتهم لأبي جعفر محمد بن حبيب م ٢٤٥ هـ (٦) .
 ١٢ — طبقات الشعراء لدعبل م ٢٤٦ هـ (٧) .
 ١٣ — الشعر والشعراء لمحمد بن عبد الله الجعفي (٨) ، وهو شاعر عاصر البحتري ، وله كتاب أدب الشعر (٩) .
 ١٤ — كتاب الشعراء للقاسم بن سلام (١٠) .
 ١٥ — عد رسائل في أخبار الشعراء للزبير بن بكار م ٢٥٦ هـ (١١) .

- (١) ١٠٨ فهرست (٢) ٣١٦ ج ٥٥ معجم الأدباء
 (٣) راجع ٦٥ فهرست .
 (٤) ٧٦ فهرست ، ووالده يحيى م ٢٠٢ هـ وأستاذ المأمون .
 (٥) ١٦٠ فهرست ، ١٤٥ ج ٣ معجم الأدباء .
 (٦) ١٥٥ فهرست ، ٤٧٦ ج ٦ معجم الأدباء . وله كتاب معاني جرير
 [١٥٩ فهرست] (٧) ٢٢٨ فهرست ، ١٩٧ ج ٤ معجم الأدباء .
 (٨) ١٥٩ فهرست . (٩) ٢٤٣ فهرست .
 (١٠) ١٠٦ فهرست .
 (١١) ١٦١ فهرست ، وميلاد الزبير عام ٢١٨ هـ .

- ١٦ — عدة رسائل في الشعر والشعراء لحمد بن إسحاق الموصلي و١،
 ١٧ — كتاب الشعر والشعراء لابن المرزبان (٢)،
 ١٨ — كتاب الشعروالشعراء وكتاب طبقات الشعراء، وكتاب الاغانى لعمر
 ابن شبة (١٧٢ - ٢٦٢ هـ (٣))
 ١٩ — كتاب الشعر والشعراء لأبي جعفر محمد بن أحمد البرقي م ٢٧٤ هـ (٤)
 ٢٠ — كتاب الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى
 (٢١٣ - ٢٧٦ هـ (٥))
 ٢١ — كتاب أخبار الشعراء لابن أبي خيثمة م ٢٧٩ هـ (٦).
 ٢٢ — كتاب الشعراء القدماء والاسلامية لأبي الحسن علي بن يحيى المنجم
 ٢٧٥ هـ (٧)
 ٢٣ — أخبار الشعراء لمحمد بن يحيى بن أبي منصور المنجم (٨) وهو أخو ع-لى
 ابن يحيى المنجم .
 ٢٤ — الجامع فى الشعر وأخبارهم لأحمد بن أبى طاهر طيفور (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ (٩)
 ٢٥ — الشعر والشعراء لأبى حنيفة الدينورى م ٢٨٢ هـ (١٠)
 ٢٦ — الروضة ، والكامل ؛ وقواعد الشعر : والبلاغة ، للبرد (٢١٠ -
 ٢٨٥ هـ (١١))

-
- (١) ٢٠٤ فهرست .
 (٢) ٢١٤ فهرست .
 (٣) ١٦٣ فهرست ، ٤/١٩٤ معجم الأدباء .
 (٤) ٢/٣١ معجم الأدباء (٥) ١١٦ فهرست . (٦) ٣٢١ فهرست .
 (٧) ٢٠٥ فهرست ؛ ٤٥٩ ج ٥ معجم الادباء ٥١ ج ٢ وفيات .
 (٨) ٢٠٥ فهرست . (٩) ٢١٠ فهرست ١/١٥٥ معجم الأدباء
 (١٠) ١١٦ فهرست ، ١٢٧ ج ١ معجم الادباء
 (١١) ٨٨ فهرست ، وقد جمع فى الروضة أشعارا للمحدثين من أبى نواس إلى
 من عاصرهم المبرد [راجع ١٢٢ المثل السائر] ، وينقد صاحب العقد اختياراته فى
 هذا الكتاب [١٤١ ج ٤ العقد] .

٢٧ - معاني الشعر: للبحرئى م ٢٨٤ هـ ، ولشعلب م ٢٩١ هـ . ولشعلب د قواعد الشعر ، أيضا (١) .

٣٨ - كتاب البارع وهو اختيار شعر المحدثين ، وكتاب اختيار الشعراء الكبير لأبى عبد الله هارون بن على المنجم (٢٥١ - ٢٨٨ هـ) (٢)

٩ - طبقات الشعراء لابن نجيم (٣) .

٣٠ - الشعر والشعراء لعلى بن مرشد (٤)

٣١ - الشعر والشعراء لمحمد بن احمد بن الحرون ، وله كتاب المطابق والتجنيس أيضا (٥)

٣٢ طبقات الشعراء المحدثين وكتاب أشعار الملوك لابن المعتز م ٢٩٦ هـ (٦) وله رسالة فى نقد أبى تمام (٧)

٣٣ - الشعر والشعراء وكتاب الأربعة وكتات الورقة وكتاب من سمي من الشعراء عمرا ، لأبى عبد الله محمد بن داود بن الجراج (٢٤٣ — ٢٩٦ هـ) (٨) .

(١) ١٠ و ١١ فهرست .

(٢) ٢٠٦ فهرست ، ٤٨٥ معجم الشعراء ، ٢٣٥ ج ٦ معجم الأدباء ، ١/١٣١ وفيات . (٣) ص ١ طبقات ابن المعتز

(٤) ٧١ فهرست . (٥) ٢/٢١٢ فهرست ، ٢٧٩ ج ٦ معجم الأدباء

(٦) ١٦٩ فهرست و ٢٢١ ج ٣ شذرات ، ٤٦٢ ج ١ وفيات .

(٧) ٣٠٧ - ٣١٩ الموشح ، ولقدامة كتاب الرد على ابن المعتز فيما خطأ فيه

أبا تمام [٢٠٤ ج ٦ معجم الأدباء]

(٨) ١٨٦ فهرست ، وورد اسم كتاب الورقة فى الموازنة للآمدى كثيرا

[٦١ و ٨٥] وكان ابن داود من علماء الكتاب فاضلا عارفا بالايام والاخبار

[٢٥٥ ج ٥ تاريخ بغداد ، ١٨٥ فهرست] ، والده صاحب الزمام فى عهد المنة وكل

[٤٣ ج ١ الفرج بعد الشدة]

- ٣٤ - كتاب الباهر في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين ليحيى بن علي المنجم [٢٤١ - ٣٠٠ هـ ^(١)] ، ولابنه أحمد ذيل عليه (٢) .
- ٣٥ - كتاب الإشـارة في أخبار الشعراء لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر [٢٢٢ - ٣٠٠ هـ ^(٣)] .
- ٣٦ طبقات الشعراء الجاهليين لأبي خليفة الفضل بن الحباب الجحى م ٣٠٥ هـ ^(٤)
- ٣٧ - مناقضات الشعراء لابن بسام م ٣٠٢ هـ ^(٥) .
- ٣٨ - الشعر والشعراء وكتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوى م ٣٢٢ هـ ^(٦) .
- ٣٩ - كتاب صناعة الشعر الأدب لأبي زيد البلخي م ٣٢٢ هـ ^(٧)
- ٤٠ - الشعر والشعراء لابن السراج م ٣١٦ هـ ^(٨) .
- ٤١ - الباهر في الاختيار من أشعار المحدثين عارض به روضة المبرد ، والشعر والشعراء (لم يتم) ، ومحاسن أشعار المحدثين لجعفر بن حمدان الموصلى (٢٤٠ - ٣٢٣ هـ ^(٩))
- ٤٢ - أخطاء أبي تمام لأبي العباس الثقفى أحمد بن عبید الله بن عمار القطربلى الكاتب المعروف بالفريد ، أبان فيه أخطاء أبي تمام وما فى شعره من هجين اللفظ وبعيد الاستعارة ^(١٠) ، ونقده الآمدى ^(١١) فى كتاب مستقل ^(١٢) ألحقه بالموازنة ، وتوفى ابن عمار عام ٣١٤ هـ ^(١٣)

(١) ٢٠٦ فهرست ، ٢٨٨ ج ٧ معجم الأدباء ، ٢٠٨ ج ٣ وفيات .

(٢) ٢٠٦ فهرست . (٣) ١٧٠ فهرست .

(٤) ١٦٥ فهرست . (٥) ٢١٤ فهرست ، ٤٥ ج ٢ وفيات .

(٦) ١٩٦ فهرست . والآمدى م ٣٧١ هـ كتاب ما فى عيار الشعر لابن

طباطبا من الخطأ وكتاب تبين غلط قدامة فى نقد الشعر [٥٨ ج ٣

معجم الأدباء] . (٧) ١٩٨ فهرست (٨) ٩٣ فهرست

(٩) ٢١٣ فهرست ، ٤١٩ ج ٢ معجم الأدباء (١٠) ٦٢ الموازنة

(١١) ٦٢ - ٦٩ من الموازنة

(١٢) ٥٨ ج ٣ معجم الأدباء ، ١٢٥ الموازنة ، ٢٢١ فهرست

(١٣) راجع ترجمته فى ٢٥٢ - ٢٥٣ ج ٤ تاريخ بغداد

٤٣ -- كتاب طبقات الشعراء بالآندلس لعثمان بن ربيعة الأندلسي ذكره
الحيدى قريبا من سنة ٣١٠ هـ (١).
وسوى ذلك من شتى المؤلفات فى هذا الباب .

دواوين الشعراء

ولشعراء صدر الاسلام وعصر بنى أمية دواوين كثيرة مطبوعة ، ومنها
دواوين طبعت عدة مرات .

وسأذكر هنا الطباعات القديمة لبعض هذه الدواوين .

فمنها ديوان للامام على بن أبى طالب وقد طبع مراراً وهو مرتب على حروف
المعجم وطبع ببولاق عام ١٢٥١ هـ

وديان أبى محمد الثقفى الصحابى وشرحه لأبى هلال الحسن بن سهل وقد
طبع فى مدينة ليدن سنة ١٣٠٣ للهجرة من ضمن المجموعة المسماة بالطرف العربية
وديان مختارات شعراء العرب وبه خمسون قصيدة وهو مطبوع
بمطبعة أبى زيد بمصر سنة ١٢٠٦ وديوان عمر بن أبى ربيعة المتوفى سنة ٩٣ وجميع
شعره فى الذئيب ولم يمدح أحدا ولذا قال له سليمان بن عبد الملك لم لا تمدحنا
فقال إنما أمدح النساء لا الرجال وقد طبع هذا الديوان بمصر سنة ١١٣١ .
وديان الفرزدق المتوفى بالبصرة سنة ١١٠ بعد أن عاش نحو مائة سنة وقد تم
طبعه بمدينة باريس سنة ١٨٧٥ للميلاد وطبع بمصر عدة طباعات . وديوان
جرير المتوفى سنة ١١١ باليمامة وقد طبع بمصر . وديوان مجنون ليلى وهو
شاعر إسلامى وقد طبع سنة ١٢٩٤ بمطبعة بولاق . وديوان ذى الرمة المتوفى
سنة ١١٧ للهجرة . وديوان العجاج وديوان ابنه روبة المتوفى سنة ١٤٥ وليس
فيهما إلا أراجيز . والمفضليات وهى أشعار مختارة جمعها للمهدى المفضل الضبي
وقد طبعت بمدينة ليبسيك طنة ١٨٨٥ للميلاد :

وديان الحماسة وهو ديوان جمع فيه أبو تمام ما اختاره من أشعار العرب ورتبه على عشرة أبواب: الحماسة والمراثي والادب والنسيب والهجاء والاضافات والصفات والسير والملح ومذمة النساء وهو مطبوع مع شرحه لأبي زكريا يحيى الشهر بالخطيب النبريزي سنة ١٢٩٦ بمطبعة بولاق في سفرين وطبع عدة طبعات أخرى وطبع مختصر له مع شرح مناسب

بعض أشهر كتب الادب والتراجم

- الآغانى لأبى الفرج ٢٥٦ هـ - حماسة أبى تمام ٢٣١ هـ
- شعراء النصرانية وهو قسمان كل قسم أجزاء جاهلي وأسلمي .
- مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ٢٥١ هـ مخطوط بمكتبة تيمور باشا
- نزهة الالباء في طبقات الأدباء لابن انبارى م ٥٧٧ هـ. الصلة لابن بشكوال م ٥٧٨ هـ
- دمية القصر للباخرزى م ٤٦٧ هـ
- خريدة القصر لعماد الدين الاصفهاني م ٥٩٦ هـ
- تاريخ بغداد ١٤ مجلدا للخطيب البغدادي م ٤٦٣ هـ
- الآلى في شرح أمالى القالى للبكرى م ٤٨٧ هـ
- قلائد العقيان لابن خاقان م ٥٣٥ هـ
- تاريخ دمشق لابن عساكر منه سبع وثلاثون مجلد بدار الكتب مخطوطة
- معجم الأدباء لياقوت م ٦٢٦ هـ عشرون جزءا
- شرح مقامات الحريري للشريشى م ٦٠٩ هـ
- أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى م ٦٤٦ هـ
- اللباب في معرفة الأنساب لابن الاثير م ٦٢٠ صاحب الكامل في التاريخ
- تهذيب الاسماء واللغات للنووى م ٦٧٦ هـ
- خلاصة اسماء رجال الحديث للخزرجي من علماء القرن العاشر
- وفيات الأعيان لابن خلكن م ٦٨٩ هـ
- الوافى بالوفيات للصفدى م ٧٦٤ هـ
- شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين بن نباته المصرى م ٧٦٨ هـ

- الطبقات الكبرى للشافعية لابن السبكي م ٧٩٩ هـ
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للعسقلاني م ٨٥٢ هـ
الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي من علماء القرن التاسع
حياء الحيوان للدميري م ٨٠٨ هـ
خزانة الأدب للبغدادى م ١٠٩٣ هـ تليذ الشهاب الخفاجى م ١٠٦٩
معاهد التنصيص للعباسى م ٩٦٠
نفح الطيب للمقرى م بعد ١٠٤١ هـ
شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد سنة ١٠٨٩
خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر للمجى م ١١١٢ هـ
خبايا الزوايا للشهاب الخفاجى م ١٠٦٩ هـ
سلافة العصر لابن معصوم م ١١٠٤ هـ
طبقات الصحابة - أسد الغابة - لابن الأثير
ومن السكتب الحديثة عن الشعراء ومختارات شعرهم :
مختارات البارودى الشاعر الكبير

كتاب شعراء النصرانية جمعه وصححه الاب لويس شيخو اليسوعى .
اربعة اقسام فى شعراء الجاهلية مطبوع فى بيروت سنة ١٨٩٠ للميلاد . وقد
جمع السيد توفيق البكرى كتابا جميلا فى المختار من اراجيز العرب مفسر للغريب
وشارحا للمعاني ومبينا للمعقبات طبعه سنة ١٣١٣ للهجرة : وقد صنف ايضا
كتابا نافعا سماه فحول البلاغة قال فى أوله : هذا سفر وضعناه فى المختار من شعر
ثمانية من فحول الشعراء وأئمة البلاغة وامراء الكلام وهم مسلم بن الوليد صريع
الغوانى وابو نواس الحسن بن هانئ وأبو تمام حبيب بن أوس الطائى وأبو عبادة
البحترى وابن الرومى على بن عباس وابن المعتز وأبو الطيب احمد المتنبى وأبو العلاء
المعرى ، وقد طبعه بالمطبعة الأميرية سنة ١٣٠٣ للهجرة

الرجز في العصر الاموى

١ - كان الشعر الجاهلى قبل أن ينتقل إلى النهضة الفنية الواسعة على يد مهلهل وامرى القيس كان كله رجزا ، ينطق الشاعر بالبيت أو البيتين ، فيما يعرض له من شئون الحياة ، كالأبيات التى تؤثر عن ديد بن زيد والعنبر بن عمرو بن تميم وأعصر بن سعد والمتوعر بن ربيعة وسواهم^(١)

ولكن هذا الرجز كان خاليا من آثار التهذيب ، وخمل شأنه ببدء النهضة الفنية فى الشعر على يد امرى القيس وسواه

٢ - ثم جاء الاغلب العجلى ، فاتخذ الرجز صناعة فنية ونظم وأجاد فيه فكان الاغلب أول من طول شعر الرجز ، ويرى بعض النقاد كالجحى وغيره أنه أول من رجز ، وينفى ذلك ابن رشيق لأن الاغلب أدرك عصر الرسول (ص) وليس بتقديم جدا مع ان الرجز كان قبله . ويذكر أبو عبيدة أن العجاج هو أول من أطال الرجز وقصده وشبب فيه وذكر الديار واستوقف الصحاب عليهم واستوصف ما فيها وبكى على الشباب ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيدة فكان فى الرجاز كامرئ القيس فى الشعراء وارجوزته قد جبر الدين الاله فجبر ، نحو من مائة بيت وهى موقوفة مقيدة^(٢) ، ويؤيد ابن قتيبة أن الاغلب هو أول من أطال الرجز^(٣) وهو الصحيح . وأما العجاج فقد انتقل بالرجز خطوة جديدة فسار فيه على نهج الشعراء فى القصيدة

٣ - واشتهر بعد الاغلب من الرجاز : العجاج وابنه رؤبه ، وأبو نخيلة ، وأبو النجم ، ودكين ، والاغلب

..

(١) ٢٩٤ و ٢٩٥ ج ٢ المزهري ، ١٨ - ٢١ طبقات الشعراء .

(٢) راجع فى ذلك كله ص ٢٠١/٢ المزهري ، ٢٤٥ وما بعدها طبقات الشعراء

(٣) ٢٣٥ الشعر والشعراء

ومن الرجا زين في العصر الاموى : العجاج ، ورؤبة م ١٤٥ هـ ؛ وأبو النجم
العجلي وكان بالكوفة وراجز العجاج وأرجوزته الحمد لله الوهوب المجزل ،
أجود أرجوزة للعرب كما يقول ابن قتيبة^(١) ومدح هشام بن عبد الملك ، وتوفى
عام ١٣٠ هـ

ومن الرجاز : دكين ومدح عمر بن عبد العزيز وهو وال على المدينة
والأغلب الرأجز أشهرهم وهو من المخنصرين وأول من أطال الرجز وكان
الرجل قبله يقول البيت والبتين إذا فاخر أو شاتم كما يقول ابن قتيبة^(٢)

(١) ٢٣٢ الشعر والشعراء

(٢) ٢٣٥ الشعر والشعراء

خاتمة

وبعد فهذا هو نهاية كتابنا الجديد ، الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام ،
وسنتبعه بكتاب ثان عنرازه ، أعلام الادب في عصر بني أمية ، نحلل فيه حياة
وأدب جميع الشعراء والكتاب والخطباء والأدباء الأمويين وأثارهم الفنية
وخصائصهم ومنزلتهم الأدبية بين أعلام الادب وأشعر في هذا العصر العظيم .
وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

١١ ربيع الأول ١٣٦٩ — أول يناير ١٩٥٠

محمد عبد المنعم صفاهي

الأستاذ في كلية اللغة العربية

تقدير ملكي كريم

كان المؤلف قد رفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم حفظه الله نسخة من كتابه « ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان » ، فتلقى من معالي كبير الأماناء الخطاب الآتي :

ديوان كبير الأماناء

حضرة المحترم الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
أتشرف بإبلاغ حضرتكم أنني رفعت إلى السدة العلية الملكية النسخة التي قدتموها لحضرة صاحب الجلالة الملك من مؤلفكم « ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان » ، فتفضل أعزه الله فأولاهها حسن القبول ، وإنني أتشرف بإبلاغ حضرتكم ذلك مع الشكر السامي .

وتفضلوا حضرتكم بقبول وافر الاحترام .
كبير الأماناء
عبد اللطيف طلعت
تحريراً في ٢١ يوليو ١٩٤٩
(إمضاء)

وإنني لا أنتهز هذه الفرصة فأرفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الفاروق المفدى حفظه الله أصدق آيات الولاء وأعظم شعائر الاجلال والاخلاص والوفاء مع الدعاء لجلالته بأن يحفظ الله عرشه ويؤيد ملكه ويكلاؤه ويرعاه لمجد الوطن والعروبة والشرق والاسلام ، وأن يديمه ملاذاً للثقافة والعلم والحضارة .

محمد عبد المنعم خفاجي
الأستاذ بكلية اللغة العربية

مطبوعات المؤلف

- ١ - شرح البديع لابن المعتز نشر مطبعة الحلبي ١٩٤٥ - ١٣٦ صفحة
- ٢ - رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والإجتماع نشر مصطفى الحلبي ١٩٤٦ - ١٤٤ صفحة
- ٣ - قواعد الشعر لتغلب شرح المؤلف ونشر مصطفى الحلبي ١٩٤٨
- ٤ - التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي ط ١٩٤٨ المطبعة الفاروقية
- ٥ - الشعر العربي أوزانه وقوافيه نشر مصطفى الحلبي ١٩٤٨ - ١٣٠ صفحة
- ٦ - فن الشعر : دراسات في العروض نشر مطبعة محمود صبيح بالآزهر ط ١٩٤٩ - جزءان
- ٧ - فصيح تغلب والشروح التي عليه ط ١٩٤٩ - مكتبة التوحيد بدرب الجمايز - ٤٠٠ صفحة
- ٨ - الحياة الأدبية في العصر الجاهلي نشر محمود توفيق ١٩٤٩ - ٢٧٦ صفحة
- ٩ - أعلام الشعر الجاهلي - مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩ - بالاشتراك مع استاذ - ١٢٥ صفحة
- ١٠ - ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان - مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩ - ٤٠٠ صفحة
- ١١ - الشعراء الجاهليون - مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩ - ٢٠٠ صفحة
- ١٢ - أحلام الشباب ديوان شعر - دار الأنوار ط ١٩٤٩
- ١٣ - شرح متن التلخيص - مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩
- ١٤ - حكومة القاضي الجرحاني في النقد الأدبي - ط صبيح ١٩٤٩
- ١٥ - شرح الايضاح في علوم البلاغة - ٦ أجزاء - نشر مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩
- ١٦ - الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام - نشر مكتبة الحسين ١٩٤٩ - ٦٠٠ صفحة
- ١٧ - مرشد البيان في البلاغة - دار الأنوار ١٩٤٩
- ١٨ - توبة شاعر البطولة - دار الأنوار ١٩٤٩
- ١٩ - وحى العاطفة ديوان شعر ط ١٩٣٦
- ٢٠ - نشيد الصحراء ط ١٩٤٧

فحت الطبع :

- ١ - أعلام الادب فى عصر بنى أمية - ٤٠٠ صفحة
- ٢ - التجديد فى الشعر العربى - ٣٠٠ صفحة
- ٣ - مختارات من الادب الحديث - خمسة أجزاء
- ٤ - الشاعر الخالد ابن هانى شاعر المعز الفاطمى .
- ٥ - أعلام الادب العباسى - بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور حسن جاد المدرس بكلية اللغة العربية - ٦٠٠ صفحة
- ٦ - عبد الملك بن مروان الخليفة الأديب الناقد - بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور حسن جاد .

ابن المعـتـز

ورائـه في الـادب والنقد والبيان

تأليف محمد عبد المنعم خفاجي

نشرت جريدة المصرى كلمة عن هذا الكتاب جاء فيها
هذا سفر جديد ، ألفه محمد عبد المنعم خفاجي الأستاذ بكلية اللغة العربية ،
ونشرته مكتبة الحسين التجارية لصاحبها محمود توفيق بالقاهرة ، فى أربعمئة صحيفة
من الحجم الكبير على ورق أبيض مصقول .
تناول مؤلفه فيه ابن المعتز الخليفة العباسى الشاعر الأديب الكاتب والناقد
العالم المؤلف المتوفى ٢٩٦ هـ ، وحياته وشعره وأدبه وآثاره فى النقد والبيان
بالدراسة والتحليل والنقد .
وهو أول كتاب يؤلف وينشر فى الأدب العربى عن ابن المعتز وآثاره
الفنية والأدبية والعلمية .
ويمتاز بدقة البحث ؛ وعمق الدراسة وتنوعها ، وتعدد ألوان التجديد فى مناهج
النقد الأدبى ، وبكثرة المصادر المخطوطة والمطبوعة .
وقد صدره مؤلفه بكلمة عن الفاروق ، وفيض رعايته وتشجيعه
وعطفه على النهضة الفكرية والعلمية والأدبية .
ولاشك أنه جهد كبير يستحق مؤلفه عليه الثناء والتقدير .

الشعراء الجاهليون

هذا كتاب جديد حقاً، جديد في بابهِ وفنهِ ومنهجهِ وموضوعهِ ، ولست أقصد بذلك أن المؤلف قد خلق موضوعه من عند نفسه أو ابتكر مادة الكتاب من خياله، فالكتاب هو عرض شيق ، ودراسات واسعة للشعراء الجاهليين ولاشهر القصائد الجاهلية . وقد كتبها المؤلف ونشرها لتكون مرجعاً من مراجع البحث الأدبي في العصر الجاهلي ، وهي مرجع حقاً ولكنها مع ذلك شيء آخر نحن أحوج إليه . لا يكاد القارئ يبدأ فيه حتى يستغرقه جماله وفنّه وبهجته ، ويستأثر بعقله وقلبه جميعاً . سهولة في تأليف الألفاظ . وتنسيق الجمال ، وقوة وبراعة في ترتيب الموضوعات وشرح المسائل ومناقشة الآراء والنظريات المختلفة، تجدها كلها مؤلفة في هذا الكتاب تأليفاً يوافق طبعك وسليقتك، ويشعرك الحاجة إلى دراسة الأدب العربي وإلى الانتاج فيه ويورثك الرغبة الدافعة إلى قراءة الأدب والوقوف على آثاره .

وكنيت مازلت اعتقد أن الكتاب الحقيقي بهذا الاسم والجدير بالعناية والاحتفال هو الذي يعلننا من الدرس ما يشعر قلوبنا حب الأدب ويبتئ فينا روحه ، ويحملنا على العناية بتأريخنا الأدبي وحضارة أسلافنا الأدبية والعقلية؛ وروح المؤلف وشخصيته الخصبة التي يمتاز بها تضيء على الكتاب هذا اللون وتطبعه بهذا الطابع وترفعه إلى مقام الجريدة بين النملة الغليظة التي تظفر بها المكتبة العربية بين حين وحين .

وهذا هو ميزة المؤلف في كل ما ينشره من البحوث والموضوعات فهما يكن شأن الموضوع الذي يكتب فيه والفن الذي يعالجه فان عقله المبتكر وتفكيره الطبع يضفيان عليه من طابع الجودة والأناقة ما يميزه عن كل ما هناك من البحوث والموضوعات .

ولست في حاجة إلى التدليل على شيء مما أقول فإن هذا الكتاب يسرني
أن أقدمه لقراء العربية جميعا
لقد قرأت الكتاب فشعرت شعورا قويا بحاجة المكتبة العربية لآلِهِ
وَحده بل إلى دراسات الاستاذ المؤلف للعصور الأدبية كلها، والبيئات العربية المختلفة
فالاستاذ عبد المنعم خفاجي هو في رأيي خير من يناط الأمل به في درس هذه العصور
والبيئات وآثارها الأدبية وخصائصها اليبانية أسأل الله أن يطيل أجله ويبارك ثمره
وينفع به الطلاب جميعا ؟ محمد علي هدية - مدرس

دراسة وتحليل لكتاب :

التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي

١ - هذا كتاب جديد في النقد والموازنة ، وهو بحث طريف في الادب ، طريف في بابه وفنه ومنهجه وموضوعه . ومولفه الفاضل الاستاد محمد عبد المنعم خفاجي أديب معروف بعمق نظره ، وقوة ملاحظته ، ورسوخ قدمه في العلم ، وبسعة إطلاعه وبراعته ألفاائة في تحليل المعاني ، وقدرته على التعبير الواضح البليغ ، وهو مع ذلك شديد الحياة جم الادب موفور الكرامة غنى بعلمه وفضله عن المجد الكاذب والشهرة الزائفة ، وتقرأ الجملة الاولى من المقدمة فتشعر بهذه الميزات كلها تبرز بروزا واضحا لا غموض فيه ، أسأله أن يودع صدورنا نور الحكمة ، ويشعر قلوبنا عز الحق ، وأعوذ به من العجب بما أحسن ، كما أعوذ به من التكلف لما لا أحسن . وأسأله من التوفيق ما يعصمنا من الخيرة ، ويهديننا سواء السبيل .

٢ - وعبد الله بن المعتز خليفة أدركته حرفة الادب منذ صغره . وشعره صورة صادقة لنفسه ، وصورة صادقة لعصره ، وصورة صادقة للفن الخالص والادب العالي ، وهو من مراجع الادب والسياسة والاجتماع ، فوق أنه ثروة فنية عظيمة . والمؤلف قد جلى الناحية الفنية في شعره في كتابه : التشبيه ، وأفاض في شرحها إفاضة الباحث الموهوب .

٣ - ونحن بازاء فحل آخر من فحول الشعروالادب لم يكن كصاحبه ذا نعمة وجاه وترف ، بل عاش طول حياته على الكفاف لا يكاد يجد حاجته الضرورية ولم يكن حظه من الدهر إلا هذه الموهبة الفنية التي لا تغنى عن الفقر شيئا ، وان أبدعت للتاريخ والفلسفة والادب قصيدا خالدا عميقا ، لا يزل مجال البحث واختلاف الرأي ؛ إلى يومنا هذا .

ذلكم هو ابن الرومي وقد أنصفه المؤلف في كتابه، وهو عندي خليق بذلك ولم يزل في حاجة إلى مزيد من الانصاف. ولا شك أن هذه الدراسة الفنية لشعر ابن الرومي جديدة كل الجدة عميقة كل العمق .

والكتاب آية من آيات المؤلف، وطرفه نادرة من طرفه، لاسبيل إلى الشك في عمقها وجدتها وحسن عرضها، وأنا أسأل الله له التوفيق؛ ولطالابه حسن الانتفاع به ؟ محمد هدية — مدرس

فهرست

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
النثر الفني	٦٩ - ١٨٢	الكلمة الأولى	٣
نماذج	٦٩ - ٩٢	منهج الدراسة	٤
بين الزبرقان وابن الأهم	٦٩	٧ - الحياة الأدبية في صدر الإسلام	٣١٩
من حكم الرسول	٧٠	٨ - عصر صدر الإسلام	
تأبين أبي بكر للرسول	٧١	١٠ - الجاهليون والمخضرمون	
تأبين عائشة لأبيها	٧١	١٢ - الإسلام وأثره في الحياة الاجتماعية	
الأحنف وعمر	٧٢	١٣ - وفي الحياة العقلية	
إسلام أبي ذر	٧٣	١٤ - وفي الحياة السياسية	
وفاة النبي	٧٤	١٥ - وفي الحياة الأدبية	
وصف عمر وعلى	٧٦	١٦ - أثره في اللغة العربية	
للحسن وللإمام على	٧٧	٢٠ - القرآن الكريم	٥٣
من حكم الرسول	٧٩	٢١ - نزوله	
من حكم أبي بكر	٧٩	٢٣ - موضوعات السور	
من حكم عمر	٨٠	٢٤ - أسلوب القرآن	
من حكم عثمان وعلى	٨٠	٢٧ - جمع القرآن	
استمناح أعرابي لعلي	٨١	٣١ - رواية القرآن وقرائمه	
بين أبي بكر وعمر وعلى	٨٢	٤٠ - أثره في اللغة والأدب	
كتاب على إلى الأشتر	٩٠	٤٢ - خصائصه	
النثر ومميزاته	٩٣ -	٤٤ - إعجاز القرآن	
تمهيد	٩٣	٥٤ - ٦٨ - أحاديث رسول الله	
شبهة للمستشرقين	٩٦	٥٤ - البلاغة النبوية	
وصف النثر الفني	٩٨	٥٨ - جوامع كلمه (ص)	
موضوعات النثر	٩٩	٦١ - خصائص البلاغة النبوية	
معانيه وأسلوبه	١٠٠	٦٢ - أثر الحديث في اللغة والأدب	
موازنة	١٠١	٦٣ - الرسول والشعر	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
نشأته	١٢٠	الخطابه	١٠٢ — ١٦٥
ألوان من حياته	١٢١	نماذج	١٠٢ — ١٢٤
نهج البلاغة	١٢٢	خطب لرسول الله	١٠٢
بلاغة على	١٣٤	الخطبة المدنية الاولى	١٠٣
بعض آثار لعلي	١٣٥	خطبة الوداع	١٠٤
الخطبة الشقشقية	١٢٧	خطبة ابي بكر يوم السقيفة	١٠٦
من حكم على	١٤٠	وصية ابي بكر ليزيد	١٠٧
على والشعر	١٤٥	خطبة لعمر	١٠٩
عمر ١٦٥ — ١٤٧		خطب له	١١٠
حياته	١٤٧	خطبة لعثمان	١١١
بلاغته	١٤٨	خطبة ام الخير	١١١
عمر والشعر	١٥١	خطبة على بعد التحكيم	١١٥
عمر وأبو كلاب	١٥١	خطب لعلي	١١٦
عمر وأبو محجن	١٥٣	خطب لابي بكر ولعثمان	١١٨
عمر والخطبة	١٥٥	خطبة لفاطمة الزهراء	١٢٠
عمر والشعر	١٦١	خطبة لابي بكر بعد الردة	١٢١
آثار لعمر	١٦١	خطبة لعلي	١٢٢
رسائله في القضاء	١٦٣	خطبة لعائشة	١٢٣
الكتابة الفنية	١٦٦	١٢٥ — ١٢٨ وصف الخطابة	
نماذج ١٧٦ — ١٦٦		تمهيد	١٢٥
كتب للرسول	١٦٦	أسباب رقي الخطابة	١٢٥
لأبي بكر	١٦٩	أغراضها	١٢٦
كتب لعمر	١٧١	أسلوبها وألفاظها	١٢٧
بين علي ومعاوية	١٧٤	معانيها	١٢٨
وصية ابي بكر لعمر	١٧٥	أعلام الخطباء	١٢٩
كتاب عمر إلى أبي موسى	١٧٥	١٢٩ — ١٤٦ علي بن أبي طالب	
كتاب لعلي	١٧٦	أسرته	١٢٩

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
٢٩٧ - ٢٤٥ حسان		١٧٧ - ١٨١ وصف الكتابة	
٢٤٥ تمهيد		١٧٧ تمهيد	
٢٤٥ أسرته		١٧٧ الكتابة في عصر النبوة	
٢٤٦ نشأته		١٧٨ الكتابة بعد عهد النبوة	
٢٤٧ حياة في الاسلام		١٧٩ بواعث الكتابة	
٢٥١ شعر حسان		١٧٩ تدوين الدواوين	
٢٥١ آراء النقاد		١٨٠ أسلوب الكتابة	
٢٥٥ وصف شعره		١٨٢ التوقيعات	
٢٥٨ أسلوب شعره		١٨٣ - ٣١٢ الشعر في صدر الاسلام	
٢٥٨ معاني شعره		١٨٣ - ٢٠٣ نماذج	
٢٥٩ روائع حسان		٢٠٤ - ٢١٢ اشعر وما طراً عليه	
٢٥٩ نقد النابغة له		٢٠٤ تمهيد	
٢٦١ حسان والنعمان		٢٠٤ الشعر في صدر الاسلام	
٢٦١ حسان النعمان		٢٠٨ أغراضه	
٢٦١ حسان وعمرو		٢١٠ معانيه وأسلوبه	
٢٦٥ نماذج من شعره		٢١٢ ألفاظه	
مع شروح ودراسات		٢١٣ - ٣١٢ المخضرمون	
٢٩٨ الجعدي		٢١٣ ابن رواحة	
٣٠٤ معن بن أوس		٢١٧ كعب بن مالك	
٣٠٨ مالك بن الريب		٢١٨ كعب بن زهير	
٢١٣ النقد في صدر الاسلام		٢٢٠ - ٣٤ الخنساء	
٣١٨ أشهر الشعراء المخضرمين		٢٢٥ الخنساء لدى عائشة	
٣١٨ شعراء الحماسة المخضرمون		٢٢٦ الخنساء تعاضد بمصاحبها	
٣٢٠ الحياة الأدبية في العصر الأموي		٢٢٧ مرثي الخنساء	
٢٢٠ تمهيد		٢٣٤ رأى النقاد فيها	
٣٢٢ سياسة الدولة الجديدة		٢٢٤ ابو مخجن	
٣٢٧ الموالي في الدولة الأموية		٢٣٨ ابو ذؤيب	
٣٢٩ انتشار اللغة		٢٤٠ الخطبة	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤٠٠	خطبة أبي حمزة	٣٣٢	طروء اللحن
٤٠٢	خطبة قطري	٣٣٢	وضع النحو
٤٠٤	نصيحة رجل لهشام	٣٣٨	وضع الشكل
٤٠٥	نصيحة أعرابي لسليمان	٣٤٠	وضع النقط
٤٠٥	خطبة للحسين	٣٤١	بدء تدوين العلوم
٤٠٧	وصف الخطابة	٣٤٢	العلوم المدونة
٤١٠ - ٤٢١	الكتابة الفنية	٣٤٥	أشهر مجامع العلم والأدب
٤١٠ - ٤١٤	نماذج	٣٤٧	المريد
٤١٥	وصف الكتابة	٣٥٤	عناية الخلفاء باللغة والأدب
٤١٧	تحول الكتابة	٣٥٥	نماذج إعنائتهم بالأدب
	إلى صناعه فنية	٣٧٧	تأثر الأدب بالحياة الجديدة
٤٢٤ - ٤٤٦	الاجوبة والمحاورات	٣٨٠ - ٤٤٦	النثر الفني
٤٢٤ - ٤٤٥	نماذج	٣٨٠	نماذج
٤٢٤	أبو الأسود وزوجه	٣٨٠	صفة الإمام العادل
٤٢٧	صعصعة ومعاوية	٣٨٢	لطارق
٤٢٩	عبد الملك وجلساؤه	٣٨٤	للأحنف ولعمرو بن العاص
٤٣١	عبد الملك ومعبد	٣٨٥	وصف النثر الفني
٤٣٢	عبد الملك وسعدى	٣٨٨ - ٤٠٩	الخطابة
٤٣٣	معاوية وعقيل	٣٨٨ - ٤٠٦	نماذج
٤٣٣	معاوية وابن عباس	٣٨٨	خطبة لمعاوية
٤٣٥	عبد الملك وخالد	٣٨٩	وصية لمعاوية
٤٣٥	عبد الملك وابن أسيد	٣٩٠	خطبة ابن الزبير
٤٣٦	عبد الملك وأحد عماله	٣٩٢	خطبة عبد الملك
٤٣٧	عبد الملك والعجاج	٣٩٣	خطبة عمرو بن سعيد
٤٣٧	الحجاج وكعب	٣٩٤	وصية لعبد الملك
٤٣٨	هشام وابن أبي الجهم	٣٩٥	وصية لعنبة
٤٤٠	هشام وابن أذينة	٣٩٥	خطبة زياد البترام
		٣٩٩	خطبة الحجاج بالبصرة

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
المناقضات في الشعر الأموي	٥١٣	هشام وأبو النجم	٤٤١
الغناء في العصر الأموي	٥٢٠	إياس	٤٤٤
ألوان من الغناء ومجاليه	٥٢٢	خاتمة الكلام على المحاورات	٤٤٦
النقد الأدبي	٥٣٥	٤٤٧ - ٥١٩ الشعر الأموي	
ألوان من النقد الأدبي	٥٣٩	٤٤٧ - ٤٧٢ نماذج	
شعراء الحماسة	٥٥٣	٤٧٣ - ٥١٩ الشعر في العصر الأموي	
أوائل كتب الشعر	٥٥٤	٤٧٣ تمهيد	
دواوين الشعراء	٥٥٩	٤٧٤ مظاهر العناية بالشعر	
أشهر كتب الأدب	٥٦٠	٤٨٣ أسباب العناية بالشعر	
الرجز في العصر الأموي	٥٦٣	٤٨٧ نهضة الشعر الفنية	
خاتمة	٥٦٤	٤٨٨ معاني الشعر الأموي	
تقدير ملكي كريم		٤٨٩ أسلوبه	
كتاب التشبيه		٤٩٢ ألفاظه وأغراضه	
الشعراء الجاهليون		٤٩٣ الشعر السياسي	
مطبوعات		٤٩٥ الغزل العذري والقصصي	
ابن المعتز		٤٩٩ شعر الحكمة والدين	
فهرست الكتاب		٥٠١ الأغراض القديمة	
استدراك	٥٨٠	٥٠٨ التكميل بالشعر	
		٥٠٨ طوائف الشعراء	
		٥١٠ طبقات الشعراء	
		٥١٠ الرواية والرواة	
		٥١٢ رواة الشعر	

الايضاح في علوم البلاغة

للخطيب الفوزي [٦٦٦-٧٣٩] هـ

كتاب الخطيب : د الايضاح ، أهم كتب البلاغة ، وأحفلها بالبحوث والدراسات والآراء والمذاهب

وهو فوق ذلك أمثل كتب البلاغة أسلوبا ، وأجملها بيانا ، وأوفاهما بحثا ، وقد جمع فيه المؤلف كثيرا من آراء ونظريات المتقدمين في البلاغة ، وخاصة : عبد القاهر الجرجاني أمام البلاغة م ١٧٤١ هـ ، والسكاكي فيلسوفها المتوفى عام ٦٢٦ هـ

وكتاب الايضاح هو الكتاب الدراسي المقرر في شتى كليات اللغة والأدب في الشرق العربي

وقد قام محمد عبد المنعم خفاجي الأستاذ بكلية اللغة بعمل جليل ، هو شرح الكتاب شرحا جديدا ضافيا ، في ستة أجزاء كبيرة

وقد حرص في شرحه على تلخيص آراء المتقدمين وتوضيحها ودراستها ونقدها وأعظم عمل في هذا الكتاب فوق ذلك هو ذكر جميع المصادر والمراجع وشرح الشواهد وذكر مصادرهما وموضع الشاهد فيها ، فوق ما فيه من تحقيقات علمية واسعة وتعليقات في غاية الأهمية لعلماء البلاغة ودراسيها

وفي آخر كل جزء من أجزاء هذا الشرح بحوث ضافية ودراسات جديدة في البلاغة ومؤلفاتها وعلمائها ، مما لم يسبق إليه أحد

وقد ظهر من الكتاب جزآن وسيظهر الجزء الثالث بعد أسبوع

أما الثلاثة الأجزاء الباقية فستظهر خلال شهر واحد إن شاء الله .

ومن الله التوفيق والعون والسداد

٧ يناير ١٩٥٠

يظهر قريباً للمؤلف :

- ١ - التجديد في الشعر العربي
- ٢ - أعلام الأدب في عصر بني أمية
- ٣ - الجزء الثالث من شرح الأيضاح

نشر

مكتبة الحسين التجارية

إصاحها

محمود توفيق

الطبعة الأولى في سنة ١٣٨٥
شاع محمد بك فريد بالناصر

استدراك

تذكر هنا بعض أخطاء مطبعية وتترك باقيها اعتمادا على فطنة القارىء وثقته

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها	الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٤	١٧	واحد	اثنين	١٤٠	١٤	يسكفيك	يسكفك
١١	١٧	كراعة	كراع	١٤٩	١١	أياها	أياها الناس
١١	١٤	له	لله	١٤٣	١٦	أباك	أبويك
١٣	٣	متعاين	متجاين	١٥٤	١٢	مصتا	مصمتا
١٥	١٢	اقتبسبه	اقتبه	١٥٤	٢٢	وقاس	وقاص
٢٢	١٠	وتم	وتم	١٦٩	١٧	فان	أفان
٢٢	١١	لذى	الذى	١٧٣	١٣	أحد	أحدا
٣١	٢	النجارى	البخارى	١٧٤	١٠	اطلحة	على طلحة
٤٥	٢	شيئا	شيئا	١٧٤	١١	أهل على	أهل
٤٦	٣	قدر	قدروا	١٧١	١٠	يدا	يد
٥٣	٨	أنزل	نزل	١٧٨	١٤	إلا	إلى
٥٨	٣	السفد	السفلى	١٨١	٧	محمد	محمد
٦٠	٩	بالقواوير	بالقوارير	١٨٧	٦	علم	ظلم
٦٩	٢	نمازج	نماذج	١٨٧	١٨	فعندنا	فعندنا
٨٠	٧	مايزع	ولعثمان مايزع	١٨٩	١	إذ	إذا
١٢٩	٨	محمد	محمد	١٨٩	٦	فتردريه	فتردريه
١٣٠	٣	الهجرة	البعثة	١٩١	٣	ينسينى	ينسينى
١٣٠	٨	وأنا واحد	وأنا واحد	١٩٥	٢١	درائه	ردائه
١٣٣	١٤	ريب	ريب فيه	٢٠٠	٢	الدثاء	الرثاء
١٣٣	١٨	على	على	٢٠١	١٦	والحمد	والحمد
١٣٤	١٤	الحديث	الحكيم	٢٠٧	٥	البرجى	البرجى
١٣٤	٢٠	ظهرت	ظهر	٢٠٨	٩	أسبابها	أسبابها
١٣٨	١	رتى	أرتى	٢٠٩	١٨	ذلك	وغير ذلك
١٣٩	٤	واعنى	راعى	٢١١	١	كثير	كثر
١٣٩	١٤	هذه	هذه أزهد	٢١١	١١	عرض	عن عرض

الصفحة	الكتاب	السطر	الصفحة	الكتاب	السطر	الصفحة	الكتاب
٢١٧	١	الأخلاف	٢٩٦	٥	غيب	٢١٧	١٣
٢١٧	١٣	بيدشته	٣٠٠	١١	وكان	٢١٧	٩
٢١٩	٩	الوصف	٣٠١	٣	أجادوا	٢١٩	١٢
٢٢٠	١٢	وفد	٣٠١	٤	أجادوا	٢٢٠	٨
٢٢٩	٨	الزمار	٣٠٢	١٣	بمالي	٢٢٩	١٢
٢٢٩	١٢	كذلك	٣٠٣	٢٠	وقال	٢٢٩	٢٢
٢٣٤	٢٢	الجنج	٣٠٥	١٦	فيؤذيها	٢٣٤	٤
٢٣٥	٤	يتمدحو	٣٠٩	٨	الله	٢٣٥	١٣
٢٣٥	١٣	قلت	٣٠٩	١٤	محبوك	٢٣٥	١٦
٢٣٨	١٦	ومثلي	٣٢٩	١٣	هذا	٢٣٨	٦
٢٤٣	٦	فاستدعى	٣٣١	١٩	غير	٢٤٣	١٢
٢٤٣	١٢	هم	٣٣٣	٦	اللحن	٢٤٣	١٩
٢٤٥	١٩	منهلا	٣٣٣	١١	صوتا	٢٤٥	١٠
٢٤٧	١٠	ينسى - متصرفا	٣٣٦	١٦	ثم ته	٢٤٧	٩
٢٥٤	٩	بمستبق	٣٣٩	٧	وأذن	٢٥٤	١٢
٢٥٦	١٢	المشركين	٣٤٨	١٩	البرية في	٢٥٦	٦
٢٦٠	٦	إن	٣٤٨	٢٠	ويتناشدون	٢٦٠	١٦
٢٦٠	١٦	أكثرهم	٣٤٩	١٢	الممالك	٢٦٠	٧
٢٦٨	٧	قأن هجاتم	٣٥٠	٢	الأمويين	٢٦٨	١٥
٢٧١	١٥	ينجد	٣٥٠	٢٠	يتهاجيا	٢٧١	١
٢٧٤	١	قولى	٣٥٢	١١	والمهاجاة	٢٧٤	٤
٢٧٤	٤	يهد	٣٥٣	٤	والنحوين	٢٧٤	١١
٢٧٦	١١	يلبس	٣٥٤	٥	لغاتهم	٢٧٦	١٠
٢٧٨	١٠	ذراعها	٣٥٤	٦	ويكون	٢٧٨	١٣
٢٨٠	١٣	والعود	٣٥٥	٢٠	عن	٢٨٠	١٢
٢٨١	١٢	حق	٣٥٣	٢١	وفيان	٢٨١	٢
٢٨٢	٢	ببشة	٣٥٥	٢٢	في الأدب	٢٨٢	٤
٢٨٩	٤	وإذا	٣٧٣	١٥	سكتوا	٢٨٩	

الفتحة	السطر	الكلمة	صحتها	الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٢٧٥	١	سائل	سأل	٤٥٠	٩	أبي	بني أبي
٣٧٨	٨	الفجر	الفخر	٤٥٥	٢٠	ضرا	ضر
٢٧٨	١٣	العرب	العربي	٤٥٨	٥	إذا	إذا
٣٨٦	٩	للاحتياط	للاختلاط	٤٥٩	١٠	منها	منها
٣٨٧	٨	لأزنيكم	لأنسكم	٤٦١	٨	بالبنين	بالبنين
٣٨٩	١١	وانظُر	وانظر	٤٧٤	١	يهم	يهم
٣٩٣	٩	والهو	والهو	٤٧٥	١	أبي	أبي ربيعة
٣٩٨	١١	فاستجبوا	فاستجلبوا	٤٧٦	٣	قيما	قيما
٤٠٠	١	تضيّق	تضق	٤٧٦	١٢	تمت	لم تمت
٤٠٤	١٨	بها	بهذا	٤٨٠	١٤	القمطار	القماطر
٤٠٦	٤	عليه	عليها	٤٨٩	١	السحرهم	السحر
٤١٠	١٢	ضائعا	ضالعا	٤٩١	٣	مسته	مسته
٤١٦	١٤	كان	كانت	٤٩٣	٢	عبد	عبيد الله
٤٢٠	١٠	لغته	فلغته	٥١٠	٢٢	بجيد	بجيده
٤٢١	٢	ثابت	ثابتة	٥٢٠	١٩	ذات	ذا
٤٢٢	١٦	بن	بن أبي وقاص	٥٢٣	١٠	أو	أن
٤٢٣	٨	أدراك	أدارك	٣٢٣	٢٠	ربيعة	أبي ربيعة
٤٢٣	٢٣	شكل	شكى	٥٢٦	١٨	الفرق	الفراق
٤٣٧	١٠	الملك	الملك بن	٥٢٧	١٤	لهنك	لهنك
٤٣٩	٨	هاتها	قال : هاتها	٥٢٩	١٦	أما	إذا
٤٤٣	٢	دنت إليها	دنت	٥٣٢	١٢	فصحوبه	فصحبه
٤٤٧	١١	ذاك	أن	٥١٢	٤	الجاهلي	الجاهلي والاسلامي

ملحق للكتاب
موازنات أدبية:
بين قصيدتين

من عيون الشعر الجاهلي

١ - أما الأولى فهي معلقة عمرو بن كلثوم (٥٠٠ - ٦٠٠ م) المشهورة :

ألا هي بضحك فاصبحينا ولا تبقي خور الأندرينا

وأما الثانية فهي مجهرة أمية بن أبي الصلت (٥٥٠ - ٦٢٤)

عرفت الدار قد أقوت سنينا لزيب إذ تحل بها قطينا

٢ - والقصيدة الأولى ملحمة تاريخية تصور المجد القديم لتغلب قبلة الشاعر

وملاحمها الحربية التي انتصرت فيها على أعدائها ، وهي فريدة في نوعها فهي جديدة

حقاً بأن تسمى ملحمة ، وهي تصور قوى رائع لمجد القبيلة ومفاخرها وأيامها

ومنها يوم خزا ، وإشادة بنفوذها ومكانتها وتهديد لأعدائها وتنبية للملك عمرو بن

هند حتى لا يطيع بهم الوشاة ويتحيز لبكر شقيقة تغلب ومزاحمتها في النفوذ والمجد

والسلطان ، وقد بداها الشاعر بوصف الخمر بما يعد ميزة فريدة لها ، ثم انتقل الى

موضع القصيدة وهو الفخر ، وختمها بقوله :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

مللانا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا

إذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخر له الجبار ساجديننا

وأنت تعلم أن عمرو بن كلثوم ارتجل بعضها أمام الملك عمرو بن هند وهو الجزء

الذي هدد فيه أعداء تغلب وحذر الملك من الاستماع للوشاة والميل معهم على

تغلب ، ومنه :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرننا نخبرك اليقينا

بأننا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد رويننا

ثم أكمل القصيدة كلها ، وأنشدها في سوق عكاظ وقد عدتها تغلب مجدا لها

وملحمة تاريخية تصور تاريخها فاعتزت بها اعتزازاً كثيراً ويقال إنها أضافت

إليها الكثير حتى بلغت أبيتها نحو الالف بيت حتى قال بعض البكرين فيها:
 ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
 يفاخرون بها مذكان أولهم يا للرجال لشعر غير مستوم
 وأما المجهرة فقد تحدث فيها أمية عن مجد قبيلة ثقيف وهي من أمهات القبائل
 العربية وصاحبة النفوذ والسيادة في الطائف، وافتخر بها وصور مكانتها ووراثتها
 لمجد الآباء والأجداد، ولم يبدأها بوصف الخركا فعل عمرو بن كلثوم بل بدأها كما
 يبدأ الشعراء قصائدهم فوصف في مطلعها أطلال محبوبة وزينب، وعناءها
 وأحب الرياح المعصرات بها، ثم انتقل إلى موضوع القصيدة نفسها من الفخر
 بمجد القبيلة وشرف الآباء فقال فيما قال:

ورثنا المجد عن كبرى نزار فأورثنا ماثرنا البنيان
 وكنا حبيبا علمت معد أقمنا حيث ساروا هارينا
 وتخبرك القبائل من معد إذا عدواسعية أولينا
 بأننا النازلون بكل ثغر وأنا الضاربون إذا لقينا

إلى آخر ما ذكره من الفخر بأسرته وقومه ومجدهم ومناباتهم وما أرصده
 لريب الدهر من الخيل والرماح والسيوف والشيب والشبان ووراثتهم للمجد
 عن كبرى نزار إلى غير ذلك من مظاهر الكبرياء والعزة والسيادة التي أضافها
 أمية إلى قومه. ولا ندرى شيئا عن التاريخ الأدبي للقصيدة وإن كنا نرجح أن
 الشاعر نظمها في مفاخرة من المفاخرات التي تحدث كثيرا بين القبائل العربية وخاصة
 في العصر الجاهلي.

٣ - وتتفق القصيدتان في كثير من وجوه الشعر والشاعرية:

تتفقان في الموضوع وفي الوزن والقافية. كما تتفقان في خيالهما والمبالغة
 الواضحة فيهما.

وتتفقان فوق ذلك في هذه السهولة الواضحة الغالبة عليهما وخاصة عند ما ينتقل
 الشاعران إلى الغرض الأصلي من قصيدتهما وهو الفخر، وليست هذه السهولة
 الفنية بغريبة على الشعراء: فارجع إلى عمرو لقصيدته ومقام الفخر يقتضيان
 السهولة، ونشأة أمية في الطائف وحياته فيها بين الزروع والفاكهة والجو الجميل

والهواء الطلق وتنقلة بين الشام واليمن ومكة والمدينة كل ذلك جعله يعيش في ظلال
قسط من الحضارة صقلت مواهبه الادبية وطبيعته الفنية فظهر أثر ذلك في شعره
وضوحاً وسهولة وإسجاحاً وعقلاfinياً رائعاً .

وتتفق القصيدتان فوق ذلك في كثير من معاني الشعر وأساليبه ، ومن مظاهر
هذا التشابه هذه المعاني والأبيات :

١- قال عمرو :

ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى بيننا ^(١)
وقال : ورثنا مجد علقمة بن سيف :

وقال :

ورثناهن ^(٢) عن آباء صدق ونورها إذا منا بيننا
فقال أمية :

ورثنا المجد عن كبرى نزار فأورثنا مآثرنا البينا

وتستطيع أن توازن بين البيتين الأخيرين إذا علمت أن وراثة المجد في بيت
أمية أبلغ في الفخر من وراثة الخيول في بيت عمرو ، وإن كانت وراثة الخيول من
أسباب المجد لأن الخيل وركوبها واتخاذها عتادا دليل الشجاعة والبطولة وحب
النضال ، وقول أمية : فأورثنا مآثرنا البينا ، أبلغ من قول عمرو : ونورها إذا
منا البينا ، لأن أمية ذكروا أن أبناءهم ورثوا هذا المجد عن آباءهم سواء كان الآباء
قد ماتوا أم لا يزالون أحياء ؛ فهم قد ورثوه فعلا ، أما عمرو فقال إن الأبناء
يرثون الخيل بعد موت الآباء فهم لم يرثوه في حياتهم فكأنهم لا يعرفون بالشجاعة
إلا بعد موت الآباء وهذا قصور عن الفخر . وقال أمية : ، البينا ، وقال عمرو
وبينا ، فمهرهم أمية وأبان عن غرورهم وقال عمرو : اصدق ، فدل على شجاعتهم
أو وضوح نسبهم وهي زيادة لانظير لها في قول أمية .

(١) أي حتى يظهر الشرف لنا .

(٢) الضمير يعود إلى الأفراس في بيت سابق .

وقد أخذ أمية لفظ ، قد علمت معه ، من قول عمرو فقال :

وكنا حينما علمت معه د أقننا حيث ساروا هاربيننا

ب - ويقول عمرو : ، وأنا المملكون إذا ابتلينا ، أى نملك أعداءنا ونبيدهم
إذا اخترنا بقتالهم فيقول أمية : وأنا الضاربون إذا التقينا . فتجد قول عمرو
أبلغ حيث نص على إهلاك الأعداء ولم يذكر أمية إلا الضرب وإن كان يكنى به
عن الشجاعة والأقدام والعزيمة والجد في طلب الأعداء ولكنه على أى حال لم
يصور نتيجة الحرب كما صورها عمرو بقوله : ، المملكون ،

ج - ويقول عمر : ، وأنا المانعون لما أردنا ، ، ويروى ، الحاكون بما أردنا ،

فيقول أمية ، وأنا المانعون إذا أردنا ، .

د - ويقول عمرو :

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

ويروى من الجمهرة :

وأنا الشاربون الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

ويقول عمرو :

بفتيان يرون القتل مجدا وشيب في الحروب مجربينا

وقد روى من الجمهرة :

وفتيانا يرون القتل مجدا وشيبا في الحروب مجربينا

هـ - وتمتاز المعلقة : بتنوع أغراضها ، وبطولها ، وسهولتها وأنها ملحمة

تاريخية وتصوير لمجد تغلب القومى والحربى ، وبما فيها من وصف للخمر ، وهى
على أى حال وباعتراى نقاد الأدب القديم من أشهر القصائد الجاهلية ، ولذلك
وضعوها مع المعلقات ، وقال ابن قتيبة فيها ، وهى من جيد شعر العرب ، .

أما قصيدة أمية فقد وضعها فى منزلة أدبية بعد منزلة المعلقات حيث رتبوها
فى الجمهرات . والجمهرات سبع قصائد من الشعر الجاهلى رواها أبو زيد
الانصارى فى الجمهرة وأصحابها هم .

ا - عبيد بن الابرص وبجهرته مشهورة ومطلعها :

أقفر من أهله ملحوب فالقطيبات فالذنوب

أو : عينك دمعا سروب (١) كأن شأنهما شعيب

وتشتهر باختلاف رزنها واضطرابه ، وهي قاصرة على الحكمة ومنها :

والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

من يسأل الناس يحرموه رسائل الله لا يخيب

ويغلب عليها صبغة التدين وروح الايمان :

ب -- عدى بن زيد ، ومطلع بجهرته :

أتعرف رسم الدار من أم معبد نعم ورماك الشوق قبل التجلد

وتشبه معلقة طرفة في وزنها وفافيتها وروح الحكمة السارية فيها كما تتفق معها

في بعض الأبيات ، ويغلب عليها روح التدين ، ومنها :

فنفسك فاحفظها عن الغنى والردى متى تغوها يغو الذى بك يقتدى

عن المرء لانسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمتفاران يقتدى

والبيت الأخير نجده في معلقة طرفة أيضا .

ج - النمر بن تولب ، ومطلع بجهرته :

تأبى من أطلال عمرة مأسل :

وتغلب عليها روح الحكمة ، ومنها :

يود الفتى طول السـلامـة والغنى فكيف ترى طول السلامة يفعل

دعاني الغواني عمهن وخلتنى لى اسم فدا أدعى به وهو اول

د - أمية بن أبى الصلت ، وبجهرته معروفة

وهي وقف على الفخر

هـ - بشر بن أبى خازم : وبجهرته في الفخر بقومه وبطولتهم وعزهم ، ومطلعها

لمن الديار غشيتها بالانعم تعدو معالمها كلون الأرقم

و — خدّاش بن زهير ، ومجمرته في الفخر بقومه أيضا ومطلعا :
أمن رسم أطلال بتوضيح كالسطر

ز عنبرة وقصيدته :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد نوحهم
يعدّها البعض من المملقات والآخرون من المجمرات وهي على أي حال في
الفخر حيث وصف فيها الشاعر بطولته وشخصيته بوضوح .. وهذه القصائد السبع :
١ — من الناحية التاريخية نجد أن أصحابها لم يعيشوا في عصر واحد : فعدي
توفي نحو عام ٥٦٥ م وعبيد عام ٥٥٥ م وأمية عام ٦٢٤ م وعنبرة عام ٦١٥ م الخ
مما يؤكد لنا أنه لم تلاحظ الناحية التاريخية في ترتيبها .

ب — ومن ناحية موضوع هذه القصائد نجد أن ثلاثا منها في الحكمة وأربعاً
في الفخر ، مما يؤكد أنها لم ترتب بحسب موضوعاتها .

ج — فلم يبق إلا أنها رتبت بحسب جودتها الفنية ومنزلتها الأدبية ، ومن غير
شك فإن شاعرية هؤلاء الشعراء وخصائص الشاعرية في هذه القصائد تكاد تكون
في منزلة واحدة مما يبدو بوضوح للناقد الدارس .

فهذه القصائد السبع يشبه بعضها بعضاً في النواحي الفنية والقيمة الأدبية
وتكاد تكون متساوية في حكم النقد الأدبي السليم ، وهي لا تحتل الذروة بين
قصائد العصر الجاهلي وإنما تلي هذه القصائد السبع الجياد المشهورة والمملقات ،
ويليها كثير من القصائد التي لا تبلغ منزلة المجمرات الأدبية .

د — ومن الغريب أن تخلو مجمرة أمية من هذه الصبغة الدينية التي اشتهر
بها أمية ، ويبدو أنه نظمها في أوائل عهده بالشعر وفي عصر الشباب مما يتضح من
تقليده فيها لعمر بن كلثوم ومعلقته

وقد يكون السبب الذي جعل أمية ينظم بمجمرته محتذياً فيها عمراً هو إعجابه
بمعلقته وروايته لها أو تأثره بعمر وخاصة من بين الشعراء الجاهليين

ومعلقة عمرو يرى فيها الدكتور طه حسين في كتابه « الأدب الجاهلي »
أنه لا يمكن أن تكون هي أو أكثرها جاهلية

ويذكر أن الرواة قد شكوا في بعضها وإن عمرا نفسه قد أحيط بطائفة من الأساطير ويرجح انتقال المعلقة وهي ومعلقة الحارث بن حلزة .

والمعلقة نفسها خير رد على هذا الرأي فهي صورة الحياة جاهلية لاشك فيها وتمثل حياة عمرو نفسه تمام التمثيل ، والشخصية الفنية في المعلقة شبيهة تمام الشبه بالآثار الفنية القليلة التي ثبتت صحتها لعمرو بما ورد في الحماسة وسواها .

٦ — وبعد فنستطيع أخيرا أن نقول أن أمية نظم بجمهرته متأثرا فيها بعمرو ومعلقته ، وأنه قلد عمرا تقليدا فنيا واضحا لالبس فيه ، والتقليد الفني ليس ببعيد على الشعر الجاهلي ولا بغريب فيه ؛ وكما قلد الشعراء المحدثون من تقدمهم من أئمة الشعر العربي فقد كان الشاعر الجاهلي يقلد من سبقه من الشعراء .
وسنبسط حديث التقليد والتجديد في الشعر الجاهلي في بحث آخر .

الطبع والصنعة

في الشعر الجاهلي

بين القدامى والمحدثين من النقاد خلاف كبير في تحديد معنى الطبع والصنعة: يرى الأولون أن التهذيب الفني لالاسلوب هو الصنعة ، فالمصنوع هو المثقف المهذب من الشعر أما الطبع فهو خلو الأثر الأدبي من آثار التجويد والتقييد ، ويرى الآخرون أن شعور الشاعر بنفسه حدين الطبع والصنعة ، فاذا كان الشعر صادقا مؤثرا فهو من شعر الطبع ، وإلا فهو مصنوع متكلف ، والأديب المطبوع عندهم من كان غير مقلد في معناه أو في لفظه ، وكان صاحب موهبة في نفسه وعقله لافي لسانه فقط

ورأى المحدثين المعاصرين من النقاد اصطلاح جديد في معنى الطبع والصنعة. وأرى أن الأولى في تحديد معناهما أن نجمع بين الرأيين الذين يتلاقيان ولا يتناقضان ، فالطبع هو الملمكة القادرة في نفس الشاعر والأديب التي توحى إليه بفنه وأدبه وحي الفطرة والطبيعة واستجابة لعواطفه ومشاعره دون تكلف وتعب في الصوغ أو استجداء لترف الالاسلوب والصناعة ، أما الصنعة فهي إحساس

الشاعر أو الأديب بآثار الجمال الفني وترف الأداء وزخرف الأسلوب ، وجهه لهذا الجمال والترف والزخرف ؛ وهيامه الفني بها ، وقصده إليها ، وتعمره لها في شعره ، حتى ليطلب الفن للفن ، ويستلهم الجمال للجمال ، ويستوحى الشعر من مكانه الفنية التي استبدت بها هذه النزعة ، مما يطغى على نفس الشاعر وشعوره وعواطفه وإحساسه بالحياة .

ويجمع جمهور النقاد في القديم والحديث على عيب الصنعة والتصنيع .

وسموا المصنوعين من الشعراء في العصر الجاهلي عبيد الشعر ، وعابوا شعراءهم ، قال الأصمعي الأديب الراوي الناقد ٢١٦ هـ : زهير والنابعة وأشباههما عبيد الشعر ، وقال : الخطيئة - وهو شاعر إسلامي مشهور - عبد لشعره ، قال الجاحظ إمام الأدباء والنقاد ٢٥٥ هـ : عاب الأصمعي شعره حين وجده كله متخيراً مستويًا لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه ، وكان الأصمعي يستحسن التفاوت في الشاعرية لأنه مظهر الطبع وخلق الشعر من آثار الصناعة ، وعلى هذا الرأي يسير بعض المحدثين ؛ من يرى أن التفاوت في شعر الشاعر دليل على عبقريته وطبعه ، ويعدهم النقاد الآية الناطقة على شاعرية المتنبي وعظيم مكانته في الشعر .

ولقد كان الشعر العربي أثرًا للفطرة والبديهة ، واستجابة لمشاعر الشاعر وشعوره بالحياة في الجاهلية وكان أكثره ارتجالاً أو ما يشبه الارتجال ، ينظمه الشاعر على البديهة ، ويأتى به عنو الخاطر ، ترد إلى ذهنه المعاني وتتابع ، فتتوالى عليه الألفاظ وتأتيه الأساليب شعراً وشعوراً وسجراً وجمالاً : كل ذلك في سهولة وتدفق وفطرة دون تفكير وتهذيب وتقسيح ، حتى قال الجاحظ : وكل شيء للعرب قائم هو ببديهة وارتجال وكأنه إلهام ، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكرة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى جملة المذهب والعمود الذي إليه يقصد ، فتأتيه المعاني أرسالا وتتوالى عليه الألفاظ انثيالاً ،

وفي العصر الجاهلي بدأ لون جديد من ألوان التهذيب والصنعة في الشعر على يد أوس وزهير وتلاميذهما .

كان أوس بن حجر من أصحاب التثقيف وكان يسمى محبرا لحسن شعره ، وتلمذ عليه زهير ، وكان طفيل الغنوى كذلك ، وكان النمر بن تواب من أصحاب التثقيف والتهديب ، وكان أبو عمرو بن العلاء الناقد الراوية م ١٥٤ هـ يسميه الكيس لحذقه بالشعر ، والنقاد يعدون النابغة الذبياني أيضا من المصنعين ، ويقول أنصار الصنعة إن امرأ القيس أيضا كان يثقف شعره ويعيد النظر فيه فيسقط رديته ويثبت جيده ، وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الأيادي وكان يلوذ به في شعره ويتوكأ على معانيه كثيرا ، ولكن شعر امرئ القيس ينفي عنه الصنعة والتصنيع ، وفرق بين أن يجيء عفوا في شعره بعض آثار الصناعة الفنية وأن يكون مصنعا ينحت فنه كما ينحت الفنانون تماثيلهم

وأبرز رجال هذه المدرسة على أى حال هو زهير ، قال بعض النقاد : عمل سبع قصائد في سبع سنين وكان يسميها الحوليات ، كان زهير يصنع الحوليات على وجه التثقيف والتهديب ، يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها - خوفا من النقد والنقاد - بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة ، وقيل كان ينظم القصيدة في شهر ثم لا يزال يهذبها حتى يمر عليها الحول ، وقيل : بل كان يعمل القصيدة في ستة أشهر ويهذبها في ستة أشهر ، وقال الجاحظ : كان زهير يسمى كبار قصائد الحوليات . وقد سار تلامذة زهير على نهج أستاذهم كالخطيئة الشاعر الاسلامي وسواه

وكان هذا المذهب الفني في الشعر الجاهلي - مذهب الصنعة والتصنيع - أثرا لاتنافس بين الشعراء وقيام الاسواق الادبية كعكاظ وسواه بالحكومة الادبية بينهم وكان النابغة تقام له قبة في عكاظ ويتجأكم إليه الشعراء ، كما كان أثر التكبس بالشعر واتخاذ وسيلة للثراء وعكوف الشعراء المصنعين على تجويد مدائحهم ليستخرجوا بها سني الهدايا والالطاف من ممدوحهم ، وكان ارتباط الشعر الجاهلي بالغناء ورغبة بعض الشعراء في التجويد والتجديد في المعاني من أسباب نشأة هذا المذهب الفني أيضا وإذا نظرنا إلى الشعر الجاهلي نفسه وجدنا الفرق كبيرا بين آثار أصحاب الطبع والبديهة كطرفه وامرئ القيس ومهلل وآثار الشعراء المصنعين

والمعلقات السبع وهي من أشهر القصائد الجاهلية في البلاغة الادبية وأحفلها

بمواهب الشاعرية والفن والخيال وخصب المملكات ، كلها من آثار الطبع الأدبي
المرهوب ، وليس فيها شيء من مظاهر الصناعة الفنية ، فمعلقة امرئ القيس أروع
صورة لحياة الشاعر وترفه ولطوه ، ومعلقة عمرو بن كلثوم ملحمة تاريخية تصور
التاريخ القومي والحربي والسياسي لقبيلة الشاعر ، تغلب ، ومعلقة عنتره حديث
عذب جميل بين الحب والحرب والبطولة ، ومعلقة زهير دعوة للسلام ووصف
لأهوال الحرب . وقسوتها على الناس والبشرية ، ويكاد يكون زهير فيها أشبه شيء
بالمطبوع ، ويكاد أسلوبه فيها يبعد عن الصناعة وآثارها الفنية .

وشتان بين معلقة زهير هذه وبين قصيدة النابغة :

كلني لهم يا أميمة ناصب وليل أفاقيه بطيء الكواكب
أو قصيدة أخرى لزهير نفسه هي :

صحا القلب عن سلى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله
لبعد ما بين الأثر المطبوع والأثر المصنوع ؟